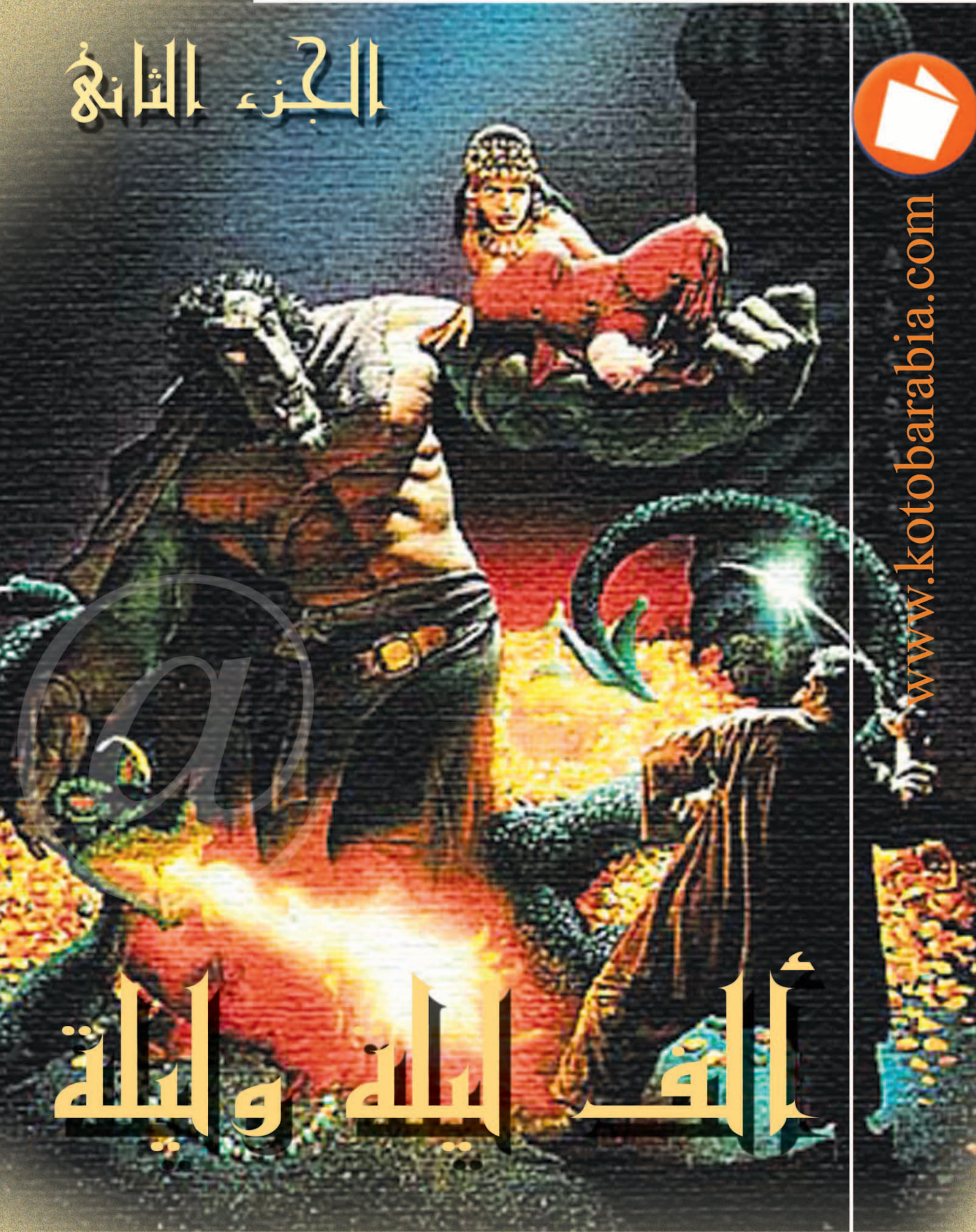
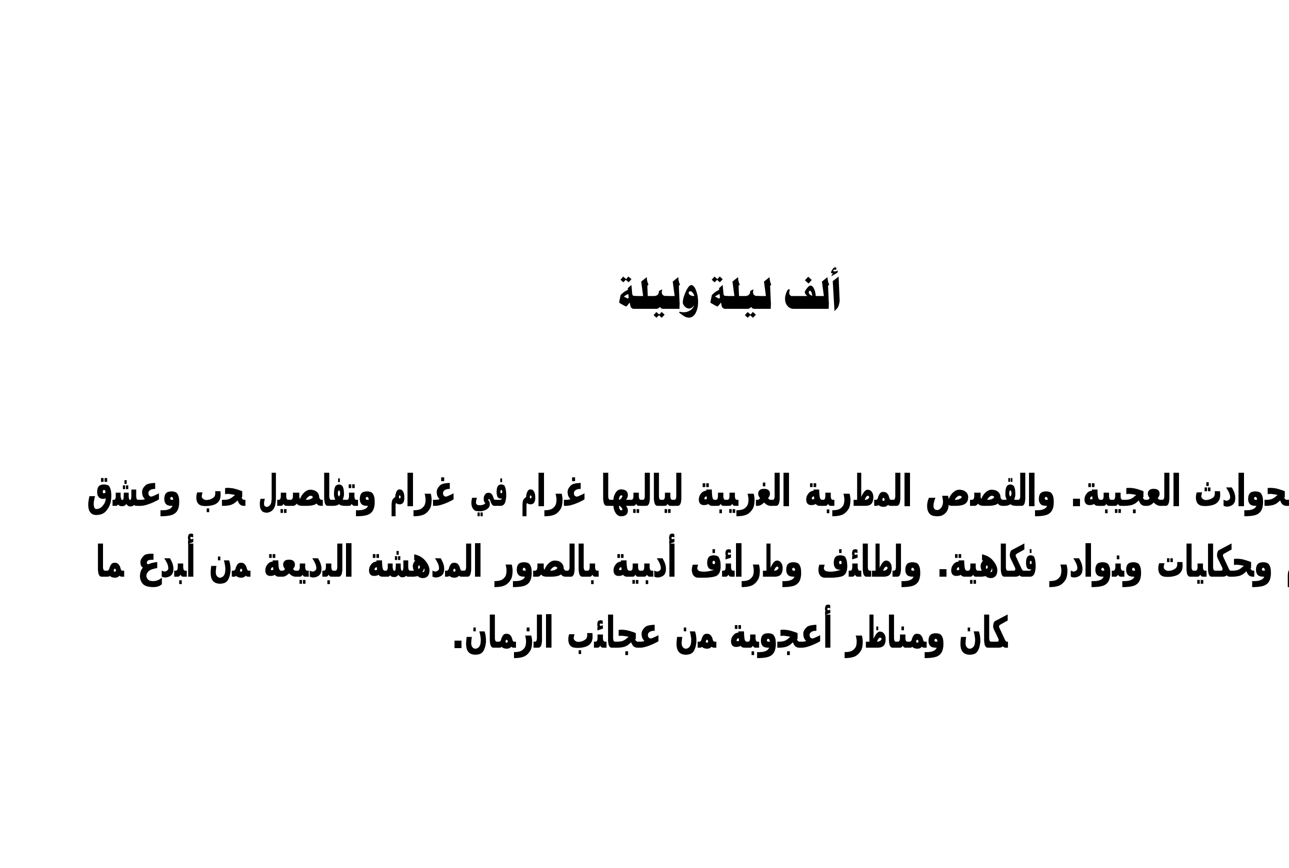

الجزء الثاني
www.kotobarabia.com
ألف ليلة وليلة

ألف ليلة وليلة

المجلد الثاني



ألف ليلة وليلة

ذات الحوادث العجيبة. والقصص المطربة الغريبة لياليها غرام في غرام وتفاصيل حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر فكاهية. ولطائف وطرائف أدبية بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر أعجوبة من عجائب الزمان.

فهرست المجلد الثاني من قصة ألف ليلة وليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين **(وفي ليلة ١٧٠)** قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سلسان قال أهلاً وسهلاً بولدي كان ما كان وا لقد ضاقت بي الأرض لأجل غيبتك والحمد على سلامتك ثم نظر السلطان إلى هذا الحصان المسمى بالقـانون فعرف أنه الحصان الذي رآه سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع أبيه ضوء المكان حين قتـل عمـه شركان وقال له لو قدر عليه أبوك لاشتراه بألف جواد ولكن الآن عاد العز إلى أهله وقد قبلناه وهبناه وأنت أحق به من كل إنسان لأنك سيد الفرسان ثم أمر أن يحضر لكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخيـل وأفرد له في القصر أكبر الدور وأقبل عليه العز والسرور وأعطاه مالا جزيلاً وأكرمه غاية الإكرام لأنه كان يخشى عاقبة أمر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته وأقبل على أمـه وقال يا أمي ما حال ابنة عمي فقالت وا يا ولدي أنه كان عندي من غيبتك ما شغلني عن محبوبتك فقال يـا أمي إذهبي إليها وأقبلي عليها لعلها تجود علي بنظرة فقالت له أن المطامع تذل أعناق الرجال فدع عنك هـذا المقال لئلا يقضي بك إلى الوبال فأنا أذهب إليها ولا أدخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من أمه ذلك أخبرها بما قاله السلال من أن العجوز ذات الدواهي طرقت البلاد وعزمت على أن تدخل بغداد وقال هي التـي قتلـت عمي وجدي ولابد أن أكشف العار وآخذ الثأر ثم ترك أمه وأقبل على عجوز عاهرة محتالة مـاكرة اسـمها سعدانة وشكا إليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها أن تتوجه العجوز إليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعاً وطاعة ثم فارقته ومضت إلى قصر قضى فكان وسألها أن تتوجه العجوز إليها وتسـتعطفها عليه فقالت له العجوز سمعاً وطاعة ثم فارقته ومضت إلى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت إليه وأعلمته بأن قضي فكان تسلم عليه ووعدتها أنها في نصف الليل تجيء إليه. وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لكان ما كان بأنها ستجيء إليك فـي نصـف الليل ففرح لوعد ابنة عمي قضي فكان فلما جاء نصف الليل اتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلـت عليـه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي أنك تحبني وأنت خلي البال نائم على أحسن حال فانتبه وقال وا يـا منية القلب أني ما نمت إلاطمعا في أن يزورني منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بعتاب لطيـف الكلمـات وأنشدت هذه الأبيات:

لـو كنـت تصـدق فـي المحبـة ... مـا جنحـت إلـى المنـام

يـا مـدعي طـرق المحبـة ... فـي المـودة والغـرام

وا يـا ابـن العـم مـا ... رقـدت عيـون المسـتهام

فاستحيا منها كان ما كان وتعانقا وتشاكيا ألم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك إلى أن بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديداً وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

فيا زائـري مـن بعـد فـرط صـدوده ... وفي الثغر منه الـدر فـي نظـم عقـده



فقبلته ألفا وعانقت قده وبت وخدي لاصق تحت خده

إلى أن بدا نور الصباح فراعنا كحد حسام لاح من جوف غمده

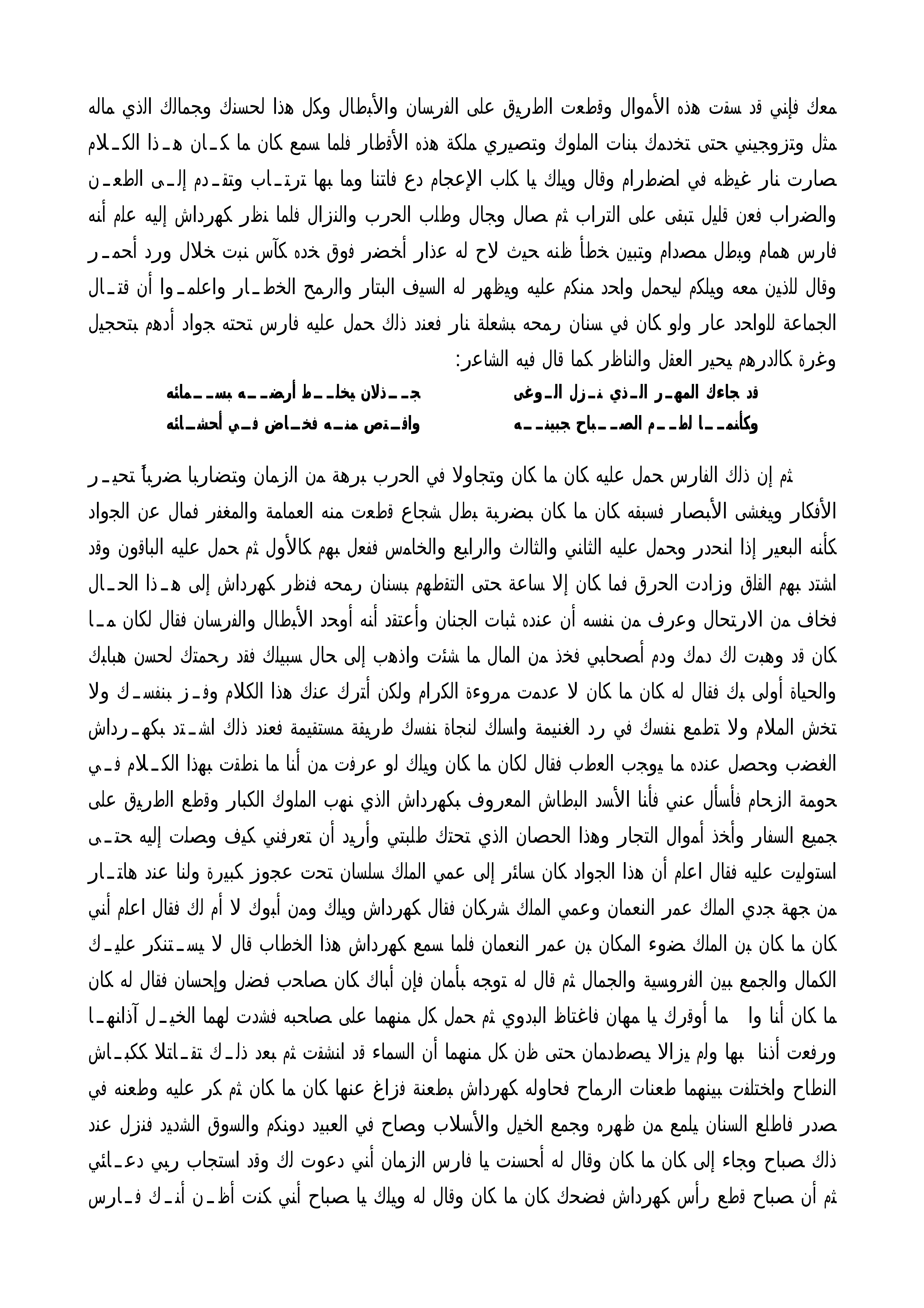
فلما فرغ من شعره ودعته قضي فكان ورجعت إلى خدرها وأظهرت بعض الجواري على سرها فذهبت جارية منهن إلى الملك سلسان وأعلمته بالخبر فتوجه إلى قضي فكان وجرد عليها الحسام وأراد أن يضرب عنقها فدخلت عليه أمها نزهة الزمان وقالت له يا لا تفعل بها ضرراً فإنك إن فعلت بها ضرراً يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان وإن كان ما كان صاحب عرض ومروءة ولا يفعل أمراً يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فإن أهل القصر وجميع أهل بغداد قد شاع عندهم أن الوزير دندان قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان فقال لها لابد أن أرميه في بلية بحيث لا أرض تقله ولا سماء تظله وأني ما طيبت خاطره ولا أنعمت عليه إلا لأجل أهل مملكتي لئلا يميلوا إليه وسوف ترين ما يكون ثم تركها وخرج يدبر أمر مملكته هذا ما كان من أمر الملك سلسان (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه أقبل على أمه في ثاني يوم وقال لها يا أمي أني عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك وإذا كثر مالي وحسن حالي خطبت قضي فكان من عمي سلسان فقالت يا ولدي أن أموال الناس غير سائبة لأن دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجالاً تقتنص الأسود وتصيد الفهود فقال لها كان ما كان هيهات أن أرجع عن عزيمتي إلا إذا بلغت منيتي ثم أرسل العجوز إلى قضي فكان ليعلمها أنه يريد السير حتى يحصل لها مهراً يصلح لها وقال للعجوز لابد أن تأتيني منها بجواب فقال له سمعاً وطاعة ثم ذهبت إليها ورجعت لها بالجواب وقالت له أنها في نصف الليل تكون عندك فأقام سهران إلى نصف الليل من قلقه فلم يشعر إلا وهي داخلة عليه وتقول له روحي فداك من السهر فنهض لها قائماً وقال يا منية القلب روحي فداك من جميع الأسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لا تبكي يا بنت العم فأنا أسأل الذي حكم علينا بالفراق أن يمن علينا بالتلاق والوفاق ثم أن كان ما كان أخذ في السفر ودخل على أمه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القانوني ومشى في شوارع المدينة وهو كالبدر حتى وصل إلى باب بغداد وإذا برفيقه صباح ابن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى في ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا أخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وأنا الآن لا أملك غير سيفي فقال له كان ما كان ما يرجع الصياد بصيد إلا على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك أن تأتي معي وتخلص النية في صحبتي ونسافر في تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت أدعوك إلا مولاي ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين في البر أربعة أيام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفي اليوم الخامس أشرفا على تل عال تحته مراتع فيها أبل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابي والبطاح وأولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الأفراح وامتلأ صدره بالأنشراح وعول على القتال وأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هذا المال الذي عن أهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا في أخذه نصيب فقال صباح يا مولاي أن أصحابه خلق كثير وجم غفير وفيهم أبطال من فرسان ورجال وأن رمينا أرواحنا في هذا الخطيب الجسيم



فأننا نكون من هوله على خطر عظيم فضحك كان ما كان وعلم أنه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازماً على شن الغارات وترنم بإنشاد هذه الأبيات:

وآل نعمان هم ذوو الهمم	**والسادة الضاربون في القمم**
قوم إذا ما الهياج قام لهم	**قاموا بأسوافه على قدم**
تنام عين الفقير بينهم	**ولا يرى قبح صور العدم**
وأنني أرتجي معاونة	**من مالك الملك بارىء النسم**

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الإبل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت إليه العبيد بالسيوف الثقال والرماح الطوال وفي أولهم فارس تركي إلا أنه شديد الحرب والكفاح عارف بأعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال أعلم أن هذه الأموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم إلا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا بأن لا يرجعوا من هنا إلا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلاً هذا هو الحصان الذي تعنون وأنتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم اجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين أذني القانون فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه فأخرج كلام ومال على ثان وثالث ورابع فأعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فقال لهم يا بني الزواني سوقوا المال والخيول وإلا خضبت من دمائكم سناني فساقوا المال وأخذوا في الانطلاق وأنحدر إليه صباح وأعلن بالصياح وزادت به الأفراح وإذا بغبار قد علا وطار حتى سد الأقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فلما رآهم صباح فر إلى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما أنا فارس إلا في اللعب والمزاح ثم أن المائة فارس داروا حول كان ما كان وأحاطوا به من كل مكان فتقدم إليه فارس منهم وقال أين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال واعلم أن من دونه أسداً أروع وبطل صميدع وسيفاً أينما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام التفت إليه فرآه فارساً كالأسد الضرغام إلا أن وجهه كبدر التمام وكان ذلك الفارس رئيس المائة فارس وأسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معروفة له يقال لها فاتن وكانت من أحسن النساء وجهاً قد أعطاها ا من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل إنسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وأبطال ذلك القطر تخاف هيبتها وحلفت أنها لا تتزوج إلا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لابيها ما يقربني إلا من يقهرني في الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول أختشي أن يقاتل جارية وخاف من العار فقال بعض خواصه أنت كامل الخصال في الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت أقوى منك فإنك تغلبها لأنها إذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قبالك حتى تملكها لأن النساء لهن غرض في الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فأبي كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال إلى أن جرت له مع كان ما كان هذه الأفعال فظن أنها محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم إلى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد أتيت لتريني شجاعتك فأنزلي عن جوادك حتى أتحدث

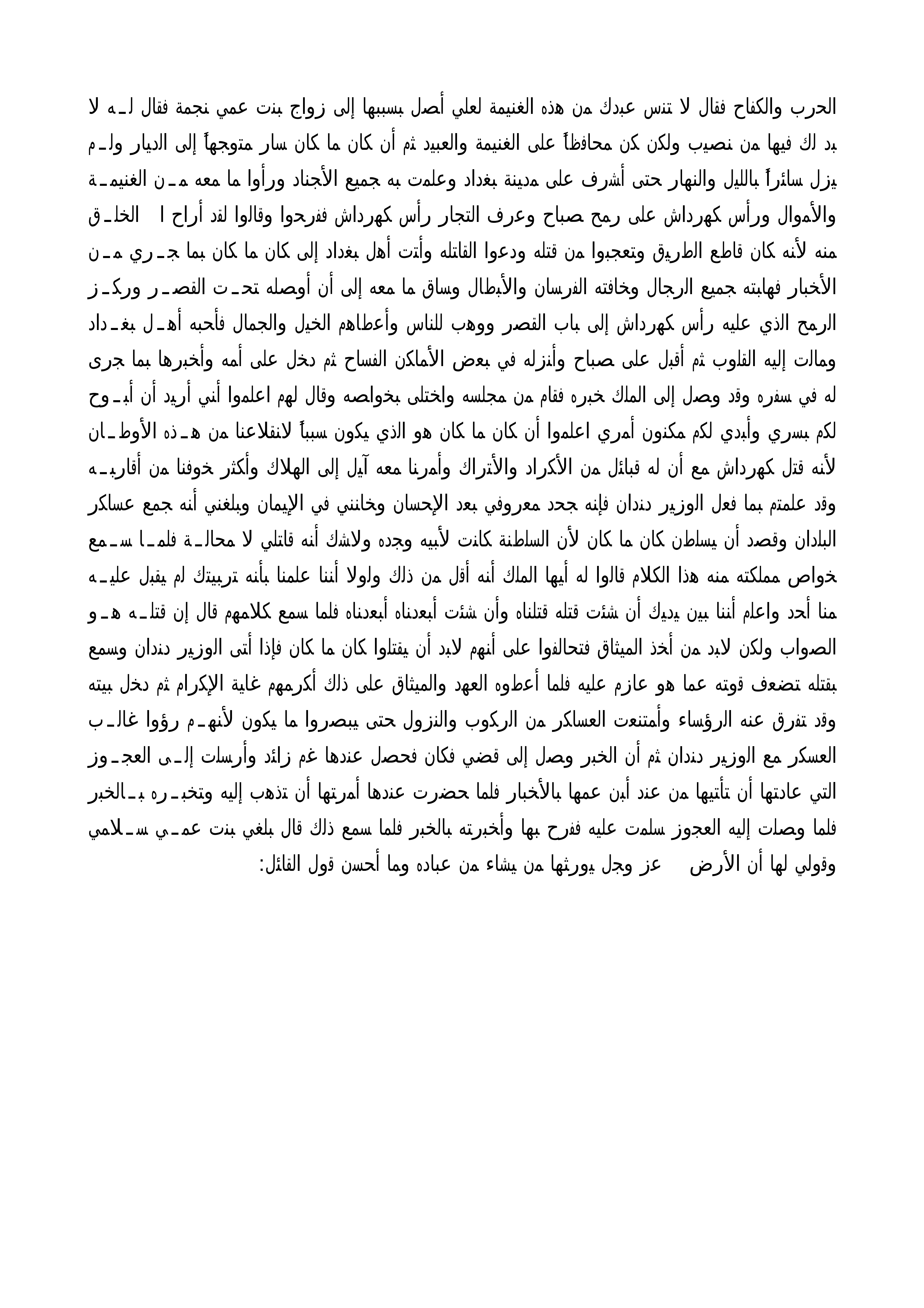


معك فإني قد سقت هذه الأموال وقطعت الطريق على الفرسان والأبطال وكل هذا لحسنك وجمالك الذي ماله مثل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيري ملكة هذه الأقطار فلما سمع كان ما كـان هـذا الكـلام صارت نار غيظه في اضطرام وقال ويلك يا كلب الإعجام دع فاتنا وما بها ترتـاب وتقـدم إلـى الطعـن والضراب فعن قليل تبقى على التراب ثم صال وجال وطلب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش إليه علم أنه فارس همام وبطل مصدام وتبين خطأ ظنه حيث لاح له عذار أخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد أحمـر وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطـار واعلمـوا أن قتـال الجماعة للواحد عار ولو كان في سنان رمحه بشعلة نار فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد أدهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر:

قد جاءك المهـر الـذي نـزل الـوغى ... جـ ـذلان يخلـ ـط أرضـ ـه بسـ ـمائه

وكأنمـ ـا لطـ ـم الصـ ـباح جبينـ ـه ... واقـتص منـه فخـاض فـي أحشـائه

ثم إن ذلك الفارس حمل عليه كان ما كان وتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضرباً تحيـر الأفكار ويغشى الأبصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كأنه البعير إذا انحدر وحمل عليه الثاني والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالأول ثم حمل عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كان إلا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش إلى هـذا الحـال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه أن عنده ثبات الجنان وأعتقد أنه أوحد الأبطال والفرسان فقال لكان مـا كان قد وهبت لك دمك ودم أصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب إلى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن هبابك والحياة أولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروءة الكرام ولكن أترك عنك هذا الكلام وفـز بنفسـك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشـتد بكهـرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من أنا ما نطقت بهذا الكـلام فـي حومة الزحام فأسأل عني فأنا الأسد البطاش المعروف بكهرداش الذي نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفار وأخذ أموال التجار وهذا الحصان الذي تحتك طلبتي وأريد أن تعرفني كيف وصلت إليه حتـى استوليت عليه فقال اعلم أن هذا الجواد كان سائر إلى عمي الملك سلسان تحت عجوز كبيرة ولنا عند هاتـار من جهة جدي الملك عمر النعمان وعمي الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن أبوك لا أم لك فقال اعلم أني كان ما كان بن الملك ضوء المكان بن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يسـتنكر عليـك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجه بأمان فإن أباك كان صاحب فضل وإحسان فقال له كان ما كان أنا وا   ما أوقرك يا مهان فاغتاظ البدوي ثم حمل كل منهما على صاحبه فشدت لهما الخيـل آذانهـا ورفعت أذنا بها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما أن السماء قد انشقت ثم بعد ذلـك تقـاتلا ككبـاش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه وطعنه في صدر فاطلع السنان يلمع من ظهره وجمع الخيل والأسلاب وصاح في العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء إلى كان ما كان وقال له أحسنت يا فارس الزمان أني دعوت لك وقد استجاب ربي دعـائي ثم أن صباح قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك يا صباح أني كنت أظـن أنـك فـارس

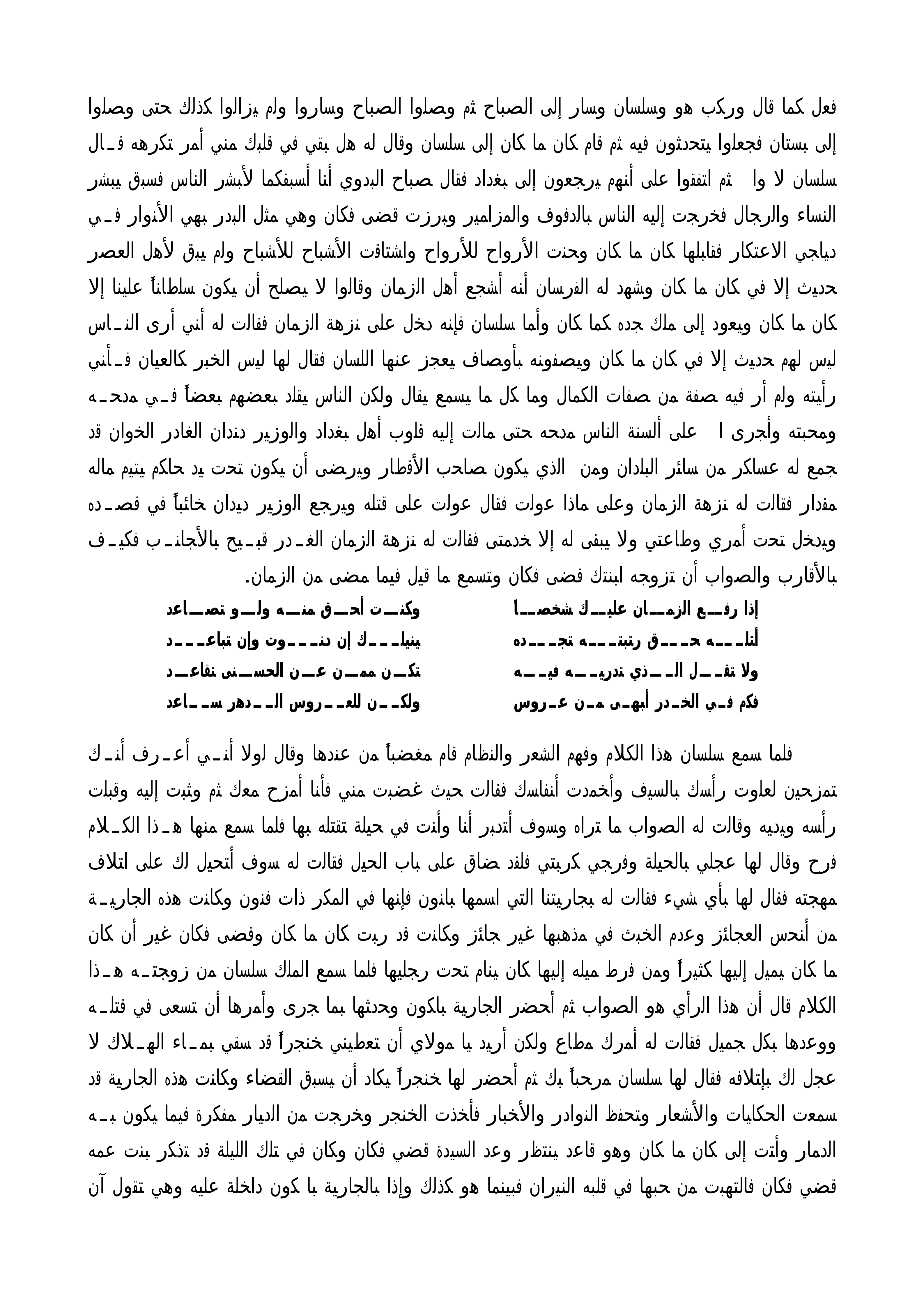


الحرب والكفاح فقال لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلي أصل بسببها إلى زواج بنت عمي نجمة فقال له لا بد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظاً على الغنيمة والعبيد ثم أن كان ما كان سار متوجهاً إلى الديار ولم يزل سائراً بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الأجناد ورأوا ما معه من الغنيمة والأموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد أراح ا الخلق منه لأنه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا القاتله وأتت أهل بغداد إلى كان ما كان بما جري من الأخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والأبطال وساق ما معه إلى أن أوصله تحت القصر وركز الرمح الذي عليه رأس كهرداش إلى باب القصر ووهب للناس وأعطاهم الخيل والجمال فأحبه أهل بغداد ومالت إليه القلوب ثم أقبل على صباح وأنزله في بعض الأماكن الفساح ثم دخل على أمه وأخبرها بما جرى له في سفره وقد وصل إلى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا أنني أريد أن أبوح لكم بسري وأبدي لكم مكنون أمري اعلموا أن كان ما كان هو الذي يكون سبباً لانقلاعنا من هذه الأوطان لأنه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الأكراد والأتراك وأمرنا معه آيل إلى الهلاك وأكثر خوفنا من أقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فإنه جحد معروفي بعد الإحسان وخانني في الإيمان وبلغني أنه جمع عساكر البلدان وقصد أن يسلطن كان ما كان لأن السلطنة كانت لأبيه وجده ولاشك أنه قاتلي لا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له أيها الملك أنه أقل من ذلك ولولا أننا علمنا بأنه تربيتك لم يقبل عليه منا أحد واعلم أننا بين يديك أن شئت قتله قتلناه وأن شئت أبعدناه أبعدناه فلما سمع كلامهم قال إن قتله هو الصواب ولكن لابد من أخذ الميثاق فتحالفوا على أنهم لابد أن يقتلوا كان ما كان فإذا أتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما أعطوه العهد والميثاق على ذلك أكرمهم غاية الإكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وأمتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لأنهم رؤوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم أن الخبر وصل إلى قضي فكان فحصل عندها غم زائد وأرسلت إلى العجوز التي عادتها أن تأتيها من عند أبن عمها بالأخبار فلما حضرت عندها أمرتها أن تذهب إليه وتخبره بالخبر فلما وصلت إليه العجوز سلمت عليه ففرح بها وأخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغي بنت عمي سلامي وقولي لها أن الأرض عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما أحسن قول القائل:

الملـك ومـن يظفـر بنيـل منـي **يـردده قهـر ويضـمن عنـده الـدركا**

لو كـان لـي أو لغيـري قـدر أنملـة **مـن التـراب لكـان الأمـر مشـتركا**

فرجعت العجوز إلى بنت عمه وأخبرتها بما قاله وأعلمتها بأن كان ما كان أقام في المدينة ثم أن الملك سلسان صار ينظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق أنه خرج إلى الصـيد والقـنص وخـرج صباح معه لأنه كان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيـون صـارت تتلفت يميناً وشمالاً فأطلقها فقال له صباح لأي شيء أطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان وأطلـق البـاقي وقال أن من المروءة أطلاق الغزالات التي لها أولاد وما تتلفت تلك الغزالة إلا لأن لها أولاد فأطلقتها وأطلقت الباقي في كرامتها فقال له صباح أطلقني حتى أروح إلى أهلي فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقـع على الأرض يلتوي كالثعبان فبينما هما كذلك وإذا بغبرة سائرة وخيل تركض وبـان مـن تحتهـا فرسـان وشجعان وسبب ذلك أن الملك سلسان أخبره جماعة أن كان ما كان خرج إلى الصيد والقنص فأرسل أمير من الديلم يقال له جامع ومعه عشرين فارساً ودفع لهم المال ثم أمرهم أن يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم وإذا بالملك سلسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع وإذا بأهاليهم قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم أن كان ما كان توجه بعد ذلك من المكان وتوجه معه صباح البدوي فبينما هو سائر إذ رأى في طريقه شاباً على باب داره فألقى كان ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان إحداهما فيها لبن والثانية ثريد والسمن في جوانبها يموج ووضـع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل علينا بالأكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الأكل فقال له الشاب مالك أيها الإنسان لا تأكل فقال له كان ما كان أني على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان مـا كان اعلم أن الملك سلسان غصب ملكي ظلماً وعدواناً ثم أن ذلك الملك كان لأبي وجدي من قبلي فاسـتولى عليه قهراً بعد موت أبي ولم يعتبرني لصغر سني فنذرت أنني لا آكل لأحد زاد حتى أشـفي فـؤادي مـن غريمي فقال له الشاب أبشر فقد وفي ا نذرك واعلم أنه مسجون في مكان وأظنه يموت قريباً فقال هل كان ما كان في أي بيت هو معتقل فقال له في تلك القبة العالية فنظر كان ما كان إلى قبة عالية ورأى الناس فـي تلك القبة يدخلون وعلى سلسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل إلـى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد إلى موضعه وقعد على الأكل وأكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحـم فـي مزودة ثم جلس مكانه ولم يزل جالساً إلى أن أظلم الليل ونام الشاب الذي ضيفه ثم ذهب كان ما كان إلى القبة التي فيها سلسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب عليه كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذي في مزوده وما زال يرمي للكلاب لحماً حتى وصل إلى القبة وتوصل إلى أن صار عند الملك سلسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت عال من أنت فقال أنا كان ما كان الذي سعيت في قتله فأوقعـك ا فـي سـوء تدبيرك أما يكفيك أخذ ملكي وملك أبي وجدي حتى تسعى في قتلي فحلف سلسان الإيمان الباطلة أنه لم يسـع في قتله وأن هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له أتبعني فقال لا أقدر أن أخطـو خطـوة واحدة لضعف قوتي فقال كان ما كان إذا كان الأمر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب أنا وأنت ونطلب البر ثـم



فعل كما قال وركب هو وسلسان وسار إلى الصباح ثم وصلوا الصباح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى بستان فجعلوا يتحدثون فيه ثم قام كان ما كان إلى سلسان وقال له هل بقي في قلبك مني أمر تكرهه قـال سلسان لا وا   ثم اتفقوا على أنهم يرجعون إلى بغداد فقال صباح البدوي أنا أسبقكما لأبشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت إليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهي مثل البدر بهي الأنوار فـي دياجي الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الأرواح للأرواح واشتاقت الأشباح للأشباح ولم يبق لأهل العصر حديث إلا في كان ما كان وشهد له الفرسان أنه أشجع أهل الزمان وقالوا لا يصلح أن يكون سلطاناً علينا إلا كان ما كان ويعود إلى ملك جده كما كان وأما سلسان فإنه دخل على نزهة الزمان فقالت له أني أرى النـاس ليس لهم حديث إلا في كان ما كان ويصفونه بأوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فـأني رأيته ولم أر فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضاً فـي مدحـه ومحبته وأجرى ا   على ألسنة الناس مدحه حتى مالت إليه قلوب أهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان قد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذي يكون صاحب الأقطار ويرضى أن يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال عولت على قتله ويرجع الوزير ديدان خائباً في قصـده ويدخل تحت أمري وطاعتي ولا يبقى له إلا خدمتي فقالت له نزهة الزمان الغـدر قبـيح بالأجانـب فكيـف بالأقارب والصواب أن تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان.

إذا رفـع الزمـان عليـك شخصـاً ... وكنـت أحـق منـه ولـو تصـاعد
أتلـه حـق رتبتـه تجـده ... ينيلـك إن دنـوت وإن تباعـد
ولا تقـل الـذي تدريـه فيـه ... تكـن ممـن عـن الحسـنى تقاعـد
فكم فـي الخـدر أبهـى مـن عـروس ... ولكـن للعـروس الـدهر سـاعد

فلما سمع سلسان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضباً من عندها وقال لولا أنـي أعـرف أنـك تمزحين لعلوت رأسك بالسيف وأخمدت أنفاسك فقالت حيث غضبت مني فأنا أمزح معك ثم وثبت إليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ما تراه وسوف أتدبر أنا وأنت في حيلة تقتله بها فلما سمع منها هـذا الكـلام فرح وقال لها عجلي بالحيلة وفرجي كربتي فلقد ضاق على باب الحيل فقالت له سوف أتحيل لك على اتلاف مهجته فقال لها بأي شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها باكون فإنها في المكر ذات فنون وكانت هذه الجاريـة من أنحس العجائز وعدم الخبث في مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير أن كان ما كان يميل إليها كثيراً ومن فرط ميله إليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك سلسان من زوجتـه هـذا الكلام قال أن هذا الرأي هو الصواب ثم أحضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وأمرها أن تسعى في قتلـه ووعدها بكل جميل فقالت له أمرك مطاع ولكن أريد يا مولاي أن تعطيني خنجراً قد سقي بمـاء الهـلاك لا عجل لك بإتلافه فقال لها سلسان مرحباً بك ثم أحضر لها خنجراً يكاد أن يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والأشعار وتحفظ النوادر والأخبار فأخذت الخنجر وخرجت من الديار مفكرة فيما يكون بـه الدمار وأتت إلى كان ما كان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة قضي فكان وكان في تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضي فكان فالتهبت من حبها في قلبه النيران فبينما هو كذلك وإذا بالجارية با كون داخلة عليه وهي تقول آن

أوان الوصال ومضت أيام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضي فكان فقالت له باكون اعلم أنهـا مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان إليها وخلع أثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم أنني أنـام عندك الليلة وأحدثك بما سمعت من الكلام وأسليك بحديث كل متيم أمرضه الغرام فقال لها كـان مـا كـان حدثيني بحديث يفرح به قلبي ويزول به كربي فقالت له باكون حباً وكرامة ثم جلست إلى جانبه وذلك الخنجر من داخل أثوابها فقالت له اعلم أن أعذب ما سمعت أذني أن رجلاً كان يعشق الملاح وصرف عليهن ما لـه حتى افتقر وصار لا يملك شيئاً فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الأسواق ويفتش على شيء يقتات به بينما هو ماش وإذا بقطعة مسمار شكته في أصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب أصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية ومـازال ينزح الماء على رأسه إلى أن تعب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ثم خرج إلى الحوض البارد فلم يجد أحداً فاختلى بنفسه وأطلـع قطعـة حشيش وبلعها فساحت في مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش أن مهتاراً كبيراً يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج إليه البلان فلما رأى ذلك قال في نفسه كـأن هؤلاء غلطوا في أومن طائفتنا الحشاشين ثم أنه مد رجليه فتخيل له أن البلان قال له يا سيدي قد أزف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال في نفسه ما شاء ا يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان وأخـذ بيده وأدار على وسطه مئزراً من الحرير الأسود ومشى وراءه العبدان بالطاسات والحوائج ولم يزالا به حتى ادخلاه الخلوة وأطلقا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقاله بطيخـة وأجلسـاه علـى كرسي من الأبنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكاً جيداً وقـالوا لـه يـا مولانـا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما خيل له ذلك قام ورفع المئزر من وسطه وصار يضحك إلى أن غشي عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال في نفسه ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولـون يـا مولانا الصاحب فلعل الأمر التبس عليهم في هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونني ويقولون هذا زلـيط ويشـبعون صكا في رقبتي ثم أنه استحمى وفتح الباب فتخيل له أن مملوكاً صغيراً وطواشياً قد دخلا عليه المملوك معه بقجة ففتحها وأخرج منها ثلاث فوط من الحرير فرمى الأولى على رأسه والأخرى علـى أكتافـه وحزمـه بالثالثة وقدم له الطواشي قبقاباً فلبسه وأقبلت عليه مماليكه وطواشيه وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهـو يضحك إلى أن خرج وطلع الليوان فوجد فرشاً عظيماً لا يصلح إلا للملوك وتبادرت إليه الغلمـان واجلسـوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى في حضنه صبية فباسها ووضـعها بـين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها وعصرها تحته عنده وإذا بواحد يقول انتبه يا زليط قد جاء الظهر وأنت نائم ففتح عينه فوجد نفسه على الحوض البارد وحوله جماعـة يضـحكون عليه وايره قائم والفوطه انحلت من وسطه وتبين له كل هذا أضغاث أحلام أو تخيلات حشيش فاغتم ونظـر إلى الذي نبهه وقال كنت أصبر حتى أحطه فقال له الناس أما تستحي يا حشاش وأنت نـائم وذكـرك قـائم وصكوه حتى أحمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو في المنام فلما سمع كان ما كان من الجاريـة

هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يادادتي أن هذا حديث عجيب فأني ما سمعت مثل هـذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم أن الجارية باكون لم تزل تحدث كان ما كان بمخـارف حكايـات ونوادر مضحكات حتى غاب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت في نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وأرادت ذبحه وإذ بـأم كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فاصـبحت تنـتفض كأنهـا أخذتها الحمى فلما رأتها أم كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد أمه جالسة فوق رأسه وكان السبب في حياته مجيئها وسبب مجيء أمه إليه أن قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لأمه يا زوجة العم الحقي ولدك قبل أن تقتله العاهرة باكون وأخبرتها بما جرى من أوله إلى آخره فخرجـت وهي لا تعقل شيئاً حتى دخلت في الساعة التي نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لأمـه لقد جئت يا أمي في وقت طيب ودادتي باكون حاضرة عندي في تلك الليلة ثم التفت إلى بـاكون وقـال لهـا بحياتي عليك هل تعرفين حكاية أحسن من هذه الحكاية التي حدثتيني بها فقالت له الجارية وأين ما حدثتك به سابقاً مما أحدثك به الآن فإنه أعذب وأغرب ولكن أحكيه لك في غير هذا الوقت ثم قامت بـاكون وهـي لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولمحت بمكرها أن أمه عندها خبر بما حصل فذهبت إلى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدي هذه ليلة مباركة حيث نجاك ا من الملعونة فقال لها وكيف ذلك فأخبرته بالأمر مـن أوله إلى آخره فقال لها يا والدتي الحي ما له قاتل وأن قتل لا يموت ولكن الأحوط لنا أننا نرحل عن هـؤلاء الأعداء وا يفعل ما يريد فلما أصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بـالوزير دنـدان وبعـد خروجه حصلت أمور بين الملك سلسان ونزهة الزمان أوجبت خروج نزهة الزمـان أيضـاً مـن المدينـة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع أرباب دولة الملك سلسان الذين يميلون إليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجتمع رأيهم على غزو ملك الروم وأخذ الثار فلما توجهوا إلى غزو الروم وقعوا في أسر الملك رومزان بعد أمور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما اصبح الصباح أمر الملك رومزان أن يحضر كان ما كان والـوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه وأجلسهم بجانبه وأمر بإحضار الموائـد فأحضـرت فـأكلوا وشـربوا وأطمأنوا بعد أن أيقنوا بالموت لما أمر بإحضارهم وقالوا لبعضهم أنه ما أرسل إلينا إلا لأنه يريد قتلنا وبعـد أن اطمأنوا قال لهم أني رأيت مناماً وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك إلا الـوزير دنـدان فقـال الوزير دندان خير ما رأيت يا ملك الزمان فقال له أيها الوزير رأيت أني في حفرة على ضفة بئر أسود وكان أقواماً يعذبونني فأردت القيام فلما نهضت وقفت على أقدامي وما قدرت على الخروج من تلـك الحفـرة ثـم ألتفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الأرض رأيتهـا منطقتـين فشـددت وسطي بهما فإذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا أيها الوزير منامي والذي رأيته في لذيذ أحلامي فقال لـه الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان أن رؤياك تدل على أن لك أخاً أو ابن أخاً أو ابن عم أو أحد يكون مـن أهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من دندان ومن معهم من الأسارى وقال في نفسه إذا رميت رقـاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك أصحابهم ورجعت إلى بلادي عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وأمره أن يضرب رقبة كان ما كان من وقته وساعته وإذا بداية الملك قـد

أقبلت في تلك الساعة فقالت له أيها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لها عولت على قتل هؤلاء الأسـارى الذين في قبضتي وبعد ذلك أرمى رؤوسهم إلى أصحابهم ثم أحمل أنا وأصحابي عليهم حملة واحـدة فنقتـل الذي تقتله ونهزم الباقي وتكون هذه وقعة الانفصال وأرجع إلى بلادي عن قريب قبل أن يحدث بعد الأمـور أمور في مملكتي فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام أقبلت عليه وقالت له بلسان الأفرنج كيف يطيب عليك أن تقتل ابن أخيك وأختك وأبنة أختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام إتاظ غيظاً شديداً وقال لها يا ملعونـة ألم تعلمي أن أمي قد قتلت وأن أبي قد مات مسموماً وأعطيتيني خرزة وقلت لي أن هذه الخرزة كانت لأبيك فلم لا تصدقيني في الحديث فقالت له كل ما أخبرتك به صدق ولكن شأني وشأنك عجيب وأمـري وأمـرك غريب فأنني أنا اسمي مرجانة وأسم أمك أبريزة وكانت ذات حسن وجمال وشجاعتها تضرب بهـا الأمثـال وأشتهرت بالشجاعة بين الأبطال وأما أبوك فإنه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان من غيـر شـك ولا ريب ولا رجم بالغيب وكان قد أرسل ولده شركان إلى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دنـدان وكـان منهم الذي قد كان وكان أخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وأنفرد وحده عن عسكره فوقع عنـد أمـك الملكة أبريزة في قصرها ونزلنا وأياها في خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع أمـك فغلبته لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته أمك مدة خمسة أيام في قصرها فبلغ أباها ذلك الخبر من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وكانت أمك قد أسلمت على يد شركان أخيك فأخذها وتوجه بها إلى مدينة بغداد سراً وكنت أنا وريحانه وعشرون جارية معها وكنا قد أسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على أبيك الملك عمر النعمان ورأى أمك الملكة أبريزة وقع في قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها فحملـت بـك وكان مع أمك ثلاث خرزات فأعطتها لأبيك فأعطى خرزة لأبنته نزهة الزمان وأعطى الثانية لأخيك ضـوء المكان وأعطى الثالثة لأخيك الملك شركان فأخذتها منه الملكة إبريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت أمك إلى أهلها وأطلعتني على سرها فأجتمعت بعبد أسود يقال له الغضبان وأخبرته بالخبر سراً ورغبتها فـي أن يسافر معنا فأخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت أمك قربت ولادتها فلما دخلنا على أوائـل بلادنا في مكان منقطع أخذ أمك الطلق بولادتك فحدث العبد نفسه بالخنا فأتي أمك فلما قرب منها راودها على الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالاً وكـان فـي تلـك الساعة قد طلع علينا في البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الأقطار فخشي العبد على نفسه من الهلاك فضرب الملكة أبريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه إلى حال سبيله وبعد مـا راح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى أمك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلـة وعلـى الأرض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد أبيهـا فحكيت له جميع ذلك من الأول إلى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين أهل بلاد الروم وبين أهل بغداد فعنـد ذلك احتملنا أمك وهي قتيلة ودفناها في قصرها وقد احتملتك أنا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانـت مـع أمك الملكة أبريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنني أن أخبرك بحقيقة الأمر لأنني لو أخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد أمرني جدك بالكتمان ولا قدرة لي على مخالفة أمر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم إعلامك بأن أباك الملك عمر النعمان فلما استقللت بالمملكة أخبرتك ومـا

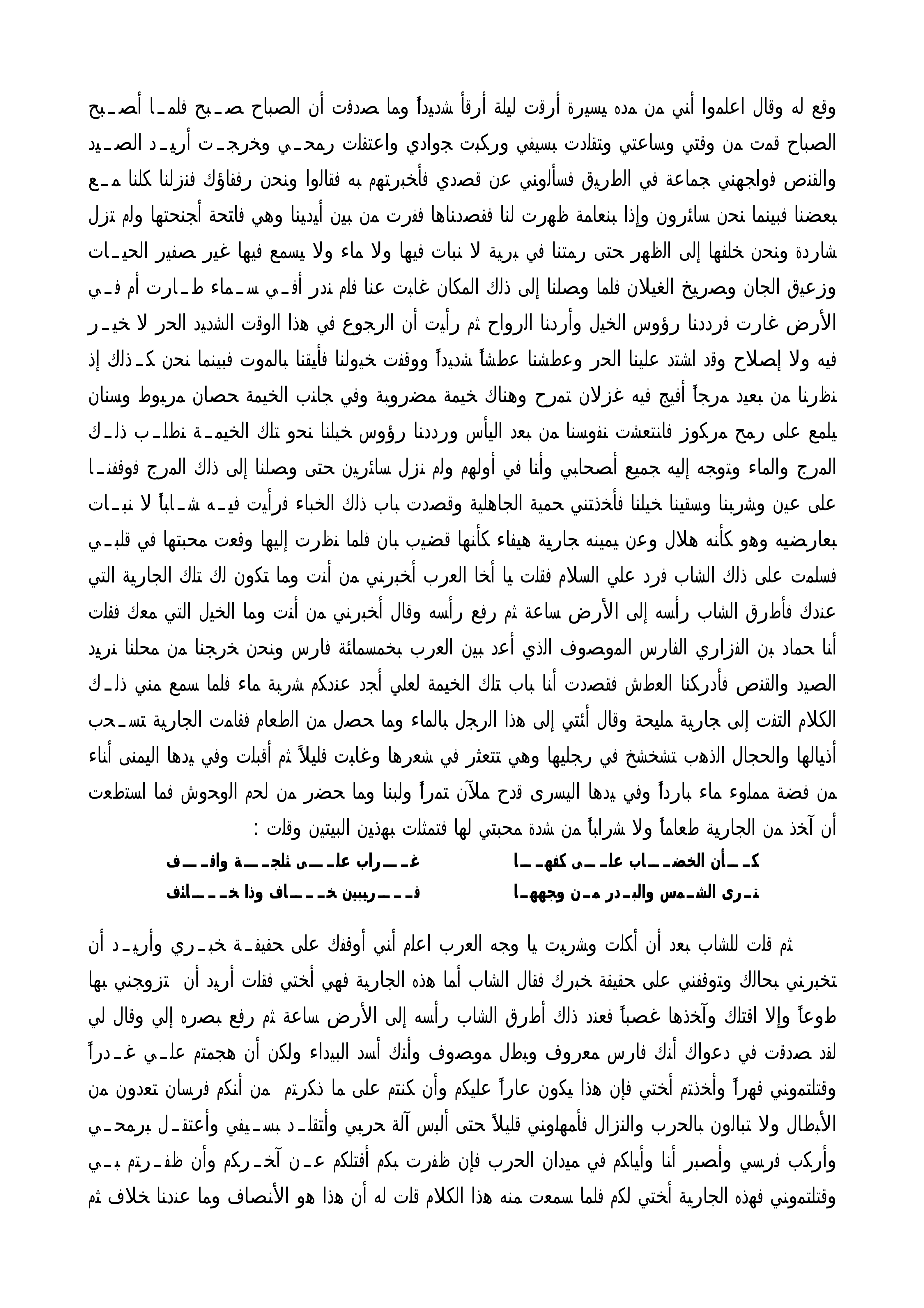
أمكنني أن أعلمك إلا في هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت السر والبرهان وهذا ما عندي من الخبر وأنت برأيك أخبر وكان الأسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان أخي من أبي عمر النعمان وأمه الملكة أبريـزة بنت الملك حردوب ملك الروم وأنا أعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومـزان هـذا الكلام أخذته الحدة وصار متحيراً في أمره وأحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حـن الدم للدم وستخبرها عن قصته فحكت له فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك أنـه مـن أهـل العراق من غير شك ولا ارتياب وأن أباه الملك عمر النعمان فقام من تلك الساعة وحل كتاف أختـه نزهـة الزمان فتقدمت إليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها وأخذه حنو الأخوة ومال قلبه إلى ابن أخيه السلطان كان ما كان وقام ناهضاً على قدميه وأخذ السيف من يد السياف فأيقن الأسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فأمر بإحضارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة أشرحي حديثك الذي شـرحتيه إلـى هـؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم أيها الملك أن هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لي أكبر شاهد لأنه يعـرف حقيقة الأمر ثم إنها أقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الـروم وملـوك الأفـرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معها من الأسارى يصدقونها على ذلك وفي آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتـا مـع الملكة أبريزة في رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدي اعلم أنه قد زاد في ذلك صدق يقيني لأن هذه الخرزة التي في رقبة هذا الأسير نظير الخـرزة التـي وضعتها في عنقك وهي رفيقتها وهذا الأسير هو ابن أخيك وهو كان ما كان ثم أن الجارية مرجانة التفت إلى كان ما كان وقالت له أرني هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجاريـة دايـة الملـك رومزان فأخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فأعطتها لها فلما صارت الخرزتان فـي يـد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق أنه عم السلطان كان ما كان وأن أباه الملـك عمر النعمان فقام من وقته وساعته إلى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح بكثرة الأفراح وفي تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت الأفراح وسـمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالأفراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال في نفسـه يـا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذي في عسكر الأفرنج والروم وأما عساكر العراق فـإنهم قـد أقبلـوا وعلى القتال عولوا وصاروا في الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلـين للحزب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فأخبروه بالخبر فأمر قضي فكان ابنة أخيه شركان أن تسير من وقتهـا وساعتها إلى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عم السلطان كان ما كان فسارت قضي فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والأحزان حتى وصلت إلى الملك الزبلكان وسلمت عليـه وأعلمته بما جرى من الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عمها وعم كان ما كان وحين أقبلت عليه وجدتـه باكي العين خائفاً على الأمراء والأعيان فشرحت له القصة من أولها إلى آخرها فـزادت أفـراحهم وزالـت أتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الأكابر والأعيان وسارت قدامهم الملكة قضي فكان حتى أوصلتهم

إلى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالساً مع ابن أخيه السلطان كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان في أمر الملك الزبلكان فاتفقوا على أنهم يسلمون إليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكاً عليهـا كما كان مثل العادة وهم يدخلون إلى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملاً على دمشق الشام ثم أمروه بالتوجه إليها فتوجه بعساكره إليها ومشوا معه ساعة لأجل الوداع وبعد ذلك رجعوا إلى مكانهم ثم نادوا في العسـكر بالرحيل إلى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم أن الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تسـتريح ولا يشفى غيظنا إلا بأخذ الثأر وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وأرباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعـا للجاريـة مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى أرضهم فسمع الحاجب الكبيـر سلسان فطلع وقبل يد الملك رروزان فخلع عليه ثم أن الملك رومز أن يا عم ما يصلح هذا الملك الإلك فقال له معاذ ا أن أعارضك في ملكك فعند ذلك أشار إليهما الوزير دندان أن يكون الأثنان في الملك سواء وكل واحداً يحكم يوماً فارتضيا بذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهما أتفقا على أن كل واحد يحكم يوماً ثم أولموا الولائم وذبحوا الـذبائح وزادت بهم الأفراح وأقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليلة مع بنت عمه قضي فكان وبعد تلك المدة بينما هم قاعدون فرحون بهذا الأمر وانصلاح الشأن إذ ظهر لهم غبار قـد عـلا وطارحتي سد الأقطار وقد أتى إليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول يا ملوك الزمان كيف أسلم في بلاد الكفر وأنهب في بلادكم وهي بلاد العدل والأمان فأقبل عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال لـه أنا تاجر من التجار ولي غائب عن الأوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت في البلاد نحو عشرين سنة من الأعوام وأن معي كتاباً من مدينة دمشق كان قد كتبه إلى المرحوم الملك شركان وسبب ذلك أنني قد أهـديت إليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف الهند وأتيت بها إلى بغـداد التـي هـي حرمكم ومحل أمنكم وعدلكم خرجت علينا عربان ومعهم أكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالي ونهبوا أموالي وهذا شرح حالي ثم أن التاجر بكى بين يدي الملك رومزان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق إليـه وكذلك رحمه ابن أخيه الملك كان ماكان وحلفوا أنهم يخرجون إليه فخرجوا إليه في مائة فارس كـل فـارس منهم بين الرجال بألوف وذلك التاجر سار أمامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائر بن ذلك النهار وطـول الليل إلى السحر حتى أشرفوا على واد غزير الأنهار كثير الأشجار فوجد القوم قد تفرقوا في ذلـك الـوادي وقسموا بينهم أحمال ذلك التاجر وبقى البعض فأطبق عليه المائة فارس وأحاطوا بهم من كل مكـان وصـاح عليهم الملك رومزان هو وابن أخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى أسروا الجميع وكانوا ثلثمائة فارس مجتمعين من أوباش العربان فلما أسروهم أخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم إلى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن أخيه الملك كان ما كان على تخت واحـد مـع بعضـهما ثـم عرضوا الجميع بين أيديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلاثة أشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والأقطار فقالا لهم ميزوهم لنا بأعيانهم فميزوهم لهما فأمر بالقبض عليهم وإطلاق

بقية أصحابهم بعد أخذ جميع ما معهم من الأموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وما له فوجده قد هلك ربعه فوعدوه أنهم يعوضون له جميع ما ضاع منه فعند ذلك أخرج التاجر كتابين أحدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها لأخيها شركان وجرى بينهما وبين أخيها ما جرى ثم أن الملك كان ما كان وقف على الكتابين وعرف خط عمه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضاع منه المال وأخبرها كان ما كان بقصة التاجر من أولها إلى آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها وأخرجت للتاجرا الضيافات وأوصت عليه أخاها الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان فأمر له بأموال وعبيد وغلمان من أجل خدمته وأرسلت إليه نزهة الزمان مائة ألف درهم من المال وخمسين حملاً من البضائع وقد اتحفته بهدايا وأرسلت إليه تطلبه فلما أحضر طلعت وسلمت عليه وأعلمته أنها بنت الملك عمر النعمان وأن أخاها الملك رومزان وأبن أخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحاً شديداً وهنأها بسلامتها واجتماعها بأخيها وابن أخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها وا ما ضاع الجميل معك ثم دخلت إلى خدرها وأقام التاجر عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم ورحل إلى الشام وبعد ذلك أحضر الملوك الثلاثة أشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم وقال اعلموا أني رجل بدوي أقف في الطريق لا خطف الصغار والبنات الأبكار وأبيعهم للتجار ودمت على ذلك مدة من الزمان إلى هذه الأيام وأغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيقين على جمع الأوباش من الأغراب والبلدان لأجل نهب الأموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على أعجب ما رأيت في خطفك في الصغار والبنات فقال لهم أعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان أنني من مدة اثنتين وعشرين سنة خطفت بنتاً من بنات بيت المقدس ذات يوم من الأيام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير أنها كانت خدامة وعليها أثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل وسقت بها وكان في أملي أنني أذهب بها إلى أهلي في البرية وأجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي فبكت بكاء شديداً فدنوت منها وضربتها ضرباً وجيعاً وأخذتها إلى مدينة دمشق فرآها معي تاجر فتحير عقله لما رآها وأعجبته فصاحتها وأراد اشتراءها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها حتى بعتها له بمائة ألف درهم فعندما أعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغني أن التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها إلى الملك صاحب دمشق فأعطاه قدر المبلغ الذي دفعه إلى مرتين وهذا يا ملوك الزمان أعجب ما جرى ولعمري أن ذلك الثمن قليل في تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي ما حكاه صار الضياء في وجهها ظلاماً وصاحت وقالت لأخيها رومزان إن هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت المقدس بعينه من غير شك ثم أن نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه في غربتها من الشدائد والضرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف وقامت إلى البدوي لتقتله وإذا هو صاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلني حتى أحكي لكم ما جرى لي من العجائب فقال لها ابن أخيها كان ما كان يا عمتي دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك افعلي ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن أحك لنا حكاية فقال يا ملوك الزمان أن حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم بأعجب ما

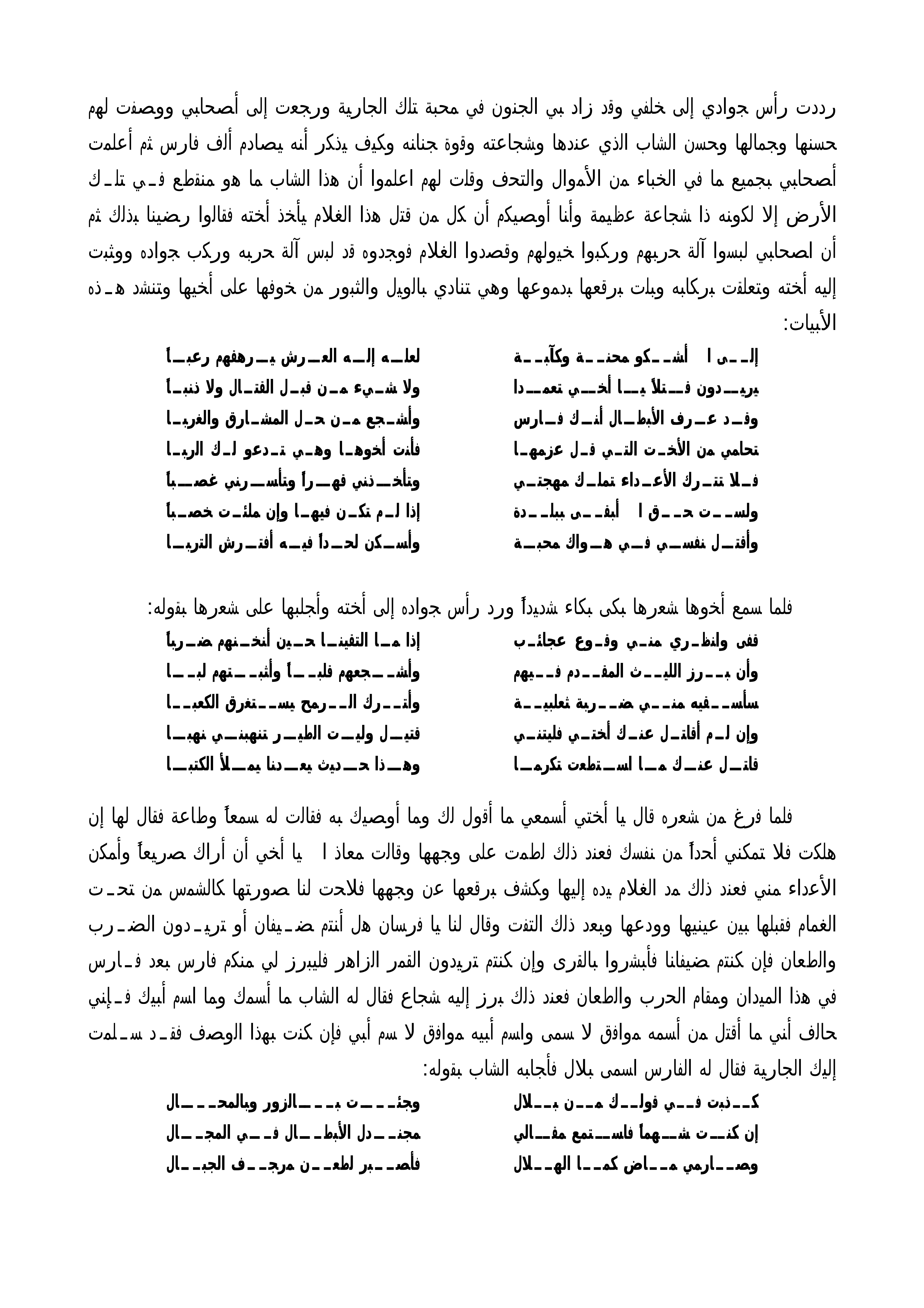


وقع له وقال اعلموا أني من مده يسيرة أرقت ليلة أرقاً شديداً وما صدقت أن الصباح صـبح فلمـا أصـبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحـي وخرجـت أريـد الصـيد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فأخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مـع بعضنا فبينما نحن سائرون وإذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين أيدينا وهي فاتحة أجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها إلى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولا يسمع فيها غير صفير الحيـات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا إلى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفـي سـماء طـارت أم فـي الأرض غارت فرددنا رؤوس الخيل وأردنا الرواح ثم رأيت أن الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خيـر فيه ولا إصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشاً شديداً ووقفت خيولنا فأيقنا بالموت فبينما نحن كـذلك إذ نظرنا من بعيد مرجاً أفيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤوس خيلنا نحو تلك الخيمـة نطلـب ذلـك المرج والماء وتوجه إليه جميع أصحابي وأنا في أولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا إلى ذلك المرج فوقفنـا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فأخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيـه شـاباً لا نبـات بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت إليها وقعت محبتها في قلبـي فسلمت على ذلك الشاب فرد علي السلام فقلت يا أخا العرب أخبرني من أنت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فأطرق الشاب رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال أخبرني من أنت وما الخيل التي معك فقلت أنا حماد بن الفزاري الفارس الموصوف الذي أعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فأدركنا العطش فقصدت أنا باب تلك الخيمة لعلي أجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذلـك الكلام التفت إلى جارية مليحة وقال أئتي إلى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تسـحب أذيالها والحجال الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلاً ثم أقبلت وفي يدها اليمنى أناء من فضة مملوء ماء بارداً وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمراً ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت أن آخذ من الجارية طعاماً ولا شراباً من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت :

كـأن الخضـاب علـى كفهـا ... غـراب علـى ثلجـة واقـف

تـرى الشـمس والبـدر مـن وجههـا ... قـريبين خـاف وذا خـائف

ثم قلت للشاب بعد أن أكلت وشربت يا وجه العرب اعلم أني أوقفك على حقيقـة خبـري وأريـد أن تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب أما هذه الجارية فهي أختي فقلت أريد أن تزوجني بها طوعاً وإلا اقتلك وآخذها غصباً فعند ذلك أطرق الشاب رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع بصره إلي وقال لي لقد صدقت في دعواك أنك فارس معروف وبطل موصوف وأنك أسد البيداء ولكن أن هجمتم علـي غـدراً وقتلتموني قهراً وأخذتم أختي فإن هذا يكون عاراً عليكم وأن كنتم على ما ذكرتم من أنكم فرسان تعدون من الأبطال ولا تبالون بالحرب والنزال فأمهلوني قليلاً حتى ألبس آلة حربي وأتقلـد بسـيفي وأعتقـل برمحـي وأركب فرسي وأصبر أنا وأياكم في ميدان الحرب فإن ظفرت بكم أقتلكم عـن آخـركم وأن ظفـرتم بـي وقتلتموني فهذه الجارية أختي لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له أن هذا هو الأنصاف وما عندنا خلاف ثم



رددت رأس جوادي إلى خلفي وقد زاد بي الجنون في محبة تلك الجارية ورجعت إلى أصحابي ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذي عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكر أنه يصادم ألف فارس ثم أعلمت أصحابي بجميع ما في الخباء من الأموال والتحف وقلت لهم اعلموا أن هذا الشاب ما هو منقطع فـي تلـك الأرض إلا لكونه ذا شجاعة عظيمة وأنا أوصيكم أن كل من قتل هذا الغلام يأخذ أخته فقالوا رضينا بذلك ثم أن اصحابي لبسوا آلة حربهم وركبوا خيولهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت إليه أخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهي تنادي بالويل والثبور من خوفها على أخيها وتنشد هـذه الأبيات:

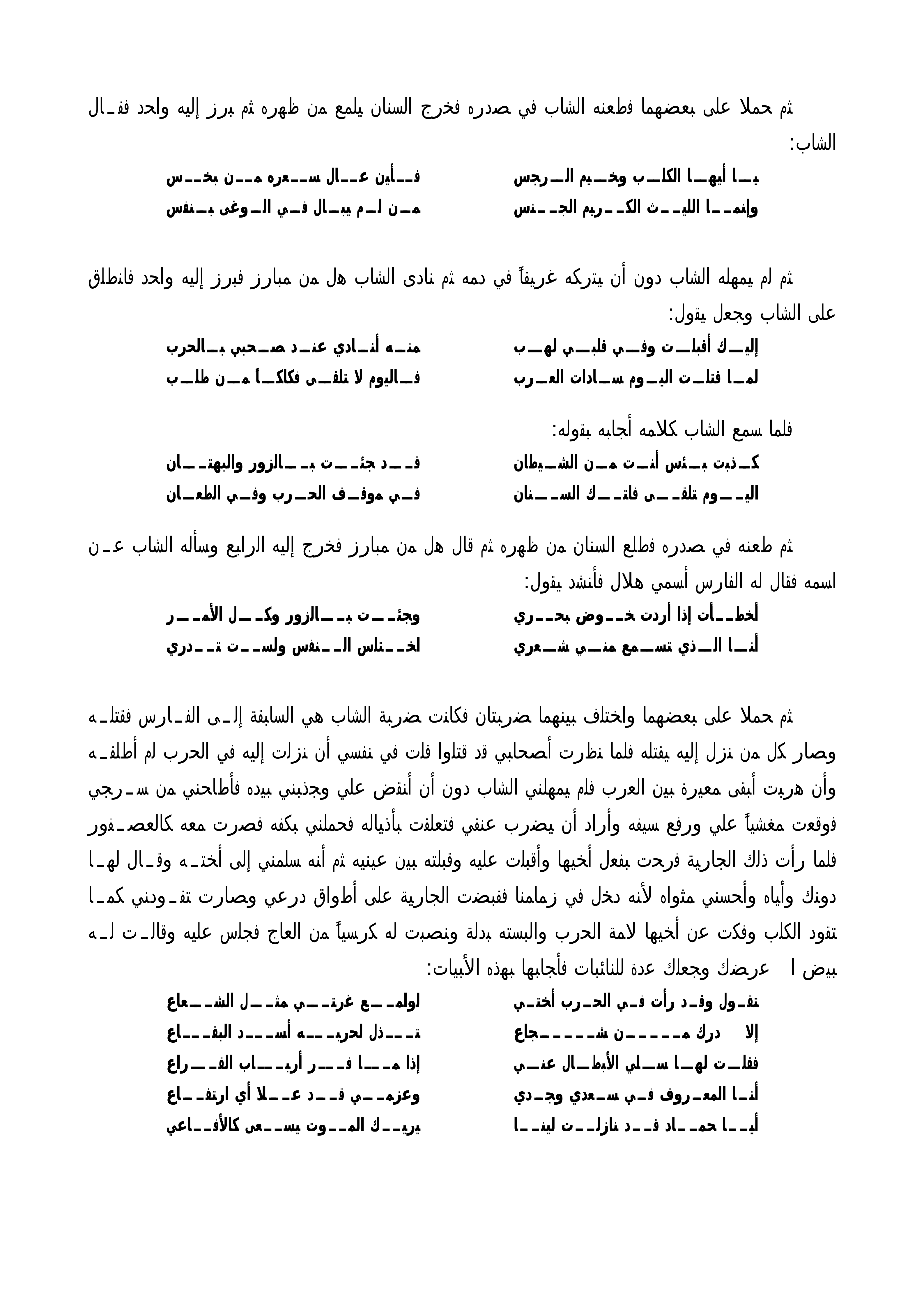
إلــى ا   أشــكو محنــة وكآبــة — لعلــه إلــه العــرش يــرهقهم رعبــاً
يريــدون قــتلاً يــا أخــي تعمــدا — ولا شــيء مــن قبــل القتــال ولا ذنبــاً
وقــد عــرف الأبطــال أنــك فــارس — وأشــجع مــن حــل المشــارق والغربــا
تحامي عن الأخــت التــي قــل عزمهــا — فأنت أخوهــا وهــي تــدعو لــك الربــا
فــلا تتــرك الأعــداء تملــك مهجتــي — وتأخــذني قهــراً وتأســرني غصــباً
ولســت حــق ا   أبقــى ببلــدة — إذا لــم تكــن فيهــا وإن ملئــت خصــباً
وأقتــل نفســي فــي هــواك محبــة — وأســكن لحــداً فيــه أفتــرش التربــا

فلما سمع أخوها شعرها بكى بكاء شديداً ورد رأس جواده إلى أخته وأجابها على شعرها بقوله:

قفي وانظـري منـي وقـوع عجائـب — إذا مــا التقينــا حــين أنخــنهم ضــرباً
وأن يــبرز الليــث المقــدم فــيهم — وأشــجعهم قلبــاً وأثبــتهم لبــا
سأســقيه منــي ضــربة ثعلبيــة — وأتــرك الــرمح يســتغرق الكعبــا
وإن لــم أقاتــل عنــك أختــي فليتنــي — قتيــل وليــت الطيــر تنهبنــي نهبــا
فاتــل عنــك مــا اســتطعت تكرمــا — وهــذا حــديث يعــدنا يمــلأ الكتبــا

فلما فرغ من شعره قال يا أختي أسمعي ما أقول لك وما أوصيك به فقالت له سمعاً وطاعة فقال لها إن هلكت فلا تمكني أحداً من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ ا   يا أخي أن أراك صريعاً وأمكن الأعداء مني فعند ذلك مد الغلام يده إليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحـت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت وقال لنا يا فرسان هل أنتم ضـيفان أو تريـدون الضـرب والطعان فإن كنتم ضيفانا فأبشروا بالقرى وإن كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد فـارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز إليه شجاع فقال له الشاب ما أسمك وما اسم أبيك فـإني حالف أني ما أقتل من أسمه موافق لا سمى واسم أبيه موافق لا سم أبي فإن كنت بهذا الوصف فقـد سـلمت إليك الجارية فقال له الفارس اسمى بلال فأجابه الشاب بقوله:

كــذبت فــي قولــك مــن بــلال — وجئــت بــالزور وبالمحــال
إن كنــت شــهماً فاســتمع مقــالي — مجنــدل الأبطــال فــي المجــال
وصــارمي مــاض كمــا الهــلال — فأصــبر لطعــن مرجــف الجبــال



ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ثم برز إليه واحد فقـال الشاب:

يـــا أيهـــا الكلـــب وخـــيم الـــرجس   فـــأين عـــال ســـعره مـــن بخـــس
وإنمـــا الليـــث الكـــريم الجـــنس   مـــن لـــم يبـــال فـــي الـــوغى بـــنفس

ثم لم يمهله الشاب دون أن يتركه غريقاً في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز إليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول:

إليـــك أقبلـــت وفـــي قلبـــي لهـــب   منـــه أنـــادي عنـــد صـــحبي بـــالحرب
لمـــا قتلـــت اليـــوم ســـادات العـــرب   فـــاليوم لا تلقـــى فكاكـــاً مـــن طلـــب

فلما سمع الشاب كلامه أجابه بقوله:

كـــذبت بـــئس أنـــت مـــن الشـــيطان   قـــد جئـــت بـــالزور والبهتـــان
اليـــوم تلقـــى فاتـــك الســـنان   فـــي موقـــف الحـــرب وفـــي الطعـــان

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج إليه الرابع وسأله الشاب عـن اسمه فقال له الفارس أسمي هلال فأنشد يقول:

أخطـــأت إذا أردت خـــوض بحـــري   وجئـــت بـــالزور وكـــل الأمـــر
أنـــا الـــذي تســـمع منـــي شـــعري   اخـــتلاس الـــنفس ولســـت تـــدري

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة إلـى الفـارس فقتلـه وصار كل من نزل إليه يقتله فلما نظرت أصحابي قد قتلوا قلت في نفسي أن نزلت إليه في الحرب لم أطلقـه وأن هربت أبقى معيرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون أن أنقض علي وجذبني بيده فأطاحني من سـرجي فوقعت مغشياً علي ورفع سيفه وأراد أن يضرب عنقي فتعلقت بأذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصـفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل أخيها وأقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم أنه سلمني إلى أختـه وقـال لهـا دونك وأياه وأحسني مثواه لأنه دخل في زمامنا فقبضت الجارية على أطواق درعي وصارت تقـودني كمـا تقود الكلب وفكت عن أخيها لامة الحرب والبسته بدلة ونصبت له كرسياً من العاج فجلس عليه وقالـت لـه بيض ا   عرضك وجعلك عدة للنائبات فأجابها بهذه الأبيات:

تقـــول وقـــد رأت فـــي الحـــرب أختـــي   لوامـــع غرتـــي مثـــل الشـــعاع
إلا   درك مـــــن شـــــجاع   تـــذل لحربـــه أســـد البقـــاع
فقلـــت لهـــا ســـلي الأبطـــال عنـــي   إذا مـــا فـــر أربـــاب القـــراع
أنـــا المعـــروف فـــي ســـعدي وجـــدي   وعزمـــي قـــد عـــلا أي ارتفـــاع
أيـــا حمـــاد قـــد نازلـــت لينـــا   يريـــك المـــوت يســـعى كالأفـــاعي

فلما سمعت شعره حرت في أمري ونظرت إلى حالتي وما صرت إليه من الأسـر وتصـاغرت إلـى نفسي ثم نظرت إلى الجارية أخت الشاب وإلى حسنها فقلت في نفسي هذه الفتنة وصرت أتعجب من جمالهـا وأجريت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

خليلـي كـف عـن لـومي وعـذلي	**فـإني للملامـة غيـر واع**
كلفـت بغـادة لـم تبـدالا	**أن دعتنـي فـي محبتهـا الـدواعي**
أخوهـا فـي الهـوى أمسـى رقيبـي	**وصـاحب همـة وطويـل بـاع**

ثم أن الجارية أحضرت لأخيها الطعام فدعاني إلى الأكل معه ففرحت وأمنت على نفسي من القتل ولما فرغ أخوها من الأكل أحضرت له آنية المدام ثم إن الشاب أقبل على المدام وشرب حتى شعشع المـدام فـي رأسه وأحمر وجهه فالتفت إلي وقال ويلك يا حماد أنا عابد بن تميم بن ثعلبة أن ا وهب لك نفسـك وأبقـى عليك عرسك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي حماد قال ثم أن عابد بن تميم بن ثعلبة قال لي أن ا وهب لك نفسك وأبقى عليك عرسك وحياني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفنـي أني لا أخونه فحلفت له ألفاً وخمسمائة يمين أني لا أخونه قط بل أكون له معيناً فعند ذلك أمر أخته أن تأتيني بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدي وأمرها أن تأتيني بناقة من أحسن النيـاق فـأتتني بناقـة محملة من التحف والزاد وأمرها أن تحضر لي الحصان الأشقر فأحضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك وقمـت عندهم ثلاثة أيام في أكل وشرب والذي قد أعطاه لي موجود عندي إلى الآن وبعد ثلاثة أيام قال لي يا أخي يا حماد أريد أن أنام قليلاً لأريح نفسي وقد أستأمنت على نفسي وأن رأيت خيلاً ثائرة فلا تفزع منها واعلم أنهم من ثعلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس إلى إبليس بقتله فقمـت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة أطاحت رأسه عن جثته فعلمت بي أخته فوثبـت مـن جانب الخباء ورمت نفسها على أخيها وشقت ما عليها من الثياب وأنشدت هذه الأبيات:

إلـى الأهـل بلـغ أن ذا أشـأم الخبـر	**وما لا مريء مما الحكـيم قضـى مفـر**
وأنـت صـريع يـا أخـي متجنـدل	**ووجهـك يحكـي حسـنة دورة القمـر**
لقـد كـان يـوم الشـؤم يـوم لقيتـه	**ورمحـك مـن بعـد أطـراد قـد أنكـر**
وبعـدك لا يرتـاح للخيـل راكـب	**ولا تلـد الأنثـى نظيـرك مـن ذكـر**
وأصـبح حمـاد لـك اليـوم قـاتلاً	**وقـد خـان إيمانـاً وبالعهـد قـد غـدر**
يريـد بهـذا أن ينـال مـراده	**لقد كذب الشـيطان فـي كـل مـا أمـر**

فلما فرغت من شعرها قالت لي يا معلون الجدين لماذا قتلت أخي وخنته وكان مراده أن يـردك إلـى بلادك بالناد والهدايا وكان مراده أيضاً أن يزوجني لك في أول الشهر ثم جذبت سيفاً كان عندها وجعلت قائمة في الأرض وطرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الأرض ميتة فحزنت عليهـا وندمت حيث لا ينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعاً إلى الخباء وأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت إلـى

حال سبيلي ومن خوفي وعجلتي لم التفت إلى أحد من أصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكايـة أعجب من حكايتي الأولى مع البنت الخادمة التي خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهـة الزمـان مـن البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوي حماد على عاتقه فأطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لأي شيء استعجلت على قتله فقالت الحمد الذي فسح في أجلـي حتى أخذت ثأري بيدي ثم أنها أمرت العبيد أن يجروه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك أقبلوا على الأثنين الباقين من الثلاثة وكان أحدهما عبداً أسود فقالوا له ما أسمك أنت فاصدقنا في حديثك قال أنا اسمي الغضبان وأخبرهم بما وقع له مع الملكة أبريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمي الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد الذي أحياني وأخذت ثار أمي بيدي وأخبره أن دايتـه مرجانه حكت له على هذا العبد الذي اسمه الغضبان وبعد ذلك أقبلوا على الثالث وكان هـو الجمـال الـذي أكتراه أهل بيت المقدس إلى حمل ضوء المكان وتوصيله إلى المارستان الذي في دمشق الشام فذهب به وألقاه في المستوقد وذهب إلى حال سبيله ثم قالوا له أخبرنا أنت بخبرك وأصدق في حديثك فحكى لهم جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس بالدراهم وهو ضعيف على أنه يوصله إلى الشـام ويرميه في المارستان وكيف جاء له أهل بيت المقدس بالدراهم فأخذها وهرب بعد أن رماه في مستوقد الحمام فلما أتم كلامه أخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه فرمي عنقه وقال الحمد الذي أحياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع أبي فأنني قد سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقي علينا إلا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فإنها سبب هذه البلايا حيث أوقعتنا في الرزايا ومن لنا بها حتى تأخذ منها الثار ونكشف العار فقال لهم الملك رومزان عم كان ما كان لابد من حضورها ثم أن الملك رومزان كتب كتاباً من وقته وساعته وأرسله إلى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر له فيه أنه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين وأسر ملوكهم وقـال أريـد أن تحضري عندي من كل بد أنت والملكة صفية بنت الملك أفريدون ملك القسطنطينية ومن شـئتم مـن أكـابر النصارى من غير عسكر فإن البلاد أمان لأنها صارت تحت أيدينا فلما وصل الكتاب إليها وقرأته وعرفـت خط الملك رومزان فرحت فرحاً شديداً وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هي والملكة صفية أم نزهة الزمان ومن صحبتهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى بغداد فتقدم الرسول وأخبرهم بحضورها فقال رومـزان أن المصلحة تقتضي أن نلبس اللبس الأفرنجي ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلتها فقـالوا سـمعاً وطاعة ثم أنهم لبسوا لباس الأفرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا أني أعرفكم لقلت أنكم أفرنج ثم أن الملك رومزان تقدم أمامهم وخرجوا يقابلون العجوز في ألف فارس فلما وقعت العين علـى العين ترجل رومزوان عن جواده وسعي إليها فلما رأته وعرفته ترجلت إليه وعانقتـه فقـرط بيـده علـى أضلاعها حتى كاد أن يقصفها فقالت ما هذا فلم تتم كلامها حتى نزل إليهما كان ما كـان والـوزير دنـدان وزعقت الفرسان على من معها من الجوار والغلمان وأخذوهم جميعهم ورجعوا إلى بغداد وأمرهم رومـزان أن يزينوا بغداد فزينوها ثلاثة أيام ثم أخرجوا شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى رأسها طرطـوراً أحمـر مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادي هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى أولاد الملوك ثم صـلبوها

على باب بغداد ولما رأى أصحابها ما جرى لها أسلموا كلهم جميعاً ثم أن كان ما كان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السير العجيبة وأمروا الكتاب أن يؤرخوها في الكتب حتى تقرأ من بعدهم واقاموا بقية الزمان في ألذ عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللاذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى إلينا من تصاريف الزمان بالملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وولد ولده كان ما كـان ونزهـة الزمان وقضي فكان ثم أن الملك قال لشهرزاد أشتهي أن تحكي لي شيئاً من حكاية الطيور فقالت حباً وكرامة فقالت لها أختها لم أر الملك في طول هذه المدة أنشرح صدره غير في هذه الليلة وأرجو أن تكـون عاقبتـك معه محمودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية تتعلق بالطيور

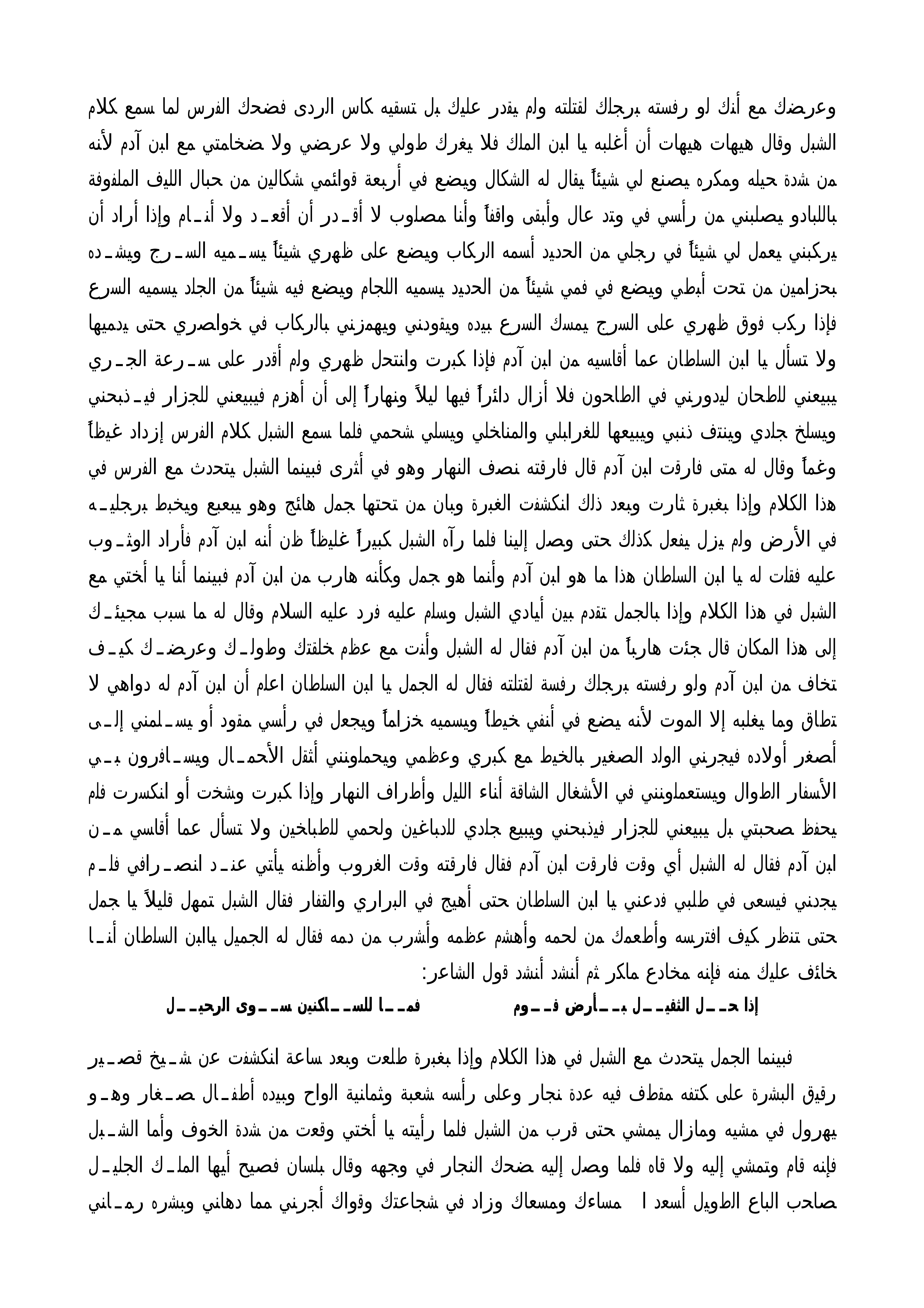
(وفي ليلة ١٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان طاووس يأوي إلى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من الوحوش غير أنه كثير الأشجار والأنهار وذلـك الطاووس هو وزوجته يأويان إلى شجرة من تلك الأشجار ليلاً من خوفهما من الوحوش ويغدوان في طلـب الرزق نهاراً ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعاً غير موضعهما يأويان إليه فبينما همـا يفتشان على موضع إذ ظهرت لهم جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار فنزلا في تلك الجزيرة وأكلا من أثمارهـا وشربا من أنهارها فبينما هما كذلك وإذا ببطة أقبلت عليهما وهي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى أتت إلى الشجرة التي عليها الطاووس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاووس في أن تلك البطة لها حكايـة عجيبـة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت أنني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر مـن بني آدم فقال لها الطاووس لا تخافي حيث وصلت إلينا فقالت البطة الحمد الذي فرج عني همـي وغمـي بقربكما وقد أتيت راغبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت إليها زوجة الطاووس وقالـت لهـا أهـلاً وسهلاً ومرحباً لا بأس عليك ومن أين يصل إلينا ابن آدم ونحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر فمـن البر لا يقدر أن يصل إلينا ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا فابشري وحدثينا بالذي نزل بك واعتراك مـن بني آدم فقالت البطة اعلمي أيتها الطاووسة أني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لا أرى مكروهاً فنمت ليلة من الليالي فرأيت في منامي صورة ابن آدم وهو يخاطبني وأخاطبه وسمعت قائلاً يقول أيتها البطة أحـذري من ابن آدم ولا تغتري بكلامه ولا بما يدخله عليك فإنه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فإنه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر.

يعطيـك مـن طـرف اللسـان حـلاوة	**ويـروغ منـك كمـا يـروغ الثعلـب**

واعلمي أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمي الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم أحد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك مـا سـمعته عـن ابـن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة وأنا إلى الآن ما انشرح صدري خوفاً على نفسي مـن ابـن آدم لـئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله ولم يأت على آخر النهار إلا وقد ضعفت قوتي وبطلت همتي ثم أني اشتقت

إلى الأكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطري مكدر وقلبي مقبوض فلما وصلت إلى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلاً أصفر اللون فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحاً شديداً وأعجبه لوني وكوني لطيفة الذات فصاح علي وقال لي أقربي مني فلما قربت منه قال لي ما أسمك وما جنسك فقلت له أسمي بطة وأنا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك إلى هذا الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك أن والدي الأسد له أيام وهو يحذرني من ابن آدم فاتفق أنني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم ثم أن الشبل حكى لي نظير ما حكيته اك فلما سمعت كلامه قلت له يا أسد أني قد لجأت إليك في أن تقتل ابن آدم وتجزم رأيك في قتله فأني أخاف على نفسي منه خوفاً شديداً وازددت خوفاً على خوفي من خوفك من بنى آدم مع أنك سلطان الوحوش وما زلت يا أختي أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيته بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيه وتمشي وتمشيت وراءه ففرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يمشي وأنا أمشي وراءه إلى مرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجري وتارة يتمرغ فلما رآه الأسد صاح عليه فأتى إليه خاضعاً فقال له أيها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك إلى هذا المكان فقال يا ابن السلطان إن جنسي حمار وسبب قدومي إلى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك فقال الحمار لا يا ابن السلطان وأنما خوفي أن يعمل حيلة علي ويركبني لأن عنده شيئاً يسميه البردعة فيجعلها على ظهري وشيئاً يسميه الحزام فيشده على بطني وشيئاً يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبي وشيئاً يسمى اللجام فيجعله في فمي ويعمل منخاساً ينخسني به ويكلفني مالا أطيق من الجري وإذا عثرت لعنني وإذا نهقت شتمني وبعد ذلك إذا كبرت ولم أقدر على الجري يجعل لي رجلاً من الخشب ويسلمني إلى السقائين فيحملون الماء على ظهري من البحر في القرب ونحوها كالجرار ولا أزال في ذل وهوان وتعب حتى أموت فيرموني فوق التلال للكلاب فأي شيء أكبر من هذا الهم وأي مصيبة أكبر من هذه المصائب فلما سمعت أيتها الطاووسة كلام الحمار أقشعر جسدي من ابن آدم وقلت للشبل يا سيدي أن الحمار معذور وقد زادني كلامه رعباً على رعبي فقال الشبل للحمار إلى أين أنت سائر فقال له الحمار أني نظرت ابن آدم قبل أشراق الشمس من بعيد ففررت هرباً منه وها أنا أريد أنطلق ولم أزل أجري من شدة خوفي منه فعسى أن أجد لي موضعاً يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل ذلك الكلام وهو يريد أن يودعنا ويروح إذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار ونظر بعينه إلى ناحية الغبرة وضرط ضراطاً عالية وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيم حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الأسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك أيها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل فقال يا سيد الوحوش أنا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فإنه عيب عليك وأنت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرع جريك وأنا مع صغر جسمي قد عزمت على أن التقي مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة وأقرها في وطنها وها أنت لما أتيت في هذه الساعة قطعت قلبي بكلامك وأرجعتني عما أردت أن أفعله فإذا كنت أنت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك



وعرضك مع أنك لو رفسته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كاس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات أن أغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لأنه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيئاً يقال له الشكال ويضع في أربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللبادو يصلبني من رأسي في وتد عال وأبقى واقفاً وأنا مصلوب لا أقـدر أن أقعـد ولا أنـام وإذا أراد أن يركبني يعمل لي شيئاً في رجلي من الحديد أسمه الركاب ويضع على ظهري شيئاً يسـميه السـرج ويشـده بحزامين من تحت أبطي ويضع في فمي شيئاً من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيئاً من الجلد يسميه السرع فإذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك السرع بيده ويقودني ويهمزني بالركاب في خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم فإذا كبرت وانتحل ظهري ولم أقدر على سـرعة الجـري يبيعني للطحان ليدورني في الطاحون فلا أزال دائراً فيها ليلاً ونهاراً إلى أن أهزم فيبيعني للجزار فيـذبحني ويسلخ جادي وينتف ذنبي ويبيعها للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس إزداد غيظاً وغماً وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو في أثرى فبينما الشبل يتحدث مع الفرس في هذا الكلام وإذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليـه في الأرض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل إلينا فلما رآه الشبل كبيراً غليظاً ظن أنه ابن آدم فأراد الوثـوب عليه فقلت له يا ابن السلطان هذا ما هو ابن آدم وأنما هو جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما أنا يا أختي مع الشبل في هذا الكلام وإذا بالجمل تقدم بين أيادي الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئـك إلى هذا المكان قال جئت هارباً من ابن آدم فقال له الشبل وأنت مع عظم خلقتك وطولـك وعرضـك كيـف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم أن ابن آدم له دواهي لا تطاق وما يغلبه إلا الموت لأنه يضع في أنفي خيطاً ويسميه خزاماً ويجعل في رأسي مقود أو يسـلمني إلـى أصغر أولاده فيجرني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملونني أثقل الأحمـال ويسـافرون بـي الأسفار الطوال ويستعملونني في الأشغال الشاقة أناء الليل وأطراف النهار وإذا كبرت وشخت أو انكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جادي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عما أقاسي مـن ابن آدم فقال له الشبل أي وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب وأظنه يأتي عنـد انصـرافي فلـم يجدني فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى أهيج في البراري والقفار فقال الشبل تمهل قليلاً يا جمل حتى تنظر كيف افترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه فقال له الجميل يابن السلطان أنـا خائف عليك منه فإنه مخادع ماكر ثم أنشد أنشد قول الشاعر:

إذا حـل الثقيـل بـأرض قـوم فمـا للسـاكنين سـوى الرحيـل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام وإذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شـيخ قصـير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده أطفـال صـغار وهـو يهرول في مشيه ومازال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا أختي وقعت من شدة الخوف وأما الشـبل فإنه قام وتمشي إليه ولا قاه فلما وصل إليه ضحك النجار في وجهه وقال بلسان فصيح أيها الملـك الجليـل صاحب الباع الطويل أسعد ا مساءك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك أجرني مما دهاني وبشره رمـاني

لأني ما وجدت لي نصيراً غيرك ثم أن النجار وقف بين يدي الأسد وبكى وأن واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له أجرتك مما تخشاه فمن الذي قد ظلمك وما تكون أيها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلـك ولا أحسن صورة وأفصح لساناً منك فما شأنك فقال له النجار يا سيدي الوحوش أما أنا فنجار وأما الذي ظلمنـي فإنه ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكـلام تبـدل الضياء في وجهه بالظلام وشخر ونخر ورمت عيناه بالشرر وصاح وقال وا لأسهرن في هذه الليلـة إلـى الصباح ولا أرجع إلى والدي حتى أبلغ مقصدي ثم أن الشبل التفت إلى النجار وقال له أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر أن أكسر بخاطرك لأني ذو مروءة أظن أنك لا تقدر أن تماشي الوحوش فأخبرني إلى أيـن تـذهب فقال له النجار اعلم أنني رائح إلى وزير والدك الفهد لأنه لما بلغه أن ابن آدم داس هذه الأرض خاف علـى نفسه خوفاً عظيماً وأرسل إلى رسولاً من الوحوش لا صنع له بيتاً يسكن فيه ويأوي إليه ويمنع عنـه عـدوه حتى لا يصل إليه أحد من بني آدم فلما جاءني الرسول أخذت هذه الألواح وتوجهت إليه فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له بحياتي لابد أن تصنع لي هذه الألواح بيتاً قبل أن تصـنع للفهـد بيتـه وإذا فرغت من شغلي فامض إلى الفهد وأصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له يـا سـيد الوحوش ما أقدر أن أصنع لك شيئاً إلا إذا صنعت للفهد ما يريد ثم أجيء إلى خدمتك وأصنع لك بيتاً يحصنك من عدوك فقال له الشبل وا ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لي هذه الألواح بيتاً ثم أن الشبل هم على النجار ووثب عليه وأراد أن يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجـار مغشـياً عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يا نجار أنك ضعيف ومالك قوة فأنت معذور إذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظاً شديداً ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك في وجه الشبل وقال له ها أنا أصنع لك البيت ثم أن النجار تناول الألواح التي كانت معه وسمر البيـت وجعلـه مثل القالب قياس الشبل وخلى بابه مفتوحاً لأنه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعـل لهـا غطاء وثقب فيها ثقباً كثيرة وأخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل أدخل في هذا البيت من هذه الطاقـة لا قبيه عليك ففرح الشبل بذلك وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار أدخل وأبرك على يـديك ورجليـك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقي ذنبه خارجاً ثم أراد الشبل أن يتأخر إلى ورائه ويخرج فقال له النجار أمهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا فامتثل الشبل أمره ثم أن النجار لف ذنـب الشـبل وحشـاه فـي الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعاً وسمره فصاح الشبل قائلاً يانجار ما هذا البيت الضيق الذي صـنعته لي دعني أخرج منه فقال له النجار هيهات لا ينفع الندم على ما فات إنك لا تخرج من هذا المكان ثم ضـحك النجار وقال للشبل إنك وقعت في القفص وكنت أخبث الوحوش فقال له يا أخي ما هذا الخطاب الذي تخاطبني به فقال له النجار اعلم يا كلب البر إنك وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر ولم ينفعك الحـذر فلمـا سمع الشبل كلامه يا أختي علم أنه ابن آدم الذي حذره منه أبوه في اليقظة والهاتف في المنام وتحققت أنه هو بلا شك ولا ريب فخفت منه على نفسي خوفاً عظيماً وبعدت عنه قليلاً وصرت أنتظر مـاذا يفعـل بالشـبل فرأيت يا أختي ابن آدم حفر حفرة في هذا المكان بالقرب من الصندوق الذي فيه الشبل ورماه في تلك الحفرة

والقى عليه الحطب وأحرقه بالنار فكبر يا أختي خوفي ولي يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الطاووسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجـب وقالت يا أختي إنك أمنت من بني آدم لأننا في جزيرة من جزائر البحر وليس لابن آدم فيها مسلك فاختـاري المقام عندنا إلى أن يسهل ا أمرك وأمرنا قالت أخاف أن يطرقني طارق والقضاء لا ينفعك عنه آبق فقالـت أقعدي عندنا وأنت مثلنا ولا زالت بها حتى قعدت وقالت يا أختي أنت تعلمين قلة صبري ولولا أني رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاووسة أن كان على جبيننا شيء تستوفاه وإن كان أجلنا دنا فمن يخلصنا ولن تمـوت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فبينما هما في هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صـاحت البطـة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وإن كان أجلنا دنا فمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فبينما هما في هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحـذر الحـذر وإن لم يكن مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبي فاطمأنـت البطـة والطاووسة ثم قالت البطة يا أختي إن الذي تفزعين منه ظبي وها هو قد أقبل نحونا فليس علينا منه باس لأن الظبي إنما يأكل الحشائش من نبات الأرض وكما أنت من جنس الطير هو الآخـر مـن جـنس الوحـوش فاطمئني ولا تهتمي فإن الهم ينحل البدن فلم تتم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبي إليهـا يسـتظل تحـت الشجرة فلما رأى الطاووسة والبطة سلم عليهما وقال لهما أني دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثـر منهـا خصباً ولا أحسن منها مسكناً ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاووسة تودده إليهما أقبلتـا عليه ورغبتا في عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحد ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فأرست قريباً منهم فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة فرأوا الظبي والطاووسة والبطة مجتمعين فأقبلوا عليهم فشرد الظبي في البرية وطارت الطاووسة في الجو فبقيت البطـة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بهـا إلـى سفينتهم فلما رأت الطاووسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا أرى الآفاق إلا مراصد لكل أحـد ولولا هذه السفينة ما حصل بيني وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الأصدقاء ثم طارت الطاووسـة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد أخذها العدو وكرهت المقام فـي تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول:

إن يـــوم الفـــراق قطـــع قلبـــي   قطـــع ا قلـــب يـــوم الفـــراق

وأنشدت أيضاً :

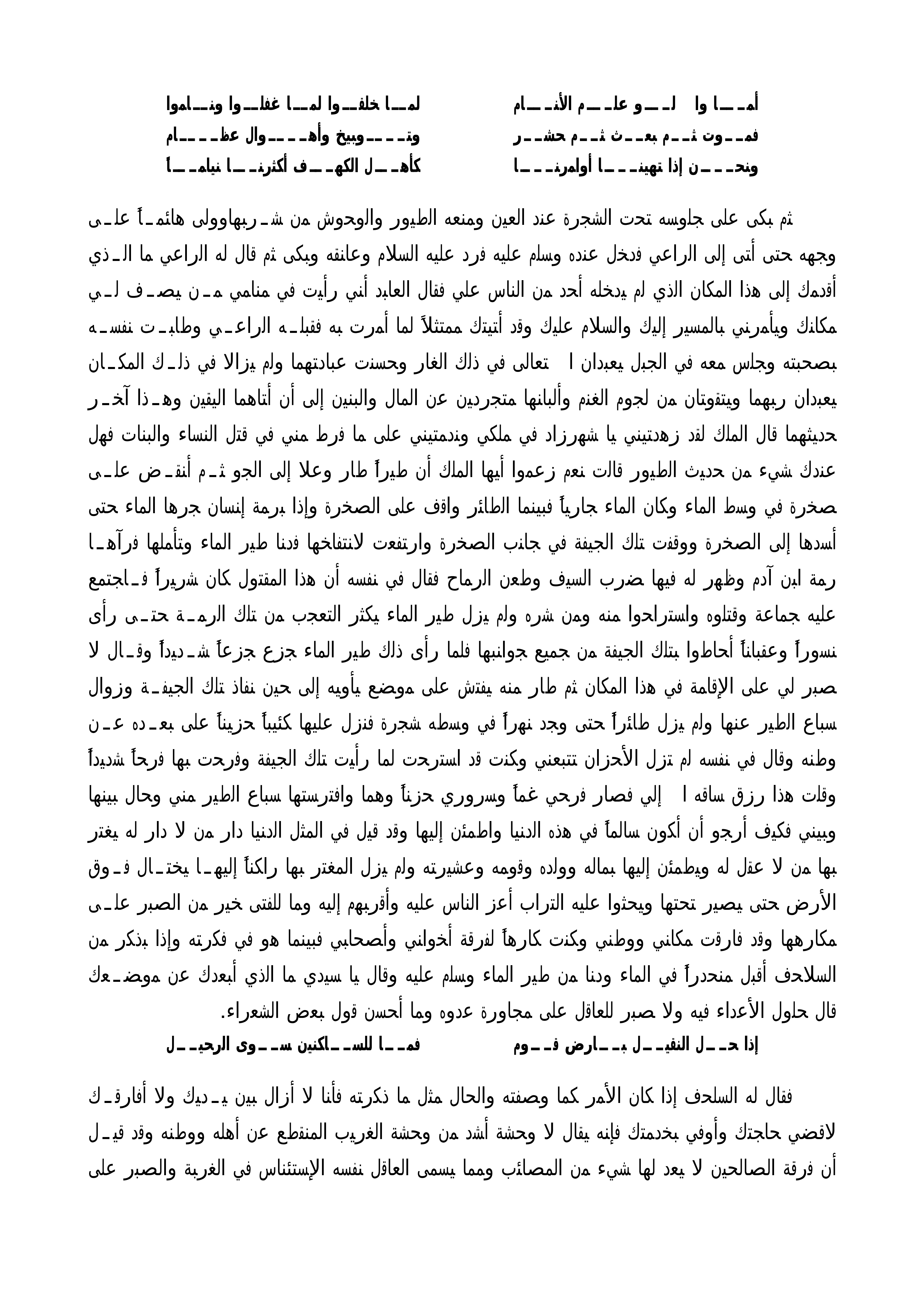
تمنيـــت الوصـــال يعـــود يومـــاً   لأخبـــره بمـــا صـــنع الفـــراق

فاغتم الظبي غماً شديداً ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل فأقام معها في تلك الجزيرة آمنـين آكلـين شاربين غير أنهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاووسة يا أختي قد علمت أن الناس الذين

طلعوا لنا من المركب كانوا سبباً لفراقنا ولهلاك البطة فأحذريهم واحترسي منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه قالت قد علمت يقيناً أن ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها أني أخاف عليك من تركك التسبيح لأن كل ما خلقه الله يسبحه فإن غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاووسة قال أحسن الله صورتك وأقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل أن الظبي يقول في تسبيحه سبحان الملك الديان ذي الجبروت والسلطان وورد أن بعض العباد كان يتعبد في الجبال وكان يأوي إلى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العابد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي إلى غير الجبل الذي فيه العابد وكان السبب في اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل أن الحمام يقول في تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الأرضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في أرغد عيش هو ونسله حتى مات ذلك العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق في المدن والقرى والجبال وقيل أنه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بألبانها وأصوافها وكان ذلك الجبل الذي يأوي إليه الراعي كثير الأشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيماً في الجبل مطمئناً لايهمه شيء من أمر الدنيا لسعادته وأقباله على عبادته فاتفق له أنه مرض مرضاً شديداً فدخل كهفاً في الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار إلى مرعاها وتأوى بالليل إلى الكهف فأراد الله أن يمتحن ذلك الراعي ويختبره في طاعته وصبره فبعث إليه ملكاً فدخل عليه في صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده أقشعر بدنه منها فقال لها أيتها المرأة ما الذي دعاك إلى المجيء هنا وليس لك حاجة معي ولا بيني وبينك ما يوجب دخولك عندي فقالت له أيها الإنسان أما ترى حسني وجمالي وطيب رائحتي أما تعلم حاجة الرجال إلى النساء فما الذي يمنعك مني فقال الراعي إن الذي تقولينه كرهته وجميع ما تبدينه زهدته لأنك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك أخفيتيه وكم من صالح فتنتيه وكانت عاقبته إلى الندامة والحزن فارجعي عني أيتها المصلحة نفسها لفساد غيرها ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج إلى السماء وكان بالقرب من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له بالقرب منك في مكان كذا وكذا رجل صالح فاذهب إليه وكن تحت طاعة أمره فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائراً فلما اشتد عليه الحر انتهى إلى شجرة عندها عين جارية فجلس في ظل الشجرة ليستريح فبينما هو جالس وإذا بوحوش وطيور أتوا إلى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالساً نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد في نفسه أنا ما استرحت هنا إلا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتباً لنفسه لقد أضر بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما عذري عند خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فإني كنت سبباً لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فواخجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم أفاض من جفنه العبرات وأنشد هذه الأبيات:



أما وا لو علم الأنام ... لما خلقوا لما غفلوا وناموا
فموت ثم بعث ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ونحن إذا تهينا أوامرنا ... كأهل الكهف أكثرنا نياماً

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شـربهاوولى هائمـاً علـى وجهه حتى أتى إلى الراعي فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال له الراعي ما الـذي أقدمك إلى هذا المكان الذي لم يدخله أحد من الناس علي فقال العابد أني رأيت في منامي مـن يصـف لـي مكانك ويأمرني بالمسير إليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلاً لما أمرت به فقبلـه الراعـي وطابـت نفسـه بصحبته وجلس معه في الجبل يعبدان ا تعالى في ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا في ذلـك المكـان يعبدان ربهما ويتقوتان من لجوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين إلى أن أتاهما اليقين وهـذا آخـر حديثهما قال الملك لقد زهدتيني يا شهرزاد في ملكي وندمتيني على ما فرط مني في قتل النساء والبنات فهل عندك شيء من حديث الطيور قالت نعم زعموا أيها الملك أن طيراً طار وعلا إلى الجو ثـم أنقـض علـى صخرة في وسط الماء وكان الماء جارياً فبينما الطائر واقف على الصخرة وإذا برمة إنسان جرها الماء حتى أسدها إلى الصخرة ووقفت تلك الجيفة في جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا طير الماء وتأملها فرآهـا رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال في نفسه أن هذا المقتول كان شريراً فـاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمـة حتـى رأى نسوراً وعقباناً أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعاً شـديداً وقـال لا صبر لي على الإقامة في هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه إلى حين نفاذ تلك الجيفـة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائراً حتى وجد نهراً في وسطه شجرة فنزل عليها كئيباً حزيناً على بعـده عـن وطنه وقال في نفسه لم تزل الأحزان تتبعني وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحاً شديداً وقلت هذا رزق ساقه ا إلي فصار فرحي غماً وسروري حزناً وهما وافترستها سباع الطير مني وحال بينها وبيني فكيف أرجو أن أكون سالماً في هذه الدنيا واطمئن إليها وقد قيل في المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن إليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكناً إليهـا يختـال فـوق الأرض حتى يصير تحتها ويحثوا عليه التراب أعز الناس عليه وأقربهم إليه وما للفتى خير من الصبر علـى مكارهها وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارهاً لفرقة أخواني وأصحابي فبينما هو في فكرته وإذا بذكر من السلاحف أقبل منحدراً في الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال يا سيدي ما الذي أبعدك عن موضـعك قال حلول الأعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما أحسن قول بعض الشعراء.

إذا حل النقيل بأرض قوم ... فما للساكنين سوى الرحيل

فقال له السلحف إذا كان الأمر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فأنا لا أزال بين يـديك ولا أفارقـك لاقضي حاجتك وأوفي بخدمتك فإنه يقال لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه وقد قيـل أن فرقة الصالحين لا يعد لها شيء من المصائب ومما يسمى العاقل نفسه الإستئناس في الغربة والصبر على

الرزية والسكربه وأرجو أن تحمد صحبتي لك وأكون لك خادماً ومعيناً فلما سمع طير الماء مقالـة السـلحف قال له لقد صدقت في قولك ولعمري أني وجدت للفراق الماً وهماً مدة بعدي عن مكاني وفراقـي لأخـواني وخلاني لأن فيه الفراق عبرة لمن أعتبر وفكرة لمن تفكر وإذا لم يجد الفتى من يسليه من الأصحاب ينقطـع عنه الخير أبداً ويثبت له الشر سرمداً وليس للعاقل إلا التسلي بالأخوان عن الهمـوم فـي جميـع الأحـوال وملازمة الصبر والتجلد فإنهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع في كـل أمر فقال له السحاف أياك والجزع فإنه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك ومازالا يتحدثان مع بعضهما إلى أن قال طير الماء للسحاف أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السحاف مقالة طيـر الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف في مشورتك الخير فكيف تحمـل الهـم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم أن طير الماء طار إلى مكان الجيفة فلما وصل إليـه لم يرمن سباع الطير شيئاً ولا من تلك الجيفة الإ عظاماً فرجع يخبر السحاف بزوال العدو من مكانـه فلمـا وصل إلى السلحف أخبره بما رأى وقال له أني أحب الرجوع إلى مكاني وأتملى بخلاني لأنه لا صبر للعاقل عن وطنه فذهب معه إلى ذلك المكان فلم يجد شيئاً مما يخافان منه فصار طير الماء قرير العين وأنشد هذين البيتين:

ولـرب نازلـة يضـيق لهـا الفتـى	ذرعـاً وعنـد الله منهـا المخـرج
ضـاقت فلمـا اسـتحكمت حلقاتهـا	فرجـت وكنـت أظنهـا لا تفـرج

ثم كنا تلك الجزيرة فبينما طير الماء في أمن وسرور وفرح وحبور إذ ساق القضاء إليه بـازا جائعـاً فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الأجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل أنه كـان يقول في تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر هذا ما كان من حديث الطير فقـال الملك يا شهرزاد لقد زدتيني بحكايتك مواعظ واعتبار فهل عندك شيء من حكايات الوحوش.

حكاية الثعلب مع الذئب وابن آدم

فقالت اعلم أيها الملك أن ثعلباً وذئباً ألفا وكراً فكان يأويان أليهما مع بعضهما فلبثا على ذلك مدة مـن الزمان وكان الذئب للثعلب قاهراً فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال لـه أن دمـت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فإنه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله فعليك بالأنصاف وترك الشر والاعتساف فإنه أهنأ لطعامك فلم يقبل الذئب قوله وأغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام في عظيم الأمور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخـر منها مغشياً عليه فلما أفاق تبسم في وجه الذئب واعتذر إليه من الكلام الشين وأنشد هذين البيتين:

إذا كنـت قـد أذنبـت ذنبـاً سـالفاً	فـي حـبكم وأتيـت شـيئاً منكـراً
أنـا تائـب عمـا جنيـت وعفـوكم	يسـع المسـيء إذا أتـى مسـتغفراً

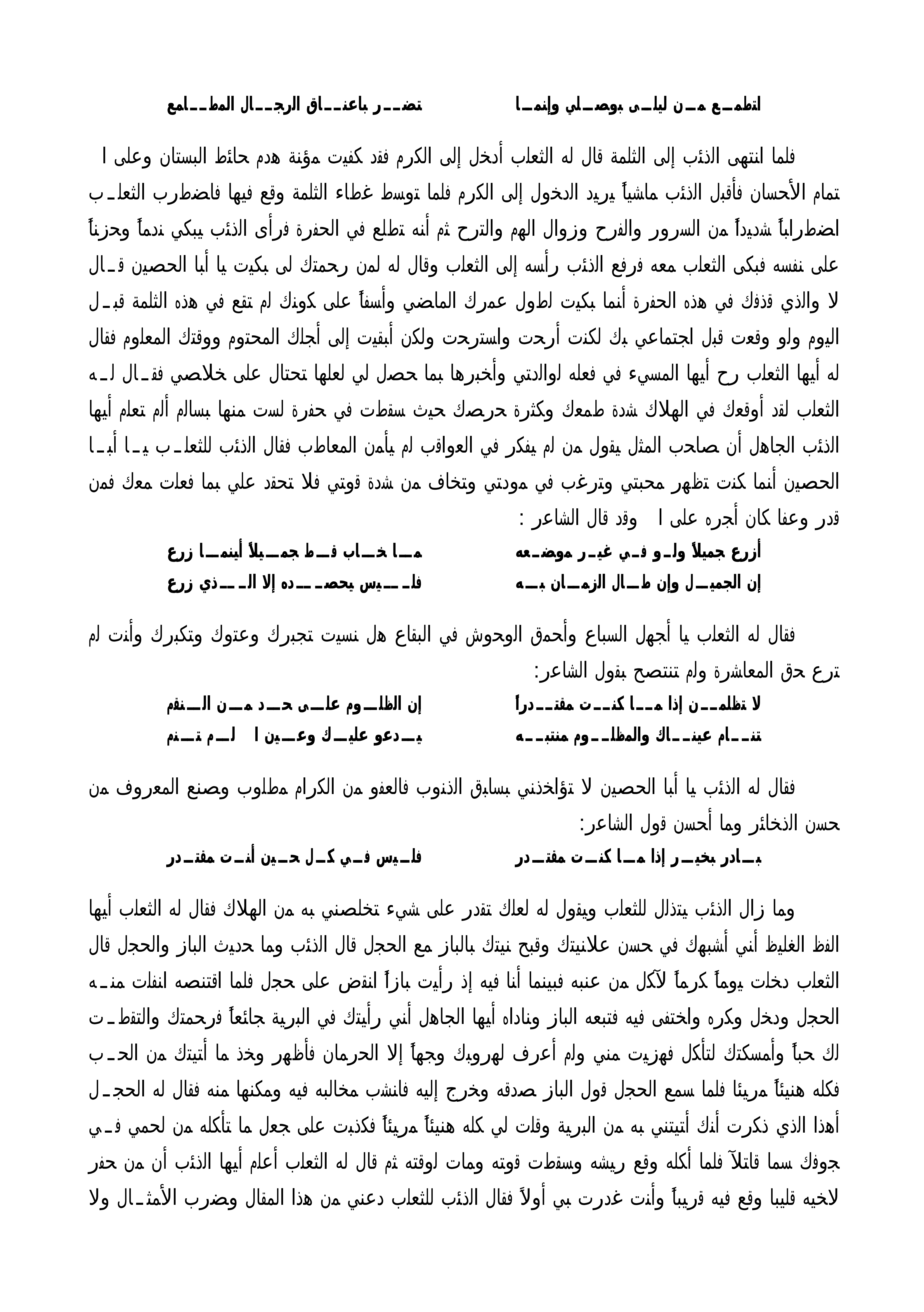
فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه أشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسـمع مـالا يرضـيك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع مالا يرضيك فقال لـه الثعلب سمعاً وطاعة فأنا بمعزل عما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عمالا تسئل عنه أولاً تجب إلا مـالا تدعي إليه وذر الذي لا يعنيك إلى مالا يعنيك ولا تبذل النصيحة للأشرار فإنهم يجزونك عليها شراً فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم في وجهه ولكنه أضمر له مكراً وقال لابد أن أسعى في هلاك هذا الثعلب وأما الثعلب فإنه صبر على أذى الذئب وقال في نفسه إن البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان في الأرتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والإنصاف من شيم الأشراف والآداب أشرف الاكتساب ومن الرأي مداراة هذا الباغي ولابد له مصرع ثم أن الثعلب قال للذئب ألأن الرب يعفو ويتوب على عبـده إن اقتـرف الذنوب وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف ولوعلمت بما حصل لي من لطمتـك لعلمـت أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكني لا أشتكي من ألم هذه اللاطمة بسبب ما حصل لي بها من السرور فإنهـا وإن كانت قد بلغت مني مبلغاً عظيماً فإن عاقبتها سروراً وقد قال الحكيم ضرب المؤدب أوله صعب شـديد وآخره أحلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك وأقلت عثرتك فكن من قوتي على حذر واعترف لي بالعبودية فقد علمت قهري لمن عاداني فسجد له الثعلب وقال له أطال ا عمرك ولازلت قاهر المن عـاداك ولم يزل الثعلب خائفاً من الذئب مصانعاً له ثم أن الثعلب ذهب إلى كرم يوماً فرأي في حائطه ثلمة فأنكرهـا وقال في نفسه إن هذه الثلمة لابد لها من سبب وقد قيل من رأي خرقاً في الأرض فلم يجتنبه ويتـوق عـن الإقدام عليه كان بنفسه مغرراً وللهلاك متعرضاً وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب في الكـرم ويقدم إليه العنب في الأطباق لأجل أن يرى ذلك ثعلب آخر فيقدم إليه فيقع في الهلاك وأني أرى هذه الثلمـة مكيدة وقد قيل أن الحذر نصف الشطارة ومن الحذر أن أبحث على هذه الثلمة وأنظر لعلي أجد عندها أمـراً يؤدي إلى التلف ولا يحملني الطمع على أن ألقي نفسي في الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآهـا فإذا هي حفرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقاً فتأخر عنها وقال الحمد حيث حذرتها وأرجو أن يقع فيها عدوى الذئب الذي نغص عيشي فأستقل بـالكرم وحدي وأعيش فيه آمناً ثم هز رأسه وضحك ضحكاً عالياً وأطرب بالنغمات وأنشد هذه الأبيات:

ليتنـــي أبصـــرت هـــذا الوقـــت	**فـــــــي ذي البئـــــــر ذئبـــــــا**
طالمــــا قـــد ســـاء قلبـــي	**وســقاني المـــر غصـــباً ليتنـــي**
ثـــــم يخلــــو الكــــرم منـــه	**وأرى لـــــي فيهـــــا نهبـــــا**
مـــــن بعـــــد ذا أبقـــــى	**ويقضـــــي الـــــذئب نحبـــــا**

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعاً حتى وصل إلى الذئب وقال أن ا سهل لك الأمور إلى الكرم بـلا تعب وهذا من سعادتك فهنيئاً لك بما فتح ا عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقـال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال أني أنتهيت إلى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البسـتان فرأيت الأثمار زاهية على الأشجار فلم يشك الذئب في قول الثعلب وأدركه الشر فقام حتى انتهى إلى الثلمـة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتاً كالميت وتمثل بهذا البيت:



تضـر باعنـاق الرجـال المطـامع	اتطمـع مـن ليلـى بوصـلي وإنمـا

فلما انتهى الذئب إلى الثلمة قال له الثعلب أدخل إلى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى ا تمام الأحسان فأقبل الذئب ماشياً يريد الدخول إلى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلـب اضطراباً شديداً من السرور والفرح وزوال الهم والترح ثم أنه تطلع في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندماً وحزناً على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه إلى الثعلب وقال له لمن رحمتك لى بكيت يا أبا الحصين قـال لا والذي قذفك في هذه الحفرة أنما بكيت لطول عمرك الماضي وأسفاً على كونك لم تقع في هذه الثلمة قبـل اليوم ولو وقعت قبل اجتماعي بك لكنت أرحت واسترحت ولكن أبقيت إلى أجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له أيها الثعلب رح أيها المسيء في فعله لوالدتي وأخبرها بما حصل لي لعلها تحتال على خلاصي فقـال لـه الثعلب لقد أوقعك في الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم ألم تعلم أيها الذئب الجاهل أن صاحب المثل يقول من لم يفكر في العواقب لم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلـب يـا أبـا الحصين أنما كنت تظهر محبتي وترغب في مودتي وتخاف من شدة قوتي فلا تحقد علي بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان أجره على ا وقد قال الشاعر :

مـا خـاب قـط جمـيلاً أينمـا زرع	أزرع جميلاً ولـو فـي غيـر موضـعه
فلـيس يحصـده إلا الـذي زرع	إن الجميـل وإن طـال الزمـان بـه

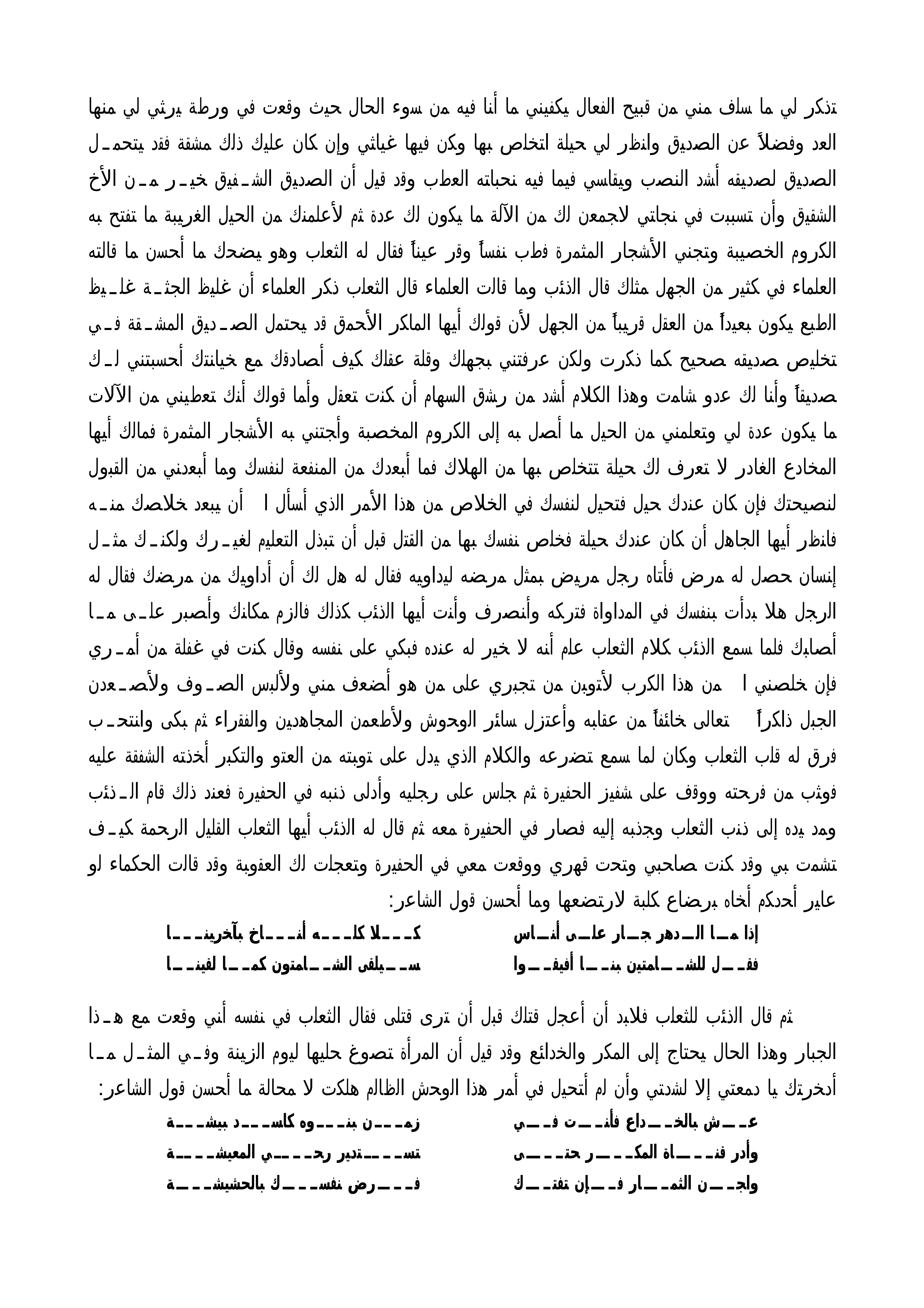
فقال له الثعلب يا أجهل السباع وأحمق الوحوش في البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وأنت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر:

إن الظلـوم علـى حـد مـن الـنقم	لا تظلمـن إذا مـا كنـت مقتـدراً
يـدعو عليـك وعـين ا لـم تـنم	تنـام عينـاك والمظلـوم منتبـه

فقال له الذئب يا أبا الحصين لا تؤاخذني بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من حسن الذخائر وما أحسن قول الشاعر:

فلـيس فـي كـل حـين أنـت مقتـدر	بـادر بخيـر إذا مـا كنـت مقتـدر

وما زال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شيء تخلصني به من الهلاك فقال له الثعلب أيها الفظ الغليظ أني أشبهك في حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل قال الذئب وما حديث الباز والحجل قال الثعلب دخلت يوماً كرماً لآكل من عنبه فبينما أنا فيه إذ رأيت بازاً انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منـه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه الباز وناداه أيها الجاهل أني رأيتك في البرية جائعاً فرحمتك والتقطـت لك حباً وأمسكتك لتأكل فهزيت مني ولم أعرف لهروبك وجهاً إلا الحرمان فأظهر وخذ ما أتيتك من الحـب فكله هنيئاً مريئا فلما سمع الحجل قول الباز صدقه وخرج إليه فانشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجـل أهذا الذي ذكرت أنك أتيتني به من البرية وقلت لي كله هنيئاً مريئاً فكذبت على جعل ما تأكله من لحمي فـي جوفك سما قاتلاً فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب أعلم أيها الذئب أن من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريباً وأنت غدرت بي أولاً فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الأمثـال ولا



تذكر لي ما سلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما أنا فيه من سوء الحال حيث وقعت في ورطة يرثي لي منها العد وفضلاً عن الصديق وانظر لي حيلة اتخاص بها وكن فيها غياثي وإن كان عليك ذلك مشقة فقد يتحمـل الصديق لصديقه أشد النصب ويقاسي فيما فيه نجاته العطب وقد قيل أن الصديق الشـفيق خيـر مـن الأخ الشقيق وأن تسببت في نجاتي لاجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ثم لأعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح به الكروم الخصيبة وتجني الأشجار المثمرة فطب نفساً وقر عيناً فقال له الثعلب وهو يضحك ما أحسن ما قالته العلماء في كثير من الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء أن غليظ الجثـة غلـيظ الطبع يكون بعيداً من العقل قريباً من الجهل لأن قولك أيها الماكر الأحمق قد يحتمل الصـديق المشـقة فـي تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفتني بجهلك وقلة عقلك كيف أصادقك مع خيانتك أحسبتني لـك صديقاً وأنا لك عدو شامت وهذا الكلام أشد من رشق السهام أن كنت تعقل وأما قولك أنك تعطيني من الآلات ما يكون عدة لي وتعلمني من الحيل ما أصل به إلى الكروم المخصبة وأجتني به الأشجار المثمرة فمالك أيها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما أبعدك من المنفعة لنفسك وما أبعدني من القبول لنصيحتك فإن كان عندك حيل فتحيل لنفسك في الخلاص من هذا الأمر الذي أسأل ا أن يبعد خلاصك منـه فانظر أيها الجاهل أن كان عندك حيلة فخلص نفسك بها من القتل قبل أن تبذل التعليم لغيـرك ولكنـك مثـل إنسان حصل له مرض فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك أن أداويك من مرضك فقال له الرجل هلا بدأت بنفسك في المداواة فتركه وأنصرف وأنت أيها الذئب كذلك فالزم مكانك وأصبر علـى مـا أصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم أنه لا خير له عنده فبكي على نفسه وقال كنت في غفلة من أمـري فإن خلصني ا من هذا الكرب لأتوبن من تجبري على من هو أضعف مني ولألبس الصـوف ولأصـعدن الجبل ذاكراً تعالى خائفاً من عقابه وأعتزل سائر الوحوش ولأطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحـب فرق له قلب الثعلب وكان لما سمع تضرعه والكلام الذي يدل على توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفيز الحفيرة ثم جلس على رجليه وأدلى ذنبه في الحفيرة فعند ذلك قام الـذئب ومد يده إلى ذنب الثعلب وجذبه إليه فصار في الحفيرة معه ثم قال له الذئب أيها الثعلب القليل الرحمة كيـف تشمت بي وقد كنت صاحبي وتحت قهري ووقعت معي في الحفيرة وتعجلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعها وما أحسن قول الشاعر:

إذا مـا الـدهر جـار علـى أنـاس   **كـلاكلـه أنـاخ بآخرينـا**

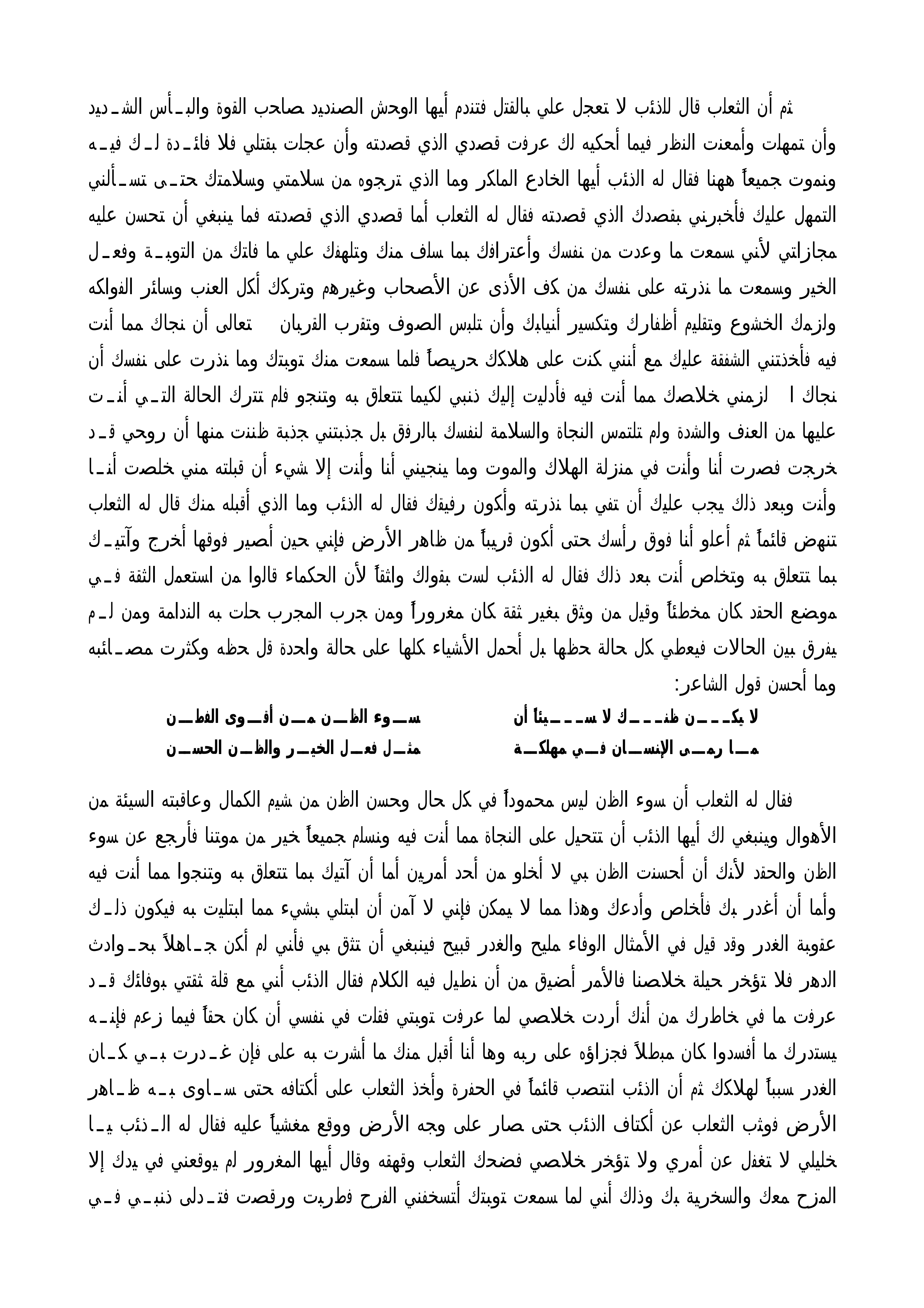
فقـل للشـامتين بنـا أفيقـوا   **سـيلقى الشـامتون كمـا لقينـا**

ثم قال الذئب للثعلب فلابد أن أعجل قتلك قبل أن ترى قتلى فقال الثعلب في نفسه أني وقعت مع هـذا الجبار وهذا الحال يحتاج إلى المكر والخدائع وقد قيل أن المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة وفـي المثـل مـا أدخرتك يا دمعتي إلا لشدتي وأن لم أتحيل في أمر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة ما أحسن قول الشاعر:

عـش بالخـداع فأنـت فـي   **زمـن بنـوه كاسـد بيشـة**

وأدر قنـاة المكـر حتـى   **تسـتدير رحـى المعيشـة**

واجـن الثمـار فـإن تفتـك   **فـرض نفسـك بالحشيشـة**



ثم أن الثعلب قال للذئب لا تعجل علي بالقتل فتندم أيها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وأن تمهلت وأمعنت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدي الذي قصدته وأن عجلت بقتلي فلا فائدة لك فيه ونموت جميعاً ههنا فقال له الذئب أيها الخادع الماكر وما الذي ترجوه من سلامتي وسلامتك حتى تسألني التمهل عليك فأخبرني بقصدك الذي قصدته فقال له الثعلب أما قصدي الذي قصدته فما ينبغي أن تحسن عليه مجازاتي لأني سمعت ما وعدت من نفسك وأعترافك بما سلف منك وتلهفك علي ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الأذى عن الأصحاب وغيرهم وتركك أكل العنب وسائر الفواكه ولزمك الخشوع وتقليم أظفارك وتكسير أنيابك وأن تلبس الصوف وتقرب القربان تعالى أن نجاك مما أنت فيه فأخذتني الشفقة عليك مع أنني كنت على هلاكك حريصاً فلما سمعت منك توبتك وما نذرت على نفسك أن نجاك ا لزمني خلاصك مما أنت فيه فأدليت إليك ذنبي لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التي أنت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتني جذبة ظننت منها أن روحي قد خرجت فصرت أنا وأنت في منزلة الهلاك والموت وما ينجيني أنا وأنت إلا شيء أن قبلته مني خلصت أنا وأنت وبعد ذلك يجب عليك أن تفي بما نذرته وأكون رفيقك فقال له الذئب وما الذي أقبله منك قال له الثعلب تنهض قائماً ثم أعلو أنا فوق رأسك حتى أكون قريباً من ظاهر الأرض فإني حين أصير فوقها أخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص أنت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقاً لأن الحكماء قالوا من استعمل الثقة في موضع الحقد كان مخطئاً وقيل من وثق بغير ثقة كان مغروراً ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظها بل أحمل الأشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما أحسن قول الشاعر:

لا يكن ظنك لا سيئاً أن — سوء الظن من أقوى الفطن

ما رمى الإنسان في مهلكة — مثل فعل الخير والظن الحسن

فقال له الثعلب أن سوء الظن ليس محموداً في كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته السيئة من الأهوال وينبغي لك أيها الذئب أن تتحيل على النجاة مما أنت فيه ونسلم جميعاً خير من موتنا فأرجع عن سوء الظن والحقد لأنك أن أحسنت الظن بي لا أخلو من أحد أمرين أما أن آتيك بما تتعلق به وتنجوا مما أنت فيه وأما أن أغدر بك فأخلص وأدعك وهذا مما لا يمكن فإني لا آمن أن ابتلي بشيء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل في الأمثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغي أن تثق بي فأني لم أكن جاهلاً بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالأمر أضيق من أن نطيل فيه الكلام فقال الذئب أني مع قلة ثقتي بوفائك قد عرفت ما في خاطرك من أنك أردت خلاصي لما عرفت توبتي فقلت في نفسي أن كان حقاً فيما زعم فإنه يستدرك ما أفسدوا كان مبطلاً فجزاؤه على ربه وها أنا أقبل منك ما أشرت به على فإن غدرت بي كان الغدر سبباً لهلاكك ثم أن الذئب انتصب قائماً في الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الأرض فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الأرض ووقع مغشياً عليه فقال له الذئب يا خليلي لا تغفل عن أمري ولا تؤخر خلاصي فضحك الثعلب وقهقه وقال أيها المغرور لم يوقعني في يدك إلا المزح معك والسخرية بك وذلك أني لما سمعت توبتك أستخفني الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبي في

الحفرة فجذبتني فوقعت عندك ثم أنقذني ا تعالى من يدك فمالي لا أكون عوناً على هلاكك وأنت من حزب الشيطان واعلم أنني رأيت البارحة في منامي أني أرقص في غرس فقصصت الرؤيا على معبرفقال لي أنـك تقع في ورطة وتنجو منها فعلمت وقوعي في يدك ونجاتي هو تأويل رؤياي وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل أني عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك في إنقاذي أياك مع ما سمعت من غلاظ كلامك وكيف أسـعى فـي نجاتك وقد قالت العلماء أن في موت الفاجر راحة للناس وتطهير للأرض ولولا مخافة أن احتمل من الألم في الوفاء لك ما هو أعظم من ألم الغدر لتدبرت في خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كتفه ندماً. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كتفه ندماً ثم لين له الكلام ولم يجد بداً من ذلك وقال له بلسان خافت أنكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لساناً وألطفها مزاحاً وهـذا منـك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب أيها الجاهل أن للمزاح حد لا يجاوزه صاحبه فلا تحسب أن ا يمكنك مني بعد أن أنقذني من يديك فقال له الذئب أنك لجدير أن ترغب في خلاصي لما بينـنـا من سابق المؤاخاة والصحبة وأن خلصتني لابد أن أحسن مكافأتك فقال الثعلب قد قال الحكماء لا تؤاخ الجاهل الفاجر فإنه يشينك ولا يزينك ولا تؤاخ الكذاب فإنه إن بدا منك خير أخفاه وإن بدا منك شـر افشـاه وقـال الحكماء لكل شيء حيلة إلا الموت وقد يصلح كل شيء إلا فساد الجوهر وقد يدفع كل شيء إلا القدر وأما من جهة المكافأة التي زعمت أني استحقها منك فإني شبهتك بالحية الهاربة من الحاوي إذ رآهـا رجـل وهـي مرعوبة فقال لها ما شأنك أيتها الحية قالت هربت من الحاوي فإنه يطلبني ولئن انجيتني منه وأخفيتني عندك لأحسنن مكافأتك وأصنع معك كل جميل فأخذها أغتناماً للأجر وطمعاً في المكافأة وأدخلها في جيبه فلما فات الحاوي ومضى إلى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل أين المكافأة فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية أخبرني في أي عضو أنهشك وقد علمت أننا لا نتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها وأنت أيها الأحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل أما سمعت قول الشاعر:

لا تـأمنن فتـى أسـكنت مهجتـه	**غيظـاً وتحسـب أن الغـيظ قـدر إلا**
إن إلافـاعي وإن لانـت ملامسـها	**تبـدي انعطافـاً وتخفـى السـم قتـالاً**

فقال له الذئب أيها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمـت أنـي أهجم على الحصون وأقلع الكروم فأفعل ما أمرتك به وقم بي قيام العبد بسيده فقال له الثعلب أيهـا الأحمـق الجاهل المحال بالباطل أني تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يـديك حتى كأنني بعدك ولكن سوف ترى ما يحل بك من شرخ رأسك بالحجارة وكسر أنيابك الغـدارة ثـم وقـف الثعلب على تل يشرف على الكرم ولم يزل يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به وأقبلوا عليه مسرعين فثبـت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هارباً فنظر أصحاب الكرم في الحفرة فلما رأوا فيها الذئب ونقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونـه بأسـنة

الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب إلى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وأنشد هذه الأبيات:

أودي الزمان بنفس الـذئب فاختطفـت	**بعداً وسحقاً لهـا مـن مهجـة تلفـت**
فكم سـعيت أبـا سـرحان فـي تلفـي	**فـاليوم حلـت بـك الآفـات والتهبـت**
وقعـــد فـــي حفـــرة ماجلهـــا أحـــد	**إلا وفيهـا ريـاح المـوت قـد عصـفت**

ثم أن الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئناً لا يخاف ضرراً وهذا ما كان من حديث الثعلب (ومما يحكـي) أن فأرة وبنت عرس كانتا ينزلان منزلاً لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيراً وقـد مـرض بعـد أصـدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فأعطى قدراً من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فأعطاه ذلك الرجل لزوجته وأمرها بإصلاحه فقشرته تلك المرأة له وأصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت إليه ولم تـزل تنقل من ذلك السمسم إلى جحرها طول يومها حتى نقلت أكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضـحاً فجلست ترصد من يأتي إليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المـرأة جالسة فعلمت أنها ترصدها فقالت في نفسها أن لهذا الفعل عواقب ذميمة وأني أخشى من تلك المرأة أن تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولا بدل لي أن أعمل عملاً حسناً أظهـر بـه براءتي من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في جحرها فرأتها المرأة وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ما هذا سبب نقصه لأنها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد أحسنت إلينا في رد السمسم وما جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه وليست هذه آفة في السمسم ولكن لا أزال أرصده حتى يقع واعلم من هو ففهمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت إلى الفأرة فقالت لها يا أختي أنه لا خير فيمن لا يرعي المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وانعم بك وبجـوارك فمـا سبب هذا الكلام فقالت بنت عرس إن رب البيت أتي بسمسم فأكل منه هو وعياله وشـبعوا وأسـتغنوا عنـه وتركوه وقد أخذ منه كل ذي روح فلو أخذت أنت الأخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه فأعجب الفـأرة ذلـك ورقصت ولعبت ذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مقشـور يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر المرأة في عاقبة الأمر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها حتى دخلت في السمسم وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المـرأة بتلـك الهـراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها عن عواقب الأمور فقال الملك يـا شـهرزاد وا أن هـذه حكاية مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة والتخاص من الهلكة قالت نعـم بلغني أن غراباً وسنوراً كانا متآخين فبينما هما تحت الشجرة على تلك الحالة إذ رأيا نمراً مقبلاً علـى تلـك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى سار قريباً من الشجرة فطار الغراب إلى أعلى الشجرة وبقا السنور متحيراً فقال للغراب يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب أنمـا تلـتمس الأخوان عند الحاجة إليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما أحسن قول الشاعر:

أن صـديق الحـق مـن كـان معـك	**ومـــن يضـــر نفســـه لا ينفعـــك**
ومـــن إذا ريـــب الزمـــان صـــدعك	**شـــتت فيـــك شـــمله ليجمعـــك**

وكان قريباً من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الأرض ونعق وصاح ثم تقدم إليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلاً فتبعته الكلاب وسارت في أثره ورفع لراعي رأسه فرأى طائر يطير قريباً من الأرض ويقع فى قيعه وسار الغراب لا يطير إلا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها في أن تفترسه ثم أرتفع قليلاً وتبعه الكلاب حتى انتهى إلى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هارباً وكان يظن أنه يأكل السنور فنجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد أخبرتك بهذا أيها الملك لتعلم أن مودة أخوان الصفا تنجي من الهلكات (ويحكى) أن ثعلباً سكن في بيت في الجبل وكان كلما ولد ولداً وأشتد ولده أكله من الجوع وأن لم يأكل ولده يضربه الجوع وكان يأوي إلى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه أريد أن أعقد بيني وبين هذا الغراب مودة وأجعله لي مؤنساً على الوحدة معاوناً على طلب الرزق لأنه يقدر من ذلك على مالا أقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى سار قريباً منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جاري إن للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الإسلام واعلم بأنك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصاً مع طول المجاورة على أن في صدري وديعة من محبتك دعتني إلى ملاطفتك وبعثتني على التماس أخوتك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب أعلم أن خير القول أصدقه وربما تتحدث بلسانك بما ليس في قلبك وأخشى أن تكون أخوتك باللسان ظاهراً وعداوتك في القلب لأنك آكل وأنا مأكول فوجب لنا التباين في المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذي دعاك إلى طلب مالا تدرك واردة مالا يكون وأنت من جنس الوحوش وأنا من جنس الطير وهذه الأخوة لا تصح فقال له الثعلب أن من علم موضع الإخلاء فأحسن الأختيار فيما يختاره منهم ربما يصل إلى منافع الأخوان وقد أحببت قربك وأخترت الأنس بك ليكون بعضنا عوناً لبعض على أغراضنا وتعقب مودتنا نجاحاً وعندي حكايات في حسن الصداقة فإن أردت أن أحكيها حكيتها لك فقال الغراب أذنت لك في أن تبثها فحدثتني بها حتى أعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلي يحكي عن برغوث وفأرة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا أن فارة كانت في بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة إلى فراش ذلك التاجر فرأى بدناً ناعماً وكان البرغوث عطشاناً فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث ألماً فاستيقظ من النوم واستوى قاعداً ونادى بعض أتباعه فأسرعوا إليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هارباً فصادف جحر الفأرة فدخله فلما رأته الفأرة قالت له ما الذي أدخلك علي ولست من جوهري ولا من جنسي ولست بآمن من الغلظة عليك ولا مضارتك فقال لها البرغوث أني هربت في منزلك وفزت بنفسي من القتل وأتيتك مستجيراً بك ولاطمع لي في بيتك ولا يلحقك مني شر يدعوك إلى الخروج من منزلك وأني أرجو أن أكافئك على إحسانك إلا بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفأرة لما سمعت كلام البرغوث قالت إذا كان الكلام علي ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك بأس ولا تجد إلا ما يسرك ولا يصيبك إلا ما يصيبني وقد بذلت لك مودتي ولا تندم

على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وأرض بما تيسر لك من العيش فإن ذلك أسلم لك وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الأبيات:

سلكت القناعة والانفراد   وقضيت دهري بما اذا أتفق

بكسرة خبز وشربة ماء   وملح جريش وثوب خلق

فإن يسرا لي عيشتي   وإلا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال يا أختي قد سمعت وصيتك وأنقذت إلى طاعتك ولا قوة لي على مخالفتك إلى أن ينقضي العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفأرة كفى بصدق المودة في صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوي إلى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوي بالنهار مع الفأرة في مسكنها فاتفق أن التاجر جاء ليلة إلى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفأرة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر إليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفأرة للبرغوث أما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا إلى بلوغ الغرض من تلك الدنانير فقال لها البرغوث قد التزمت لك بإخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث إلى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن جرى للتاجر مثلها ثم تنحى البرغوث إلى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر فانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيئاً فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة أشد من الأولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج إلى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه إلى الصباح ثم أن الفأرة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئاً فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم أني لم أقل لك هذا الكلام أنها الغراب البصير العاقل الخبير إلا ليصل إليك جزاء إحسانك إلي كما وصل للفأرة جزاء إحسانها إلى البرغوث فانظر كيف جازاها أحسن المجازاة وكافأها أحسن المكافأة فقال الغراب إن شاء المحسن يحسن أولاً يحسن وليس الإحسان واجباً لمن التمس صلة بقطيعة وأن أحسنت إليك مع كونك عدوى أكون قد أتسبب في قطيعة نفسي وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمتك المكر والخديعة لا تؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له وقد بلغني عن قريب أنك غدرت بصاحبك الذئب ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الأمور مع أنه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما أبقيت عليه فكيف أثق منك بنصيحة وإذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذي من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذي من غير جنسك وما مثالك معي إلا مثال الصقر مع ضواري الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضواري الطير فقال الغراب زعموا أن صقراً كان جباراً عنيداً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغراب قال زعموا أن صقراً كان جباراً عنيداً أيام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره أحد وله حكايات كثيرة في ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الأذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فاجمع رأيه على أن يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وأنت كذلك أيها الثعلب أن عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولست أشك في أن ما تطلبه من صحبتي حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده في يدك لأن ا أعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي وبصرا في عيني واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك هذا ما عندي من الكلام واذهب عني بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة

الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سناً على سن فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه ورأى كآبته وحزنه قال أيها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب أنما قرعت سني لأني رأيتك أخدع مني ثم أنه ولى هارباً ورجع إلى جحره طالباً وهذا ما كان من حديثهما أيها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما أحسن هذه الحكايات هل عندك شيء مثلها من الخرافات (قالت) ويحكي أن قنفذ اتخذ مسكناً بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشاً في النخلة وعاشا فوقها عيشاً رغداً فقال القنفذ في نفسه أن الورشان يأكل من ثمر النخلة وأنا لا أجد إلى ذاك سبيلاً ولكن لابد من استعمال الحيلة ثم حفر في أسفل النخلة بيتاً و أتخذه مسكناً له ولزوجته وإلى جانبه مسجداً وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان متعبداً مصلياً فرق له من شدة زهده وقال كم سنة وأنت هكذا قال مدة ثلاثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لأجل أن أرشد الضال واعلم الجاهل فقال له الورشان كنت أظن على أنك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ أني أخشى أن يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزارع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال أني أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تقصيره ومن تخلفه ومات أسفاً وحزناً فقال الورشان للقنفذ وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وأنقطع إلى عبادة ربي قال له القنفذ خذ في الاستعداد للميعاد والقناعة بالكفاية من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة الي فيها قوتي ولو أستطعت ذلك ما عرفت موضعاً استقر فيه فقال القنفذ يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤونة عام أنت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن أرشادك ثم مل إلى ما نثرته من النمر فانقله جميعه وأدخره قوتاً للعدم وإذا فرغت الثمار وطال عليك المطال مر إلى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك ا خيراً حيث ذكرتني بالميعاد وهديتني إلى الرشاد ثم تعب الورشان هو وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبق في النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وأدخره لقوته وقال في نفسه أن الورشان هو وزوجته إذا احتاجا إلى مؤنتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا إلى تزهدي وورعي فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له أين الليلة من البارحة أما تعلم أن للمظلومين ناصراً فإياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال بلغني أن تاجراً من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشد جمالاً وجهز متاعاً وخرج به إلى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيئاً من مال ومتاع وأظهرا للتاجر أنهما من التجار وسارا معه فلما نزلا أول منزل اتفقا على المكر به وأخذ ما معه ثم أن كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه وقال في نفسه لومكرت بصاحبي بعد مكرنا بالتاجر لصفا لي الوقت وأخذت جميع المال ثم أضمرا لبعضهما نية فاسدة وأخذ كل منهما طعاماً وجعل فيه سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما أبطأوا عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم أنهما كانا محتالين وأراد المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر والمال معهما فقال الملك نبهتيني يا شهرزاد على شيء كنت غافلاً عنه أفلا تزيديني من هذه الأمور (قالت) بلغني أيها الملك السعيد أن رجلاً كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقاً لا يدخل سوقاً من أسواق المدينة التي هو فيها إلا ويرجع بكسب عظيم فاتفق أن رجلاً حمل أثواباً مقطعة ليبيعها فذهب إلى السوق وصار ينادي عليها فلا يسومها أحد وكان لا يعرضها على أحد إلا امتنع من شرائها فاتفق أن السارق الذي معه القرد رأي الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم أخذ القرد وذهب إلى مكان خال وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة وذهب إلى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط أن لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل وأعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط وذهب بها إلى زوجته فلما رأت ذلك أمرأته قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون



القيمة لا يبيعه وآخذ فائدته فقالت أيها المغبون ليباع هذا المتاع بأقل من قيمته إلا إذا كان مسروقاً أما تعلم أن من اشترى شيئاً ولم يعاينه كان مخطئاً وكان مثله مثل الحائك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغني أن حائكاً كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت إلا بجهد فاتفق أن رجلاً من الأغنياء كان ساكناً قريباً منه قد أولم وليمة ودعا الناس إليها فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الأطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال في نفسه لو بدلت تلك الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها وأكثر أجرة لجمعت مالا كثيراً واشتريت ثياباً فاخرة وارتفع شأني وعظمت في أعين الناس ثم نظر إلى بعض ملاعب الحاضرين في الوليمة وقد صعد سوراً شاهقاً ثم رمى بنفسه إلى الأرض ونهض قائماً فقال في نفسه لابد أن أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه ثم صعد إلى السور ورمى نفسه فلما وصل إلى الأرض اندقت رقبته فمات وإنما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوي الخبير بالأفاعي العالم بها وربما نهشته الحية فقتلته وقد يظهر بها الذي لا معرفة له بها ولا علم عنده بأحوالها ثم خالف زوجته واشتري المتاع وأخذ في تلك العادة فصار يشتري من السارقين بدون القيمة إلى أن وقع في تهمة فهلك فيها وكان في زمنه عصفور يأتي كل يوم إلى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غادياً ورائحاً عنده بحيث كان أول داخل عليه وآخر خارج من عنده فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا في جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض أنا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولابد لنا من ملك ينظر في أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهم ذلك العصفور فأشار عليهم بتمليك الطاووس وهو الملك الذي يتردد إليه فاختاروا الطاووس وجعلوه عليهم ملكاً فأحسن إليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر في الأمور ثم أن العصفور غاب يوماً عن الطاووس فقلق قلقاً عظيماً فبينما هو كذلك إذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذي أخرك وأنت أقرب أتباعي إلي فقال العصفور رأيت أمراً واشتبه علي فتخوفت منه فقال له الطاووس ما الذي رأيت قال العصفور رأيت رجلاً معه شبكة قد نصبها عند وكري وثبت أوتادها وبذر في وسطها حباً وقعد بعيداً عنها فجلست أنظر ما يفعل فبينما أنا كذلك وإذا بكركي هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا في وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد وأخذهما فأزعجني ذلك وهذا سبب غيابي عنك يا ملك الزمان وما بقيت أسكن هذا الوكر حذراً من الشبكة فقال له الطاووس لاترحل من مكانك لأنه لا ينفع الحذر من القدر فامتثل أمره وقال سأصبر ولا أرحل طاعة للملك ولم يزل العصفور محاذراً على نفسه وأخذ الطعام إلى الطاووس فأكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ماء ثم ذهب العصفور فبينما هو في بعض الأيام شاخصاً وإذا بعصفورين يقتتلان في الأرض فقال في نفسه كيف أكون وزير الملك وأرى العصافير تقتل في جواري وا لأصلحن بينهما ثم ذهب إليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور في وسطها فقام إليه الصياد وأخذه ودفعه إلى صاحبه وقال استوثق به فإنه سمين لم أرأحسن منه فقال العصفور في نفسه قد وقعت فيما كنت أخاف وما كان آمنا إلا الطاووس ولم ينفعني الحذر من القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر وما أحسن قول الشاعر:

مـا لا يكـون فـلا يكـون بحيلـة ... بـدأ ومـا هـو كـائن سـيكون
سـيكون مـا هـو كـائن فـي وقتـه ... وأخـو الجهالـة دائمـاً مغبـون

فقال الملك يا شهرزاد زيديني من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة أن أبقاني الملك أعزه ا وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية علي بن بكار مع شمس النهار

(وفي ليلة ١٨٢)

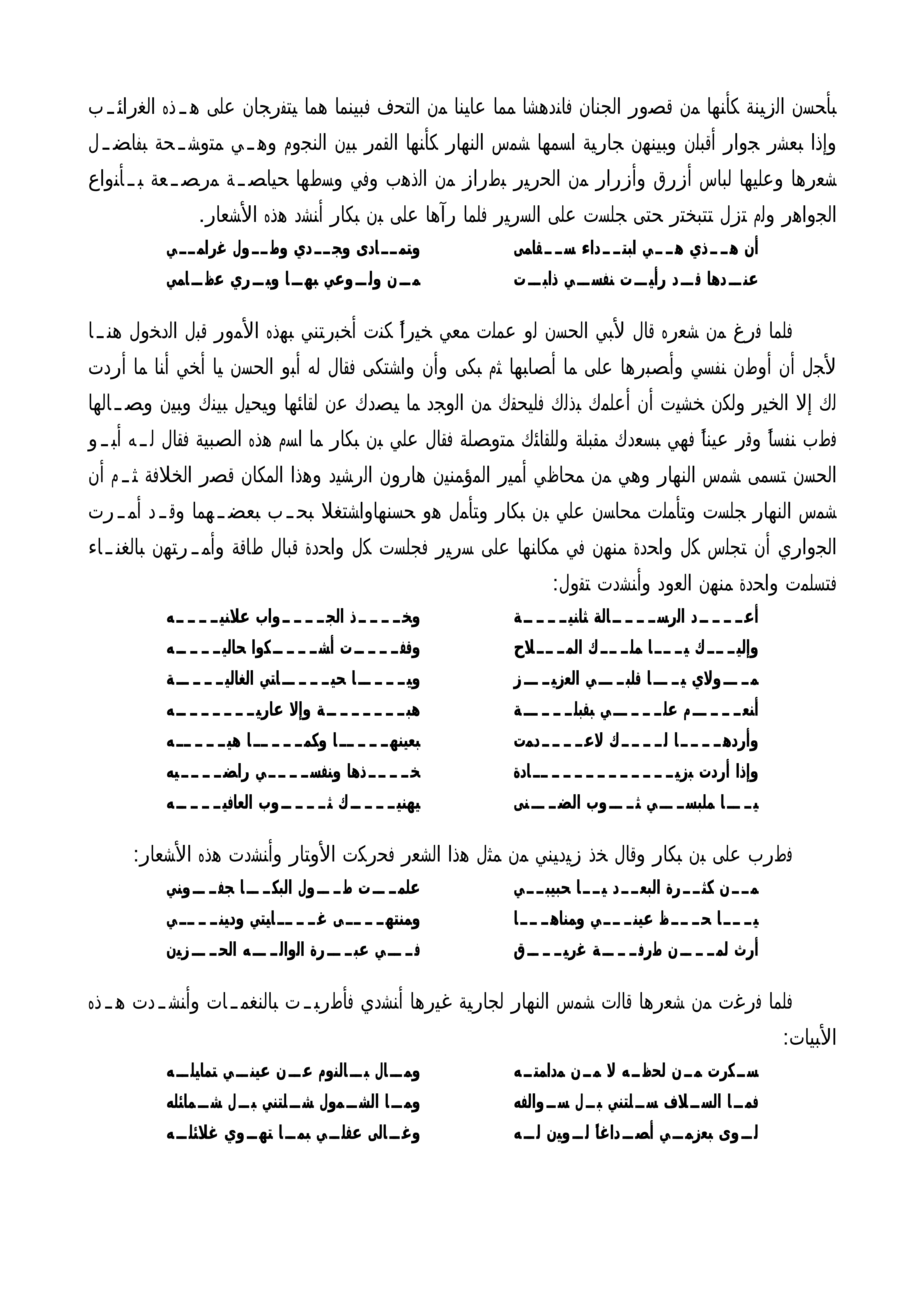
قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان في خلافة هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى أبا الحسن علي بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوباً عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير أذن ويحبه جميع سراري الخليفة وجواريه وكان ينادمه وينشد عنده الأشعار ويحدثه بنوادر الأخبار إلا أنه كان يبيع ويشتري في سوق التجار وكان يجلس على دكان شاب من أولاد ملوك العجم يقال له علي بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق أنهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان وإذا بعشر جوار كأنهن الأقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها إزار رفيع وفي وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر:

لهـا بشـر مثـل الحريـر ومنطـق ... رخـيم الحواشـي لا هـراء ولا نـزر
وعينـاك قـال ا كونـا فكانتـا ... فعـولان بالألبـاب مـا تفعـل الخمـر
فيـا حبهـا زدنـي جـوى كـل ليلـة ... ويـا سـلوة الأحبـاب موعـدك الحشـر

فلما وصلوا إلى دكان أبي الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها علي بن بكار سلبت عقله وأراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب إذا حضرنا هذا ما هو أنصاف فقال وا يا سيدتي إني هارب مما رأيت وما أحسن قول الشاعر:

هـي الشـمس مسـكنها فـي السـماء ... فعـز الفـؤاد عـزاء جمـيلاً
فلـن تسـتطيع إليهـا الصـعودا ... ولـن تسـتطيع إليـك النـزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لأبي الحسن ما اسم هذا الفتى ومن أين هو فقال لها هذا غريب اسمه علي بن بكار بن ملك العجم والغريب يجب أكرامه فقالت له إذا جاءتك جاريتي فائت به عندي فقال أبو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت إلى حال سبيلها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر علي بن بكار فإنه صار لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية إلى أبي الحسن وقالت أن سيدتي تطلبك أنت ورفيقك فنهض أبو الحسن وأخذ معه علي بن بكار وتوجها إلى دار هارون الرشيد فأدخلتهما في مقصورة وأجلستهما وإذا بالموائد وضعت قدامهما فأكلا وغسلا أيديهما ثم أحضرت لهما الشراب فشربا ثم أمرتهما بالقيام فقاما معها وأدخلتهما مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة وهي مفروشة بأنواع الفرش مزينة



بأحسن الزينة كأنها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هـذه الغرائـب وإذا بعشر جوار أقبلن وبينهن جارية اسمها شمس النهار كأنها القمر بين النجوم وهـي متوشـحة بفاضـل شعرها وعليها لباس أزرق وأزرار من الحرير بطراز من الذهب وفي وسطها حياصـة مرصـعة بـأنواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها على بن بكار أنشد هذه الأشعار.

أن هــذي هــي ابتــداء ســقامي	**وتمــادى وجــدي وطــول غرامــي**
عنــدها قــد رأيــت نفســي ذابــت	**مــن ولــوعي بهــا وبــري عظــامي**

فلما فرغ من شعره قال لأبي الحسن لو عملت معي خيراً كنت أخبرتني بهذه الأمور قبل الدخول هنـا لأجل أن أوطن نفسي وأصبرها على ما أصابها ثم بكى وأن واشتكى فقال له أبو الحسن يا أخي أنا ما أردت لك إلا الخير ولكن خشيت أن أعلمك بذلك فليحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين وصـالها فطب نفساً وقر عيناً فهي بسعدك مقبلة وللقائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال لـه أبـو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي أمير المؤمنين هارون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثـم أن شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتأمل هو حسنهاواشتغلا بحـب بعضـهما وقـد أمـرت الجواري أن تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وأمـرتهن بالغنـاء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول:

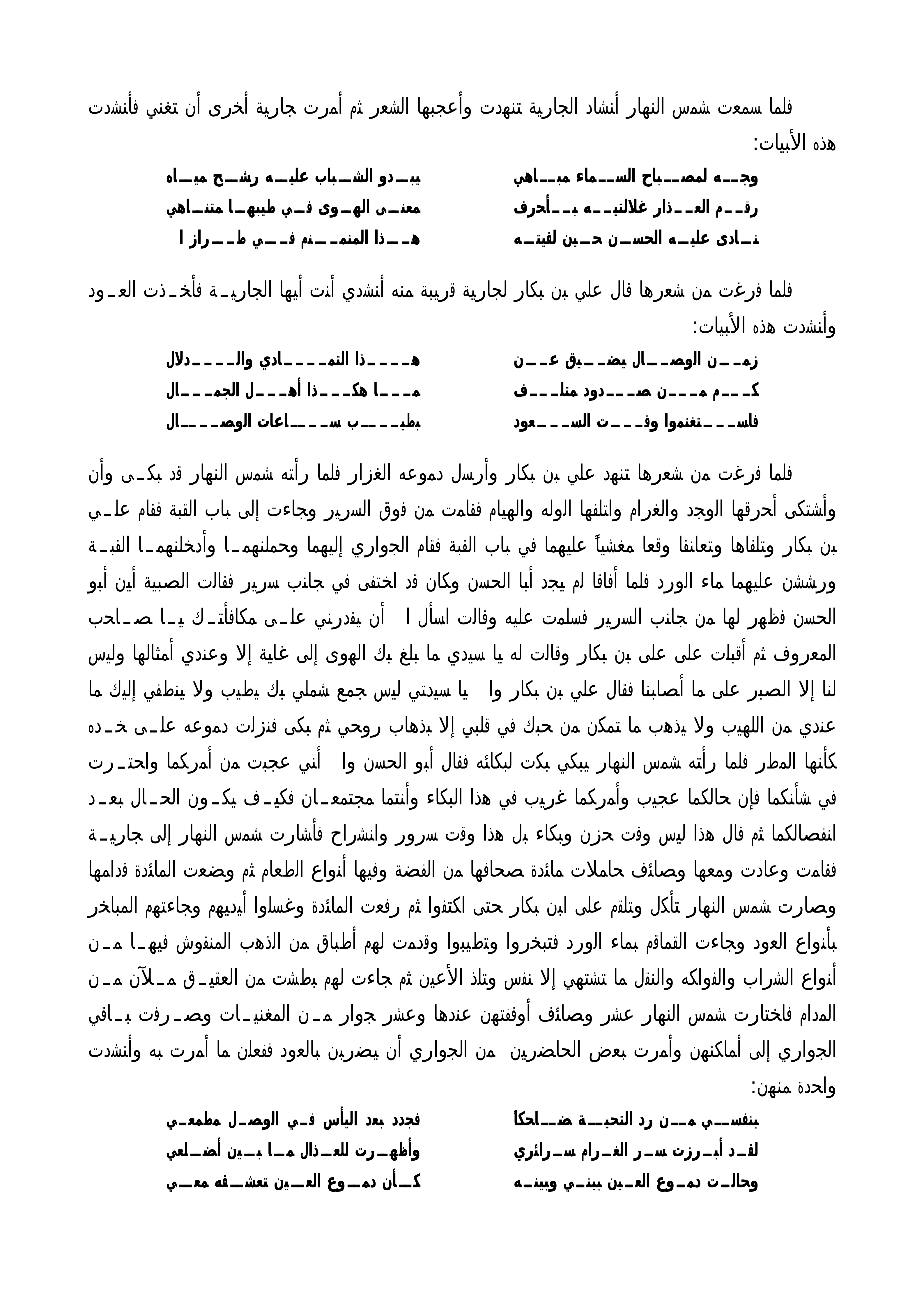
أعــــد الرســــالة ثانيــــــة	**وخــــذ الجــــواب علانيــــــه**
وإليــك يــا ملــك المــلاح	**وقفــــت أشــــكوا حاليــــــه**
مــولاي يــا قلبــي العزيــز	**ويــــا حيــــاتي الغاليــــــة**
أنعــــم علــــي بقبلــــة	**هبــــــــة وإلا عاريــــــــــه**
وأردهــــا لــــك لاعــــدمت	**بعينهــــا وكمــــا هيــــــه**
وإذا أردت بزيــــــــــــــادة	**خــــذها ونفســــي راضــــيه**
يــا ملبســي ثــوب الضــنى	**يهنيــــك ثــــوب العافيــــــه**

فطرب على بن بكار وقال خذ زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

مــن كثــرة البعــد يــا حبيبــي	**علمــت طــول البكــا جفــوني**
يــا حــظ عينــي ومناهــا	**ومنتهــى غــايتي وديــني**
أرث لمــن طرفــة غريــق	**فــي عبــرة الواالــه الحــزين**

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها أنشدي فأطربـت بالنغمـات وأنشـدت هـذه الأبيات:

سـكرت مـن لحظـه لا مـن مدامتـه	**ومـال بـالنوم عـن عينـي تمايلـه**
فمـا السـلاف سـلتني بـل سـوالفه	**ومـا الشـمول شـلتني بـل شـمائله**
لـوى بعزمـي أصـداغاً لـوين لـه	**وغـالى عقلـي بمـا تهـوي غلائلـه**



فلما سمعت شمس النهار أنشاد الجارية تنهدت وأعجبها الشعر ثم أمرت جارية أخرى أن تغني فأنشدت هذه الأبيات:

وجـــه لمصـــباح الســـماء مبـــاهي	**يبـــدو الشـــباب عليـــه رشـــح ميـــاه**
رقـــم العـــذار غلالتيـــه بـــأحرف	**معنـــى الهـــوى فـــي طيبهـــا متنـــاهي**
نـــادى عليـــه الحســـن حـــين لقيتـــه	**هـــذا المنمـــنم فـــي طـــراز ا**

فلما فرغت من شعرها قال علي بن بكار لجارية قريبة منه أنشدي أنت أيها الجارية فأخـذت العـود وأنشدت هذه الأبيات:

زمـــن الوصـــال يضـــيق عـــن	**هـــــذا التمـــــادي والـــــدلال**
كـــم مـــن صـــدود متلـــف	**مـــا هكـــذا أهـــل الجمـــال**
فاســـتغنموا وقـــت الســـعود	**بطيـــب ســـاعات الوصـــال**

فلما فرغت من شعرها تنهد علي بن بكار وأرسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكـى وأن وأشتكى أحرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت إلى باب القبة فقام علـي بن بكار وتلقاها وتعانقا وقعا مغشياً عليهما في باب القبة فقام الجواري إليهما وحملنهما وأدخلنهمـا القبـة ورششن عليهما ماء الورد فلما أفاقا لم يجد أبا الحسن وكان قد اختفى في جانب سرير فقالت الصبية أين أبو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل ا أن يقدرني علـى مكافأتـك يـا صـاحب المعروف ثم أقبلت على على بن بكار وقالت له يا سيدي ما بلغ بك الهوى إلى غاية إلا وعندي أمثالها وليس لنا إلا الصبر على ما أصابنا فقال علي بن بكار وا يا سيدتي ليس جمع شملي بك يطيب ولا ينطفي إليك ما عندي من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك في قلبي إلا بذهاب روحي ثم بكى فنزلت دموعه علـى خـده كأنها المطر فلما رأته شمس النهار يبكي بكت لبكائه فقال أبو الحسن وا أني عجبت من أمركما واحتـرت في شأنكما فإن حالكما عجيب وأمركما غريب في هذا البكاء وأنتما مجتمعـان فكيـف يكـون الحـال بعـد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فأشارت شمس النهار إلى جاريـة فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها أنواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامها وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على ابن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا أيديهم وجاءتهم المباخر بأنواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم أطباق من الذهب المنقوش فيهـا مـن أنواع الشراب والفواكه والنقل ما تشتهي إلا نفس وتلذ الأعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيـق مـلآن مـن المدام فاختارت شمس النهار عشر وصائف أوقفتهن عندها وعشر جوار مـن المغنيـات وصـرفت بـاقي الجواري إلى أماكنهن وأمرت بعض الحاضرين من الجواري أن يضربن بالعود ففعلن ما أمرت به وأنشدت واحدة منهن:

بنفســـي مـــن رد التحيـــة ضـــاحكاً	**فجدد بعد اليأس فـي الوصـل مطمعـي**
لقـد أبـرزت سـر الغـرام سـرائري	**وأظهـرت للعـذال مـا بـين أضـلعي**
وحالـت دمـوع العـين بينـي وبينـه	**كـأن دمـوع العـين تعشـقه معـي**

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكأس وشربته ثم ملأته وأعطته لعلي بن بكار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس النهار ملأت الكأس وأعطته لعلي بن بكار ثم أمرت جارية أن تغني فأنشدت هذين البيتين:

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي … فمن مثل الكأس عيني تسكب

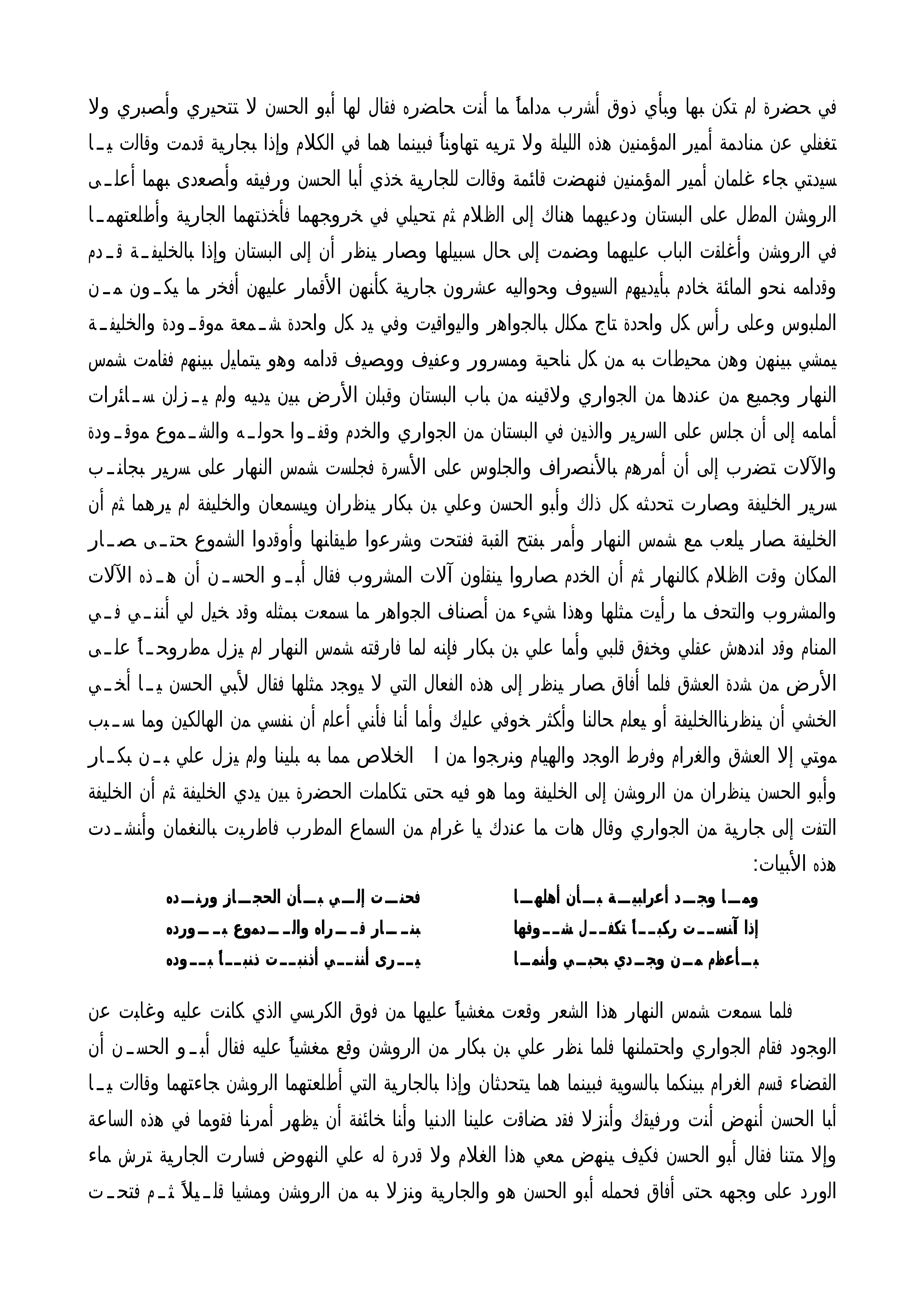
فوا   لا أدري أبالخمر أسبلت … جفوني أم من أدمعي كنت أشرب

فلما فرغت من شعرها شرب علي بن بكار كأسه ورده إلى شمس النهار فملأته وناولته لأبي الحسن فسر به ثم أخذت العود وقالت لا يغني على قدحي غيري ثم شدت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

غرائب الدمع في خديه تضطرب … وجدا ونار الهوى في صدره تتقد

يبكي من القرب خوفاً من تباعدهم … فالدمع أن قربوا جار وإن بعدوا

فلما سمع علي بن بكار وأبو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا أن يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال وإذا بجارية أقبلت وهي ترتعد من الخوف وقالت يا سيدتي قد وصل أمير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور غيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا أن يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردي عليهم الجواب بقدر ما نتحول من هذا المكان ثم أنها أمرت بغلق باب القبة وارخاء الستور على أبوابها وهم فيها وأغلقت باب القاعة ثم خرجت إلى البستان وجلست على سريرها وأمرت جارية أن تكبس رجليها وأمرت بقية الجواري أن يمضين إلى أماكنهن وأمرت الجارية أن تدع الباب مفتوحاً ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبأيديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لأي شيء جئتم فقالوا أن أمير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك أنه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد وأحب أن يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده أو يأتين عندك فقامت وقبلت الأرض وقالت سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ثم أمرت بإحضار القهرمانات والجواري فحضرن وأظهرت لهن أنها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملاً في جميع أموره ثم قالت للخدم أمضوا إلى أمير المؤمنين وأخبروه أنني في انتظاره بعد قليل إلى أن أهيىء له مكاناً بالفرش والأمتعة فمضى الخدم مسرعين إلى أمير المؤمنين ثم أن شمس النهار قلعت ودخلت إلى معشوقها علي بن بكار وضمته إلى صدرها وودعته فبكى بكاء شديداً وقال يا سيدتي هذا الوداع فمتعيني به لعله يكون على تلف نفسي وهلاك روحي في هواك ولكن أسأل ا   أن يرزقني الصبر على ما بلاني به من محبتي فقالت له شمس النهار وا   ما يصير في التلاف إلا أنا فإنك قد تخرج إلى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكونا مصوناً وغرامك مكنوناً وأما أنا فسوف أقع في البلاء خصوصاً وقد وعدت الخليفه بميعاد فربما يلحقني من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي إليك وحبي اك وتعشقي فيك وتأسفي على مفارقتك فبأي لسان أغنى وبأي قلب أحضر عند الخليفة وبأي كلام أنادم أمير المؤمنين وبأي نظر أنظر إلى مكان ما أنت فيه وكيف أكون



في حضرة لم تكن بها وبأي ذوق أشرب مداماً ما أنت حاضره فقال لها أبو الحسن لا تتحيري وأصبري ولا تغفلي عن منادمة أمير المؤمنين هذه الليلة ولا تريه تهاوناً فبينما هما في الكلام وإذا بجارية قدمت وقالت يا سيدتي جاء غلمان أمير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي أبا الحسن ورفيقه وأصعدى بهما أعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك إلى الظلام ثم تحيلي في خروجهما فأخذتهما الجارية وأطلعتهما في الروشن وأغلقت الباب عليهما وضمت إلى حال سبيلها وصار ينظر أن إلى البستان وإذا بالخليفة قدم وقدامه نحو المائة خادم بأيديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كأنهن الأقمار عليهن أفخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشي بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور وعفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت شمس النهار وجميع من عندها من الجواري ولاقينه من باب البستان وقبلن الأرض بين يديه ولم يزلن سائرات أمامه إلى أن جلس على السرير والذين في البستان من الجواري والخدم وقفوا حوله والشموع موقودة والآلات تضرب إلى أن أمرهم بالأنصراف والجلوس على الأسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وأبو الحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم أن الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وأمر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها وأوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم أن الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب فقال أبو الحسن أن هذه الآلات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شيء من أصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لي أنني في المنام وقد اندهش عقلي وخفق قلبي وأما علي بن بكار فإنه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحاً على الأرض من شدة العشق فلما أفاق صار ينظر إلى هذه الفعال التي لا يوجد مثلها فقال لأبي الحسن يا أخي الخشي أن ينظرناالخليفة أو يعلم حالنا وأكثر خوفي عليك وأما أنا فأني أعلم أن نفسي من الهالكين وما سبب موتي إلا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجوا من ا الخلاص مما به بلينا ولم يزل علي بن بكار وأبو الحسن ينظران من الروشن إلى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدي الخليفة ثم أن الخليفة التفت إلى جارية من الجواري وقال هات ما عندك يا غرام من السماع المطرب فاطربت بالنغمان وأنشدت هذه الأبيات:

وما وجد أعرابية بان أهلها   **فحنت إلى بان الحجاز ورنده**

إذا آنست ركباً تكفل شوقها   **بنار قراه والدموع بورده**

بأعظم من وجدي بحبي وإنما   **يرى أنني أذنبت ذنباً بوده**

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشياً عليها من فوق الكرسي الذي كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجواري واحتملنها فلما نظر علي بن بكار من الروشن وقع مغشياً عليه فقال أبو الحسن أن القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان وإذا بالجارية التي أطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا أبا الحسن أنهض أنت ورفيقك وأنزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وأنا خائفة أن يظهر أمرنا فقوما في هذه الساعة وإلا متنا فقال أبو الحسن فكيف ينهض معي هذا الغلام ولا قدرة له علي النهوض فسارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق فحمله أبو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلاً ثم فتحت

الجارية باباً صغيراً من حديد وأخرجت بالحسن هو وعلي بن بكار على مصطبة ثم صفقت الجارية بيدها فجاء زورق فيه أنسان يقذف فاطلعتهما الجارية في الزورق وقالت للذي في الزورق أطلعهما في ذلك البر فلما نزلا في الزورق وفارق البستان نظر علي بن بكار إلى القبة والبستان وودعهما بهذين البيتين:

مددت إلى التوديع كفا ضعيفة	**وأخرى على الرمضاء تحت فؤادي**
فلا كان هذا آخر العهد بيننا	**ولا كان هذا الزاد آخر زادي**

ثم أن الجارية قالت للملاح أسرع بهما فصار يقذف لأجل السرعة والجارية معهم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملاح صار يقذف والجارية معهم إلى أن قطعوا ذلك الجانب وعدوا إلى البر الثاني ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا في البر وقالت لهما كان قصدي أن لا أفارقكما لكنني لا أقدر أن أسير إلى مكان غير هذا الموضع ثم أن الجارية عادت وصار علي بن بكار مطروحاً بين يدي أبي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له أبوالحسن إن هذا المكان غير أمين ونخشى على أنفسنا من التلف في هذا المكان بسبب اللصوص وأولاد الحرام فقام علي بن بكار يتمشى قليلاً وهو لا يستطيع المشي وكان أبو الحسن له في ذلك الجانب أصدقاء فقصد من يثق به ويركن إليه منهم فدق بابه فخرج إليه مسرعاً فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما إلى منزله وأجلسهما وتحدث معهما وسألهما أين كانا فقال له أبو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت وقد أحوجنا إلى هذا الأمر إنسان عاملته في دراهم وبلغني أنه يريد السفر بمالي فخرجت في هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا على بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بلا شيء وشق علينا العودة في هذا الليل ولما نزلنا محلاً غير محاك فجئنا إليك على عوائدك الجميلة فرحب بهما واجتهد في إكرامهما وأقاما عنده بقية ليلتهما فلما أصبح الصباح خرجا من عنده ومازالا يمشيان حتى وصلا إلى المدينة ودخلا وجازا على بيت أبي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار وأدخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلاً ثم أفاقا فأمر أبو الحسن غلمانه أن يفرشوا البيت فرشاً فاخراً ففعلوا ثم أن أبا الحسن قال في نفسه لابد أن أؤانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه فأني أدري بأمره ثم أن علي بن بكار لما أفاق استدعى بماء فحضروا له الماء فقام وتوضأ وصلى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وصار يسلي نفسه بالكلام فلما رأى منه ذلك أبو الحسن تقدم إليه وقال يا سيدي على الأليق بما أنت فيه أن تقيم عندي هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج ما بك من كرب الشوق وتتلاهى معنا فقال علي بن بكار أفعل يا أخي ما بدا لك فإني على كل حال غير ناج مما أصابني فاصنع ما أنت صانع فقام أبو الحسن واستدعي غلمانه وأحضر أصحابه وأرسل إلى أرباب المغاني والآلات فحضروا واقاموا على أكل وشرب وانشراح باقي اليوم إلى المساء ثم أوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المنادمة وطاب لهم الوقت فأخذت المغنية العود وجعلت تقول:

رميت من الزمان بسهم لحظ	**فأضناني وفارقت الحبائب**
وعاندني الزمان وقل صبري	**وأني قبل هذا كنت حاسب**

فلما سمع علي بن بكار كلام المغنية خر مغشياً عليه ولم يزل في غشيته إلى أن طلع الفجر ويئس منه أبو الحسن ولما طلع النهار أفاق وطلب الذهاب إلى بيته فلم يمنعه أبو الحسن خوفاً من عاقه أمره فأتاه غلمانه ببغلة وأركبوه وصار معه أبو الحسن إلى أن أدخله منزله فلما اطمأن في بيته حمد الله أبو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم أن أبا الحسن ودعه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودعه فقال له علي بن بكار يا أخي لا تقطع عني الأخبار فقال سمعاً وطاعة ثم أن أبا الحسن قام من عنده وأتى إلى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى أقبلت إليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر غليها فوجدها خافقة القلب يظهر عليها أثر الكآبة فقال لها أهلاً وسهلاً كيف حال شمس النهار فقالت سوف أخبرك بحالها كيف حال علي بن بكار فأخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الأمر ثم قالت أن حال سيدتي أعجب من ذلك فإنكم لما توجهتم رجعت وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتي مطروحة في القبةلا تتكلم ولا ترد على أحد وأمير المؤمنين جالس عند رأسها لايجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تزل في غشيتها إلى نصف الليل ثم أفاقت فقال لها أمير المؤمنين ما الذي أصابك يا شمس النهار وما الذي أعتراك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت أقدامه وقالت له يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك أنه خامرني خلط فأضرم النار في جسدي فوقعت مغشياً على من شدة ما بي ولا أعلم كيف كان حالي فقال لها الخليفة ما الذي استعملتيه في نهارك قالت أفطرت على شيء لم آكله قط ثم أظهرت القوة وأستدعت بشيء من الشراب فشربته وسألت أمير المؤمنين أن يعود إلى انشراحه فعاد إلى الجلوس في القبة فلما جئت إليها سألتني عن حالكما فأخبرتها بما فعلت معكما وأخبرتها بما أنشده علي بن بكار فسكتت ثم أن أمير المؤمنين جلس وأمر الجارية بالغناء فأنشدت هذين البيتين:

ولم يصف لي شيء من العيش بعدكم	**فيا ليت شعري كيف حالكم بعدي**
يحق لدمعي أن يكون من الدما	**إذا كنتم تبكون دمعاً على بعدي**

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشياً عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأبي الحسن أن سيدتي لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشياً عليها فأمسكت يدها ورششت ماء الورد على وجهها فأفاقت فقلت لها يا سيدتي لا تهتكي نفسك ومن يحويه قصرك بحياة محبوبك أن تصبري فقالت هل في الأمر أكثر من الموت فأنا أطلبه لأن فيه راحتي فبينما نحن في هذا القول إذ غنت جارية بقول الشاعر:

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة	**فقلت وأين الصبر بعد فراقه**
وقد أكد الميثاق بيني وبينه	**بقطع حبال الصبر عند عناقه**

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشياً عليها فنظرها الخليفة فأتى مسرعاً إليها وأمر برفع الشـراب وأن تعود كل جارية إلى مقصورتها وأقام عندها باقي ليلته إلى أن أصبح الصباح فاسـتدعى الأطبـاء وأمـرهم بمعالجتها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام وأقمت عندها حتى ظننت أنها قد أنصلح حالها وهذا الـذي عاقني عن المجيء إليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما أمرتني بالمسير أليكما لآخذ خبر علي بن بكار وأعود إليها فلما سمع أبو الحسن كلامها تعجب وقال لها وا أخبرتك بجميع ما كان من أمره فعـودي إلى سيدتك وسلمي عليها وحثيها على الصبر وقولي لها أكتمي السر وأخبريها أني عرفت أمرها وهـو أمـر صعب يحتاج إلى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وأنصرفت إلى سيدتها هذا ما كان من أمرها (وأما) مـا كان من أمر أبي الحسن فإنه لم يزل في دكانه إلى آخر النهار فلما مضى النهار قام وقفل دكانه وأتى إلى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وأدخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا أبـا الحسن أوحشتني لتخلفك عني في هذا اليوم وروحي متعلقة بك باقي عمري فقال له أبو الحسن دع هذا الكلام فلو أمكن فداءك كنت أفديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتني أنه ما عاقهـا عـن المجيء إلا جلوس الخليفة عند سيدتها وأخبرتني بما كان من أمر سيدتها وحكى له جميع مـا سـمعه مـن الجارية فتأسف على بن بكار غاية الأسف وبكى ثم التفت إلى أبي الحسن وقال له با أن تساعدني علي مـا بليت به وأخبرني ماذا تكون الحيلة وأني أسألك من فضلك المبيت عندي في هذه الليلة لاستأنس بك فامتثـل أبو الحسن أمره وأجابه إلى المبيت عنده وباتا يتحدثان في تلك الليلة ثم أن علي بن بكار بكى وأرسل العبرات وأنشد هذه الأبيات:

حفرت بسـيف اللحـظ ذمـة مغفـري ... وفـرت بـرمح القـد درع تصـبري

فزعت فضرسـت العقيـق بلؤلـؤ ... كـافور فجـر شـق ليـل العنبـري

وتنهـدت جزعـاً فـأثر كفهـا ... سـكنت فرائـده غـدير السـكر

أقـلام مرجـان كتبـن بعنبـر ... فـي صـدرها فنظـرت مـا لـم أنظـر

يا حامل السيف الصقيل إذا رنـت ... بصـحيفة البلـور خمسـة أسـطر

وتوق يـارب القنـاة الطعـن أن ... أيـاك ضـربه جفنهـا المتكسـر

حملـت عليـك مـن القـوام باسـمر

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فظن أبو الحسن أن روحـه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فأفاق وتحدث مع أبي الحسن ولم يزل أبـو الحسـن جالساً عند علي بن بكار إلى ضحوة النهار ثم أنصرف من عنده وجاء إلى دكانه وفتحها وإذا بالجارية جاءته ووقفت عنده فلما نظر إليها أومأت إليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيـف حـال علي بن بكار فقال لها يا جارية لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فإنه لا ينام الليل ولا يسـتريح بالنهار وقد انحله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيباً فقالت له أن سيدتي تسـلم عليـك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال أعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالـت لا تـأتيني إلا بجوابهـا وافعلي ما أمرتك به وها هي الورقة معي فهل لك أن تسير معي إلى علي بن بكار وتأخذ منه الجواب فقـال

لها أبو الحسن سمعاً وطاعة ثم قفل الدكان وأخذ معه الجارية وذهب بها إلى مكان غير الذي جاء منـه ولـم يزالا سائرين حتى وصلا إلى دار علي بن بكار ثم أوقف الجارية على الباب ودخل وأدرك شهرزاد فسـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ذهب بالجارية ودخل البيت فلما رآه علي بن بكار فرح بـه فقال له أبو الحسن سبب مجيء أن فلاناً أرسل غليك جاريته برقعة تتضمن سلامة عليك وذكر فيها أن سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على أدخلوها وأشار لـه أبـو الحسن أنها جارية شمس النهار ففهم الإشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالإشارة كيـف حـال السـيدة شفاها ا وعفاها فقالت بخير ثم أخرجت الورقة ودفعتها له فأخذها وقبلها وقرأها وناولها لأبي الحسن فوجـد مكتوباً فيها هذه الأبيات:

ينبيــك هــذا الرســول عــن خبــري	**فاســتغن فــي ذكــره عــن النظــر**
خلفــت صــبا بحــبكم دنفــا	**وطرفـــه لا يـــزال بالســـهر**
أكابــد الصــبر فــي الــبلاء فمــا	**ينــدفع خلــق موافــع القــدر**
فقــر عينــا فلســت تبعــدي عــن	**قلبــي ولا يــوم غبــت عــن بصــري**
وانظــر إلــى جســمك النحيــل ومــا	**قــد حلـــه واســتدل بـــالأثر**

وبعد فقد كتبت لك كتاباً بغير بنان وأطلقت لك بغير لسان وجملت شرح حالي أن لي يميناً لا يفارقهـا السهر وقلباً لا تبرح عنه الفكر فكأنني قط ما عرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظراً باهياً ولا قطعت عيشاً هنياً وكأنني خلقت من الصبابة ومن ألم الوجد والكآبة فعلى السقام مترادف والغـرام متضـاعف والشـوق متكاسر وسرت كم قال الشاعر:

القلــب منقــبض والفكــر منبســط	**والعــين ســاهرة والجســم متعــوب**
والصــبر منفصــل والهجــر متصــل	**والعقــل مختبــل والقلــب مســلوب**

واعلم أن الشكوى لا تطفيء نار البلوي لكنها تتعال من أعله الاشتياق واتلفه الفراق وأني أتسلى بـذكر لفظ الوصال وما أحسن قول من قال:

إذا لم يكن في الحـب سـخط ولا رضـا	**فـأين حـلاوت الرسـائل والكتـب**

قال أبو الحسن فلما قرأناها هيجت ألفاظها بلا بلى وأصابت معانيها مقاتلي ثم دفعتها إلى الجارية فلمـا أخذتها قال لها علي بن بكار أبلغي سيدتك سلامي وعرفيها بوجدي وغرامي وامتزاج المحبة بلحمي وعظامي وأخبريها أنني محتاج إلى من ينقذني من بحر الهلاك وينجيني من هذا الارتباك ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج أبو الحسن معها ثم ودعها ومضى إلى دكانه وأدرك شهرزاد فسكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودع الجارية ورجع إلى دكانه فلما جلس فيـه وجـد قلبـه انقبض وضاق صدره وتحير في أمره ولم يزل في فكر بقية يومه وليلته وفي اليوم الثاني ذهب إلى علي بن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فأخذ في شكوى الكرام وما به من الوجد والهيام وأنشـد قول الشاعر:

شـــكا ألـــم الغـــرام النـــاس قبلـــي	وروع بـــــالنوى حـــــي وميـــــت
وأمـــا مثـــل مـــا ضـــمت ضـــلوعي	فـــــإني لا ســـــمعت ولا رأيـــــت

فقال أبو الحسن أنا ما رأيت ولا سمعت بمثلك في محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقـد تعلقت بحبيب موافق فكيف إذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان أمرك ينكشف قال أبو الحسن فركن علـي بن بكار إلى كلامي وشكرني على ذلك وكان لي صاحب يطلع على أمري وأمر علي بن بكار ويعلـم أننـا متوافقان ولم يعلم أحد ما بيننا غيره وكان يأتيني فيسألني عن حال علي بن بكار وبعد قليـل يسـألني عـن الجارية فقلت له قد دعته إليها وكان بينه وبينها مالا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من أمرهما ولكن دبـرت لنفسي أمر أريد عرضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال أبو الحسن اعلم أن رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون سبباً لهلاكي وأخذ مالي وهتك عيالي وقد اقتضى رأي أن أجمع مالي وأجهز حالي وأتوجه إلى مدينة البصرة وأقيم بها حتى أنظر ما يكون من أحوالهما بحيـث لا يشعر بي أحد فإن المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال أن الرسول بينهما جاريـة وهـي كاتمة لأسرارهما وأخشى أن يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لأحد فيشيع خبرهما ويؤدي ذلك إلى هلاكي ويكون سبباً لتلفي وليس لي عذر عند الناس فقال له صاحبه قد أخبرتني بخبر خطير يخاف من مثله العاقـل الخبير كفاك ا شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأي هو الصواب فانصرف أبو الحسن إلى منزله وصار يقضي مصالحه ويتجهز للسفر إلى مدينة البصرة فما مضى ثلاثة أيام حتى قضي مصالحه وسافر إلى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له أنه توجه من مدة ثلاثة أيام إلى البصرة لأن له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب أرباب الديون وعن قريب يأتي فاحتار الرجل في أمره وصار لا يدري أين يذهب وقال يا ليتي لم أفارق أبا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها إلى علي بـن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لي سيدك لأدخل اسلم عليه فدخل الغلام وأخبر سيده به ثم عـاد إليه واذن له الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب بهـن ثـم أن الرجل اعتذر إليه في تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدي أن بيني وبين أبي الحسن صداقه وأنـي كنـت أودعه أسراري ولا انقطع عنه ساعة فغبت في بعض المصالح مع جماعة من أصحابي مدة ثلاثة أيـام ثـم جئت إليه فوجدت دكانه مقفلة فسألت عنه الجيران فقالوا أنه توجه إلى البصرة ولم أعلم له صديقاً أوفى منك فبا أن تخبرني بخبره فلما سمع علي بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وأن كان الأمر كما ذكرت فقد حصل لي التعب ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

قـــد كنـــت مـــا فـــات مـــن فـــرح	وأهـــل ودي جميعـــاً غيـــر أشـــتات

**واليوم فرق ما بيني وبينهم		دهري فأبكى على أهل المودات**

ثم أن علي بن بكار أطرق رأسه إلى الأرض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه إلى خادم له وقال له امض إلى دار أبي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم أو مسافر فإن قالوا سافر فاسأل إلى أي ناحية توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم أقبل إلى سيده وقال إني لما سألت عن أبي الحسن أخبرني أتباعه أنه سافر إلى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتني عرفتني ولم أعرفها وقالت لي هل أنت غلام علي بن بكار فقلت لها نعم فقالت أني معي رسالة إليه من عند أعز الناس عليه فجاءت معي وهي واقفة على الباب فقال علي بن بكار أدخلها فطلع الغلام إليها وأدخلها فنظر الرجل الذي عند علي بن بكار إلى الجارية فوجدها ظريفة ثم أن الجارية تقدمت إلى علي بن بكار وسلمت عليه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما دخلت على علي بن بكار تقدمت إليه وسلمت عليه وتحدثت معه سراً وصار يقسم في أثناء الكلام ويحلف أنه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجل صاحب أبي الحسن جواهرجياً فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلاً فقال لعلي بن بكار لاشك ولا ريب أن لدار الخلافة عليك مطالبة أو بينك وبينها معاملة فقال ومن أعلمك بذلك فقال معرفتي بهذه الجارية لأنها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها أنها تشتهي عقد جوهر فأرسلت إليها عقداً ثميناً فلما سمع علي بن بكار كلامه اضطرب حتى غشي عليه ثم التف راجع نفسه وقال يا أخي سألتك با من أين تعرفها فقال له الجواهرجي دع الألحاح في السؤال فقال له علي بن بكار لا أرجع عنك إلا إذا أخبرتني بالصحيح فقال له الجواهرجي أنا اخبرك بحيث لا يدخلك مني وهم ولا يعتريك من كلامي انقباض ولا أخفى عنك سراً وأبين لك حقيقة الأمر ولكن بشرط أن تخبرني بحقيقة حالك وسبب مرضك فأخبره بخبره ثم قال وا يا أخي ما حملني على كتمان أمري من غيرك إلا مخافة إن الناس تكشف أستار بعضها فقال الجواهرجي لعلي بن بكار وأنا ما أردت اجتماعي بك إلا لشدة محبتي لك وغيرتي عليك وشفقتي على قلبك من ألم الفراق عسى أن أكون لك مؤنساً نيابة عن صديقي أبو الحسن مدة غيبته فطب نفساً وقر عيناً فشكره علي بن بكار على ذلك وأنشد هذين البيتين:

**ولو قلت أني صابر بعده		لكذبني دموع وفرط نحيبي**

**وكيف أداري مدمعاً جريانه		على صحن خدي من فراق حبيبي**

ثم أن علي بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجواهرجي أتدري ما أمرتني به الجارية فقال لا وا يا سيدي فقال أنها زعمت أني أشرت علي أبي الحسن بالمسير إلى مدينة البصرة وأنني دبرت بذلك حيلة لأجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها أن ذلك لم يكن فلم تصدقني ومضت إلى سيدتها وهي على ما هي عليه من سوء الظن لأنها كانت تصغي إلى أبي الحسن فقال الجواهرجي يا أخي إني فهمت من حال هذه الجارية هذا الأمر ولكن إن شاء ا تعالى أكون عوناً لك على مرادك فقال له علي بن بكار وكيف تعمل معها وهي تنفر كوحش الفلاة فقال له لابد أن أبذل جهدي في مساعدتك واحتيالي في التوصل إليها من

غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن في الانصراف فقال له علي بن بكار يا أخي عليك بكتمان السـر ثـم نظر إليه وبكى فودعه وانصرف. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي ودعه وانصرف وهو لا يدري كيف يعمل فـي إسـعاف علي بن بكار ومازال ماشياً وهو متفكر في أمره إذ رأى ورقة مطروحة في الطريق فأخذها ونظر عنوانهـا وقرأها فإذا هي من المحب الأصغر إلى الحبيب الأكبر ففتح الورقة فرأى مكتوباً فيها هذان البيتان.

جاء الرسـول بوصـل منـك يطمعنـي — وكـان أكثـر ظنـي أنـه وهمـا

فمـا فرحـت ولكـن زادنـي حزنـا — علمي بـأن رسـولي لـم يكـن فيهمـا

وبعد فاعلم يا سيدي أنني لم أدر ما سبب قطع المراسلة بيني وبينك فإن يكن صدر منك الجفـاء فأنـا أقابله بالوفاء وأن يكن ذهب منك الوداد فأنا أحفظ الود على البعاد فأنا معك كما قال الشاعر:

به احتمـل وأسـتطل أصـبر وعـزاهن — وول اقبـل وقـل اسـمع ومـر أطـع

فلما قرأها إذا بالجارية أقبلت تتلفت يميناً وشمالاً فرأت الورقة في يده فقالت يا سيدي أن هذه الورقـة وقعت مني فلم يرد عليها جواباً ومشى ومشت الجارية خلفه إلى أن أقبل على داود ودخل والجاريـة خلفـه فقالت له يا سيدي رد لي هذه الورقة فإنها سقطت مني فالتفت إليها وقال يا جارية لا تخافي ولا تحزني ولكن أخبريني بالخبر على وجه الصدق فإني كتوم للإسرار وأحلفك يميناً أنك لا تخفي عني شيئاً من أمر سـيدتك فعسى ا أن يعينني على قضاء أعراضك ويسهل الأمور والصعاب على يدي فلما سمعت الجاريـة كلامـه قالت يا سيدي ما ضاع سر أنت حافظه ولا خاب أمر أنت تسعى في قضائه اعلم أن قلبي مـال إليـك فأنـا أخبرك بحقيقة الأمر لتعطيني الورقة ثم أخبرته بالخبر كله وقالت وا لعلى ما أقول شهيد فقال لها صـدقت فإن عندي علم بأصل الخبر ثم حدثها بحديث علي بن بكار وكيف أخذ ضميره وأخبرها بالخبر من أوله إلـى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على أنها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وجميع ما يحصـل ترجـع إليه وتخبره به فأعطاها الورقة فأخذتها وختمتها كما كانت وقالت أن سيدتي شمس النهار أعطتها إلى مختومة فإذا قرأها ورد لي جوابها أتيتك به ثم أن الجارية ودعته وتوجهت إلى علي بن بكار فوجدته فـي الانتظـار فأعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة رد الجواب وأعطاها لها فأخذتها ورجعت بها إلى الجواهرجي حسب الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوباً فيها:

أن الرسـول الـذي كانـت رسـائلنا — مكتومـة عنـده ضـاقت وقـد غضـبا

فاستخلصـوا لـي رسـولاً مـنكم ثقـة — يستحسن الصـدق لا يستحسـن الكـذبا

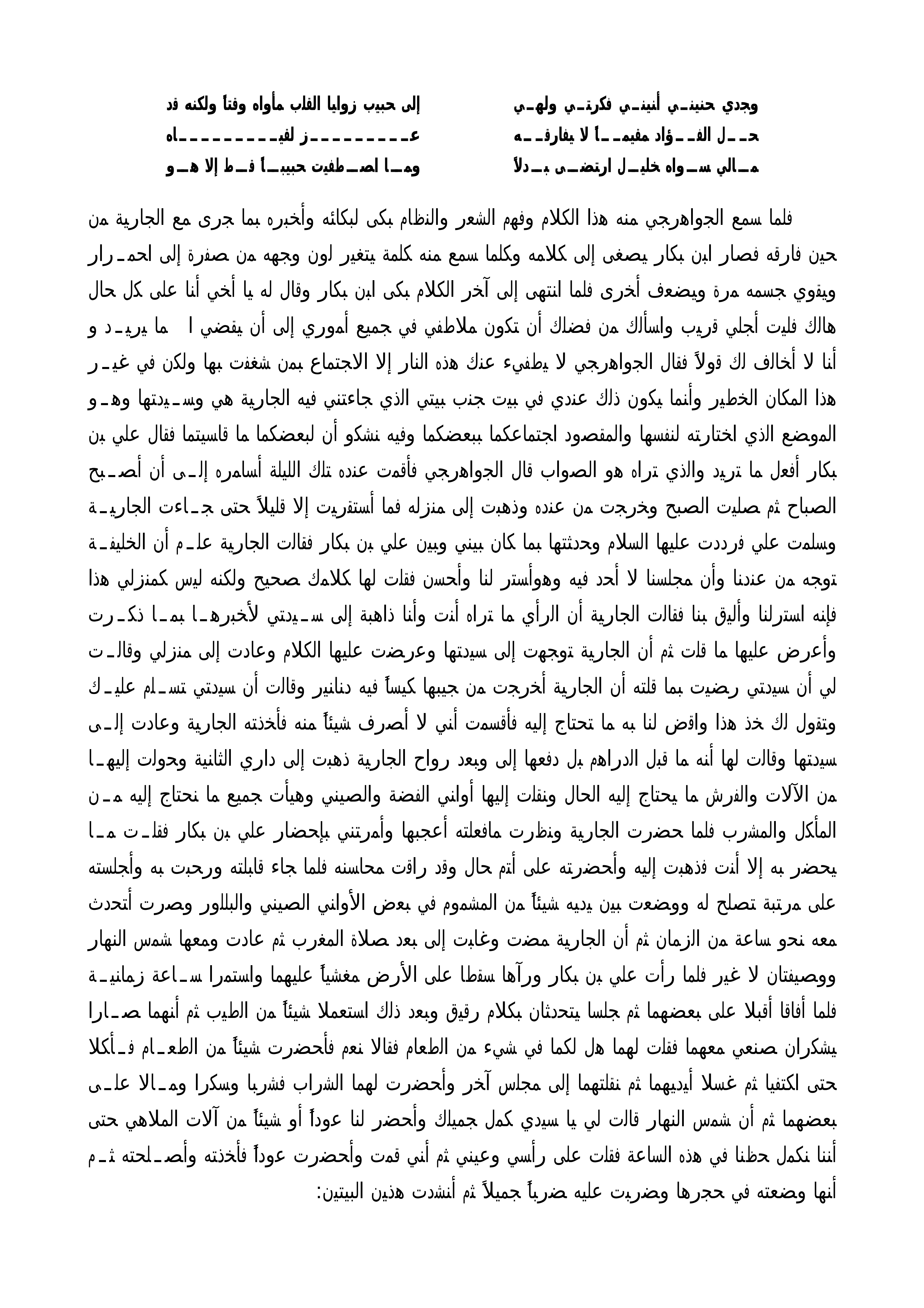
وبعد فإني لم يصدر مني جفاء ولا تركت وفاء ولا نقضت عهداً ولا قطعت ودا ولا فارقت أسـفاً ولا لقيت بعد الفراق إلا تلفاً ولا علمت أصلاً بما ذكرتم ولا أحب غير ما أحببتم وحق عالم السر والنجـوى مـا قصدي غير الاجتماع بمن أهوى وشأني كتمان الغرام وأن أمرضني السقام وهذا شرح حالي والسلام فلما قرأ الجواهرجي هذه الورقة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم أن الجارية قالت له لا تخرج من هذا المكان حتى

أعود إليك لأنه قد أتهمني بأمر من الأمور وهو معذور وأنا أريد أن أجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار بأي حيلة فإني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني رد الجواب ثم أن الجارية مضت إلى سيدتها ولم تغب قليلاً وعادت إلى الجواهرجي وقالت له أحذر أن يكون عندك جارية أو غلام فقال ما عندي غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمني فقامت الجارية وأغلقت الأبواب بين جارية الجواهرجي وبينه وصرفت غلمانه إلى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجواهرجي فعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجواهرجي نهض قائماً ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لا تتكلم حتى استراحت ثم كشفت وجهها فخيل للجواهرجي أن الشمس أشرقت في منزله ثم قالت لجاريتها أهذا الرجل الذي قالت لي عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت إلى الجواهرجي وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت أنك حملتنا المسير إليك وأن نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن أهله وعياله فأخبرها بجميع أحواله وقال لها أن لي داراً غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالأصحاب والأخوان ليس لي فيها إلا ما ذكرته لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة فأخبرها بما سألته عنه من أول الأمر إلى آخره فتأوهت على فراق أبي الحسن وقالت يا فلان اعلم أن أرواح الناس متلائمة في الشهوات والناس بالناس ولا يتم عمل إلا بقول ولا يتم غرض إلا بمعين ولا تحصل راحة إلا بعد تعب. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس النهار قالت للجواهرجي لا تحصل راحة إلا بعد تعب ولا يظهر نجاح إلا من ذوي مروءة وقد أطلعتك الآن على أمرنا وصار بيدك هتكنا ولا زيادة لما أنت عليه من المروءة فأنت قد علمت أن جاريتي هذه كاتمة لسري وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندي وقد اختصصتها بمهمات أموري فلا يكن عندك أعز منها وأطلعها على أمرك وطب نفساً فأنت آمن مما تخافه من جهتنا ومما يسد عليك موضع إلا وتفتحه لك وهي تأتيك من عندي بأخبار علي بن بكار وتكون أنت الواسطة في التبليغ بيني وبينه ثم أن شمس النهار قامت وهي لا تستطيع القيام ومشت فتمشي بين يديها الجواهرجي حتى وصلت إلى باب الدار ثم رجع وقعد في موضعه بعد أن نظر من حسنها ما بهره وسمع من كلامها ما حير عقله وشاهد من ظرفها وأدبها ما أدهشه ثم استمر يتفكر في شمائلها حتى سكنت نفسه وطلب الطعام فأكل ما يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من دياره وتوجه إلى علي بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يديه إلى أن وصلوا إلى سيدهم فوجدوه ملقى على فراشه فلما رأى الجواهرجي قال له ابطأت على فزدتني هما على همي ثم صرف غلمانه وأمر بغلاق أبوابه وقال له والله ما غمضت عيني من يوم ما فارقتني فإن الجارية جاءتني بالأمس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال لقد تحيرت في أمري وقل صبري وكان لي أبو الحسن أنيساً لأنه يعرف الجارية فلما سمع الجواهرجي كلام ابن بكار ضحك فقال له كيف تضحك من كلامي وقد استبشرت بك وأخذتك عدة للنائبات ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

رضاحك من بكائي حين أبصرني	**لو كان قاسي الذي قاسيت أبكاه**
لم يرث للمبتلى مما يكابده	**الأشجج منه قد طال بلواه**



وجدي حنينـي أنينـي فكرتـي ولهـي — إلى حبيب زوايا القلب مأواه وقتاً ولكنه قد
حـل الفـؤاد مقيمـاً لا يفارقـه — عـــــــــز لقيـــــــــاه
مـالي سـواه خليـل ارتضـى بـدلاً — ومـا اصـطفيت حبيبـاً قـط إلا هـو

فلما سمع الجواهرجي منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه وأخبره بما جرى مع الجارية من حين فارقه فصار ابن بكار يصغى إلى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة إلى احمـرار ويقوي جسمه مرة ويضعف أخرى فلما انتهى إلى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا أخي أنا على كل حال هالك فليت أجلي قريب واسألك من فضلك أن تكون ملاطفي في جميع أموري إلى أن يقضي ا ما يريـد و أنا لا أخالف لك قولاً فقال الجواهرجي لا يطفيء عنك هذه النار إلا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن في غيـر هذا المكان الخطير وأنما يكون ذلك عندي في بيت جنب بيتي الذي جاءتني فيه الجارية هي وسـيدتها وهـو الموضع الذي اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما ببعضكما وفيه نشكو أن لبعضكما ما قاسيتما فقال علي بن بكار أفعل ما تريد والذي تراه هو الصواب قال الجواهرجي فأقمت عنده تلك الليلة أسامره إلـى أن أصـبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت إلى منزله فما أستقريت إلا قليلاً حتى جـاءت الجاريـة وسلمت علي فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بيني وبين علي بن بكار فقالت الجارية علـم أن الخليفـة توجه من عندنا وأن مجلسنا لا أحد فيه وهوأستر لنا وأحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلي هذا فإنه استرلنا وأليق بنا فقالت الجارية أن الرأي ما تراه أنت وأنا ذاهبة إلى سـيدتي لأخبرهـا بمـا ذكـرت وأعرض عليها ما قلت ثم أن الجارية توجهت إلى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت إلى منزلي وقالـت لي أن سيدتي رضيت بما قلته أن الجارية أخرجت من جيبها كيساً فيه دنانير وقالت أن سيدتي تسـلم عليـك وتقول لك خذ هذا واقض لنا به ما تحتاج إليه فأقسمت أني لا أصرف شيئاً منه فأخذته الجارية وعادت إلـى سيدتها وقالت لها أنه ما قبل الدراهم بل دفعها إلى وبعد رواح الجارية ذهبت إلى داري الثانية وحولت إليهـا من الآلات والفرش ما يحتاج إليه الحال ونقلت إليها أواني الفضة والصيني وهيأت جميع ما نحتاج إليه مـن المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت مافعلته أعجبها وأمرتني بإحضار علي بن بكار فقالـت مـا يحضر به إلا أنت فذهبت إليه وأحضرته على أتم حال وقد راقت محاسنه فلما جاء قابلته ورحبت به وأجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيئاً من المشموم في بعض الأواني الصيني والبللور وصرت أتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم أن الجارية مضت وغابت إلى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت علي بن بكار ورآها سقطا على الأرض مغشياً عليهما واستمرا سـاعة زمانيـة فلما أفاقا أقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد ذلك استعملا شيئاً من الطيب ثم أنهما صـارا يشكران صنعي معهما فقلت لهما هل لكما في شيء من الطعام فقالا نعم فأحضرت شيئاً من الطعـام فـأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم نقلتهما إلى مجلس آخر وأحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومـالا علـى بعضهما ثم أن شمس النهار قالت لي يا سيدي كمل جميلك وأحضر لنا عوداً أو شيئاً من آلات الملاهي حتى أننا نكمل حظنا في هذه الساعة فقلت على رأسي وعيني ثم أني قمت وأحضرت عوداً فأخذته وأصـلحته ثـم أنها وضعته في حجرها وضربت عليه ضرباً جميلاً ثم أنشدت هذين البيتين:

أرقــت حتــى كــأني أعشــق الارقــا	وذبت حتــى تــراءى السـقم لــي خلقــا
وفــاض دمعــي علــى خــدي فأحرقــه	يا ليت شــعري هــل بعــد الفــراق لقــا

ثم أنها أخذت في غناء الأشعار حتى حيرت الأفكار بأصوات مختلفات وإشارات رائقات وكاد المجلس أن يطيره من شدة الطرب لما أتت فيه من مغانيها بالعجب ثم قال الجواهرجي ولما استقر بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤوس أطربت الجارية بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

وعــد الحبيــب بوصــله ووفــى لــي	فــــي ليلــــة ســـــاعدها بليــــالي
يــا ليلــة ســمح الزمــان لنــا بهــا	فــــي غفلــــة الواشــــين والعــــذال
بــــات الحبيــــب يضــــمني بيمينــــه	فضــــممته مــــن فرحــــي بشــــمالي
عانقتــــه ورشـــفت خمــــرة ريقــــه	وحظيــــت بالمعســــول والعســــال

ثم أن الجواهرجي تركهما في تلك الدار وانصرف إلى دار سكناه وبات فيها إلى الصباح ولما أصـبح الصبح صلى فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر في المسير إليهما في داره الثانية فبينما هو جـالس أذ دخـل عليه جاره وهو مرعوب وقال يا أخي ما هان على الذي جرى لك الليلة في دارك الثانية فقلت له يـا أخـي وأي شيء جرى فأخبرني بما حصل في داري فقال له أن اللصوص الذين جاءوا جيراننا بالأمس وقتلوا فلاناً وأخذوا ماله قد رأوك بالأمس وأنت تنقل حوائجك إلى دارك الثانية فجاءوا إليها ليلاً وأخذوا ما عندك وقتلـوا ضيوفك قال الجواهرجي فقمت أنا وجاري وتوجهنا إلى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شيء فتحيرت في أمري وقلت أما الأمتعة فلا أبالي بضياعها وأن كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابي وضـاعت فـلا بأس بذلك لأنهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري وأما علي بن بكار ومحظية أمير المؤمنين فأخشـى أن يشتهر الأمر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحي ثم أن الجواهرجي التفت إلى جاره وقال له أنت أخـي وجاري وتستر عورتي فما الذي تشير به على من الأمور فقال الرجل للجواهرجي الذي أشير به عليـك أن تتربص فإن الذين دخلوا دارك وأخذوا متاعك قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة مـن دار صاحب الشرطة وأعوان الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك بغير سـعي منك فلما سمع الجواهرجي هذا الكلام رجع إلى داره التي هو ساكن بها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي لما سمع هذا الكلام رجع إلى داره التي هو سـاكن بهـا وقال في نفسه أن الذي حصل لي هو الذي خاف منه أبو الحسن وذهب إلى البصرة وقد وقعت فيـه ثـم أن نهب داره اشتهر عند الناس فأقبلوا إليه من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت ومنهم من هو حامل همـه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاماً ولم يشرب شراباً فبينما هو جالس متندم وإذا بغلام من غلمانه دخـل عليـه وقال له أن شخصاً بالباب يدعوك لم أعرفه فخرج إليه الجواهرجي وسلم عليه فوجده إنساناً لم يعرفه فقال له الرجل أن لي حديثاً بيني وبينك فأدخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل أمض معي إلى دارك الثانية فقال الجواهرجي وهل تعرف داري الثانية فقال أن جميع خبرك عندي وعندي أيضاً يفرج الله به همك

فقلت في نفسي أنا أمضي معه حيث أراد ثم توجهت إلى أن أتينا الدار فلما رآها الرجل قال أنها بغير بـواب ولا يمكن القعود فيها فامض معي إلى غيرها فلم يزل الرجل يدور بي من مكان إلى مكان وأنا معـه حتـى دخل علينا الليل ولم اسأله عن أمر من الأمور ثم أنه لم يزل يمشي وأنا أمشي معه حتى خرجنا إلى الفضـاء وهو يقول اتبعني وصار يهرول في مشيه وأنا أهرول وراءه حتى وصلنا إلى البحر فطلع بنـا فـي زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا إلى البر الثاني فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم أنه أخذ بيدي ونزل بي في درب لم أدخله طول عمري ولم أعلم هو في أي ناحية ثم أن الرجل وقف على باب دار وفتحها دخل وأدخلني معه وأغلق بابها بقليل من حديد ثم مشى بي في دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كأنهم رجل واحد وهم أخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم أمروني بالجلوس فجلست وكنت ضـعفت من شدة التعب فجاؤني بماء ورد ورشوه على وجهي وسقوني شراباً وقدموا لي طعاماً فقلت لـو كـان فـي الطعام شيئاً مضراً ما أكلوا معي فلما غسلنا أيدينا عاد كل منا إلى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمري عرفت موضعكم بل ولا أعرف من جاء بي إليكم فقالوا أطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلـت لهـم أعلموا أن حالي عجيب وأمري غريب فهل عندكم شيء من خبري قالوا نعم نحن الذين أخذنا أمتعتـك فـي الليلة الماضية وأخذنا صديقك والتي كانت تغني فقلت لهم أسبل ا عليكم ستره اين صديقي هو والتي كانـت تغني فأشاروا إلي بأيديهم إلى ناحية وقالوا ههنا ولكن يا أخي ما ظهر على سرهما أحد منا ومن حين أتينـا بهما لم نجتمع عليهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذي منعنـا عـن قتلهما فأخبرنا عن حقيقة أمرهما وأنت في أمان على نفسك وعليهما قال الجواهرجي فلما سمعت هذا الكلام.
وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال لما سمعت هذا الكلام كدت أن أهلـك مـن الخـوف والفزع وقلت لهم أعلموا أن المرأة إذا ضاعت لا توجد إلا عندكم وإذا كان عندي سراً خاف أفشاءه فلا يخفيه إلا صدوركم وصرت أبالغ في هذا المعنى ثم أن وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت إلى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه شـمس النهار فقلت لهم نعم فذهبوا إليهما واعتذروا لهما ثم قالوا لي أن الذي أخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا مـا بقى منه ثم ردوا إلى أكثر الأمتعة والتزموا أنهم يعيدوها إلى محلها في داري ويردون إلى البـاقي ولكـنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من أمري (وأما) ما كان من أمـر علي بن بكار وشمس النهار فأنهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت إلى علي بن بكـار وشـمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين وأين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولـم نزل سائرين إلى أن أنتهينا إلى المكان الذي فيه الزورق فاطلعونا فيه وإذا هو الزورق الذي عدينا بـالأمس فقذف بنا الملاح حتى أوصلنا إلى البر الثاني فانزلونا فما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتـى جـاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلاً كالعقبان فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وسار بهم في البحر وبقيت أنا وعلي بن بكار وشمس النهار على شاطيء البحر لا نستطيع حركة ولا سـكوناً فقـال لنـا

الخيالة من أين أنتم بتحيرنا في الجواب قال الجواهرجي فقلت لهم أن الذين رأيتموهم لا نعرفهم وأنما رأيناهم ههنا وأما نحن فمغنون فأرادوا أخذنا لنغني لهم فما تخلصنا منهم إلا بالحيلة ولين الكلام فأفرجوا عنا في هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من أمرهم فنظر الخيالة إلى شمس النهار وإلى علي بن بكار ثم قالوا لي لست صادقاً فأخبرنا من أنتم ومن أين أتيتم وما موضعكم وفي أي الحارات أنتم ساكنون قال الجواهرجي فلم أدر ما أقول فوثبت شمس النهار وتقدمت إلى مقدم الخيالة وتحدثت معه سراً فنزل من فوق جواده وأركبها عليه وأخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلي بن بكار وفعل بي أيضاً ثم أن مقدم الخيالة لم يزل سائراً بنا إلى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فأقبل إلى جماعة من البرية فأطلعنا المقدم في زورق وأطلع أصحابه في زورق آخر وقذفوا بنا إلى أن انتهينا إلى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف فدخلت شمس النهار وأما نحن فرجعنا ولم نزل سائرين إلى أن انتهينا إلى المحل الذي نتوصل منه إلى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من خيالة يؤانسوننا إلى أن دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا إلى حال سبيلهم وأما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر أن نتحرك من مكاننا ولا ندري الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة إلى أن أصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط علي بن بكار مغشياً عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاءني بعض أهله وقالوا حدثنا بما جرى لولدنا وأخبرنا بسبب الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال لا تفعلوا بي مكروهاً وأصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بيني وبينهم فبينما نحن كذلك وإذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح أهله وانصرف الناس عنه ومنعني أهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما أفاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جواباً بسرعة ثم أشار إليهم أن يطلقوني لأذهب إلى منزلي فأطلقوني فخرجت فلما أردت المسير رأيت أمرأة واقفة فتأملتها وإذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع وسرت كلما انظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى أحدثك بشيء وأنا لم ألتفت إليها ولم أزل سائر إلى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي أدخل هذا المسجد لأقول لك كلمة ولا تخف من شيء وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصليت ركعتين ثم تقدمت إليها وأنا أتأوه وقلت لها ما نالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي وأخبرتها بما جرى لعلي بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم أني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت أن يكونوا من عند الخليفة فيأخذوني أنا وسيدتي فنهلك من وقتنا فهربت من السطوح أنا والوصيفتان ورمينا أنفسنا من مكان عالي ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا إلى قصر الخلافة ونحن على أقبح صفة ثم أخفينا أمرنا وصرنا نتقلب على الجمر إلى أن جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت الملاح الذي أخرجنا تلك الليلة وقلت له أن سيدتي لم نعلم لها خبراً فاحملني في الزورق حتى أفتش عليها في البحر لعلي أقع على خبرها فحملني في الزورق وسار بي ولم أزل سائرة في البحر حتى

انتصف الليل فرأيت زورقا أقبل إلى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ومازال يقذف حتى وصل إلى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فإذا هي شمس النهار فنزلت إليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعدما قطعت الرجاء منها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجواهرجي فنزلت إليها وقد اندهشت من الفرح فلما تقدمت بين يديها أمرتني أن أدفع إلى الرجل الذي جاء بها ألف دينار ثم حملتها أنا والوصيفتان إلى أن ألقيناها على فراشها فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما أصبح الصباح منعت الجواري والخدم من الدخول عليها والوصول إليها ذلك اليوم وفي ثاني يوم أفاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم أزل ألاطفها حتى أطعمتها شيئاً من الطعام وأسقيتها شيئاً من الأشربة وهي ليس لها قابلية في شيء من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت إليها العافية قلت لها يا سيدتي أرفقي بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فإنك قد أشرفت على الهلاك فقالت وا يا جارية لالخير أن الموت عندي أهون مما جرى لي فإنني كنت مقتولة لا محالة لأن اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجواهرجي سألوني وقالوا من أنت وما شأنك فقلت أنا جارية من المغنيات فصدقوني ثم سألوا علي ابن بكار عن نفسه وقالوا من أنت وما شأنك فقال أنا من عوام الناس فأخذونا وسرنا معهم إلى أن انتهوا بنا إلى موضعهم ونحن نسرع في السير معهم من شدة الخوف فلما استقروا بنا في أماكنهم تأملوني ونظروا ما على من الملبوس والعقود والجواهر فأنكروا أمري وقالوا أن هذه العقود لا تكون لواحدة من المغنيات ثم قالوا أصدقينا وقولي لنا الحق وما قضيتك فلم أرد عليهم جواباً بشيء وقلت في نفسي الآن يقتلونني لأجل ما على من الحلي والحلل فلم أنطق بكلمة ثم التفتوا إلى علي بن بكار وقالوا له من أين أنت فإن رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم أمرنا ونبكي فحنن ا علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلأن الجواهرجي فقال واحد منهم أنا أعرفه حق المعرفة وأعرف أنه ساكن في داره الثانية وعلى أن آتيكم به في هذه الساعة واتفقوا على أن يجعلوني في موضع وحدي وعلي بن بكار في موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا أن ينكشف خبركما وأنتما في أمان منا ثم أن صاحبهما مضى إلى الجواهرجي وأتى به وكشف أمرنا لهم واجتمعنا عليه ثم أن رجلاً منهم أحضر لنا زورقاً وأطلعونا فيه وعدوا بنا إلى الجانب الثاني ورمونا إلى البر وذهبوا فأتت خيالة من أصحاب العسس وقالوا من تكونون فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له أنا شمس النهار محظية الخليفة وقد سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاءني اللصوص وأخذوني وأوصلوني إلى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وأنا قادرة على مكافأتك فلما سمع كلامي مقدم الخيالة عرفني ونزل عن مركوبه وأركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجواهرجي وفي كبدي الآن من أجلهما لهيب النار لا سيما الجواهرجي رفيق ابن بكار فأمض إليه وسلمي عليه واستخبريه عن علي بن بكار فلمتها على ما وقع منها وحذرتها وقلت لها يا سيدتي خافي على نفسك فصاحت علي وغضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت فلم أجدك وخشيت من الرواح إلى ابن بكار فصرت واقفة أترقبك حتى أسألك عنه واعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك أن تأخذ مني شيئاً من

المال فإنك ربما استعرت أمتعة من أصحابك وضاعت عليك فتحتاج أن تعوض على الناس ما ذهب لهم مـن الأمتعة قال الجواهرجي فقلت سمعاً وطاعة ثم مشيت معها إلى أن أتينا إلى قرب محلي فقالت لي قـف هنـا حتى أعود إليك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية مضت ثم عادت وهي حاملة المال فأعطته للجواهرجي وقالت له يا سيدي أنجتمع بك في أي محل قال الجواهرجي فقلت لها أتوجه إلى داري في هـذه السـاعة وأتحمـل الصعوبة لأجل خاطرك وأتدبر فيما يوصلك إليه فإنه يتعذر الوصول إليه في هذا الوقت ثم ودعتني ومضـت فحملت المال وأتيت به إلى منزلي وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فأعطيت أهلي منه شيئاً ومن كان له عندي شيء أعطيته عوضاً منه ثم أني أخذت غلماني وذهبت إلى الدار التي ضاعت منها الأمتعة وجئـت بالنجارين والبنائين فأعادوها إلى ما كانت عليه وجعلت جاريتي فيها ونسيت ما جرى لي ثم تمشيت إلى دار بن بكار فلما وصلت إليها أقبل غلمانه علي وقال لي واحد منهم أن غلمان سيدي في طلبك ليلاً ونهاراً وقـد وعدهم أن كل من أتاه بك بعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعاً وقد رجعت إلى سيدي عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد أن نحضروه لحظة لي ويعود إلى حـال سـبيله قـال الجواهرجي فمضيت مع الغلام إلى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيـه فلما رآني قال اعلم أن لكل شيء نهاية ونهاية الهوى الموت أو الوصال وأنا إلى الموت أقرب فيا ليتني مـت من قبل الذي جري ولولا أن ا لطف بنا لا فتضحنا ولا أدري ما الذي يوصلني إلى الخلاص مما أنـا فيـه ولولا خوفي من ا تعالى لعجلت على نفسي بالهلاك واعلم يا أخي أنني كالطير في القفص وأن نفسي هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم وأجل محتوم ثم أفض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

شـكا ألـم الفـراق النـاس قبلـي ... وروع بـالنوى حـي وميـت

وأمـا مثـل ماضـمت ضـلوعي ... فـإني مـا سـمعت ولا رأيـت

فلما فرغ من شعره قال له الجواهرجي يا سيدي اعلم أني عزمت على الذهاب إلى داري فلعل الجارية ترجع إلى بخبر فقال علي بن بكار لا بأس بذلك ولكن أسرع بالعودة عندنا لأجل أن تخبرني قال الجواهرجي فودعته وأنصرفت إلى داري فلم يستقر بي الجلوس حتى رأيت الجارية أقبلت وهي في بكاء ونحيب فقلت لها ما سبب ذلك فقالت يا سيدي اعلم أنه حل بنا ما حل من أمر نخافه فأني لما مضيت من عندك بالأمس وجدت سيدتي مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وأمرت بضربها فخافت مـن سـيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب وأراد ردها إلى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فأخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر إلى الخليفة فأمر بنقل سيدتي شمس النهار وجميع ما لهـا إلـى دار الخلافـة ووكل بها عشرين خادماً ولم اجتمع بها إلى الآن ولم أعلمها بالسبب وتوهمت أنه بسبب ذلك فخشـيت علـى نفسي واحترت يا سيدي ولم أدر كيف احتال في أمري وأمرها ولم يكن عندها أحفظ لكتمان السر مني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجواهرجي توجه يا سيدي إلى علي بن بكـار سـريعاً وأخبره بذلك لأجل أن يكون على أهبة فإذا انكشف الأمر نتدبر في شيء نفعله لنجاة أنفسنا قال الجـواهرجي فأخذني من ذلك هم عظيم وسار الكون في وجهي ظلاماً من كلام الجارية وهمت الجارية بالانصراف فقلـت لها وما الرأي فقالت لي الرأي أن تبادر إلى علي بن بكار إن كان صديقك وتريد له النجاة وأنت عليك تبليـغ هذا الخبر له بسرعة وأنا على أن أتقيد باستنشاق الأخبار ثم ودعتني وخرجت فلما خرجت الجاريـة قمـت وخرجت في أثرها وتوجهت إلى علي بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحـال فلمـا رآنـي رجعت إليه عاجلاً قال لي أني أراك رجعت إلى في الحال فقلت له أقصر من التعلق بالطال ودع ما أنت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يقضي إلى تلف نفسك وما لك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانـزعج وقـال للجواهرجي يا أخي أخبرني بما وقع فقال له الجواهرجي يا سيدي اعلم أنه قد جرى ما هو كذا وكذا وأنك أن أقمت في دارك هذه إلى آخر النهار فأنت تالف لا محالة فبهت علي بن بكار وكادت روحه أن تفارق جسـده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا نفعل يا أخي وما عندي من الرأي قال الجواهرجي فقلت له الرأي أن تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق به وأن تمضي بنا إلى ديار غير هذه قبل أن ينقضـي هـذا النهار فقال سمعاً وطاعة ثم وثب وهو متحير في أمره فتارة يمشي وتارة يقع وأخذ ما قدر عليه واعتذر إلى أهله وأوصاهم بمقصوده وأخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابة وقد فعلت أنا كما فعل ثم خرجنـا خفيـة وسرنا ولم نزل سائرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر النهار حططنا حمولنا وعقلنا وجمالنا ونمنـا فحـل علينا التعب وغفلنا عن أنفسنا وإذا باللصوص أحاطوا بنا وأخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان ثم تركونا مكاننا ونحن في أقبح حال بعد أن أخذوا المال وساروا فلما قمنا مشينا إلى أن أصبح الصباح فوصلنا إلى بلد فدخلناها وقصدنا مسجده ونحن عرايا وجلسنا في جنب المسجد باقي يومنا فلما جاء الليل بتنا في المسجد تلك الليلة ونحن من غير أكل ولا شرب فلما أصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا وإذا برجل داخل فسـلم علينـا وصل ركعتين ثم التفت إلينا وقال يا جماعة هل أنتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونـا ودخلنا هذه البلدة ولا نعرف فيها أحداً نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم أن تقوموا معـي إلـى داري قـال الجواهرجي فقلت لعلي بن بكار قم بنا معه فننجوا من أمرين الأول أننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا في هذا المسجد فنفتضح والثاني أننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوي إليه فقال علي بن بكار افعل ما تريد ثم أن الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء أطيعوني وسيروا معي إلى مكاني قال الجواهرجي فقلت له سمعاً وطاعة ثم أن الرجل خلع لنا شيئاً من ثيابه وألبسنا ولاطفنا فقمنا معه إلى داره فطرق الباب فخرج إلينا خـادم صـغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم أن الرجل أمر بإحضار بقجة فيها أثواب وشاشـات فألبسنا حلتين وأعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا وإذا بجارية أقبلت إلينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا فأكلنا شـيئاً يصيراً ورفعت المائدة ثم أقمنا عنده إلى أن دخل الليل فتاوه علي بن بكار وقال للجواهرجي يا أخي أعلم أنني هالك لا محالة وأريد أن أوصيك وصية وهو أنك إذا رأيتني مت تذهب إلى والدتي وتخبرها أن تأتي إلى هذا المكان لأجل أن تأخذ عزائي وتحضر غسلي وأوصيها أن تكون صابرة على فراقي ثم وقع مغشياً عليه فلمـا

أفاق سمع جارية تغنى من بعيد وتنشد الأشعار فصار يصغي إليها ويسمع صوتها وهو تارة يفكر وتارة يضحك وتارة يبكي شجنا وحزناً مما أصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الأبيات:

عجل البين بيننا بالفراق ... بعد ألف وجيرة واتفاق

فرقت بيننا صروف الليالي ... ليت شعري متى يكون التلاقي

ما أمر الفراق بعد اجتماع ... ليته ما أضر بالعشاق

غصة الموت ساعة ثم تنقضي ... وفراق الحبيب في القلب باقي

لو وجدنا إلى الفراق سبيلاً ... لاذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجواهرجي فلما رأيته مات أوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم أنني متوجه إلى بغداد لأخبر والدته وأقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم أني توجهت إلى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيابي وبعد ذلك ذهبت إلى دار علي بن بكار فلما رآني غلمانه أتوا إلي وسألوني عنه وسألتهم أن يستأذنوا لي والدته في الدخول عليها فأذنت لي بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت أن ا إذا قضي أمراً لا مفر من قضائه وما كان لنفس أن تموت إلا بـأذن ا كتابـاً مـؤجلاً فتوهمت أم علي بن بكار من هذا الكلام أن ابنها قد مات فبكت بكاء شديداً ثم قالت با عليك أن تخبرني هل توفي ولدي فلم أقدرأن أرد عليها جواباً من كثرة الجزع فلما رأتني على تلك الحالة أنخنقت بالبكاء ثم وقعت على الأرض مغشياً عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت ما كان من أمر ولدي فقلت لها عظم ا أجرك فيه ثم أني حدثتها بما كان من أمره من المبتدأ إلى المنتهى قالت أوصاك بشيء فقلت لها نعم وأخبرتها بما أوصاني به وقلت لها أسرعي في تجهيزه فلما سمعت أم علي بكار كلامي سقطت مغشياً عليها فلما أفاقت عزمت على ما أوصيتها به ثم أنى رجعت إلى داري وسرت في الطريق أتفكر في حسن شبابه فبينما أنا كذلك وإذا بامرأة قد قبضت على يدي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال وإذا بامرأة قد قبضت على يدي فتأملتها فرأيتها الجارية التي كانت تمشي من عند شمس النهار وقد علاها الإنكسار فلما تعارفنا بكينا جميعاً وسرنا حتى أتينا إلى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر علي بن بكار فقالت لا وا فأخبرتها بخبره وما كان من أمره ثم أني قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها أمير المؤمنين قول أحد لشدة محبته لها وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة وقال لها يا شمس النهار أنت عندي عزيزة وأنا أتحملك على رغم أعدائك ثم أمر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك في قبول عظيم فاتفق أنه جالس يوماً من الأيام على جري عادته للشراب وحضرت المحاظي بين يديه فأجلسهن في مراتبهن وأجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد أمرها فعند ذلك أمر جارية من الجواري أن تغني فأخذت العود وضربت به وجعلت تقول:

وداع دعاني للهوى فأجبته ... ودمعي بحط الوجد خطا على خدي

كأن دموع العين تخبر حالنا ... فتبدي الذي أخفى وتخفي الذي أبدى

فكيف أروم السر أو أكتم الهوى ... وفرط غرامي فيك يظهر ما عندي

وقد طاب موتي عند فقد أحبتي ... فياليت شعري ما يطيب لهم بعدي

فلما سمعت شمس النهار أنشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشياً عليها فرمي الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجواري وقلبها أمير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن أمير المؤمنين لموتها وأمر أن يكسر جميع ما كان في الحضرة من الآلات والقوانين وحملها في حجرة بعد موتها ومكث عندها باقي ليلته فلما طلع النهار جهزها وأمر بغسلها ودفنها وحزن عليها حزناً كثيراً ولم يسأل عن حالها ولا عن الأمر الذي كانت فيه ثم قالت الجارية للجواهرجي سألتك با أن تعلمني بوقت خروج جنازة علي بن بكار وأن تحضرني دفنه فقال لها أما أنا ففي أي محل شئت تجديني وأما أنت فمن يستطيع الوصول إليك في المحل الذي أنت فيه فقالت له أن أمير المؤمنين لما ماتت شمس النهار أعتق جواريها من يوم موتها وأنا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها في المحل الفلاني فقمت معها وأتيت إلى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت إلى حالي ولم أزل أنتظر جنازة على بن بكار إلى أن جاءت فخرجت له أهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهي أشدهن حزناً ولم أرجنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة ومازلنا في ازدحام عظيم إلى أن أتينا إلى قبره ودفناه وصرت لا أنقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس باعجب من حديث الملك شهرمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الملك قمر الزمان ابن الملك شهرمان

(وفي ليلة ١٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم وأعوان إلا أنه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال أني أخاف إذا مت أن يضيع الملك لأنه ليس لي ولد يتولاه بعدي فقال له ذلك الوزير لعل ا يحدث بعد أمراً فتوكل على ا أيها الملك وتوضأ وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعل تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت في تلك الساعة ولما كملت أشهرها وضعت ولدا ذكرا كأنه البدر السافر في الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى في العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشر سنة وكان فائقاً في الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان أبوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلاً ولا نهاراً فشكا الملك شهرمان لأحد وزرائه فرط محبته لولده وقال أيها الوزير إني خائف على ولدي قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان وأريد أن أزوجه في حياتي فقال له الوزير اعلم أيها الملك أن الزواج من مكارم الأخلاق ولا بأس أن تزوج ولدك في حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان على بولدي قمر الزمان فحضر وأطرق رأسه إلى الأرض حياء من أبيه فقال له أبوه يا قمر الزمان اعلم أني أريد أن أزوجك وأفرح بك في حياتي فقال له اعلم يا أبي أنني ليس لي في الزواج أرب وليست نفسي تميل إلى النساء لأني وجدت في مكرهن كتباً بالروايات وبكيدهن وردت الآيات وقال الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... خبير بأحوال النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء وقل ماله ... فليس له في ودهن نصيب

ولما فرغ من شعره قال يا أبي أن الزواج شيء لا أفعله أبداً فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام أغتم غماً شديداً على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وأغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام في ذلك ولم يغضبه بل أقبل عليه وأكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة إلى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد كل يوم حسناً وجمالاً وظرفاً ودلالاً فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت في حسنه الوري وسار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل في وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف ودلال كأنه غصن بأن أو قضيب خيزران ينوب خده عن شقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل:

بدا فقالوا تبارك	**ا جل الذي صاغه وسواه**
مليك كل الملاح قاطبة	**فكلهم أصبحوا رعاياه**
في ريقه شهدة مذوبة	**وأنعقد الدار في ثناياه**
مكملاً بالجمال منفرداً	**كل الورى في جماله تاهوا**
قد كتب الحسن فوق وجنته	**أشهد أن لا مليح إلا هو**

فلما تكاملت سنة أخرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان دعاه والده إليه وقال له يا ولدي أما تسمع مني فوقع قمر الزمان على الأرض بين يدي أبيه هيبة واستحى منه وقال له يا أبي كيف لا أسمع منك وقد أمرني ا بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم يا ولدي أني أريد أن أزوجك وأفرح بك في حياتي وأسلطنك في مملكتي قبل مماتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفع رأسه وقال يا أبي هذا شيء لا أفعله أبداً ولو سقيت كأس الردي وأنا أعلم أن ا فرض على طاعتك فبحق ا عليك لا تكلفني أمر الزواج ولا تظن أني أتزوج طول عمري لأنني قرأت في كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت ما جرى لهم من المصائب والآفات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهي وما يحدث عنهن من الدواهي وما أحسن قول الشاعر:

إن النساء وأن أدعين العفة	**رمم تقلبها النسور الحوم**
في الليل عندك سرها وحديثها	**وغدا لغيرك ساقها والمعصم**
كالخان تسكنه وتصبح راحلاً	**فيحل بعداك فيه من لا تعلم**

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جواباً من فرط محبته له وزاده من أنعامه وأكرامه وأنقبض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال له أيها الوزير قل لي ما الذي أفعله في قضية ولدي قمر الزمان فأني استشرتك في زواجه قبل أن أسلطنه فأشرت علي بذلك وأشرت علي أيضاً أن أذكر له أمر الزواج فذكرته له فخالفني فأشر على الآن بما تراه حسناً فقال الوزير الذي أشير به عليك الآن أيها الملك أن تصبر عليه سنة أخرى فإذا أردت أن تكلمه بعدها في أمر الزواج فلا تكلمه سراً ولكن حدثه في يوم حكومة ويكون جميع الأمراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين فإذا اجتمع هؤلاء فأرسل إلى ولدك قمر الزمان في تلك الساعة وأحضره فإذا حضر فخاطبه في أمر الزواج بحضرة جميع الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة فإنه يستحي منهم وما يقدر أن يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحاً شديداً أو استصوب رأي الوزير في ذلك وخلع عليه خلعة سنية فصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة ولكما مضي عليه يوماً من الأيام يزداد سحناً وجمالاً وبهجة وكمالاً حتى بلغ من العمر قريباً عشرين عاماً والبسه ا حال الجمال وتوجه بتاج الكمال وأشرقت خدوده بالأحمرار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصره أرق من خيط هميان وردفه أثقل من الكثبان تهيج البلابل على أعطافه ويشتكي خصر من ثقل أردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء.

قسماً بوجنته وباسم ثغره	**وبأسهم قدر أشها من سحره**
وبلين عطفيه ومرهف لحظه	**وبياض غرفه وأسود شعره**
وبحاجب حجب الكرى عن	**صبه وسطا عليه بنيه وبأمره**
وعقارب قد أرسلت من صدغه	**وسمعت لقتل العاشقين بهجره**
وبورد خديه وآس عذاره	**وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره**
وبطيب نكهته وسال جري	**في فيه يزري بالرحيق وعصره**
وبردفه المرتج في حركاته	**وسكونه وبرقة في خصره**
وبجود راحته وصدق لسانه	**وبطيب عنصره وعالي قدره**
ما المسك إلا من فضالة خاله	**والطيب يروي ريحه عن نشره**
وكذاك الشمس المنيرة دونه	**ورأى الهلال قلامة من ظفره**

ثم أن الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان دعى الأمراء والوزراء والحجاب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة ثم أن الملك أرسل خاف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الأرض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفاً يديه وراء ظهره قدام أبيه فقال له أبوه يا ولدي أني ما أحضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين أيدينا إلا لأجل أن أمرتك بأمر فلا تخالفني فيه وذلك أن تتزوج لأني اشتهى أن أزوجك بنت ملك من الملوك وأفرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق

برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى أبيه ولحقه في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة فقال له أما أنا فلا أتزوج أبداً ولو سقيت كأس الردي وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل أنك سألتني قبل هذا اليـوم مرتين غير هذه المرة في شأن الزواج وأنا لا أجيبك إلى ذلك ثم أن قمر الزمان فك كتاف يديه وشـمر عـن ذراعيه قدام أبيه وهو في غيظه فخجل أبوه وأستحي حيث حصل ذلك قدام أرباب دولته والعساكر الحاضرين في الموسم ثم أن الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فأرعبه وصرخ على المماليك وأمرهم بإمساكه فأمسكوه وأمرهم أن يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدي الملك وهو مطرق رأسه من الخـوف والوجـل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه أبوه وسبه وقال له ويلك يا ولـد الزنـا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن أنت إلى الآن مـا أدبـك أحـد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان أما تعلم أن هـذا الأمـر الـذي صدر منك او صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحاً منه ثم أن الملك أمر المماليـك أن يحلـو أكتافـه ويحبسوه في برج من أبراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التي فيها البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سرير القمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعاً وضعوا له مخـدة وفانوسـاً كبيـراً وشمعة لأن ذلك المكان كان مظلم في النهار ثم أن المماليك أدخلوا قمر الزمان في تلك القاعة وجعلوا علـى باب القاعة خادماً فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتـب نفسه وندم على ما جرى منه في حق أبيه حيث لا ينفعه الندم وقال خيب ا   الزواج والبنات والنساء الخائنات فياليتني سمعت من والدي وتزوجت فلو فعلت ذلك كان أحسن لي من هذا السجن هذا ما كان من أمـر قمـر الزمان (وأما) ما كان من أمر أبيه فإنه أقام على كرسي مملكته بقية اليوم إلى وقت الغروب ثم خلا بـالوزير وقال له أعلم أيها الوزير أنك كنت السبب في الذي جرى بيني وبين ولدي كله حيث أشرت علي بما أشـرت فما الذي تشير به على الآن فقال له الوزير أيها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوماً ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فإنه لا يخالفك أبداً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قبل رأي الوزير في ذلك اليوم ونام تلك الليلـة وهـو مشتغل القلب على ولده لأنه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لا يأتيه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك الليلة وهو متشوش الخاطر مـن أجلـه وصار يتقلب من جنب إلى جنب كأنه نائم على جمر الغضى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم في تلـك الليلـة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وأنشد قول الشاعر:

لقـد طـال ليلـى والوشـاة هجـوع   **وناهيـك قلبـاً بـالفراق مـروع**

أقـول وليلـى زاد بـالهم طولـه   **أمالـك يـا ضـوء الصـباح رجـوع**

(قول الآخر)

لمـــا رأيـــت الــنجم ســاه طرفـــه **والقلـــب قـــد ألقـــى عليـــه ســـباتاً**
وبنــات نعــش فــي الحــداد ســوافرا **أيقنـــت أن صـــباحه قـــد ماتـــا**

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما قدم عليه الليل قدم لـه الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها في شمعدان وقدم له شيئاً من الماء كل فأكل قليلاً وصار يعاتب نفسـه حيث أساء الأدب في حق أبيه الملك شهرمان وقال في نفسه ألم تعلم أن ابن آدم رهـين لسـانه وإن لسـان الآدمي هو الذي يوقعه في المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الـدموع واحتـرق قلبـه المصدوع وندم على ما خرج من لسانه في حق الملك غاية الندم وأنشد هذين البيتين:

يموت الفتى مـن عثـرة مـن لسـانه **وليس يموت المرء مـن عثـرة الرجـل**
فعثرتـــه مـــن فيـــه تقضـــي بحتفـــه **وعثرتـــه بالرجـــل تبـــرأ علـــى مهـــل**

ثم أن قمر الزمان لما فرغ من الأكل طلب أن يغسل يديه فغسل يديه مـن الطعـام وتوضـأ وصـلى المغرب والعشاء وجلس وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان جلس على السرير يقرأ القرآن فقـرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك والملك والمعوذتين وختم الدعاء واستعاذ با ونام علـى السـرير فوق طراحة من الأطلس المعدن لها وجهان وهي محشوة بريش النعام وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام في قميص شمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزي أزرق فصار قمر الزمان في تلك الليلة كأنه البدر في ليلة أربع عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقدة تحـت رأسه ولم يزل نائماً إلى ثلث الليل ولم يعلم ما خبيء له في الغيب وما قدر عليه عـلام الغيـوب واتفـق أن القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان في تلك القاعة بئر روماني معمور بجنية سـاكنة فيه وهي من ذرية إبليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشـهورين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اسم تلك الجنيه ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين فلما ساتمر قمر الزمان نائماً إلى ثلث الليل الأول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت في أعلى البئر رأت نوراً مضيئاً في البرج على خلاف العادة وكانت العفريتة مقيمة فـي ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت في نفسها أنا ما عهدت هنا شيئاً من ذلك وتعجبت من هذا الأمر غاية العجب وخطر ببالها أنه لا بد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجاً من القاعة فـدخلتها ووجدت الخادم نائماً على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريراً منصوباً وعليه هيئة إنسـان نـائم وشـمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضيء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت إليه قليلاً قليلاً وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت إليه واستمرت باهتة فـي حسـنه

وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالباً على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نوراً وقد غازلـت عيناه واسودت مقلتاه وأحمر خداه وفتر جفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر:

قبلتــه فاســودت المقــل التــي هــي فتنتنــي وأحمــرت الوجنــات
يــا قلــب أن زعــم العــواذل أنــه فـي الحسـن يوجـد مثلـه قـل هـاتوا

فلما رأته العفريته ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله أحسـن الخـالقين وكانـت تلـك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر إلى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسـنه وجماله وقالت في نفسها والله أني لا أضره ولا أترك أحداً يؤذيه ومن كل سوء أفديه فإن هذا الوجه المليح لا يستحق إلا النظر إليه والتسبيح ولكن كيف هان على أهله حتى نسوه في هذا المكان الخرب فلو طلع له أحـد من مردتنا في هذه الساعة لأعطبه ثم أن تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك أرخت المـلاءة على وجهه وغطته بها وفتحت أجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة في الجو إلى أن قربت من سماء الدنيا وإذا بها سمعت خفق أجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحيـة تلك الأجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتاً يقال له دهنش فانقض عليه انقضاض الباشق فلما أحـس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها أقسم عليك بالاسم الأعظم والطلسم الأكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة مـن دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له أنك أقسمت علي بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرني من أين مجيئك في هذه الساعة فقال لها أيتها السيدة أعلمي أن مجيئي من آخر بلاد الصين ومـن داخـل الجزائـر وأخبرك بأعجوبة رأيتها في هذه الليلة فإن وجدتي كلامك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجني قال للجنية فإن وجدتي كلامي صحيحاً فأتركيني أروح إلى حال سبيلي وأكتبي لي بخطك في هذه الساعة أني عتيقك حتى لا يعارضني أحد من أرهاط الجن الطيارة العلويـة والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذي رأيته في هذه الليلة يا دهنش فأخبرني ولا تكذب علـى وتريـد بكذبك أن تنفلت من يدي وأنا أقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن لم يكن كلامك صحيحاً نتفت ريشك بيدي ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش بن شـمهور رش الطياران لم يكن كلامي صحيحاً فافعلي بي ما شئت يا سيدتي وأدرك شهرزاد الصـباح فسـكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً قال خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصـين وهي بلاد الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتاً لم يخلق الله فـي زمانهـا أحسن منها ولا أعرف كيف أصفها لك ويعجز لساني عن وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيئاً من صفاتها على سبيل التقريب أما شعرها فكليالي الهجر وأما وجهها فكأيام الوصال وقد أحسن في وصفها من قال:

نشـرت ثـلاث ذوائـب مـن شـعرها ... فـي ليلـة فـأرت ليـالي أربعـاً
واسـتقبلت قمـر السـماء بوجههـا ... فـأرتني القمـرين فـي وقـت معـاً

ولها أنف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الأرجوان ولها خد كشـقائق النعمـان وشـفتاها كالمرجان والعقيق وريقها أشهى من الرحيق يطفيء مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحركه عقل وافر وجـواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسواه ومتصل بذلك الصدر عضد أمدن ملجان كما قـال فيهما الشاعر الولهان.

وزنـدان لـولا أمسـكا بأسـاور ... لسـالا مـن الأكمـام سـيل الجـداول

ولها نهدان كأنهما من العاج يستمد من أشراقهما القمران ولها بطن مطوية كطي القبـاطي المصـرية وينتهي ذلك إلى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها إذا قامـت ويوقظهـا إذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه:

لهـا كفـل تعلـق فـي ضـعيف ... وذاك الـردف لـي ولهـا ظلـوم
فيـوقفني إذا فكـرت فيـه ... ويقعـدها إذا همـت تقـوم

يحمي ذلك الكفل فخذان كأنهما من الدر عمودان وعلى حمله ما أقدرهما إلا ببركة الشيخ الذي بينهمـا وأما غير ذلك من الأوصاف بمالا يحصيه ناعت ولا وصاف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفتان صنعه المهيمن الديان فعجبت منهما كيف كان يحملان ما فوقهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت دهنش ابن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وأما ما وراه ذلك فإني تركته لأنه تقصر عنه العبارة ولا تفي به الإشارة وأبو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الأقطار في الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت لأنه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر وأقاليم وجزائر ومدن ودور وأسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكـان يحب ابنته هذه التي وصفتها لك حباً شديداً ومن محبته لها جاب أموال سائر الملوك وبني لها بـذلك سـبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الأول من البللور والقصر الثاني من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصيني والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصـر السـادس مـن الذهب والقصر السابع من الجوهر وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخرة وأوانـي الـذهب والفضـة وجميع الآلات من كل ما تحتاج إليه الملوك وأمر ابنته أن تسكن في كل قصر مدة السنة ثم تنتقل منـه إلـى قصر غيره وأسمها الملكة بدور فلما اشتهرحسنها وشاع في البلاد ذكرها أرسل سائر الملـوك إلـى أبيهـا يخطبونها منه فراودها في أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها يا والدي ليس لي غرض في الـزواج أبـداً فإني سيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلاً يحكم علي وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم أن جميع ملوك جزائر الصين الجوانية أرسلوا إلى أبيها الهدايا والتحف وكاتبوه في أمر زواجها فكرر عليها أبوها المشاورة في أمر الزواج مراراً عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له يا أبـي أن ذكـرت لـي

الزواج مرة أخرى أخذت السيف ووضعت قائمة في الأرض وذبابه في بطني واتكأت عليه حتى يطلع مـن ظهري وقتلت نفسي فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام واحترق قلبه عليها غايـة الاحتراق وخشي أن تقتل نفسها وتحير في أمرها وفي أمر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها أن كان ولابـد من عدم زواجك فامتنعي من الدخول والخروج ثم إن أباها أدخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشـر عجائز قهرمانات ومنعها من أ، تذهب إلى السبع قصور وأظهر أنه غضبان عليها وأرسل يكاتـب الملـوك جميعهم وأعلمهم أنها أصيبت بجنون في عقلها ولها الآن سنة وهي محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتـة وأنا يا سيدتي أتوجه إليها في كل ليلة فأنظرها وأتملى بوجهها وأقبلها وهي نائمة بين عيبها ومن محبتي لهـا لا أضرها ولا أركبها لأن جمالها بارع وكل من رآها يغار عليها من نفسه وأقسمت عليـك يـا سـيدتي أن ترجعي معي وتنظري حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا إن شئت أن تعاقبيني أو تأسريني فافعلي فإن الأمر أمرك والنهي نهيك ثم أن العفريت دهنشا أطرق رأسه إلى الأرض وخفض أجنحته إلى الأرض فقالت له العفريتة ميمونة بعد أن ضحكت من كلامه وبصقت في وجهه أي شيء هذه البنت التي تقول عنها فما هي إلا قواره بول فكيف لو رأيت معشوقي وا أن حسبت أن معك أمر عجيباً أو خبراً غريباً يـا ملعـون أنـي رأيت إنساناً في هذه الليلة لو رأيته ولو في المنام لا نفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكايـة هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش أن هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التي ذكرتها وأمره أبوه بالزواج مراراً عديدة فأبى فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه في البرج الذي أنا ساكنة فيه فطلعت في هـذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتي أريني هذا الغلام لانظر هل هو أحسن من معشوقتي الملكة بـدور أم لا لأنني ما أظن أن يوجد في هذا الزمان مثل معشوقتي فقالت له العفريتة تكذب يا معلون يـا أنحـس المـردة وأحقر الشياطين فأنا أتحقق أنه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار. وأدرك شهرزاد فسكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش أنا أتحقق أنه لا يوجد لمشـوقي مثيل في هذه الديار فهل أنت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقي قال لها با عليك يا سيدتي أن تـذهبي معي وتنظري معشوقتي وأرجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لأنك شـيطان مكار ولكن لا أجيء معك ولا تجيء معي إلا برهن فإن طلعت معشوقتك التي أنت تحبها وتتغالى فيها أحسن من معشوقي الذي أنا أحبه وأتغالى فيه فإن ذلك الرهن يكون لك وأن طلع معشوقي أحسن فإن ذلـك الـرهن يكون لي عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتي قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالي معي إلى الجزائر فقالت له ميمونة أن موضع معشوقي أقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فأنزل معي لتنظر معشـوقي ونروح بعد ذلك إلى معشوقتك فقال لها دهنش سمعاً وطاعة ثم أنحدرا إلى أسفل ونزلا في دور القاعة التـي في البرج وأوقفت ميمونة دهنشاً بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان بن الملـك شهرمان فسطع وجهه وأشرق ولمع وزها فنظرته ميمونة والتفتت من وقتها إلى دهنش وقالت له انظـر يـا ملعون ولا تكن أقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت إليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثـم

حرك رأسه وقال لميمونة وا   يا سيدتي أنك معذورة ولكن بقي شيء آخر وهو أن حال الأنثى غيـر حـال الذكر وحق ا   أن معشوقك هذا أشبه الناس بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهمـا الأثنـان كأنهما قد أفرغا في قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء فـي وجههـا ظلاماً ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت أن تقضي عليه من شدتها وقالت له قسماً بنـور وجهـه وجلاله أن تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبها وتجيء بها سريعاً إلى هذا المكـان حتى نجمع بين الأثنين وننظرهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا أيهما أحسن وأن لم تفعـل مـا أمرتك به في هذه الساعة يا ملعون أحرقتك بناري ورميتك بشرار أسراري ومزقتك قطعـاً فـي البـراري وجعلتك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش يا سيدتي لك على ذلك وأنا أعرف أن محبوبتي أحسن وأحلـى ثم أن العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من أجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم أقبل الأثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين مـن الـذهب وهـو مزركش ببدائع التطريزات ومكتوب على رأسه كمية هذه الأبيات:

ثلاثـــة منعتهـــا مـــن زيارتنـــا ... خوف الرقيب وخـوف الحاسـد الحنـق

ضوء الجبين ووسـاوس الحلـي ومـا ... حـوت معاطفهـا مـن عنبـر عبـق

هـب الجبـين بفضـل الكـم تسـتره ... والحلـي تنزعـه مـا حيلـة العـرق

ثم أنهما نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت والعفريتة كشفا عن وجود الأثنين فكانا أشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان أخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين:

يـا قلـب لا تعشـق مليحـاً واحـداً ... تحتـار فيـه تـذللاً وتـذللاً

واهـو المـلاح جمـيعهم تلقـاهم ... أن صـد هـذا كـان هـذا مقـبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران إليهما فقال دهنش أن معشوقتي أحسن قالت له ميمونة بـل معشـوقي أحسن ويلك يا دهنش هل أنت أعمى أما تنظر إلى حسنه وجماله وقده واعتداله فأسمع ما أقوله في محبـوبي وأن كنت محباً صادقاً لمن تعشقها فقل فيها مثل ما أقول في محبوبي ثم أن ميمونة قبلت قمر الزمـان قـبلاً عديدة وأنشدت هذه القصيدة :

مـالي وللاحـى عليـك يعنـف ... كيـف السـلو وأنـت غصـن أهيـف

لـك مقلـة كحـلاء تنفـث سـحرها ... مـا للهـوى العـذري عنهـا مصـرف

تركيـة الألحـاظ تفعـل بالحشـا ... مـا لـيس يفعلـه الصـقيل المرهـف

حملتنـي ثقـل الغـرام وأننـي ... بالعجز عـن حمـل القمـيص لأضـعف

وجدي عليـك كمـا علمـت ولـوعتي ... طبـع وعشـقي فـي هـواك تكلـف

لـو أن قلبـي مثـل قلبـك لـم أبـت ... والجسـم منـي مثـل خصـرك منحـف

ويـلاه مـن قمـر بكـل ملاحـة ... بـين الأنـام وكـل حسـن يوصـف

قال العواذل في الهـوى مـن ذا الـذي ... أنـت الكئيـب بـه فقلـت لهـم صـفوا

يـا قلبـه القاسـي تعلـم عطفـه   مـن قـده فعسـى تـرق وتعطـف
لـك يـا أميـر فـي الملاحـة نـاظر   يسطو على وحاجب لا ينصف في يوسـف
كـذب الـذي ظـن الملاحـة كلهـا   كـم فـي جمالـك يوسـف
الجـن تخشـاني إذا قابلتهـا   وأنـا إذا ألقـاك قلبـي يرجـف
"أتكالـف الأغـراض عنـك مهابـة   وإليـك أصـبو جهـد مـا أتـكاف
والشـعر أسـود والجبـين مشعشـع   والطـرف أحـور والقـوام مهفهـف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب. وأدرك شـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً قال أنك أنشدتيني فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع أنك بالك مشغول به ولكن أنا بذل الجهد في إنشاد الشعر على قدر فكرتي ثم أن دهنشاً قام إلى معشوقته بدور وقبلهـا بين عينيها ونظر إلى العفريتة ميمونة وإلى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور.

أفـوت معاهـدهم بشـط الـوادي   فبقيـت مقتـولاً وسـط الـوادي
وسكرت مـن خمـر الغـرام ورقصـت   عينـي الـدموع علـى غنـاء الحـادي
أسـعي لأسـعد بالوصـال وحـق لـي   أن السـعادة فـي بـدور سـعاد
لـم أدر مـن أي الثلاثـة أشـتكي   ولقـد عـددت فأصـغ للأعـداد
مـن لحظهـا السـياف أم مـن قـدها   الرمـاح أم مـن صـدغها الـزراد
قالـت وقـد فتشـت عنهـا كـل مـن   لاقيتـه مـن حاضـر أو بـادي
أنا فـي فـؤادك فـارم طرفـك نحـوه   ترنـي فقلـت لهـا وأيـن فـؤادي

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة أحسنت يا دهنش ولكن أي هذين الأثنين أحسن فقال لهـا محبـوبتي بدور أحسن من محبوبك فقالت له كذبت يا ملعون بل معشوقي أحسن من معشوقتك ثـم أنهمـا لـم يـزالا يعارضان بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به فذل لها ورقق كلامـه وقال لها لا يصعب عليك الحق فأبطلي قولك وقولي فإن كلامنا يشهد لمعشوقه أنه أحسن فنعرض عن كـلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالإنصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهـو كـذلك ثـم ضربت الأرض برجلها فطلع لها من الأرض عفريت أعور أجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفـي رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة إلى الأرض ويداه مثل يدي القطرب له أظفار كأظفار الأسد ورجلان كرجلي الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأي ميمونة قبل الأرض بـين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك يا سيدتي يا بنت الملك فقالت له يا قشقش أني أريد أن تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش ثم أنها أخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش إلى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخـر وهمـا فـي الحسـن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفـت إلـى ميمونة ودهنش بعد أن أطال إلى الصبي والصبية الألتفات وأنشد هذه الأبيات:

زر مــن تحــب ودع مقالــة حاســد	ليس الحسود على الهوى بمســاعد مــن
لــم يخلــق الــرحمن أحســن منظــراً	عــــاشقين علــــى فــــراش واحــــد
متعـــانقين عليهمـــا حلـــل الرضـــا	متوســـــدين بمعصـــــم وبســـــاعد
وإذا صــفا لــك مــن زمانــك واحــد	فهــو المــراد وعــش بــذاك الواحــد
وإذا تألفــت القلــوب علــى الهــوى	فالنــاس تضــرب فــي حديــد بــارد
يا من يلوم على الهـوى أهـل الهـوى	هــل يســتطاع صــلاح قلــب فاســد
يــارب يــا رحمــن تحســن حتمنــا	قبـــل الممـــات ولـــو بيـــوم واحـــد

ثم أن العفريت قشقش التفت إلى ميمونة وإلى دهنش وقال لهما وا ما فيهما أحد أحسن من الآخر ولا دون الآخر بل هما أشبه الناس ببعضهما في الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما إلا بالتـذكير والتأنيث وعندي حكم آخر وهو أن ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهـو دونه في الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأي الذي قلته فأنا رضيته وقال دهنش وأنا أيضاً رضـيته فعند ذلك انقلب دهنش في صورة برغوث ولدغ قمر الزمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً لدغ قمر الزمان في رقبته في موضع ناعم فمد قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع اللدغة من شدة ما أحرقته فتحرك بجنبه فوجد شيئاً نائماً بجنبه ونفسه أذكى من المسـك وجسمه ألين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من وقته قاعداً ونظر إلى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجده صبية كالدرة السنية أو القبة المبنية بقامة الفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كمـا قال كما قال فيها بعض واصفيها.

بــدت قمــراً وعــادت غصــن بــان	وفاحـــت عنبـــراً ورنـــت غـــزالاً
كـــأن الحـــزن مشـــغوف بقلبـــي	فســـاعة مجرهـــا يجـــد الوصـــالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهي نائمة طولـه ووجـد فوق بدنها قميصاً بندقياً وهي بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفي عنقها قـلادة مـن الفصوص المثمنة لا يقدر عليها أحد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم أنه حـين شـاهد حسـنها تحركت فيه الحرارة الغريزية وألقى ا عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ما شاء ا كان وما لم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثاني مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر إليها وإلى نهودها فازداد فيها محبة ورغبـة فصار ينبهها وهي لا تنتبه لأن دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركهـا ويقـول يـا حبيبتـي استيقظي وانظري من أنا فأنا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر في أمرها ساعة زمانية وقال في نفسه أن صدق حذري فهذه الصبية هي التي يريد والدي زواجي بها ومضى لي ثلاث سـنين وأنـا أمتنع من ذلك فإن شاء ا إذا جاء الصبح أقول لأبي زوجني بها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال في نفسه أن شاء ا إذا جاء الصبح أقول لأبي زوجني بها ولا أترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بوصلها وأتملى بحسنها وجمالها ثم أن قمر الزمان مال إلى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت وأما العفريت دهنش فإنه طار من الفرح ثم أن قمر الزمان لما أراد أن يقبلها في فمها استحى من ا ولفت وجهه وقال في نفسه أنا أصبر لئلا يكون والدي لما غضب علي وحبسني في هذا الموضع جاء لي بهذه العروسة وأمرها بالنوم جنبي ليمتحني بها وأوصاها أني إذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها أي شيء فعل بك قمر الزمان فاعلميني به وربما يكون والدي مستخفياً في مكان بحيث يطلع علي وأنا لا أنظره فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية وإذا أصبح الصباح يوبخني ويقول لي كيف تقول لي ما لي أرب في الزواج وأنت قبلت تلك الصبية وعانقتها فأنا أكف نفسي عنها لئلا ينكشف أمري مع والدي فأنا لا ألمس هذه الصبية من تلك الساعة ولا التفت لها غير أني آخذ لي منها شيئاً يكون أمارة عندي وتذكرة لها حتى يبقى بيني وبينها إشارة ثم أن قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوي جملة من المال لأن فصه من نفيس الجواهر ومنقوش في دائرته هذه الأبيات:

لا تحسبوا أني نسيت عهودكم	**مهما أطلتم في الزمان صدودكم**
يا سادتي جودوا علي تعطفاً	**فعسى أقبل ثغركم وخدودكم**
وا أني لست أبرح عنكم	**ولو أعديتم في الغرام حدودكم**

ثم أن قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره وأدار ظهره إليها وقام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظروا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يمس بيده عليها بل أدار ظهره إليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك أنقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثاً ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار أربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شاباً نائماً بجانبها وهو يغط في نومه وله خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كأنه خاتم سليمان وريقه حلو المذاق وانفع من الترياق كما قال فيه بعض واصفيه.

سلاحاً طرى عن زينب ونوار	**بوردة خد فوق آس عذار**
وأصبحت بالظبي المفرط ق مغرماً	**ولا أرى لي في عشق ذات سوار**
أنيسي في النادي وفي خلوتي معاً	**خلاف أنيسي في قرارة داري**
فيا لائمي في هجر هند وزينب	**وقد لاح عذري كالمصباح الساري**
أترضى بأن أمسي أسير أسيرة	**محصنة أو من وراء جداري**

ثم أن الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام والوجد والغرام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور قالت في نفسها وافضيحتاه أن هذا شاب غريب لا أعرفه ما باله راقد بجانبي في فراش واحد ثم نظرت إليه بعيونها وحققت النظر فيه وفي ظرفـه ودلالـه وحسـنه وجماله ثم قالت وحق ا أنه شاب مليح مثل القمر إلا أن كبدي تكاد أن تتمزق وجدا عليه وشـغفا بحسـنه وجماله فيا فضيحتي منه وا لو علمت أن هذا الشاب هو الذي خطبني من أبي ما رددته بل كنت أتزوجـه وأتملى بجماله ثم أن الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها في وجه قمر الزمان وقالت له يا سيدي وحبيـب قلبي ونور عيني انتبه من منامك وتمتع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فأرخت عليه ميمونة الجنيـة النـوم وثقلت رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتي عليـك أن تطيعنـي وأنتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني وناغشني من هذا الوقـت إلـى بكرة قم بيا سيدي واتكيء على المخدة ولا تنم فلم يجيبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطاباً بل غط في النوم فقالت الملكة بدور مالك تائهاً بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما أنت مليح أنا الأخرى مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علموك الصد عني أو أبى الشيخ النحس منعك من أن تكلمني في هذه الليلـة ففـتح قمـر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة وألقى ا محبته في قلبها ونظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة فخفـق فؤادهـا وتقلقلت أحشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلمني يا حبيبي حدثني يا معشـوقي رد على الجواب وقل لي ما اسمك فأنك سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان مستغرق في يالنوم ولم يـرد عليهـا بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت مالك معجباً بنفسك ثم هزته وقبلت يده فرأت خاتمها في أصبعه الخنصـر فشهقت شهقة واتبعتها بغنجة وقالت أوه أوه وا أنت حبيبي وتحبني ولكن كأنك تعرض عني دلالاً مع أنـك جئتني وأنا نائمة وما أعرف كيف عملت أنت معي ولكني ما أنا قالعة خاتمي من خنصرك ثم فتحـت جيـب قميصه ومالت عليه وقبلت رقبته وفتشت على شيء تأخذه منه فلم تجد معه شيئاً ورأته بغير سروال فمـدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزلقت يدها من نعومة جسمه وسقطت على أيره فانصـدع قلبهـا وارتجف فؤادها لأن شهوة النساء أقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من أصبعه ووضعته فـي أصبعها موضعاً عن خاتمها وقبلته في ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعاً إلا قبلته وبعد ذلك أخذته فـي حضنها وعانقته ووضعت إحدى يديها تحت رقبته والأخرى من تحت أبطه ونامت بجانبـه وأدرك شـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشـوقي وكيف فعل معشوقي من التيه والدلال فلاشك أن معشوقي أحسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت إلى قشقش وقالت له أدخل معه وأحمل معشوقته وساعده علي وصولها إلى مكانهـا لأن الليل مضى وفاتني مطلوبي فتقدم دهنش وقشقش إلى الملكة بدور ودخـلا تحتهـا وحملاهـا وطـارا بهـا وأوصلاها إلى مكانها وأعاداها إلى فراشها واختلت ميمونة بالنظر إلى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من

الليل إلا القليل ثم توجهت إلى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه والتفت يميناً وشمالاً فلم يجد الصبية عنده فقال في نفسه ما هذا الأمر كأن أبي يرغبني في الزواج بالصبية التي كانت عندي ثم أخذها سراً لأجل أن تزداد رغبتي في الزواج ثم صرخ على الخادم الذي هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والأبريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلي الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر إلى الخادم فوجده واقفاً في خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا وأخذ الصبية من جنبي وأنا نائم فقال الخادم يا سيدي أي شيء الصبية فقال قمر الزمان الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فانزعج الخادم من كلام قمر الزمان وقال له لم يكن عندك صبية ولا غيرها ومن أين دخلت الصبية وأنا نائم وراء الباب وهو مقفول والله يا سيدي ما دخل عليك ذكر ولا أنثى فقال له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس وهل وصل من قدرك أنت الآخر أنك تخادعني ولا تخبرني أين راحت هذه الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة ولم تخبرني بالذي أخذها من عندي فقال الطواشي وقد انزعج منه والله يا سيدي ما رأيت صبية ولا صبياً فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له أنهم علموك الخداع يا ملعون فتعال عندي فتقدم الخادم إلى قمر الزمان فأخذ بأطواقه وضرب به الأرض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفسه برجله وخنقه حتى غشي علي ثم بعد ذلك ربطه في سلبة البئر وأدلاه فيه إلى أن وصل إلى الماء وأرخاه وكانت تلك الأيام أيام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم في الماء ثم نشله قمر الزمان وأرخاه ومازال يغطس ذلك الخادم في الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما أطلعك من هذه البئر حتى تخبرني بخبر هذه الجارية وقضيتها ومن الذي أخذها وأنا نائم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم قال لقمر الزمان انقذني من البئر يا سيدي وأنا أخبرك بالصحيح فجذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من الغرق والغطاس والبرد والضرب والعذاب وصار يرتعد مثل القصبة في الريح العاصف واشتكت أسنانه في بعضها وابتلت ثيابه بالماء فلما رأى الخادم نفسه على وجه الأرض قال له دعني يا سيدي أروح وأقلع ثيابي وأعصرها وأنشرها في الشمس والبس غيرها ثم أحضر إليك سريعاً وأخبرك بأمر تلك الصبية وأحكي لك حكايتها فقال له قمر الزمان والله يا عبد النحس لولا أنك عاينت الموت ما أقررت بالحق فأخرج لقضاء أغراضك وعد إلي بسرعة وأحك لي حكاية الصبية وقصتها فعند ذلك خرج الخادم وهو لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجري إلي أن دخل على الملك شهرمان أبى قمر الزمان فوجد الوزير بجانبه وهما يتحدثان في أمر قمر الزمان فسمع الملك يقول للوزير أني ما نمت في هذه الليلة من اشتغال قلبي بولدي قمر الزمان وأخشى أن يجري له شيء من هذا البرج العتيق وما كان في سجنه شيء من المصلحة فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شيء ودعه مسجوناً شهر كامل حتى تلين عريكته فبينما هما في الكلام وإذا بالخادم دخل عليهما وهو في تلك الحالة وقال له يا مولانا السلطان أن ولدك حصل له جنون وقد فعل بي هذه الفعال وقال لي أن صبية باتت عندي في هذه الليلة وذهبت خفية فأخبرني بخبرها وأنا لا أعرف ما شان هذه الصبية فلما سمع السلطان شهرمان هذا الكلام

عن ولده قمر الزمان صرخ قائلاً وا ولداه وغضب على الوزير الذي كان سبباً في هذه الأمور غضباً شديداً وقال له قم اكشف لي خبر ولدي قمر الزمان فخرج الوزير وهو يعثر في أذياله من خوفه من الملك وراح مع الخادم إلى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالساً على السرير يقرأ القرآن فسلم عليه الوزير وجلس إلى جانبه وقال له يا سيدي أن هذا العبد النحس أخبرنا بخبر شوش علينا وأزعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان أيها الوزير وما الذي قاله لكم عني حتى شوش على أبي وفي الحقيقة هو ما شوش إلا علي فقال له الوزير أنه جاءنا بحالة منكرة وقال لنا قولاً حاشاك منه وكذب علينا بما لا ينبغي أن يذكر في شأنك فسلامة شبابك وعقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشى أن يصدر منك شيء قبيح فقال له قمر الزمان فأي شيء قال هذا العبد النحس فقال له الوزير أنه أخبرنا أنك جننت وقلت له كان عندي صبية في الليلة الماضية فهل قلت للخادم هذا الكلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديداً وقال للوزير تبين لي أنكم علمتم الخادم الفعل الذي صدر منه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان قال للوزير تبين لي أنكم منعتموه من أن يخبرني بأمر الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة وأنت أيها الوزير أعقل من الخادم فأخبرني في هذه الساعة أين ذهبت الصبية المليحة التي كانت نائمة في حضني في تلك الليلة فأنتم الذين ارسلتموها عندي وأمرتموها أن تبيت في حضني ونمت معها إلى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فأين هي الآن فقال الوزير يا سيدي قمر الزمان اسم الله حواليك وأنا ما أرسلنا لك في هذه الليلة أحداً وقد نمت وحدك والباب مقفل عليك والخادم نائم من خلف الباب وما أتى إليك صبية ولا غيرها فأرجع إلى عقلك يا سيدي ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد أغتاظ من كلامه أيها الوزير أن تلك الصبية معشوقتي وهي المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التي عانقتها في هذه الليلة فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل رأيت هذه الصبية في هذه الليلة بعينك في اليقظة أو في المنام فقال له قمر الزمان يا أيها الشيخ النحس أتظن أني رأيتها بأذني أنما رأيتها بعيوني في اليقظة وقلبتها بيدي وسهرت معها نصف ليلة كاملة وأنا أتفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وأنما أنتم أوصيتموها أنها لا تكلمني فجعلت نفسها نائمة فنمت بجانبها إلى الصباح ثم أستيقظت من منامي فلم أجدها فقال له الوزير يا سيدي قمر الزمان ربما تكون رأيت هذا الأمر في المنام فيكون أضغاث أحلام أو تخيلات من أكل مختلف الطعام أو وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا أيها الشيخ النحس كيف تهزأ بي أنت الآخر وتقول لي لعل هذا أضغاث أحلام مع أن الخادم قد أقر بتلك الصبية وقال لي في هذه الساعة أعود إليك وأخبرك بقصتها ثم أن قمر الزمان قام من وقته وتقدم إلى الوزير وقبض لحيته في يده وكانت لحيته طويلة فأخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير وألقاه على الأرض فأحس الوزير أن روحه طلعت من شدة نتف لحيته ومازال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويصفعه على الصبي المجنون بكذبة فأنا أولاً بذلك منه وأخلاص نفسي أنا الآخر بكذبة وألا يهلكني فها أنا أكذب وأخلاص روحي منه فأنه مجنون لاشك في جنونه ثم أن الوزير التفت إلى قمر الزمان

وقال له يا سيدي لا تؤاخذني فإن والدك أوصاني أن أكتم عنك خبر هذه الصبية وأنا الآن عجزت وكليت من الضرب لأني بقيت رجلاً كبيراً وليس لي قوة على تحمل الضرب فتمهل علي قليلاً حتى أحدثك بقصة الصبية فعند ذلك منع عنه الضرب وقال له لأي شيء لم تخبرني بخبر تلك الصبية إلا بعد الضرب والإهانة فقم يـا أيها الشيخ النحس وأحك لي خبرها فقال له الوزير هل أنت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح فقال له قمر الزمان نعم أخبرني أيها الوزير من الذي جاء بها إلى وأنامها عندي وأين هي في هـذه الساعة حتى أروح أنا إليها بنفسي فإن كان أبي الملك شهرمان فعل معي هذه الفعال وامتحني بتلك الصـبية المليحة من أجل زواجها فأنا رضيت أن أتزوج بها فإنه ما فعل معي هذا الأمر كله وولـع خـاطري بتلـك الصبية بعد ذلك حجبها عني إلا من أجل امتناعي من الزواج فها أنا رضيت بالزواج فأعلم والدي بذلك أيهـا الوزير وأشر إليه أن يزوجني بتلك الصبية فإني لا أريد سواها وقلبي لم يعشق إلا إياها فقم وأسرع إلى أبـي وأشر إليه بتعجيل زواجي ثم عدا لي قريباً في هذه ساعة فما صدق الوزير بالخلاص من قمر الزمان حتـى خرج من البرج وهو يجري إلى أن دخل على الملك شهرمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير خرج يجري من البرج إلى أن دخل على الملك شهرمان فلمـا دخل عليه قال له الملك أيها الوزير مالي أراك في ارتباك ومن الذي بشره رماك حتى جئت مرعوبـاً فقـال للملك إني قد جئتك ببشارة قال له الملك وما تلك البشارة قال له اعلم أن ولدك قمر الزمان قد حصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاماً وقال له أيها الوزير أوضح لي صفة جنون ولدي قال له الوزير سمعاً وطاعة ثم أخبره بما صدر من ولده فقال الملك أبشر أيها الوزير أني أعطيك في نظيـر بشارتك أياي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعم عنك يا نحس الوزراء وأخبث الأمراء لأني أعلم أنـك سبب جنون ولدي بمشورتك ورأيك التعيس الذي أشرت به علي في الأول والآخر وا أن كان يـأتي علـى ولدي شيء من الضرر أو الجنون لأسمرنك على القبة وأذيقنك النكبة ثم أن الملك نهض قائماً علـى أقدامـه وأخذ الوزير معه ودخل به البرج الذي فيه قمر الزمان فلما وصلا إليه قام قمر الزمان على قدميـه لوالـده ونزل سريعاً من فوق السرير الذي هو جالس عليه وقبل يديه ثم تأخر وراءه وأطرق رأسه إلى الأرض وهو مكتف اليدين قدام أبيه ولم يزل كذلك ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه إلى والده وفرت الدموع من عينيـه وسالت على خديه وأنشد قول الشاعر:

أن كنـت قـد أذنبـت ذنبـاً سـالفاً	**فـي حقكـم وأتيـت شـيئاً منكـراً**
أنـا تائـب عمـا جنيـت وعفـوكم	**يسـع المسـيء إذا أتـى مسـتغفراً**

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه وأجلسه إلى جانبه فوق السرير ثم التفـت إلى الوزير بعين الغضب وقال له يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدي قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبي عليه ثم التفت إلى ولده وقال له يا ولدي ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدي هذا يوم السبت وغـدا يـوم الأحد وبعده يوم الأثنين وبعده الثلاثاء وبعده الأربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدي قمر الزمان الحمد على سلامتك ما إسم هذا الشهر الذي علينا بالعربي فقال اسمه ذو القعدة ويليـه ذو الحجـة

وبعده المحرم وبعده صفر وبعده ربيع الأول وبعده ربيع الثاني وبعده جمادي الأولى وبعده جمـادي الثانيـة وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال ففرح بذلك الملك فرحاً شديداً وبصق في وجه الـوزير وقال له يا شيخ السوء كيف تزعم أن ولدي قمر الزمان قد جن والحال أنه ما جن إلا أنت فعند ذلـك حـرك الوزير رأسه وأراد أن يتكلم ثم خطر بباله أن يتمهل قليلاً لينظر ماذا يكون ثم أن الملك قال لولده يا ولدي أي شيء هذا الكلام الذي تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما أني كنت نائماً أنا وصبية مليحة في هذه الليلة فما شأن هذه الصبية التي ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام أبيه وقال له يا والدي اعلم أنه ما بقي لي قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا على شيئاً ولا كلمة واحدة فقد ضاق خلقي مما تفعلونه معي واعلم يا والدي أنـي رضيت بالزواج ولكن بشرط أن تزوجني تلك الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فإني أتحقق أنـك أنت الذي أرسلتها إلي وشوقتني إليها وبعد ذلك أرسلت إليها قبل الصبح وأخذتها من عندي فقال الملك اسـم ا حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان أي شيء هذه الصبية التي تزعم أني أرسلتها إليك في هذه الليلة ثم أرسلت أخذتها من عندك قبل الصباح فو ا يا ولدي ليس لي علـم بهـذا الأمر فبا عليك أن تخبرني هل ذلك أضغاث أحلام أو تخيلات طعام فإنك بت في هذه الليلة وأنت مشـغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره قبح ا الزواج وساعته وقبح من أشار به ولاشك أنك متكدر المزاج مـن جهة الزواج فرأيت في المنام أن صبية مليحة تعانقك وأنت تعتقد في بالك أنك رأيتها في اليقظة وهذا كله يـا ولدي أضغاث أحلام فقال قمر الزمان دع عنك هذا الكلام واحلف با الخالق العلام قاصم الجبـابرة ومبيـد الأكاسرة أنه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها فقال الملك وحق إله موسى وإبراهيم إنه لم يكن لي علم بذلك ولعله أضغاث أحلام رأيته في المنام فقال قمر الزمان لوالده أنا أضرب لك مثلاً يبين لك أن هذا كـان فـي اليقظة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال لوالده هذا المثل هو أني أسألك هل اتفق لأحـد أنـه رأي نفسه في المنام يقاتل وقد قاتل قتالاً شديداً وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد في يده سيفاً ملوثاً بالدم فقال له والده لا وا يا ولدي لم يتفق هذا فلقال له قمر الزمان أخبرك بما حصل لي وهو أني رأيت في هذه الليلة كأني استيقظت من منامي نصف الليل فوجدت بنتاً نائمة بجانبي وقدها كقدي وشكلها كشكلي فعانقتها ومسكتها بيدي وأخذت خاتمها ووضعته في أصبعي وقلعت خاتمي ووضعته في أصبعها وأمتنعت عنها حيـاء منـك وظننت أنك أرسلتها واستخفيت في موضع لتنظر ما أفعل واستحييت من أجل ذلك أن أقبلها في فمهـا حيـاء منك وخطر ببالي أنك تمتحني بها حتى ترغبني في الزواج وبعد ذلك أنتبهت من منامي في وجه الصبح فلـم أجد للصبية من أثر ولا وقفت لها على خبر وجرى لي مع الخادم والوزير ما جرى فكيف يكون هذا الأمـر كذباً وأمر الخاتم ميخا ولولا الخاتم كنت أظن أنه منام وهذا خاتمها الذي في خنصري في هذه الساعة فانظر أيها الملك إلى الخاتم كم يساوي ثم أن قمر الزمان ناول الخاتم لأبيه فأخذه وقلبه ثم التفت إلى ولده وقال له أن

لهذا الخاتم نبأ عظيماً وخبراً جسيماً وأن الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبية أمر مشكل ولا أعلم من أين دخل علينا هذا الدخيل وما تسبب في هذا كله إلا الوزير فبا عليك يا ولدي أن تصبر لعل ا يفرج عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم كما قال الشاعر:

عسـى ولعـل الـدهر يلـوي عنانـه   ويـأتي بخيـر فالزمـان غيـور
وتسـعد آمـالي وتقضـي حـوائجي   وتحـدث مـن بعـد الأمـور أمـور

فيا ولدي قد تحققت في هذه الساعة أنه ليس بك جنون ولكن قضيتك ما يجليها عنك إلا ا فقال قمـر الزمان لوالده با يا والدي أنك تفحص لي عن هذه الصبية وتعجل بقدومها وإلا مت كمداً ثم أن قمر الزمان أظهر الوجد والتفت إلى أبيه وأنشد هذين البيتين:

إن كان فـي وعـدكم بالوصـل تزويـر   ففي الكـرى واصـلوا المشـتاق أوزورا
قالوا وكيف يزور الطيـف جفـن فتـى   منامـه عنـه ممنـوع ومحجـور

ثم إن قمر الزمان بعد أنشاد هذه الأشعار التفت إلى أبيه بخضوع وانكسار وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

خذوا حذركم من طرفهـا فهـو سـاحر   ولـيس بنـاج مـن رمتـه المحـاجر
ولا تخـدعوا مـن رقـة فـي كلامهـا   فـإن الحميـا للعقـول تخـامر
منعمـة لـولا مـس الـورد خـدها   بكـت وبـدت مـن مقلتيهـا البـوادر
فلو في الكـرى مـر النسـيم بأرضـها   سرى بـدا مـن أرضـها وهـو عـاطر

فلما فرغ قمر الزمان من شعره قال الوزير للملك يا ملك الزمان إلى متى أنت محجوب عن العسـكر عند ولدك قمر الزمان فربما يفسد عليك نظام المملكة بسبب بعدك عن أرباب دولتك والعاقل إذا ألمت بجسمه أمراض مختلفة يجب عليه أن يبدأ بمداواة أعظمها والرأي عندي أن تنقل ولدك من هذا المكان إلى القصـر الذي في السراية المطل على البحر وتنقطع عن ولدك فيه وتجعل للموكب والديوان في كـل جمعـة يـومين الخميس والأثنين فيدخل عليك فيهما الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وخـواص المملكـة وأصحاب الصولة وبقية العساكر والرعية ويعرضون عليك أحوالهم فاقض حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانهي بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولا تزال على تلك الحالة حتى يفـرج ا عنك وعنه ولا تأمن أيها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فإن العاقل دائماً محاذر وما أحسن قـول الشاعر:

حسـنت ظنـك بالأيـام إذ حسـنت   ولم تخف سـوء مـا يـأتي بـه القـدر
وسـالمتك الليـالي فـاغتررت بهـا   وعنـد صـفو الليـالي يحـدث الكـدر
يا معشر الناس من كـان الزمـان لـه   مسـاعداً فلـيكن مـن رأيـه الحـذر

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صواباً ونصيحة في مصلحته فأثر عنده وخاف أن ينفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته وساعته وأمر بتحويل ولده من ذلك المكان إلى القصر الذي في السراية المطل على البحر ويمشون إليه على ممشاة في وسط البحر عرضها عشرون ذراعاً وبدائر القصر شبابيك مظلة على البحر وأرض ذلك القصر مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بأفخر الدهان من سائر الألوان ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمر الزمان فيه البسط الحرير والبسوا حيطانه الديباج وأرخوا عليه الستائر المكللة بالجواهر ودخل فيه قمر الزمان وصار من شدة العشق كثير السهر فاشتغل خاطره وأسفر لونه وانتحل جسمه وجلس والده الملك شهرمان عند رأسه وحزن عليه وصار الملك في كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن في أن يدخل عليه من شاء الدخول من الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وسائر العساكر والرعية في ذلك القيصر فيدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة ويقيمون عنده إلى آخر النهار ثم ينصرفون بعد ذلك إلى حال سبيلهم وبعد ذلك يدخل الملك عند ولده قمر الزمان في ذلك المكان ولا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ولم يزل على تلك الحالة مدة أيام وليال من الزمان هذا ما كان من أمر قمر الزمان بن الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فإن الجن لما حملوها وأناموها في فراشها لم يبق من الليل إلا ثلاثة ساعات ثم طلع الفجر فاستيقظت من منامها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما استيقظت من منامها جلست والتفتت يميناً وشمالاً فلم ترى معشوقها الذي كان في حضنها فارتجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها فتقدمت إليها كبيرتهن وقالت لها يا سيدتي ما الذي أصابك فقالت لها أيتها العجوز النحس أين معشوقي الشاب الذي كان نائماً هذه الليلة في حضني فأخبريني أين راح فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً وخافت من بأسها خوفاً عظيماً وقالت يا سيدتي بدور أي شيء هذا الكلام الصبيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذي كان بائتاً عندي من العشاء إلى قرب طلوع الفجر فقالت وا ما رأيت شاباً ولا غيره فبا يا سيدتي لا تمزحي هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح أرواحنا وربما بلغ أباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده فقالت لها الملكة بدور أنه كان غلاماً بائتاً عندي في هذه الليلة وهو من أحسن الناس وجهاً فقالت له القهرمانة سلامة عقلك ما كان أحد بائتاً عندك في هذه الليلة فعند ذلك نظرت السيدة بدور إلى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان في أصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانةويلك يا خائنة تكذبين علي وتقولين ما كان أحد بائتاً عندك وتحلفين لي با باطلاً فقالت القهرمانة وا ما كذبت عليك ولا حلفت باطلاً فاغتاظت منها السيدة بدور وسحبت سيفاً كان عندها وضربت القهرمانة فقتلتها فعند ذلك صاح الخدام والجواري والسراري عليها وراحوا إلى أبيها واعلموه بحالها فأتى الملك إلى أبنته السيدة بدور من وقته وساعته وقال لها يا بنتي ما خبرك فقالت يا أبي أين الشاب الذي كان نائماً بجانبي في هذه الليلة وطار عقلها من رأسها وصارت تلتفت بعينها يميناً وشمالاً ثم شقت ثوبها إلى ذيلها فلما رأى أبوها تلك الفعال أمر الجواري والخدم أن يمسكوها فقبضوا عليها وقيدوها وجعلوا في رقبتها سلسلة

من حديد وربطوها في الشباك الذي في القصر هذا ما كان من أمر الملكة بدور (وأما) ما كان من أمر أبيهـا الملك الغيور فإنه لما رأى ما جرى من أبنته السيدة بدور ضاقت عليه الدنيا لأنه كان يحبها فلم يهـن عليـه أمرها فعند ذلك أحضر المنجمين والحكماء وأصحاب الأقلام وقال لهم من أبرأ بنتي مما هي فيه زوجته بهـا وأعطيته نصف مملكتي ومن لم يبرئها ضربت عنقه ويعلق رأسه على باب القصر ولم يزل يفعل ذلك إلى أن قطع من أجلها أربعين رأساً فطلب سائر الحكماء فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جميـع الحكمـاء عـن دوائها واشتكلت قضيتها على أهل العلوم وأرباب الأقلام ثم أن السيدة بدور لمـا زاد بهـا الوجـد والغـرام وأضربها العشق والهيام أجرت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

غرامـي فيـك يـا قمـري غريمـي ... وذكـرك فـي دجـى ليالـى نـديمي

أبيـت وأضـلعي فيهـا لهيـب ... يحـاكي حـره نـار الجحـيم

بليـت بفـرط وجـد واحتـراق ... عـذائي منهمـا أضحـى اليمـي

فلما فرغت السيدة بدور من إنشاد هذه الأشعار بكت حتى مرضت جفونها وتدبلت وجناتهـا ثـم أنهـا استمرت على هذا الحال ثلاث سنين وكان لها أخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر إلى أقصى الـبلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبها محبة زائدة على محبة الأخوة فلما حضر دخل على والدته وسألها عن أخته السيدة بدور فقالت له يا ولدي أن أختك حصل لها جنون ومضى لها ثلاث سنين وفي رقبتها سلسلة من حديد وعجزت الأطباء عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولي عليها لعلي أعرف ما بها وأقدر على دوائها فلما سمعت كلامه قالت لابد من دخولك عليها ولكن أصبر إلى غد حتى أتحيـل فـي أمرك ثم أن أمه ذهبت إلى قصر السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب وأهدت له هدية وقالت لـه أن لي بنتاً وقد تربت مع السيدة بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ما جرى صار قلبها متعلقاً بها وأرجو من فضلك أن بنتي تأتي عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها أحد فقال الخـادم لا يمكـن ذلك إلا في الليل فبعد أن يأتي السلطان ينظر ابنته ويخرج أدخلي أنت وأبنتك فقبلـت العجـوز يـد الخـادم وخرجت إلى بيتها فلما جاء وقت العشاء من الليلة القابلة قامت من وقتها وساعتها وأخذت ولـدها مـرزوان وألبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده في يدها وأدخلته القصر ومازالت تمشي حتى أوصلته إلى الخـادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رآها الخادم قام واقفاً وقال لها ادخلي ولا تطيلي القعود فلما دخلـت العجوز بولدها مرزوان رأى السيدة بدور في تلك الحالة فسلموا عليها بعد أن كشفت عنه أمه ثيـاب النسـاء فأخرج مرزوان الكتب التي معه وأوقد شمعة فنظرت إليه السيدة بدور فعرفته وقالت له يا أخي أنـت كنـت سافرت وانقطعت أخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردني ا بالسلامة وأردت السفر ثانياً فما ردني عنه إلا هذا الخبر الذي سمعته عنك فاحترق فؤادي عليك وجئت إليك لعلي أعرف داءك وأقدر على دوائك فقالت له يا أخي هل تحسب أن الذي أعتراني جنون ثم أشارت إليه وأنشدت هذين البيتين:

قالوا جننت بمـن تهـوى فقلـت لهـم ... مـا لـذة العـيش إلا للمجـانين

ثـم جننـت فهـاتوا مـن جننـت بـه ... إن كـان يشـفى جنـوني لا تلومـوني

فعلم مرزوان أنها عاشقة فقال لها أخبريني بقصتك وما أتفق لك لعلي ا أن يطلعني على ما فيه خلاصك. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بدور قالت يا أخي اسمع قصتي وذلك أنني استيقظت من منامي ليلة في الثلث الأخير من الليل وجلست فرأيت بجانبي شاباً أحسن ما يكون من الشبان بكل عن وصفه اللسان كأنه غصن بان أو قضيب خيزران فظننت أن أبي هو الذي أمره بهذا الأمر ليمتعني لأنه راودني عن الزواج لما خطبني منه الملوك فأبيت فهذا الظن هو الذي منعني من أن أنه وخشيت أني إذا عانقته ربما يخبر أبي بذلك فلما أصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضا عن خاتمي فهذه حكايتي وأنا يا أخي قد تعلق قلبي به من حين رؤيته ومن كثرة عشقي والغرام لم أذق طعم المنام ومالي شغل غير بكائي بالدموع وأنشاد الأشعار بالليل والنهار ثم أفاضت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

أبعد الحب لي ذاتي تطيب	**وذاك الظبي مرتعه القلوب**
دم العشاق أهون ما عليه	**وفيه مهجة الضنى تذوب**
أغار عليه من نظري وفكري	**فمن بعضي على بعضي رقيب**
وأجفان له ترمي سهاماً	**فواتك في القلوب لنا تصيب**
فهل لي أن أراه قبل موتي	**إذا ما كان في الدنيا نصيب**
وأكتم سره فينم دمعي	**بما عندي ويعلمه الرقيب**
قريب وصله مني بعيد	**بعيد ذكره مني قريب**

ثم أن السيدة بدور قالت لمرزوان أنظر يا أخي ما الذي تعمل معي في الذي أعتراني فاطرق مرزوان رأسه إلى الأرض ساعة وهو يتعجب وما يدري ما يفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ما جرى لك صحيح وأن حكاية هذا الشاب أعيت فكري ولكن أدور في جميع البلاد وأفتش على دوائك لعل ا يجعله على يدي فأصبري ولا تقلقي ثم أن مرزوان ودعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها ثم أن مرزوان تمشي إلى بيت والدته فنام تلك الليلة ولما أصبح الصباح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافراً من مدينة إلى مدينة ومن جزيرة إلى جزيرة مدة شهر كامل ثم دخل مدينة يقال لها الطيرب واستنشق الأخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كلما يدخل في مدينة أو يمر بها يسمع أن الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون ولم يزل يستنشق الأخبار حتى وصل إلى مدينة الطيرب فسمع أن قمر الزمان بن الملك شهرمان مريض وأنه اعتراه وسواس وجنون فلما سمع مرزوان بخبره سال بعض أهالي تلك المدينة عن بلاده ومحل تخته فقالوا له جزائر خالدات وبيننا وبينها مسيرة شهر كامل في البحر وأما في البرفتة أشهر فنزل مرزوان في مركب إلى جزائر خالدات وكانت مركب مجهزة للسفر وطاب لها الريح مدة شهر فبانت لهم المدينة ولما أشرفوا عليها ولم يبق لهم إلا الوصول إلى الساحل خرجت عليهم ريح عاصف فرمي القرية ووقعت القلوع في البحر وانقلبت المركب بجميع ما فيها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان جذبته قوة التيار جذبة حتى أوصلته تحت قصر الملك الذي فيه قمر الزمان وكان بالأمر المقدر قد اجتمع الأمراء والوزراء عنده للخدمة والملك شهرمان جالس ورأس ولده قمر الزمان في حجره وخادم بنش عليه وكان قمر الزمان مضي له يومان وهو لم يأكل ولم يشرب ولم يتكلم وصار الوزير واقفاً عند رجليه قريب من الشباك المطل على البحر فرفع الوزير بصره فرأي مرزوان قد أشرف على الهلاك من التيار وبقي على آخر نفس فرق قلب الوزير إليه فتقرب إلى السلطان ومدرأسه إليه وقال له استأذنك في أن أنزل إلى ساحة القصر وأفتح بابها لأنقذ إنساناً قد أشرف على الغرق في البحر وأطلعه من الضيق إلى الفرج لعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال السلطان كل ما جرى على ولدى بسببك وربما أنك إذا اطلعت هذا الغريب يطلع على أحوالنا وينظر إلى ولدي ويخرج يتحدث مع أحد باسرارنا لأضربن رقبتك قبله لأنك أيها الوزير سبب ما جرى لنا أولاً وآخراً فافعل ما بدا لك فنهض الوزير وفتح باب الساحة ونزل في الممشاة عشرين خطوة ثم خرج إلى البحر فرأى مرزوان مشرفاً على الموت فمد الوزير يده إليه وأمسكه من شعر رأسه وجذبه منه عليه حتى ردت روحه إليه ثم نزع عنه ثيابه وألبسه ثياباً غيرها وعممه بعمامة من عمائم غلمانه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل وكيف قال له أنني كنت سبباً لنجاتك من الغرق فلا تكن سبباً لموتى وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لأنك في هذه الساعة تطلع وتشق بين أمراء ووزراء والكل ساكتون لا يتكلمون من أجل قمر الزمان بن السلطان فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لأنه كان يسمع بحديثه في البلاد فقال مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لأنه كان يسمع بحديثه في البلاد فقال مرزوان ومن قمر الزمان فقال الوزيرهو ابن السلطان شهرمان وهو ضعيف ملقى على الفراش لا يقر له قرار ولا يعرف ليلاً ولا نهار وكاد أن يفارق الحياة من نحول جسمه ويصير من الأموات فنهاره لهيب وليله في تعذيب وقد يئسنا من حياته وأيقنا بوفاته وأياك أن تطيل النظر إليه أو تنظر إلى غير الموضع الذي تحط فيه رجلك وإلا فتروح روحك وروحي فقال بالله أخبرني عن هذا الشاب الذي وصفته لي ما سبب هذا الأمر الذي هو فيه فقال له الوزير لا أعلم له سبباً إلا أن والده من منذ ثلاث سنين كان يراوده عن أمر الزواج وهو يأبى فأصبح يزعم أنه كان نائماً فرأى بجنبه صبية بارعة الجمال وجمالها يحير العقول ويعجز عنه الوصف وذكر لنا أنه نزع خاتما من أصبعها ولبسه وألبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدي أطلع معي القصر ولا تنظر إلى ابن الملك ثم بعد ذلك رح إلى حال سبيلك فإن السلطان قلبه ملآن عليه غيظاً فقال مرزوان في نفسه والله أن هذا هو المطلوب ثم طلع مرزوان خلف الوزير إلى أن وصل إلى القصر ثم جلس الوزير تحت رجلي قمر الزمان وأما مرزوان فإنه لم يكن له دأب إلا أنه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر إليه فمات الوزير في جلده وصار ينظر إلى مرزوان ويغمزه ليروح إلى حال سبيله ومرزوان يتغافل وينظر إلى قمر الزمان وعلم أنه هو المطلوب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان قال سبحان الله جعل قده مثل قدها ولونه مثل لونها وخده مثل خدها ففتح قمر الزمان عينيه وأصغى له بأذنيه فلما رآه مرزوان صاغياً إلى ما يلقيه من الكلمات أنشد هذه الأبيات:

أراك طروبــاً ذا شــجى وتــرنم	تميــل إلــى ذكــر المحاســن بــالفم
أصــابك عشــق أم رميــت بأســهم	فمــا هــذه الأســجية مــن رمــى
إلا فاسقني كاسـات خمـر وغـن لـي	بـذكر سـليمي والربــاب تــنعم
أغــار علــى أعطافهــا مــن ثيابهــا	إذا لبســتها فــوق جســم مــنعم
وأحســد كاســات تقبــل ثغرهــا	إذا وضـعتها موضـع اللـثم فـي الفـم
فــلا تحســبوا أنــي قتلــت بصــارم	ولكــن لحــاظ قــد رمتنــي بأســهم
ولمــا تلاقينــا وجــدت بنانهــا	مخضــبة تحكــي عصــارة عنــدم
فقالت والقت في الحشا لاعـج الهـوى	مقالــة مــن للحــب لــم يــتكلم
رويـدك مــا هــذا خضــاب خضــبته	فلاتــك بالبهــان والــزور متهمــي
ولكننــي لمــا رأيتــك نائمــاً	وقد كشـفت كفـي وزنـدي ومعصـمي
بكيـت دمـاً يـوم النـوى فمسـحته	بكفــي فابلــت بنــاني مــن دمــي
فلــو قبـل مبكاهــا بكيـت صـبابة	لكنــت شــفيت الــنفس قبــل التنــدم
ولكن بكـت قبلـي فهـيج لـي البكـا	بكاهــا فقلــت الفضــل للمتقــدم
فــلا تعــذلوني فــي هواهــا لأنني	وحــق الهــوى فيهــا كثيــر التــألم
بكيـت علـى زيـن الحسـن وجههـا	لــيس لهــا مثــل بعــرب وأعجــم
لهـا علـم لقمـان وصـورة يوسـف	ونغمــة داود وعفــة مــريم
ولي حـزن يعقـوب وحسـرة يـونس	وبلــوة أيــوب وقصــة آدم
فــلا تقتلوهــا أن قلــت بهــا جــوى	بلى فأسـألوها كيـف حـل لهـا دمـي

فلما أنشد مرزوان هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان برداً وسلاماً. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح..

(وفي ليلة ٢٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان أشار إلى السلطان بيده دع هذا للشاب يجلس في جانبي فلما سمع السلطان من ولده قمر الزمان هذا الكلام فرح فرحاً شديداً بعد أن غضب على الشاب وأضمر في نفسه أنه يرمي رقبته ثم قام الملك وأجلس مرزوان إلى جانب ولده وأقبل عليه وقال له من أي البلاد أنت قال من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملك شهرمان عسى أن يكون الفرج على يديك لولدي قمر الزمان ثم أن مرزوان أقبل على قمر الزمان وقال له في أذنه ثبت قلبك وطب نفساً وقر عيناً فإن التي صرت من أجلها هكذا لا تسأل عما هي فيه من أجلك ولكنك كتمت أمرك فضعفت وأما هي فإنها أظهرت ما بها فجنت وهي الآن مسجونة بأسوأ حال وفي رقبتها غل من حديد وإن شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدي فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردت روحه إليه واستفاق وأشار

إلى الملك والده أن يجلس ففرح فرحاً زائداً وأجلس ولده ثم أخرج جميع الوزراء والأمراء واتكأ قمر الزمان بين مخدتين وأمر الملك أن يطيبوا القصر بالزعفران ثم أمر بزينة المدينة وقال لمرزوان وا   يا ولـدي أن هذه طلعة مباركة ثم أكرمه غاية الإكرام وطلب لمرزوان الطعام فقدموا له فأكل وأكل معـه قمـر الزمـان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولـده فلما أصبح الصباح صار مرزوان يحدث قمر الزمان بالقصة وقال له اعلم أنني أعرف التي اجتمعـت بهـا وأسمها السيدة بدون بنت الملك الغيور ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الأول إلى الآخر وأخبـره بفـرط محبتها له وقال له جميع ما جرى لك مع والدك جرى لها مع والدها وأنت من غير شك حبيبها وهي حبيبتك فثبت قلبك وقو عزيمتك فها أنا أوصلك إليها وأجمع بينك وبينها وأعمل معكما كما قال بعض الشعراء:

إذا حبيـــب صـــد عـــن صـــبه   ولـــم يـــزل فـــي فـــرط أعـــراض

الفـــت وصـــلا بـــين شخصـــيهما   كـــــأنني مســـــــمار مقـــــراض

ولم يزل مرزوان يشجع قمر الزمان حتى أكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه إليه ونقه مما كان فيه ولم يزل مرزوان يحدثه وينادمه ويسليه وينشد له الأشعار حتى دخل الحمام وأمر والده بزينـة المدينـة فرحاً بذلك. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان خلع الخلع وتصدق وأطلق من فـي الحبـوس ثـم أن مرزوان قال لقمر الزمان اعلم أنني ما جئت من عند السيدة بدور إلا لهذا الأمر وهو سبب سفري لأجـل أن أخلصها مما هي فيه وما بقي لنا إلا الحيلة في زواجنا إليها لأن والدك لا يقدر في أنك تخرج إلى الصيد فـي البرية وخذ معك خرجاً ملآناً من المال واركب جواداً من الخيل وخذ معك جنيباً وأنا الآخر مثلك وقل لوالدك إنني أريد أن أتفرج في البرية وأتصيد وأنظر الفضاء وأبيت هناك ليلة واحدة فلا تشغل قلبك علي بشيء ففرح قمر الزمان بما قاله مرزوان ودخل على والده واستأذنه في الخروج إلى الصيد وقال له الكلام الذي أوصـاه به مرزوان فأذن له والده في الخروج إلى الصيد وقال له لا تبت غير ليلة واحدة وفي غد تحضر فإنك تعلـم أنه ما يطيب لي عيش إلا بك وأنني ما صدقت أنك خلصت مما كنت فيه ثم أن الملك شهرمان أنشـد هـذين البيتين:

ولـو أنـي أصـبحت فـي كـل نعمـة   وكانـت لـي الـدنيا وملـك الأكاسـرة

لمـا وازنـت عنـدي جنـاح بعوضـة   وإذا لم تكـن عينـي لشخصـك نـاظرة

ثم أن الملك جهز ولده قمر الزمان هو ومرزوان وأمر أن يهيأ لهما ستة من الخيل وهجين برسم المال وجمل يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان أن يخرج معه أحد في خدمته فودعه أبوه وضمه إلى صدره وقال له سألتك با   لا تغب عني إلا ليلة واحدة وحرام على المنام فيها وأنشد يقول:

وصـــالك عنـــدي ألـــذ نعـــيم   وصـــبري عنـــك أضـــر إلـــيم
فـــديتك إن كـــان ذنـــب الهـــوى   إليـــك فـــذنبي أجـــل عظـــيم
أعنـــدك مثلـــي نـــار الجـــوى   فأصـــلي بـــذاك عـــذاب الجحـــيم

ثم خرج قمر الزمان ومرزوان وركبا فرسين ومعهما الهجين والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ومرزوان لما استقبلا البر سار أول يوم إلى المسـاء ثـم نزلا وأكلا وشربا وأطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا ومازالا سائرين مدة ثلاثة أيام وفي رابـع يوم بأن لهما مكان متسع فيه غاب فنزلا فيه ثم أخذ مرزوان جملا وفرساً وذبحهما وقطع لحمهما قطعاً وتجر عظمهما وأخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعاً ولوثهما بدم الفرس وأخذ ملوطة قمـر الزمـان ومزقها ولوثها بالدم ورماها في مفرق الطريق ثم أكلا وشربا وسافرا فسأله قمر الزمان عمـا فعلـه فقـال مرزوان اعلم أن والدك الملك شهرمان أذا غبت عنه ليلة ولم تحضر له ثاني ليلة يركب ويسافر في أثرنا إلى أن يصل إلى هذا الدم الذي فعلته ويرى قماشك مقطعاً وعلي الدم فيظن في نفسه أنه جرى لك شيء من قطا الطريق أو وحش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع إلى المدينة ونبلغ بهذه الحيلة ما نريد فقال قمر الزمان نعم ما فعلت ثم سارا أياماً وليالي كل ذلك وقمر الزمان باكي العين إلى أن استبشر بقرب الـديار فأنشـد هـذه الأشعار.

انجفـو محبـاً ماسـلا عنـك سـاعة   وتزهـد فيـه بعـد مـا كنـت راغبـاً
حرمت الرضا أن كنت خنتك في الهـوى   وعوقبت بالهجران أن كنت كاذباً وإن كان
وما كان لـي ذنـب فاستوجب الجفـا   لـي ذنـب فقـد جئـت تائبـاً
ومـن عجـب الأيـام أنـك هـاجري   ومـا زالـت الأيـام تبـدي العجائبـا

فلما فرغ قمر الزمان من شعره بانت له جزائر الملك الغيـور ففـرح قمـر الزمـان فرحـاً شـديداً وشكرمرزوان على فعله. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ومرزوان دخلا المدينة وأنزله مرزوان في خان واستراحا ثلاثة أيام من السفر وبعد ذلك دخل بقمر الزمان الحمام وألبسه لبس التجار وعمل له تخت رمل مـن ذهـب وعمل له عدة وعمل له اصطرلاباً من الذهب ثم قال له مرزوان قم يا مولاي وقف تحت قصر الملك وناد أنا الحاسب الكاتب المنجم فأين الطالب فإن الملك إذا سمعك يرسل خلفك ويدخل بك على ابنته محبوبتـك وهـي حين تراك يزول ما بها من الجنون ويفرح أبوها بسلامتها ويزوجها لك ويقاسمك في ملكه لأنه شرط علـى نفسه هذا الشرط فقبل قمر الزمان ما أشار به مرزوان وخرج من الخان وهو لابس البدلة وأخذ معـه العـدة التي ذكرناها ومشي إلى أن وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى أنا الكاتب الحاسب المنجم أكتـب الكتـاب وأحكم الحجاب وأحسب الحساب وأخط بأقلام المطالب فأين الطالب فلما سمع أهل المدينة هذا الكلام وكـانوا

مدة من الزمان ما رأوا حاسباً ولا منجماً وقفوا حوله وتأملوه فتعجبوا من حسن صورته ورونق شبابه وقالوا له با   عليك يا مولانا لا تفعل بنفسك هذه الفعال طمعاً في زواج بنت الملك الغيور وانظر بعينك إلى هذه الرؤوس المعلقة فإن أصحابهم كلهم قتلوا من أجل هذا الحال فآل بهم الطمع إلى الوبال فلم يلتفت قمر الزمان إلى كلامهم بل رفع صوته ونادى أنا كاتب حاسب أقرب المطالب للطالب فتداخل عليه الناس وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان نهته الناس فلم يسمع كلامهم فاغتاظوا جميعاً وقالوا له ما أنت إلا شاب مكابر أحمق ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال أنا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما الناس تنهي قمر الزمان عن هذه الحالة إذ سمع الملك الغيور الصياح وضجة الناس فقال للوزير أنزل فائتنا بهذا المنجم فنزل الوزير وأخذ قمر الزمان فلما دخل على الملك قبل الأرض بين يديه وأنشد هذين البيتين:

ثمانية في المجد حزت جميعها ... فلا زال خداماً بهن لك الدهر

يقينك والتقوى ومجدك والندى ... ولفظك والمعنى وعزك والنصر

(فلما) نظر الملك الغيور إليه أجلسه إلى جانبه وأقبل عليه وقال له يا ولدي لا تجعل نفسك منجماً ولا تدخل على شرطي فأني ألزمت نفسي أن كل من دخل على بنتي ولم يبرئها مما أصابها ضربت عنقه وكل من أبرأها زوجته لها فلا يغرك حسنك وجمالك وقدك واعتدالك وا   وا   إن لم تبرئها لأضربن عنقك فقال قمر الزمان قبلت منك هذا الشرط فأشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلمه إلى الخادم وقال له أوصل هذا إلى السيدة بدور فأخذه الخادم من يده ومشى به في الدهليز فصار قمر الزمان يسابقه وصار الخادم يقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فو ا   ما رأيت منجماً يستعجل على هلاك نفسه إلا أنت ولكنك لم تعرف أي شيء قدامك من الدواهي فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أنشد هذه الأبيات:

أنا عارف بصفات حسنك جاهل ... متحير لم أدر ما أنا قائل

أن قلت شمساً كان حسنك لم يغب ... عني وعهدي بالشموس أو أفل

كملت محاسنك التي في وصفها ... عجز البليغ وحار فيها القائل

ثم أن الخادم أوقف قمر الزمان خلف الستارة التي على الباب فقال له قمر الزمان أي الحالتين أحب إليك كي أداوي سيدتك وأبرئها من هنا أو أدخل إليها فابرئها من داخل الستار فتعجب الخادم من كلامه وقال له أن أبرأتها من هنا كان ذلك زيادة في فضلك فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة وأطلع الدواة والقلم وكتب في ورقة هذه الكلمات من يروح به الجفاء فدواؤه الوفاء والبلاء لمن يئس من حياته وأيقن بحلول وفاته وما لقلبه الحزين من مسعف ولا معين وما لطرفه الساهر على الهم ناصر فنهاره في لهيب وليلة في تعذيب وقد انبرى جسمه من كثرة التحول ولم يأته من حبيبه رسول ثم كتب هذه الأبيات:

كتبت ولي قلب بذكرك مولع ... وجفن قريح من دمائي يدمع
وجسم كساه لاعج الشوق والأسى ... قميص نحول فهو فيه مضعضع
شكوت الهوى لما أضر بي الهوى ... ولم يبق عندي للتصبر موضع
إليك فجودي وأرحمي وتعطفي ... فإن فؤادي بالهوى يتقطع

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات شفاء القلوب لقاء المحبوب من جفاه حبيبه فا طبيبه من خان منكم ومنالاً نال ما يتمنى ولا أظرف من المحب الوافي إلى الحبيب الجافي ثم كتب في الأمضاء من الهائم الولهان العاق الحيران من أقلقه الشوق والغرام أسير الوجد والهيام قمر الزمان بن الملك شهرمان إلى فريدة الزمان ونخبة الحور الحسان السيدة بدور بنت الملك الغيور أعلمي أنني في ليلى سهران وفي نهاري حيران زائد النحول والأسقام والعشق والغرام كثير الزفرات غزير العبرات أسير الهوى قتيل الجوي غريم الغرام نديم السقام فأنا السهران الذي لا تهجع مقلته والمتيم الذي لا ترقأ عبرته فنار قلبي لا تطفأ ولهيب شوقي لا يخفى ثم كتب في حاشية الكتاب هذا البيت المستطاب :

سلام من خزائن لطف ربي ... على من عندها روحي وقلبي

ثم كتب أيضاً:

أرسلت خاتمك الذي استبدلته ... يوم التواصل فارسلي لي خاتمي

وكان وضع خاتم السيدة بدور في طي الكتاب ثم ناول الكتاب للخادم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح:

(وفي ليلة ٢٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما وضع الخاتم في الورقة ناولها للخادم فأخذها ودخل بها إلى السيدة بدور فأخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها بعينه ثم قرأت الورقة فلما عرفت المقصود علمت أن معشوقها قمر الزمان وأنه هو الواقف خلف الستار فطار عقلها من الفرح واتسع صدرها وانشرح ومن فرط المسرات أنشدت هذه الأبيات:

ولقد ندمت على تفرق شملنا ... دهراً وفاض الدمع من أجفاني
ونذرت أن عاد الزمان يلمنا ... لأعدت أذكر فرقة بلساني
هجم السرور على حتى أنه ... من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع منك سجية ... تبكين في فرح وفي أحزان

فلما فرغت السيدة بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها في الحائط واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت روحها على قمر الزمان وقبلته في فمه مثل زق الحمام وعانقته من شدة ما بها من الغرام وقالت له يا سيدي هل هذا يقظة أو منام وقد من ا علينا بجمع شملنا ثم حمدت ا وشكرته على جمع شملها بعد اليأس فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجري حتى وصل إلى الملك الغيور فقبل الأرض بين يديه وقال له يا مولاي اعلم أن هذا المنجم

اعلم المنجمين كلهم فإنه داوي ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال الملك للخادم أصحيح هذا الخبر فقال الخادم يا سيدي قم وانظر إليها كيف قطعت السلاسل الحديد وخرجت للمنجم تقبله وتعانقـه فعنـد ذلك قام الملك الغيور ودخل علي ابنته فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وأنشدت هذين البيتين:

لا أحـب السـواك مـن أجـل أنـي — أن ذكـرت السـواك قلـت سـواكا

وأحـب الأراك مـن أجـل أنـي — أن ذكـرت الأراك قلـت أراك

ففرح أبوها بسلامتها وقبلها بين عينيها لأنه كان يحبها محبة عظيمة وأقبل الملك الغيور علـى قمـر الزمان وسأله عن حاله وقال له من أي البلاد أنت فأخبره قمر الزمان بشأنه وأعلمه أن والده الملك شهرمان ثم أن قمر الزمان قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما اتفق له مع السيدة بـدور وكيـف أخذ الخاتم من أصبعها وألبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال أن حكايتكما لابـد أن تـؤرخ فـي الكتب وتقرأ بعدكما جيلاً بعد جيل ثم أن الملك الغيور أحضر القضاة والشهود من وقته وكتب كتاب السـيدة بدور على قمر الزمان وأمر بتزين المدينة سبعة أيام ثم مدوا السماط والأطعمـة وزينـت المدينـة وجميـع العساكر وأقبلت البشائر ودخل قمر الزمان على السيدة بدور وفرح بعافيتها وزواجها وحمد ا الذي رماهـا في حب شاب مليح من أبناء الملوك ثم أدخلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما في الحسن والجمـال والظـرف والدلال ونام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ أربه منها وتمتعت هي بحسنه وجماله وتعانقا إلـى الصـباح وفي اليوم الثاني عمل الملك وليمة وجمع جميع أهل الجزائر الجوانية والجزائر البرانية وقدم لهم الأسـمطة وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ذلك تفكر قمر الزمان أبا ورآه في المنام يقول له يا ولدي أهكذا تفعـل معي هذه الفعال وأنشده في المنام هذين البيتين:

لقـد راعنـي بـدر الـدجى بصـدوده — ووكـل أجفـاني برعـى كواكبـه

فيـا كبـدي مهـلاً عسـاه يعـود لـي — ويا مهجتي صبراً علـى مـا كـواك بـه

ثم أن قمر الزمان لما رأى والده في المنام يعاتبه أصبح حزيناً واعلم زوجته بـذلك وأدرك شـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما رأى والده في المنام يعاتبه أصـبح حزينـاً وأخبـر زوجته السيدة بدور بذلك فدخلت هي وأياه على والدها وأعلماه واستأذنا في السفر فأذن له في السفر فقالـت السيدة بدور يا والدي لا أصبر على فراقه فقال لها والدها سافري معه وأذن لها بالإقامة معه سنة كاملة وبعد السنة تجيء تزور والدها في كل عام مرة قبلت يد أبيها وكذلك قمر الزمان ثم شرع الملك الغيور في تجهيز ابنته هي وزوجتها وهيأ لهم أدوات السفر وأخرج لهما الخيول والهجان وأخرج لأبنته محفـة وحمـل لهمـا البغال والهجان وأخرج لهما ما يحتاجان إليه في السفر وفي يوم المسير ودع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه خلعة سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم له حزنة مال وأوصاه على أبنته بدور وهي في المحفـة وصار يعانقها ويبكي وأنشد هذين البيتين:

يــــا طالبـــاً للفـــراق صـــبراً فمنعـــــة العاشــــــق العنــــــاق
مهــــلاً فطبــــع الزمــــان غــــدر وآخــــــر العشــــــرة الفـــــراق

ثم خرج من عند ابنته وأتى إلى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله ثم فارقهما وعاد إلى جزائـره بعسكره بعد أن أمرهما بالرحيل فسار قمر الزمان هو وزوجته السيدة بدور ومن معهم من الاتباع أول يـوم والثاني والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر ثم نزلوا في مرج واسع كثير الكلأ وضربوا خيامهم فيه وأكلوا وشربوا وأستراحوا ونامت السيدة بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بـدنها قمـيص مشمشي من الحرير يبين منه كل شيء وفوق رأسها كوفية من الحرير مرصعة بالجواهر وقد رفـع الهـواء قميصها فطلع فوق سرتها عند نهودها فبان لها بطن أبيض من الثلج وكل عكسة من عكس طياته تسع أوقيـة من دهن البان فزاد محبة وهياماً وأنشد هذين البيتين:

لـو قيـل لـي وزفيـر الحـر متقـد والنار فـي القلـب والأحشـاء تضـطرم
أهـم تريـد. وتهـوى أن تشـاهدهم أو شـربة مـن زلال المـاء قلـت هـم

فحط قمر الزمان يده في تكة لباسها فجذبها وحلها لما أشتهاها خاطره فرأى فصاً أحمـر مثـل العـدم مربوطاً على التكة وعليه أسماء منقوشة سطرين بكتابة لا تقرأ فتعجب قمر الزمان من ذلك الفص وقال فـي نفسه لولا أن لهذا الفص أمر عظيم عندها ما ربطته هذه الربطة على تكة لباسها وما خبأته في أعـز مكـان عندها حتى لا تفارقه فماذا تصنع بهذا وما السر الذي هو فيه ثم أخذه وخرج من الخيمة ليبصره في النـور وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أخذ الفص ليبصره في النور صار يتأمل فيه وإذا بطائر انقـض عليه وخطفه من يده وطار به وحط على الأرض فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خاف الطائر وصار الطائر يجري على قدر جري قمر الزمان وصار قمر الزمان خلفه من واد إلى واد ومن تل إلى تل إلـى أن دخل الليل وتغلس الظلام فنام الطائر على شجرة عالية فوقف قمر الزمان تحتها وصار باهتاً وقد ضعف من الجوع والتعب وظن أنه هالك وأراد أن يرجع فما عرف الموضع الذي جاء منه وهجم عليـه الظـلام فقـال لاحول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم نام تحت الشجرة التي فوقها الطائر إلى الصباح ثم انتبه مـن نومـه فوجد الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشي قمر الزمان خلفه وصار ذلك الطائر يطير قلـيلاً بقـدر مشي قمر الزمان فتبسم قمر الزمان وقال يا العجب أن هذا الطائر كان بالأمس يطير بقدر جريتي وفي هذا اليوم علم أني أصبحت تعباناً لا أقدر على الجري فصار يطير على قدر مشي أن هذا عجيب ولكن لابـد أن أتبع هذا الطائر فأما أن يقودني إلى حياتي أو إلى مماتي فأنا أتبعه أينما يتوجه لأنه على كل حال لا يقـيم إلا في البلاد العمار ثم إن قمر الزمان جعل يمشي تحت الطائر والطائر يبيت في كل ليلة على شجرة ولم يـزل متابعة مدة عشرة أيام وقمر الزمان يتقوت من نبات الأرض يشرب من الأنهار وبعد العشرة أيام شرف على مدينة عامرة فمرق الطائر في تلك المدينة مثل لمح البصر وغاب عن قمر الزمان ولـم يعـرف أيـن راح

فتعجب قمر الزمان وقال الحمد   الذي سلمني حتى وصلت إلى هذه المدينة ثم جلس عند الماء وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة وتذكر ما كان فيه من الراحة ونظر إلى ما هو فيه من الغربة والجوع والتعب فأنشد يقول :

أخفيت ما ألقاه منه وقد ظهر **والنوم من عيني تبدل بالسهر**
ناديت لما أوهنت قلبي الفكر **يا دهر لا تبقي علي ولا تذر**

ها مهجتي بين المشقة والخطر

لو كان سلطان المحبة منصفي **ما كان نومي من عيوني قد نفى**
يا سادتي رفقاً بصب مدنف **وتعطفوا لعزيز قوم ذل في**

شرع الهوى وغنى قوم افتقر

لج العواذل فيك ما طاوعتهم **وسددت كل مسامعي وعصيتهم**
قالوا عشقت مهفهفاً فاجبتهم **اخترته من بينهم وتركتهم**

كفوا إذا وقع القضا عمى البصر

ثم أن قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان دخل باب المدينة وهو لا يعلم أين يتوجه فمشى في المدينة جميعها وقد كان دخل من باب البر ولم يزل يمشي إلى أن خرج من باب البحر فلم يقابله أحد من أهلها وكانت مدينة على جانب البحر ثم أنه بعد أن خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى بساتين المدينة وشق بين الأشجار فأتى إلى بستان ووقف على بابه فخرج إليه الخولي ورحب به وقال الحمد   الذي أتى بك سالماً من أهل هذه المدينة فأدخل هذا البستان سريعاً قبل أن يراك أحد من أهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولي ما حكاية أهل هذه المدينة وما خبرهم فقال له اعلم أن أهل هذه المدينة كلهم مجوس فبا   عليك أخبرني كيف وصلت إلى هذا المكان وما سبب دخولك في بلادنا فعند ذلك أخبره قمر الزمان بجميع ما جري له فتعجب الخولي من ذلك غاية العجب وقال له اعلم يا ولدي أن بلاد الإسلام بعيدة من هنا فبيننا وبينها أربعة أشهر في البحر وأما في البر فسنة كاملة وأن عندنا مركباً تقلع وتسافر كل سنة ببضائع إلى أول بلاد الإسلام وتسير من هنا إلى بحر جزيرة الأبنوس ومنه إلى جزائر خالدات وملكها يقال له السلطان شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان في نفسه ساعة زمانية وعلم أنه لا أوفق له من قعوده في البستان عند الخولي ويعمل عنده مرابعاً فقال للخولي هل تقبلني عندك مرابعاً في هذا البستان فقال له الخولي سمعاً وطاعة ثم علمه تحويل الماء بين الأشجار فصار قمر الزمان يحول الماء ويقطع الحشيش بالفاس وألبسه الخولي بشتاً قصيراً أزرق يصل إلى ركبته وصار يسقي الأشجار ويبكي بالدموع الغزار وينشد الأشعار بالليل والنهار في معشوقته بدور فمن جملة ذلك هذه الأبيات:

لنـــا عنـــدكم وعـــد فهـــلا وفيـــتم
وقلـــتم لنـــا قـــولاً فهـــلا فعلـــتم

ســهرنا علــى حكــم الغــرام ونمــتم
ولـــيس ســـواء ســـاهرون ونـــوم

وكنـــا عهـــدنا أننـــا نكـــتم الهـــوى
فـــأغراكم الواشـــي وقـــال وقلـــتم

فيا أيها الأحباب فـي السـخط والرضـا
علـى كـل حـال أنـتم القصـد أنـتم"

ولى عند بعـض النـاس قلـب معـذب
فيـــا ليتـــه يرثـــى لحـــالي ويـــرحم

وما كـل عـين مثـل عينـي قريحـة
ولا كـــل قلـــب مثـــل قلبـــي متـــيم

ظلمــتم وقلــتم أنمــا الحــب ظــالم
صــدقتم كــذا كــان الحــديث صــدقتم

سلوا مغرمـاً لا يـنض الـدهر عهـده
ولو كـان فـي أحشـائه النـار تضـرم

إذا كان خصمي فـي الصـبابة حـاكمي
لمــن اشــتكى خصــمي لمــن أتظلــم

ولولا أفتقاري فـي الهـوىا وصـبابتي
لما كان لـي فـي العشـق قلـب متـيم

هذا ما كان من قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر زوجته السيدة بدور بنت الملك الغيور فإنهـا لمـا استيقظت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولاً فافتقدت العقد فوجدتها محاولة والفص معدوما فقالت في نفسها يا العجب أين معشوقي كأنه أخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذي هـو فيه فيا ترى أين راح ولكن لابد له من أمر عجيب اقتضى رواحه فإنه لا يقدر أن يفارقني سـاعة فلعـن ا الفص ولعن ساعته ثم أن السيدة بدور تفكرت وقالت في نفسها خرجت إلى الحاشية وأعلمتهم بفقـد زوجـي يطمعوا في ولكن لابد من الحيلة ثم أنها لبست ثياب قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته وضربت لها لثا مـا وحطت في محفتها جارية وخرجت من خيمتها وصرخت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وأمرت بشد الأحمال فشدوا الأحمال وسافروا وأخفت أمرها لأنها كانت تشبه قمر الزمان فما شك أحد أنها قمـر الزمـان بعينه ومازالت مسافرة هي وأتباعها أياماً وليال حتى أشرفت على مدينة مطلة على البحـر المـالح فنزلـت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لأجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لهـا هـذه مدينـة الآبنوس ولملكها الملك أرمانوس وله بنت أسمها حياة النفوس. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما نزلت بظاهر مدينة الآبنوس لأجل الاستراحة أرسـل الملك أرمانوس رسولاً من عنده يكشف له خبر الملك النازل بظاهر المدينة فلما وصل إليهم الرسول سـألهم فأخبروه بأن هذا ابن الملك تائه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالد أن والملك شهرمان فعاد الرسـول إلـى الملك أرمانوس وأخبره بالخبر فلما سمع الملك أرمانوس هذا الكلام نزل هو وأرباب دولته إلى مقابلته فلمـا قدم على الخيام ترجلت السيدة بدور وترجل الملك أرمانوس وسلما على بعضهما وأخذها ودخـل بهـا إلـى مدينته وطلع به إلى قصره وأمر بمد السماط وموائد الأطعمة وأمر بنقل السيدة بدور إلى دار الضيافة فقامت هناك ثلاثة أيام وبعد ذلك أقبل الملك أرمانوس على السيدة بدور وكانت دخلت في ذلك اليوم الحمام وأسفرت عن وجه كأنه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الخلق عند رؤيتها فعند ذلك أقبل الملك أرمانوس عليها وهي لابسة حلة من الحرير مطرزة يذهب المرصع بالجواهر وقال لها يا ولدي اعلم أني بقيت شـيخاً هرماً وعمري ما رزقت ولداغير بنت وهي على شكلك وقدك في الحسن والجمال وعجزت عن الملك فهـل

لك يا ولدي أن تقيم بأرضي وتسكن بلادي وأزوجك ابنتي وأعطيك مملكتي فأطرقت السيدة بـدور رأسـها وعرق جبينها من الحياء وقالت في نفسها كيف يكون العمل وأنا امرأة فإن خالفت أمره وسرت ربما يرسـل خلفي جيشاً يقتلني وأن أطلعته على أمري ربما أتفضح وقد فقدت محبوبي قمر الزمان ولم أعرف له خبـراً ومالي خلاص إلا أن أجيبه إلى قصده وأقيم عنده حتى يقضي ا أمراً كان مفعولاً ثم أن السيدة بدور رفعت رأسها وأذعنت للملك بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وأمر المنادي أن ينادي في جزائر الآبنوس بـالفرح والزينة وجمع الحجاب والنواب والأمراء وأرباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أرمانوس لما عزل نفسه من الملك سلطن السيدة بدور وألبسـها بدلة الملك ودخلت الأمراء جميعاً على السيدة بدور وهم لا يشكون في أنها شاب وصار كل من نظـر إليهـا منهم جميعاً يبل سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملكة بدور ودقت لها البشائر بالسـرور شـرع الملك أرمانوس في تجهيز ابنته حياة النفوس وبعد أيام قلائل أدخلوا السيدة بدور على حياة النفـوس فكانتـا كأنهما بدران اجتمعا أو شمسان في وقت طلعا فردوا عليهما الأبواب وأرخو الستائر بعـد أن أوقـدوا لهمـا لشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حياة النفوس فتـذكرت محبوبهـا قمـر الزمان واشتدت بها الأحزان فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

يـــا راحلـــين وقلبـــي زائـــد القلـــق	**لم يبق بيـنكم فـي الجسـم مـن رمـق**
قد كأن لي مقلة تشـكو السـهاد وقـد	**أذابهـا الـدمع ياليـت السـهاد بقـى**
لمـــا رحلـــتم أقـــام الصـــب بعـــدكم	**ولكن سلوا عنه مـاذا فـي البعـاد لقـى**
لـولا جفـوني وقـد فاضـت مـدامعها	**تغرقـدت عرضـات الأرض مـن حرقـي**
أشـــكو إلـــى ا أحبابـــاً عـــدمتهم	**لـم يرحمـوا صـبوتي فـيهم ولا قلقـي**
لا ذنـب لـي عنـدهم إلا الغـرام بهـم	**والناس بين سعيد فـي الهـوى وشـقي**

ثم أن السيدة بدور لما فرغت من أنشادها جلست إلى جانب السيدة حياة النفـوس وقبلتهـا فـي فمهـا ونهضت من وقتها وساعتها توضأت ولم تزل تصلي حتى نامت السيدة حياة النفوس ثم دخلت السيدة بـدور معها في الفرش وأدارت ظهرها لها إلى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك هو وزوجته إلى ابنتهما وسألاها عن حالها فأخبرتهما بما جري وما سمعته من الشعر هذا ما كان من أمر حياة النفوس وأبويها (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور فإنها خرجت وجلست على كرسي المملكة وطلعت إليها الأمراء وأرباب الدولة وجميـع الرؤساء والجيوش وهنؤوها بالملك وقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها فأقبلت عليهم وتبسمت وخلعت عليهم وزادت في إقطاع الأمراء فأحبها العسكر والرعية ودعوا لها بدوام الملك وهم يعتقدون أنها رجل ثـم أنهـا أمرت ونهت وحكمت وعدلت وأطلقت من الحبوس وأبطلت المكوس ولم تزل قاعدة في مجلس الحكومة إلى أن دخل الليل ثم دخلت المكان. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما دخلت المكان المعد لها وجدت السيدة حيـاة النفـوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولا طفتها وقبلتها بين عينيها وأنشدت هذه الأبيات:

قـد صـار سـري بالـدموع علانيـه ... ونحـول جسـمي فـي الغـرام علانيـه

أخفـى الهـوى ويذيعـه ألـم النـوى ... حـالي علـى الواشـين ليسـت خافيـه

يـا راحلـين عـن الحمـى خلفـتم ... جسـمي بكـم مضـنى ونفسـي باليـه

وسـكنتم غـور الحشـا فنـواظري ... تجـري مـدامعها وعينـي داميـه

وأنـا فـداء الغـائبين بمهجتـي ... أبـداً وأشـواقي إلـيهم باديـة

لـي مقلـة مقروحـة فـي حـبهم ... حفـت الكـرى ودموعهـا متواليـه

ظـن العـدا منـي عليـه تجلـدا ... هيهـات مـا أذنـي إلـيهم واعيـه

خابـت ظنـونهم لـدى وأنمـا ... قمـر الزمـان بـه أنـال أمانيـه

جمـع الفضـائل مـا حواهـا قبلـه ... أحـد سـواه فـي العصـور الخاليـه

أنسـى الأنـام بجـوده وبعفـوه ... كـرم أبـن زائـدة وحلـم معاويـه

لـولا الإطالـة والقـريض مقصـر ... عن حصر حسـنك لـم أدع مـن قافيـه

ثم أن الملكة بدور نهضت قائمة على أقدامها ومسحت دموعها وتوضأت وصلت ولم تزل تصلي إلـى أن غاب النوم على السيدة حياة النفوس فنامت فجاءت الملكة بدور ورقدت بجانبها إلى الصـباح ثـم قامـت وصلت الصبح وجلست على كرسي المملكة وأمرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك أرمانوس فإنه دخل على ابنته وسألها عن حالها فأخبرته بجميع ما جـرى لهـا وأنشـدته الشعر الذي قالته الملكة بدور وقالت يا أبي ما رأيت أحداً أكثر عقلاً وحياء من زوجي غير أنه يبكي ويتنهـد فقال لها أبوها يا ابنتي أصبري عليه فما بقي غير هذه الليلة الثالثة فإن لم يدخل بك ويزل بكارتك يكـن لنـا معه رأي وتدبير وأخلصه من الملك وأنفيه من بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام وأضمر هـذا الـرأي. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة إلى القصر ودخلت المكان الذي هو معد لها فرأت الشمع موقداً والسيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى بينهما في تلك المدة اليسيرة فبكت ووالت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

قسـماً لقـد مـلأت أحـاديثي الفضـا ... كالشـمس مشـرقة علـى ذات الغضـي

نطقـت أشـارته فأشـكل فهمهـا ... فلذاك شوقي في المزيـد ومـا انقضـى

أبغضـت حسـن الصـبر مذاحببتـه ... أرأيـت صـبراً فـي الصـبابة مبغضـاً

وممـرض اللحظـات صـال بفتكهـا ... واللحـظ أفتـل مـا يكـون ممرضـاً

ألقـى ذوائبـه وحـط لثامـه ... فرأيـت منـه الحسـن أسـود أبيضـاً

سـقمي وبرئـي فـي يديـه وأنمـا ... يشفي سـقام الحـب مـن قـد أمرضـا

هـام الوشـاح برقـة فـي حصـره ... والـردف مـن حسـد أبـي أن ينهضـا

وكـأن طرتـه وضـوء جبينـه ... ليلـى دجـى فاعتاقـه صـبح أضـا

فلما فرغت من إنشادها أرادت أن تقوم إلى الصلاة وإذا بحياة النفوس تعلقت بذيلها وقالت لها يا سيدي أما تستحي من والدي وما فعل معك من الجميل وأنت تتركني إلى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست في مكانها وقالت لها يا حبيبتي ما الذي تقولينه قالت الذي أقوله أني ما رأيت أحداً معجباً بنفسه مثلك فهل كل من كان مليحاً يعجب بنفسه هكذا ولكن أنا ما قلت هذا الكلام لأجل أن أرغبك في وأنما قلته خيفة عليك من الملك أرمانوس فإنه أضمر إن لم تدخل بي في هذه الليلة وتزل بكارتي أنه ينزعك من المملكة في غد و يسفرك من بلاده وربما يزداد به الغيظ فيقتلك وأنا يا سيدي رحمتك ونصحتك والرأي رأيك فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام أطرقت برأسها إلى الأرض وتحيرت في أمرها ثم قالت في نفسها أن خالفته هلكت وأن أطلعته افتضحت ولكن أنا في هذه الساعة ملكة على جزائر الآبنوس كلها وهي تحت حكمي وما اجتمع أنا وقمر الزمان إلا في هذا المكان لأنه ليس له طريق إلى بلاده إلا من جزائر الآبنوس وقد فوضت أمري إلى ا فهو نعم المدبر ثم أن الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتي إن تركي لك وامتناعي عنك بالرغم عني وحكت لها ما جرى من المبتدي إلى المنتهي وأرتها نفسها وقالت لها سألتك با أن تخفي أمري وتكتمي سري حتى يجمعني ا بمحبوبي قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما أعلمت حياة النفوس بقصتها وأمرتها بالكتمان تعجبت من ذلك غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لها يا أختي لا تخافي ولا تفزعي وأصبري إلى أن يقضي ا أمراً كان مفعولاً ثم أن حياة النفوس أنشدت هذين البيتين:

السـر عنـدي فـي بيـت لـه غلـق ... قـد ضـاع مفتاحـه والبيـت مختـوم

مـا يكـتم السـر إلا كـل ذي ثقـة ... والسـر عنـد خيـار النـاس مكتـوم

فلما فرغت من شعرها قالت يا أختي أن صدور الأحرار قبور الأسرار وأنا لا أفشي لك سراً ثم لعبتا وتعانقتا ونامتا إلى قريب الأذان ثم قامت حياة النفوس وأخذت دجاجة وذبحتها وتلطخت بدمها وقلعت سراويلها وصرخت فدخل لها أهلها وزغردت الجواري ودخلت عليها أمها وسألتها عن حالها وأقامت عندها إلى المساء وأما الملكة بدور فإنها لما أصبحت قامت وذهبت إلى الحمام واغتسلت وصلت الصبح ثم توجهت إلى مجلس الحكومة وجلست على كرسي المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك أرمانوس الزغاريت سأل عن الخبر فأخبره بافتضاض بكارة ابنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح وأولم الولائم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر الملك شهرمان فإنه بعد خروج ولده إلى الصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى أقبل عليه الليل فلم يجيء ولده فتحير عقله ولم ينم تلك الليلة وقلق غاية القلق وزاد وجده واحترق وما صدق أن الفجر انشق حتى أصبح ينتظر ولده إلى نصف

النهار فلم يجيء فأحس قلبه بالفراق والتهب على ولده من الاشفاق ثم بكى حتى بل ثيابه بالدموع وأنشد مـن قلب مصدوع:

مازلت معترضـاً علـى أهـل الهـوى	**حتـــى بليـــت بحلـــوه وبمـــره**
وشـــربت كـــأس مـــراره متجرعـــاً	**وذللـــت فيـــه لعبـــده ولحـــره**
نـذر الزمـان بـأن يفـرض شـملنا	**والآن قـــد أوفـــي الزمـــان بنـــذره**

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى في عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن ثم فرق جيشـه يمينـاً وشمالاً وأماما وخلف ست فرق وقال لهم الاجتماع غداً عند مفرق الطريق فتفرقت الجيوش والعسـكر كمـا ذكرنا وسافرت الخيول ولم يزالوا مسافرين بقية النهار إلى أن جن الليل فساروا جميع الليل إلى نصف النهار حتى وصلوا إلى مفرق أربع طرق فلم يعرفوا أي طريق سلكها ثم رأوا أثر أقمشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعاً ونظروا أثر الدم باقياً وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم في ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلـك صـرخ صرخة عظيمة من صميم القلب وقال وا ولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزق أثوابه وأيقن بموت ولده وزاد في البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم أيقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رؤوسهم التـراب ودخل عليهم الليل وهم في بكاء ونحيب حتى أشرفوا على الهلاك واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات وأنشـد هذه الأبيات:

لا تعـــذلوا المحـــزون فـــي احزانـــه	**فلقـــد جفـــاه الوجـــد مـــن أشـــجانه**
يبكـــي لفـــرط تأســـف وتوجـــع	**وغرامـــه ينبيـــك عـــن نيرانـــه**
باســـعد مـــن لمتـــيم حلـــف الضـــنى	**أن لا يزيـــل الـــدمع مـــن أجفانـــه**
يبـــدي الغـــرام لفقـــد بـــدر زاهـــر	**بضـــيائه يزهـــو علـــى أقرانـــه**
ولقـــد ســـقاه المـــوت كـــأس مترعـــاً	**يـــوم الرحيـــل فشـــط عـــن أوطانـــه**

فلما فرغ من إنشاده رجع بجيوشه إلى مدينته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان أيقن بهلاك ولده وعلم أنه عدا عليه وافترسه أما وحش وأما قاطع طريق ثم نادى في جزائر خالدات أن يلبسوا السواد من الأحزان على ولده قمر الزمان وعمل لـه بيتاً وسماه بيت الأحزان وصار كل يوم خميس وأثنين يحكم في مملكته بين عسكره ورعيته وبقيـة الجمعـة يدخل بيت الأحزان وينعي ولده يرثيه بالأشعار (فمن ذلك قوله)

فيـــوم الأمـــاني يـــوم قـــربكم منـــي	**ويـــوم المنايـــا يـــوم أعراضـــكم عنـــي**
إذا بـــت مرعويـــاً أهـــد بـــالردى	**فوصـــلكم عنـــدي ألـــذ مـــن الآمـــن**

(ومن ذلك قوله)

نفســـي الفـــداء لظـــاعنين رحـــيلهم	**أنكـــى وأفســـد فـــي القلـــوب وعاثـــا**
فلـــيقض عدتـــه الســـرور فـــأنني	**طلقـــت بعـــدهم النعـــيم ثلاثـــاً**

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور فإنها صارت ملكة في بلاد الآبنوس وصارت الناس يشيرون إليها بالبنان ويقولون هذا صهر الملك أرمانوس وكل ليلة تنام مع السيدة حياة النفوس وتشتكي وحشة زوجها قمر الزمان وتصف لها حسنه وجماله وتتمنى ولو في المنـام وصاله هذا ما كان من أمر الملكة بدور (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لم يزل مقيماً عند الخولي في البستان مدة من الزمان وهو يبكي بالليل والنهار ويتحسر وينشد الأشعار على أوقات الهنا والسرور والخولي يقول في آخر السنة تسير المركب إلى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة إلى أن رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولي وقال له يا ولدي أبطل الشغل في هـذا اليـوم ولا تحول الماء إلى الأشجار لأن هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضاً فاسترح واجعل بالك إلى الغـيط فإني أريد أن أبصر لك مركباً فما بقي إلا القليل وأرسلك إلى بلاد المسلمين ثم أن الخولي خرج من البسـتان وبقي قمر الزمان وحده فانكسر خاطره وجرت دموعه ولم يزل يبكي حتى غشي عليه فلما أفاق قام يتمشـى في البستان وهو متفكر فيما فعل به الزمان وطول البعد والهجران وعقله ولهان فعثر ووقـع علـى وجهـه فجاءت جبهته على حجر شجرة فجري دمه واختلط بدموعه فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة وقام يتمشى في ذلك البستان وهو ذاهل العقل فنظر بعينه إلى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فقلب أحدهما لآخر ونقره في عنقه فخاص رقبته من جثته ثم أخذ رأسه وطار بها ووقع المقتول في الأرض قدام قمـر الزمـان فبينما هو كذلك وإذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليه ووقف واحد منهما عند رأسه والآخر عند ذنبه وأرخيـا أجنحتهما عليه ومدا أعناقهما إليه وبكيا فبكي قمر الزمان على فراق زوجته حين رأي الطائرين يبكيان على صاحبهما. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان بكي على فراق زوجته لما رأي الطائرين يبكيـان على صاحبهما ثم إن قمر الزمان رأي الطائرين حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها وطار إلى الجو وغابـا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبل المقتول وبركا على قبل القاتل حتى قتلاه وشقا جوفـه وأخرجا أمعاءه وأراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نثر الحمه ومزقا جلده وأخرجا ما في جوفه وفرقا إلى أماكن متفرقة هذا كله جرى وقمر الزمان ينظر ويتعجب فحانت منه التفاتة إلى الموضع الذي قتلا فيه الطائر فوجد فيه شيئاً يلمع فدنها منه فوجده حوصلة الطائر فأخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذي كان سبب فراقـه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع على الأرض مغشياً عليه من فرحته فلما أفاق قال في نفسه هذا علامة الخير وبشارة الاجتماع بمحبوبتي ثم تأمله ومر به على عينه وربطه على ذراعه واستبشر بـالخير وقـام يتمشـى لينظر الخولي ولم يزل يفتش عليه إلى الليل فلم يأت فبات قمر الزمان في موضعه إلى الصباح ثم قـام إلـى شغفه وشد وسطه بحبل من الليف وأخذ الفأس والقفة وشق في البستان فأتي إلى شجرة خروب وضرب الفاس في جدرها فظنت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقاً ففتحه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد باباً فنزل فيه فلقي قاعة قديمة من عهد ثمود وعاد وتلك القاعة واسعة وهي مملوءة ذهبا أحمر فقال في نفسه لقد ذهب التعب وجاء الفرح والسرور ثم أن قمر الزمان طلع من المكان إلى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان ورجع إلى البستان وتحويل الماء على الأشجار ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فجاء الخولي وقال يا ولدي أبشر برجوعك إلى الأوطان فإن التجار تجهزوا للسفر والمركب بعد ثلاثة أيام مسافرة إلى مدينة من مدائن المسلمين فإذا وصلت إليها تسافر في البرستة أشهر حتى تصل إلى جزائر خالدات والملك شهرمان ففرح قمر الزمان بذلك ثم قبل يد الخولي وقال له يا والدي كما بشرتني فأنا أبشرك بشارة وأخبره بأمر القاعة ففرح الخولي وقال يا ولدي أنا في هذا البستان ثمانون عاماً ما وقفت على شيء وأنت لك عندي دون السنة وقد رأيت هذا الأمر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك إلى أهلك واجتماع شملك بمن تحب فقال قمر الزمان لابد من القسمة بيني وبينك ثم أخذ الخولي ودخل في تلك القاعة وأراه الذهب وكان في عشرين خابية فأخذ عشرة والخولي عشرة فقال له يا ولدي عب لك أمطار من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فإنه معدوم في غير بلادنا وتحمله التجار إلى جميع البلاد واجعل الذهب في الأمطار والزيتون فوق الذهب ثم سدها وخذها في المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبى خمسين مطراً ووضع الذهب فيها وسد عليه بعد أن جعل الزيتون فوق الذهب وحط الفص معه في مطر وجلس هو والخولي يتحدثان وأيقن بجمع شمله وقربه من أهله وقال في نفسه إذا وصلت إلى جزيرة الآبنوس أسافر منها إلى بلاد أبي وأسأل عن محبوبتي بدور فيا ترى هل رجعت إلى بلادها أو سافرت إلى بلاد أبي أو حدث لها حادث في الطريق ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الأيام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجب الخولي من ذلك ثم ناما إلى الصباح فأصبح الخولي ضعيفاً واستمر على ضعفه يومين وفي ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئسوا من حياته فحزن قمر الزمان على الخولي فبينما هو كذلك وإذا بالريس والبحرية قد أقبلوا وسألوا عن الخولي فأخبرهم بضعفه فقالوا أين الشاب الذي يريد السفر معنا إلى جزيرة الآبنوس فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذي بين أيديكم ثم أمرهم بتحويل الأمطار إلى المركب فنقلوها إلى المركب وقالوا لقمر الزمان أسرع فإن الريح قد طاب فقال لهم سمعاً وطاعة ثم نقل زوادته إلى المركب ورجع إلى الخولي يودعه فوجده في النزع فجلس عند رأسه حتى مات وغمضه وجهزه وواراه في التراب ثم توجه إلى المركب فوجدها أرخت القلوع وسارت ولم تزل تشق البحر حتى غابت عن عينه فصار قمر الزمان مدهوشاً حيران ثم رجع إلى البستان وهو مهموم مغموم وحثا التراب على رأسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

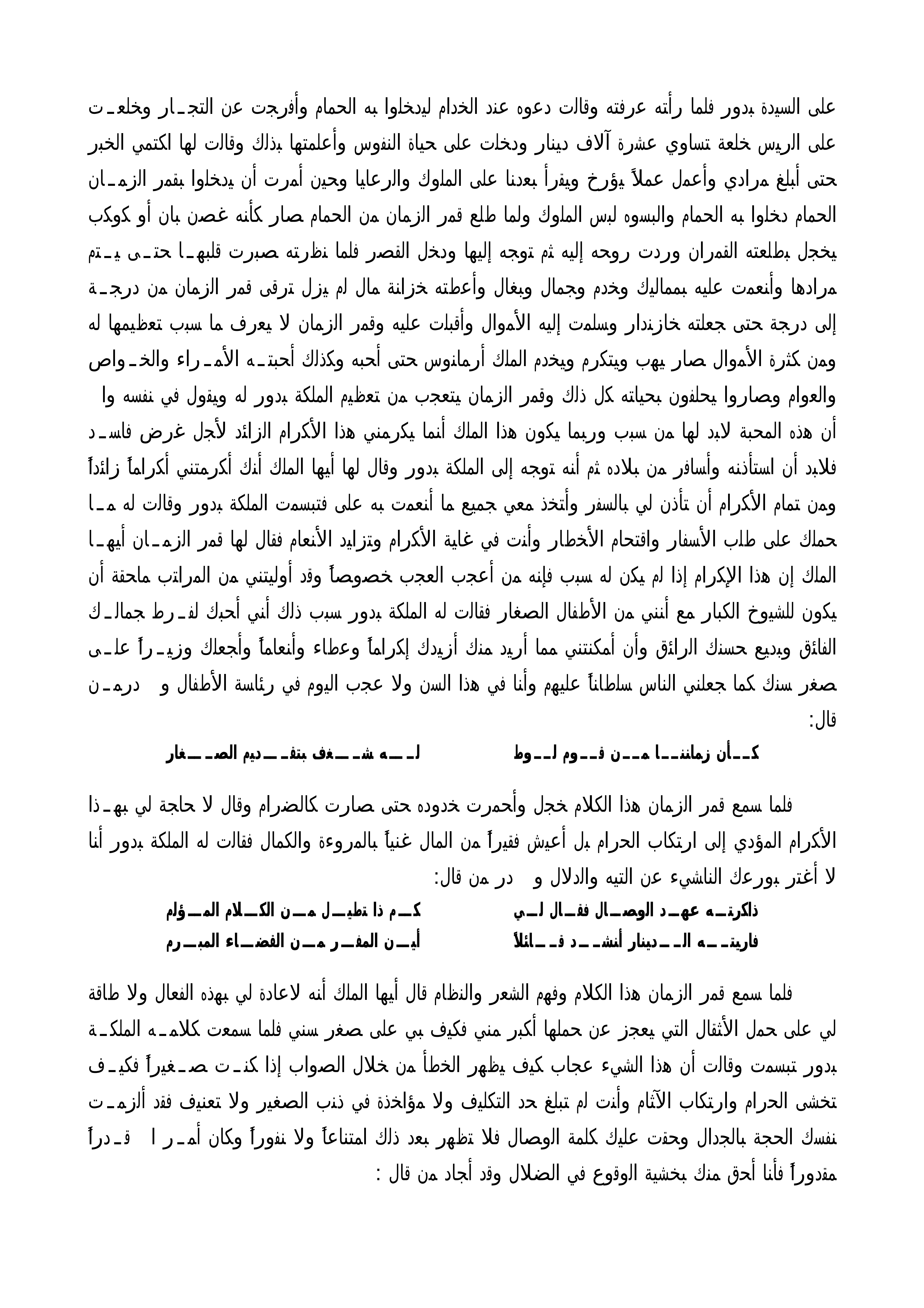
(وفي ليلة ٢٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان رجع إلى البستان وهو مهموم مغموم بعد أن سافرت المركب واستأجر البستان من صاحبه وأقام تحت يده رجلاً يعاونه على سقي الشجر وتوجه إلى الطابق ونزل إلى القاعة وعبى الذهب الباقي في خمسين مطراً ووضع فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا أنها لا تسافر إلا في كل سنة مرة واحدة فزاد به الوسواس وتحسر على ما جرى له لاسيما فقد الفص الذي للسيدة

بدور فصار يبكي بالليل والنهار وينشد الأشعار هذا ما كان من أمر قمر الزمان (وأما) ما كـان مـن أمـر المركب فإنه طاب لها الريح ووصلت إلى جزيرة الآبنوس واتفق بالأمر المقدور أن الملكة بدور كانت جالسة في الشباك فنظرت إلى المركب وقد رست في الساحل فخفق فؤادها وركبت هي والأمراء والحجاب وتوجهت إلى الساحل ووقفت على المركب وقد دار النقل في البضائع إلى المخازن فاحضرت الريس وسألته عما معه فقال أيها الملك أن معي في هذه المركب من العقاقير والسفوفات والأكحال والمـراهم والأدهـان والأمـوال والأقمشة الفاخرة والبضائع النفيسة ما يعجز عن حمله الجمال والبغال وفيها من أصناف العطر والبهار مـن العود القافلي والتمر الهندي والزيتون العصافيري ما يندر وجوده في هذه البلاد فاشتهت نفسها الزيتون وقالت لصاحب المركب ما مقدار الذي معك من الزيتون قال معي خمسون مطراً ملآنة ولكن صاحبها مـا حضـر معنا والملك يأخذ ما اشتهاه منها فقالت أطلعوها في البلا لأنظر إليها فصاح الريس علـى البحريـة فطلعـوا الخمسين مطراً ففتحت واحداً ونظرت الزيتون وقالت أنا آخذ هذه الخمسين مطراً وأعطيكم ثمنها مهما كـان فقال الريس هذا ماله في بلادنا قيمة ولكن صاحبها تأخر عنا وهو رجل فقير فقالت وما مقدار ثمنها قال ألف درهم قالت أنا آخذها بألف دينار ثم أمرت بنقلها إلى القصر فلما جاء الليل أمرت بإحضار مطر فكشفته ومـا في البيت غيرها هي وحياة النفوس فحطت بين يديها طبقاً ووضعت فيه شيئاً من المطر فنزل في الطبق كوم من الذهب الأحمر فقالت للسيدة حياة النفوس ما هذا إلا ذهب ثم اختبرت الجميع فوجدتها كلها ذهباً والزيتون كله ما يملأ مطراً واحداً وفتشت في الذهب فوجدت الفص فيه فأخذته وتأملته فوجدته الفص الذي كان في تكة لباسها وأخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحب من فرحتها وخرت مغشياً عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما رأت الفص صاحت من فرحتها وخرت مغشياً عليهـا فلما أفاقت قالت في نفسها أن هذا الفص كان سبباً في فراق محبوبي قمر الزمان ولكنه بشير الخير ثم أعلمت السيدة حياة النفوس بأن وجوده بشارة الاجتماع فلما أصبح الصباح جلست على كرسي المملكـة وأحضـرت ريس المركب فلما حضر قبل الأرض بين يديها فقالت أين خليتم صاحب هذا الزيتون قال يا ملـك الزمـان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان فقالت له أن لم تأت به فلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضرر ثم أمرت بالختم على مخازن التجار وقالت لهم أن صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وأن لم يأت لاقتلنكم جميعاً وأنهب تجارتكم فأقبلوا على الريس ووعدوه بأجرة مركبه ويرجع ثاني مرة وقالوا خلصنا من هذا الغاشم فنزل الريس في المركب وحل قلوعها وكتب ا له السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع إلى البستان وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبته فقعد يبكي على ما جرى له وهو في البستان ثم أن الريس دق الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج إليه فحمله البحرية ونزلوا به إلى المركب وحلوا القلوع فسافروا وساروا ولم يزالوا سائرين أياماً وليالي وقمر الزمان لا يعلم ما موجب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له أنت غريم الملك صاحب جزائر الآبنوس صهر الملك أرمانوس وقد سرقت ماله يا منحـوس فقـال وا عمري ما دخلت هذه البلاد ولا أعرفها ثم أنهم ساروا به حتى أشرفوا على جزائر الآبنوس وطلعوا بـه



على السيدة بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمام وأفرجت عن التجـار وخلعـت على الريس خلعة تساوي عشرة آلاف دينار ودخلت على حياة النفوس وأعلمتها بذلك وقالت لها اكتمي الخبر حتى أبلغ مرادي وأعمل عملاً يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين أمرت أن يدخلوا بقمر الزمـان الحمام دخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كأنه غصن بان أو كوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه إليه ثم توجه إليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبهـا حتـى يـتم مرادها وأنعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال وأعطته خزانة مال لم يزل ترقى قمر الزمان من درجـة إلى درجة حتى جعلته خازندار وسلمت إليه الأموال وأقبلت عليه وقمر الزمان لا يعرف ما سبب تعظيمها له ومن كثرة الأموال صار يهب ويتكرم ويخدم الملك أرمانوس حتى أحبه وكذلك أحبتـه الأمـراء والخـواص والعوام وصاروا يحلفون بحياته كل ذلك وقمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة بدور له ويقول في نفسه وا أن هذه المحبة لابد لها من سبب وربما يكون هذا الملك أنما يكرمني هذا الأكرام الزائد لأجل غرض فاسـد فلابد أن استأذنه وأسافر من بلاده ثم أنه توجه إلى الملكة بدور وقال لها أيها الملك أنك أكرمتني أكراماً زائداً ومن تمام الأكرام أن تأذن لي بالسفر وأتخذ معي جميع ما أنعمت به على فتبسمت الملكة بدور وقالت له مـا حماك على طلب الأسفار واقتحام الأخطار وأنت في غاية الأكرام وتزايد الأنعام فقال لها قمر الزمـان أيهـا الملك إن هذا الإكرام إذا لم يكن له سبب فإنه من أعجب العجب خصوصاً وقد أوليتني من المراتب ماحقة أن يكون للشيوخ الكبار مع أنني من الأطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك أني أحبك لفـرط جمالـك الفائق وبديع حسنك الرائق وأن أمكنتني مما أريد منك أزيدك إكراماً وعطاء وأنعاماً وأجعلك وزيـراً علـى صغر سنك كما جعلني الناس سلطاناً عليهم وأنا في هذا السن ولا عجب اليوم في رئاسة الأطفال و درمـن قال:

كـأن زماننـا مـن قـوم لـوط	لـه شـغف بتقـديم الصـغار

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل وأحمرت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لي بهـذا الأكرام المؤدي إلى ارتكاب الحرام بل أعيش فقيراً من المال غنياً بالمروءة والكمال فقالت له الملكة بدور أنا لا أغتر بورعك الناشيء عن التيه والدلال و در من قال:

ذاكرتـه عهـد الوصـال فقـال لـي	كـم ذا تطيـل مـن الكـلام المـؤلم
فاريتـه الـدينار أنشـد قـائلاً	أيـن المفـر مـن القضـاء المبـرم

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال أيها الملك أنه لاعادة لي بهذه الفعال ولا طاقة لي على حمل الأثقال التي يعجز عن حملها أكبر مني فكيف بي على صغر سني فلما سمعت كلامـه الملكـة بدور تبسمت وقالت أن هذا الشيء عجاب كيف يظهر الخطأ من خلال الصواب إذا كنـت صـغيراً فكيـف تخشى الحرام وارتكاب الآثام وأنت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة في ذنب الصغير ولا تعنيف فقد ألزمـت نفسك الحجة بالجدال وحقت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعاً ولا نفوراً وكان أمـر ا قـدراً مقدوراً فأنا أحق منك بخشية الوقوع في الضلال وقد أجاد من قال :

أيـرى كبيـر والصـغير يقـول لـي   أطعـن بـه الأحشـا وكـن صـنديداً
فأجبتـه ذا لا يجـوز فقـال لـي   عنـدي يجـوز فنكتـه تقليـداً

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وقال أيها الملك أنه يوجد عندك مـن النساء والجواري الحسان مالا يوجد له نظير في هذا الزمان فهلا استغنيت بذلك عني فمل إلى ما شئت منهن ودعني فقالت أن كلامك صحيح ولكن لا يشتفي بهن من عشقك ألم ولا تبريح وإذا فسدت الأمزجة والطبيعـة فهي لغير النصح سميعة فاترك الجدال واسمع قول من قال:

أما ترى السـوق قـد صـفت فواكهـه   للتـين قـوم وللجميـز أقـوام

وقول الآخر:

وصـامته الخلخـال رن وشـاحها   فهذا قـد اسـتغنى وذا يشـتكي الفقـرا
تريـد سـلوى عنـك جهـلاً بحسـنها   وما كنت أرضـى بعـد إيمـاني الكفـرا
وحـق عـذار يـزدري بفقاصـها   لمـا خـدعتني عنـك غانيـة عـذرا

وقول الآخر:

يـا فريـد الجمـال حبـك ديني   واختيـاري علـى جميـع المـذاهب
قـد تركـت النسـا لأجلـك حتـى   زعـم النـاس أنني اليـوم راهـب

وقول الآخر:

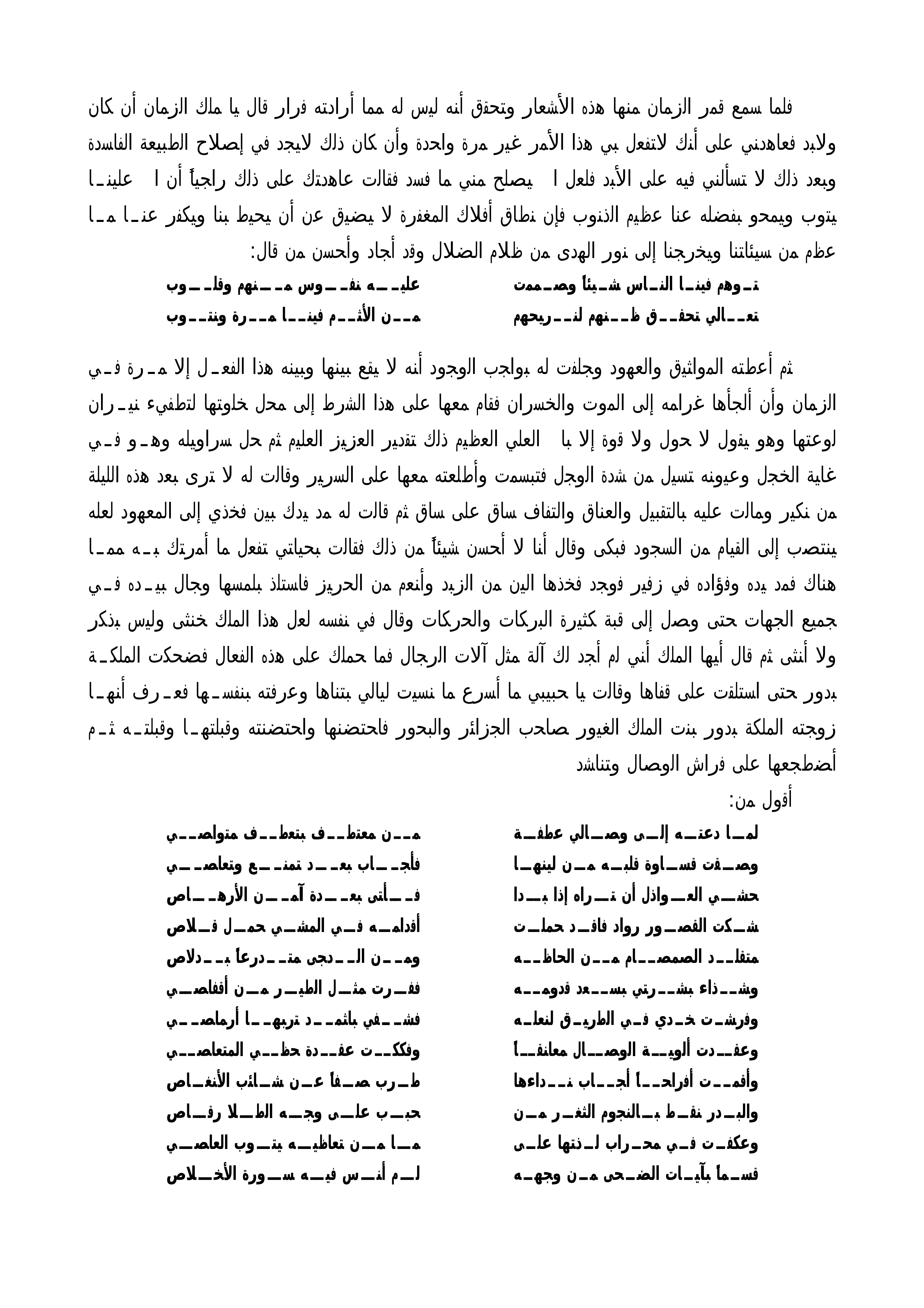
سـلا خـاطري عـن زينـب ونـوار   بـوردة خـذ فـوق آس عـذار
وأصـبحت بـالظبي المقرطـق مغرمـاً   ولا رأي لـي فـي عشـق ذات سـوار
أنيسي في النادي وفـي خلـوتي معـاً   خـلاف أنيسـي فـي قـرارة داري
فيـالائمي فـي هجـر هنـد وزينـب   وقـد لاح عـذري كالمصـباح السـاري
أترضـى بـأن أمسـى أسـير أسـيرة   محصـنة أو مـن وراء جـداً.

وقول الآخر:

جـادت بفـرج نـاعم   فقالـت أنـي لـم أنـك
فانصـرفت قائـد   يؤفـك عنـه مـن أفـك
النيـل مـن فـدام فـي   هـذا الزمـان قـد تـرك
ودورت لـي فقحـة   مثـل اللجـين المنسـبك
أحسـنت يـا سـيدتي   أحسـنت لا فجعـت بـك
أحسـنت يـا أوسـع مـن   فتـوح مولانـا الملـك

وقول الآخر:

يسـتغفر النـاس بأيـديهم   وهـن يسـتغفرن بالأرجـل
فيـا لـه مـن عمـل صـالح   يرفعـه ا إلـى أسـفل



فلما سمع قمر الزمان منها هذه الأشعار وتحقق أنه ليس له مما أرادته فرار قال يا ملك الزمان أن كان ولابد فعاهدني على أنك لاتفعل بي هذا الأمر غير مرة واحدة وأن كان ذلك لايجد في إصلاح الطبيعة الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الأبد فلعل ا يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجياً أن ا علينـا يتوب ويمحو بفضله عنا عظيم الذنوب فإن نطاق أفلاك المغفرة لا يضيق عن أن يحيط بنا ويكفر عنـا مـا عظم من سيئاتنا ويخرجنا إلى نور الهدى من ظلام الضلال وقد أجاد وأحسن من قال:

تـوهم فينـا النـاس شـيئاً وصـممت ... عليــه نفــوس مـــنهم وقلـــوب

تعـــالي نحقـــق ظـــنهم لنـــريحهم ... مـــن الأثـــم فينـــا مـــرة ونتـــوب

ثم أعطته المواثيق والعهود وحلفت له بواجب الوجود أنه لا يقع بينها وبينه هذا الفعـل إلا مـرة فـي الزمان وأن ألجأها غرامه إلى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط إلى محل خلوتها لتطفيء نيـران لوعتها وهو يقول لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حل سراويله وهـو فـي غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسمت وأطلعته معها على السرير وقالت له لا ترى بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مد يدك بين فخذي إلى المعهود لعله ينتصب إلى القيام من السجود فبكى وقال أنا لا أحسن شيئاً من ذلك فقالت بحياتي تفعل ما أمرتك بـه ممـا هناك فمد يده وفؤاده في زفير فوجد فخذها الين من الزبد وأنعم من الحرير فاستلذ بلمسها وجال بيـده فـي جميع الجهات حتى وصل إلى قبة كثيرة البركات والحركات وقال في نفسه لعل هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا أنثى ثم قال أيها الملك أني لم أجد لك آلة مثل آلات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكـة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت يا حبيبي ما أسرع ما نسيت ليالي بتناها وعرفته بنفسـها فعـرف أنهـا زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبلتهـا وقبلتـه ثـم أضطجعها على فراش الوصال وتناشد

أقول من:

لمـا دعتـه إلـى وصـالي عطفـة ... مـن معتطـف بتعطـف متواصـي

وصـفت قسـاوة قلبـه مـن لينهـا ... فأجـاب بعـد تمنـع وتعاصـي

حشـي العـواذل أن تـراه إذا بـدا ... فـأتى بعـدة آمـن الأرهـاص

شـكت الفصـور رواد فافـد حملـت ... أقدامـه فـي المشـي حمـل قـلاص

متقلـد الصمصـام مـن الحاظـه ... ومـن الـدجى متـدرعاً بـدلاص

وشـذاء بشـرتي بسـعد قدومـه ... ففـرت مثـل الطيـر مـن أقفاصـي

وفرشـت خـدي فـي الطريـق لنعلـه ... فشـفي باثمـد تربهـا أرماصـي

وعقـدت ألويـة الوصـال معانقـاً ... وفككـت عقـدة حظـي المتعاصـي

وأقمـت أفراحـاً أجـاب نـداءها ... طـرب صـفاً عـن شـائب الأنغـاص

والبـدر نقـط بـالنجوم الثغـر مـن ... حبـب علـى وجـه الطـلا رقـاص

وعكفـت فـي محـراب لـذتها علـى ... مـا مـن تعاطيـه يتـوب العاصـي

قسـماً بآيـات الضحى مـن وجهـه ... لـم أنـس فيـه سـورة الأخـلاص

ثم أن الملكة بدور أخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الأول إلى الآخر وكذلك هو أخبرها بجميع ما جرى له وبعد ذلك انتقل معها إلى العتاب وقال لها ما حملك على ما فعلتيه بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فإن قصدي المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أرسلت الملكة بدور إلى الملك أرمانوس والد الملكة حياة النفوس وأخبرته بحقيقة أمرها وأنها زوجة قمر الزمان وأخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما من بعضهما وأعلمته أن أبنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك أرمانوس صاحب جزائر الآبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجب منها غاية العجب وأمر أن يكتبوها بماء الذهب ثم التفت إلى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك أن تصاهرني وتتزوج بنتي حياة النفوس فقال له حتى أشاور الملكة بدور فإن لها على فضلاً غير محصور فلما شاورها قالت له نعم الرأي هذا فتزوجها وأكون أنا لها جارية لأن لها على معروفاً وأحساناً وخيراً وامتناناً خصوصاً ونحن في محلها وقد غمرنا إحسان أبيها فلما رأي قمر الزمان أن الملكة بدور مائلة إلى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس أتفق معها على هذا الأمر. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الأمر وأخبر الملك أرمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحاً شديداً ثم خرج وجلس على كرسي مملكته وأحضر جميع الوزراء والأمراء والحجاب وأرباب الدولة وأخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الأول إلى الآخر وأنه يريد أن يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطاناً عليهم عوضاً عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعاً حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطاناً علينا قبله ونحن نظن أنها صهر ملكنا أرمانوس فكلنا نرضاه سلطاناً علينا ونكون له خدماً ولا نخرج عن طاعته ففرح الملك أرمانوس بذلك فرحاً شديداً ثم أحضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم أنه أقام الأفراح وأولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الأمراء ورؤساء العساكر وتصدق على الفقراء والمساكين وأطلق جميع المحابيس واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا يدعون له بدوام العز والأقبال والسعادة والإجلال ثم أن قمر الزمان لما صار سلطاناً عليهم أزال المكوس وأطلق من في الحبوس وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته في هناء وسرور ووفاء وحبور يبيت عند كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان وقد أنجلت عنه الهموم والأحزان ونسى أباه الملك شهرمان وما كان له عنده من عز وسلطان حتى رزقه ا تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثل القمرين النيرين أكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الأمجد وأصغرهما من الملكة حياة النفوس وأسمه الملك الأسعد وكان الأسعد أجمل من أخيه الأمجد ثم أنهما تربياً في العز والدلال والأدب والكمال وتعلما والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاماً وهما متلازمان فيأكلان ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتاً من الأوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغ مبلغ الرجال واتصفا بالكمال صار أبوهما إذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوماً بين الناس واتفق

بالقدر المبرم والقضاء المحتم أن محبة الأسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجـة ابيه وأن محبة الأمجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة أبيه فصارت كل واحـدة من المرأتين تلاعب ابن ضرتها وتقبله وتضمه إلى صدرها وإذا رأت ذلك أمه تظن أنه من الشـفقة ومحبـة لأمهات لاولادها وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنا بالولدين فصارت كل واحدة منهما إذا دخل عليهـا ابن ضرتها تضمه إلى صدرها وتود أنه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم يجدا سبيلا إلـى الوصـال امتنعتا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم أن الملك توجه إلى الصيد والقنص وأمر ولديه أن يجلسـا في موضع الحكم كل واحد منهما يوماً على عادتهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٠)

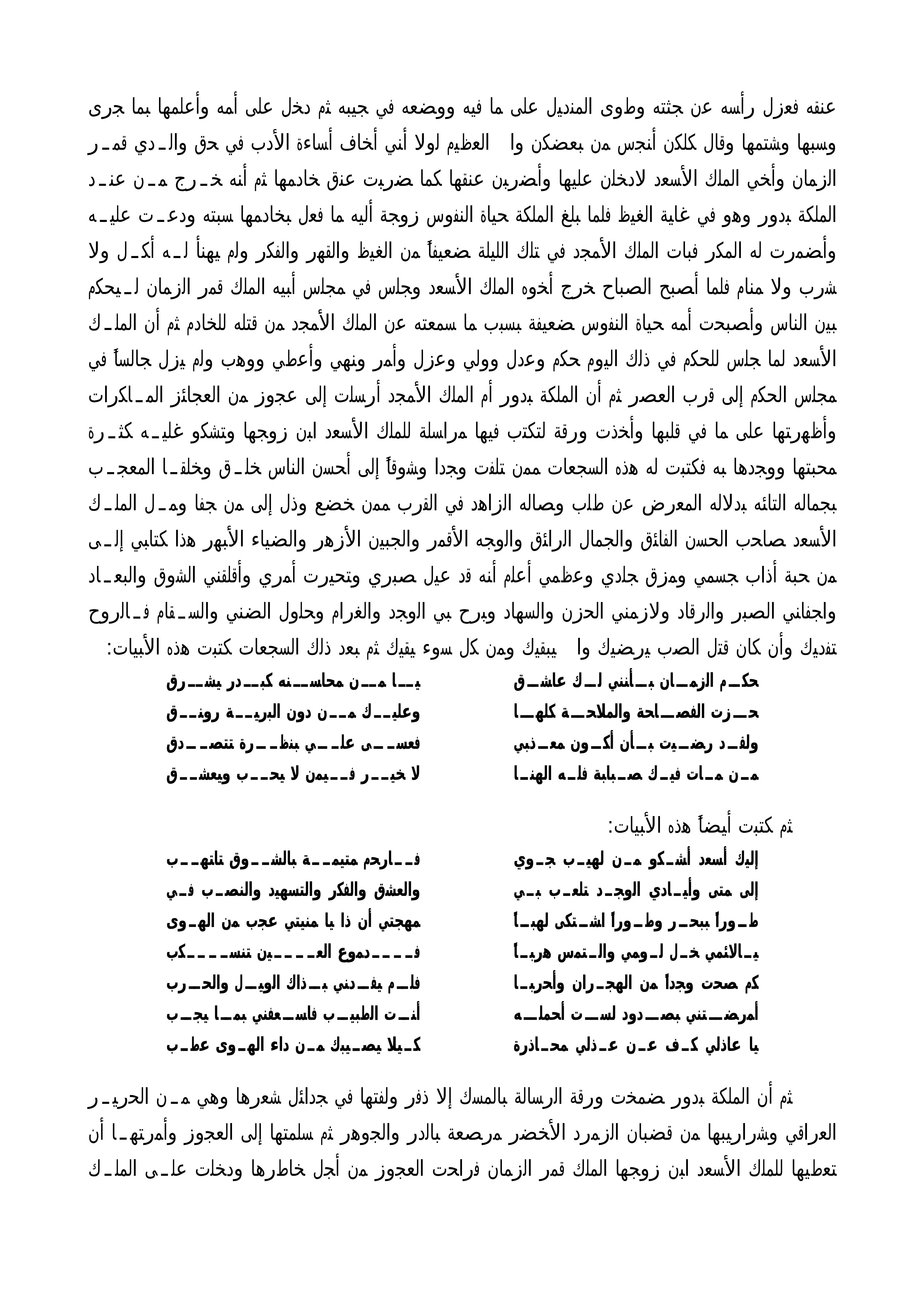
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك توجه إلى الصيد والقبض وأمر ولديه أن يجلسا فـي موضـعه للحكم كل واحد يوماً على عادتهما فجلس للحكم في اليوم الأول الأمجد ابن الملكة بدور فأمر ونهـى وولـى وعزل وأعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس أم الأسعد مكتوباً تستعطفه فيه وتوضح له أنها متعلقة بـه ومتعشقة فيه وتكشف له الغطاء وتعلمه أنها تريد وصاله فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات من المسكينة العاشقة الحزينة المفارقة التي ضاع بحبك شبابها وطال فيك عذابها ولو وصفت لك طول الأسف وما أقاسـيه من اللهف وما بقلبي من الشغف وما أنا فيه من البكاء والأنين وتقطع القلب الحزين وتوالى الغمـوم وتتـابع الهموم وما أجده من الفراق والكآبة والاحتراق لطال شرحه في الكتاب وعجزت عن حصره الحسـاب وقـد ضاقت على الأرض والسماء ولآلي في غيرك أمل ولا رجاء فقد أشرفت على الموت وكابدت أهوال الفـوت وزاد بي الاحتراق وألم الهجر والفراق ولو وصفت ما عندي من الأشواق لضاقت عنه الأوراق ثم بعد ذلـك كتبت هذين البيتين:

لو كنت أشرح مـا ألقـاه مـن حـرق	**ومـن سـقام ومـن وجـد ومـن قلـق**
لم يبق فـي الأرض قرطـاس ولا قلـم	**ولا مـــداد ولا شـــيء مـــن الـــورق**

ثم أن الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة في رقعة من غالي الحريـر مضـمخة بالمسـك والعنبـر ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الأموال بسعرها ثم لفته بمنديل وأعطتهـا للخـادم وأمرتـه أن يوصلها إلى الملك الأمجد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها أعطت ورقة المواصلة للخادم وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجـد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفي له في الغيب وعلام الغيوب يدبر الأمور كيف يشاء فلما دخل الخـادم على الملك الأمجد قبل الأرض بين يديه وناوله المنديل وبلغه الرسالة فتناول الملك الأمجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها فلما فهم معناها علم أن امرأة أبيه في عينها الخيانة وقد خانت أباه الملـك قمر الزمان في نفسها فغضب غضباً شديداً وذم النساء على فعلهن وقال لعن ا النساء الخائنات الناقصـات عقلاً ودينا ثم أنه جرد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء أتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك وا أنه لا خير فيك يا أسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف فـي



عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه في جيبه ثم دخل على أمه وأعلمها بما جرى وسبها وشتمها وقال كلكن أنجس من بعضكن وا العظيم لولا أني أخاف أساءة الأدب في حق والدي قمر الزمان وأخي الملك الأسعد لادخلن عليها وأضربن عنقها كما ضربت عنق خادمها ثم أنه خرج من عند الملكة بدور وهو في غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة أليه ما فعل بخادمها سبته ودعت عليه وأضمرت له المكر فبات الملك الأمجد في تلك الليلة ضعيفاً من الغيظ والقهر والفكر ولم يهنأ له أكل ولا شرب ولا منام فلما أصبح الصباح خرج أخوه الملك الأسعد وجلس في مجلس أبيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وأصبحت أمه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الأمجد من قتله للخادم ثم أن الملك الأسعد لما جلس للحكم في ذلك اليوم حكم وعدل وولي وعزل وأمر ونهي وأعطي ووهب ولم يزل جالساً في مجلس الحكم إلى قرب العصر ثم أن الملكة بدور أم الملك الأمجد أرسلت إلى عجوز من العجائز الماكرات وأظهرتها على ما في قلبها وأخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الأسعد ابن زوجها وتشكو غليه كثرة محبتها ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقاً إلى أحسن الناس خلقا وخلقا المعجب بجماله التائه بدلاله المعرض عن طاب وصاله الزاهد في القرب ممن خضع وذل إلى من جفا ومل الملك الأسعد صاحب الحسن الفائق والجمال الرائق والوجه الأقمر والجبين الأزهر والضياء الأبهر هذا كتابي إلى من حبة أذاب جسمي ومزق جلدي وعظمي أعلم أنه قد عيل صبري وتحيرت أمري وأقلقني الشوق والبعاد واجفاني الصبر والرقاد ولازمني الحزن والسهاد وبرح بي الوجد والغرام وحلول الضني والسقام فالروح تفديك وأن كان قتل الصب يرضيك وا يبقيك ومن كل سوء يقيك ثم بعد ذلك السجعات كتبت هذه الأبيات:

حكم الزمان بأنني لك عاشق ... يا من محاسنه كبدر يشرق

حزت الفصاحة والملاحة كلها ... وعليك من دون البرية رونق

ولقد رضيت بأن أكون معذبي ... فعسى علي بنظرة تتصدق

من مات فيك صبابة فله الهنا ... لا خير فيمن لا يحب ويعشق

ثم كتبت أيضاً هذه الأبيات:

إليك أسعد أشكو من لهيب جوي ... فارحم متيمة بالشوق تلتهب

إلى متى وأيادي الوجد تلعب بي ... والعشق والفكر والتسهيد والنصب في

طوراً ببحر وطوراً اشتكى لهباً ... مهجتي أن ذا يا منيتي عجب من الهوى

يالائمي خل لومي والتمس هرباً ... فدموع العين تنسكب

كم صحت وجداً من الهجران واحربا ... فلم يفدني بذاك الويل والحرب

أمرضتني بصدود لست أحمله ... أنت الطبيب فاسعفني بما يجب

يا عاذلي كف عن عذلي محاذرة ... كيلا يصيبك من داء الهوى عطب

ثم أن الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك إلا ذفر ولفتها في جدائل شعرها وهي من الحرير العراقي وشراريبها من قضبان الزمرد الأخضر مرصعة بالدر والجوهر ثم سلمتها إلى العجوز وأمرتها أن تعطيها للملك الأسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من أجل خاطرها ودخلت على الملك

الأسعد من وقتها وساعتها وكان في خاوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظـر رد الجواب فعند ذلك قرأ الملك الأسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لف الورقة في الجدائل ووضعها فـي جيبه وغضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم أنه نهض وسحب السيف مـن غمـده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على أمه حياة النفوس فوجدها راقدة في الفرش ضعيفة بسبت ما جرى لها من الملك الأمجد فشتمها الملك الأسعد ولعنها ثم خرج من عندها فاجتمع بأخيه الملك الأمجد وحكى له جميع ما جرى له من أمه الملكة بدور وأخبره أنه قتل العجـوز التـي جاءت له بالرسالة ثم قال له وا يا أخي لولا حيائي منك لكنت دخلت في هذه الساعة الها وقطعت رأسها من بين كتفيها فقال له أخوه الملك الأمجد وا يا أخي أنه قد جرى لي بالأمس لما جلست على كرسي المملكـة مثل ما جرى لك في هذا اليوم فإن أمك أرسلت إلى رسالة بمثل مضمون هذا الكلام ثم أخبره بجميع ما جرى له مع أمه الملكة حياة النفوس وقال له يا أخي لولا حيائي منك لدخلت إليها وفعلت بها ما فعلت بالخـادم ثـم أنهما باتا يتحدثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات ثم تواصيا بكتمان هذا الأمر لئلا يسمع بـه أبوهمـا الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا في غم تلك الليلة إلى الصباح فلما أصبح الصـباح أقبـل الملـك بجيشه من الصيد وطلع إلى قصره ثم صرف الأمراء إلى حال سبيلهم وقام ودخل القصـر فوجـد زوجتيـه راقدتين على الفراش وهما في غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقا على تضييع أرواحهما لأنهما قد فضحتا أنفسهما معهما وقد خشيتا أن يصيرا تحت ذلتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهمـا مالكمـا فقامتا إليه وقبلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم أيها الملك أن ولديك الذين قد تربيا في نعمتـك قـد خاناك في زوجتيك وأركباك العار فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلامـاً واغتاظ غيظاً شديداً حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه أوضحا لي هذه القضية فقالت له الملكة بدور اعلم يا ملك الزمان أن ولد الأسعد ابن حياة النفوس له مدة من الأيام وهو يراسلني ويكاتبني ويراودني عـن الزنا وأنا أنهاه عن ذلك فلم ينته فلما سافرت أنت هجم علي وهو سكران والسيف في يده فخفت أن يقتلني إذا مانعته كما قتل خادمي فقضي أربه مني غصباً وأن لم تخاص حقي منه أيها الملك قتلت نفسي بيدي وليس لي حاجة بالحياة في الدنيا بعد هذا الفعل القبيح وأخبرته حياة النفس أيضاً بمثل ما أخبرته بـه ضـرتها بـدور. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة حياة النفوس أخبرت زوجها الملك قمر الزمان بمثل ما أخبرته به الملكة بدور وقالت له أنا الأخرى جرى لي مع ولدك الأمجد كذلك ثم أنها أخذت في البكاء والنحيب وقالت له أن لم تخاص لي حقي منه أعلمت أبي الملك أرمانوس بذلك ثم أن المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قمـر الزمان بكاء شديداً فلما سمع كلامهما أعتقد أنه حق فغضب غضباً شديداً ما عليه من مزيـد فقـام وأراد أن يهجم على أولاده الأثنين ليقتلهما فلقيه صهره الملك أرمانوس وقد كان داخلاً في تلك الساعة ليسلم عليه لمـا علم أنه قد أتى من الصيد فرآه والسيف مشهور في يده والدم يقطر من مناخيره من شدة غيظه فسأله عما به فأخبره بجميع ما جرى من ولديه الأمجد والأسعد ثم قال له وها أنا داخل إليهما لاقتلهما أقبح قتلة وأمثل بهما

أقبح مثله فقال له صهره الملك أرمانوس وقد اغتاظ منهما أيضاً ونعم ما تفعل يا ولدي فلا بارك ا فيهما ولا في أولاد تفعل هذه الفعال في حق أبيهما ولكن يا ولدي صاحب المثل يقول من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب وهما ولداك على كل حال وينبغي أن لا تقتلهما بيدك فتجرع غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم ولكن أرسلهما مع أحد من المماليك ليقتلهما في البرية وهما غائبان عن عينك فلما سـمع الملك قمر الزمان من صهره الملك أرمانوس هذا الكلام رآه صواباً فأغمد سيفه ورجع وجلس علـى سـرير مملكته ودعا خازنداره وكان شيخاً كبيراً عارفاً بالأمور وتقلبات الدهور وقال له أدخل إلى ولـدي الأمجـد والأسعد وكتفهما كتافاً جيداً واجعلهما في صندوقين واحملهما على بغل واركب أنت وأخرج بهما إلى وسـط البرية واذبحهما واملأ لي قنينتين من دمهما وائتني بها عاجلاً فقال له الخازندار سمعاً وطاعة ثم نهض مـن وقته وساعته وتوجه إلى الأمجد والأسعد فصادفهما في الطريق وهما خارجان في دهليز القصر وقـد لبسـا قماشهما وأفخر ثيابهما وأراد التوجه إلى والدهما قمر الزمان ليسلما عليهما ويهنآه بالسلامة عند قدومه مـن السفر إلى الصيد فلما رآهما الخازندار قبض عليهما وقال لهما يا ولدي اعلما أنني عبد مأمور وأن أبا كمـا أمرني بأمر فهل أنتما طائعان لأمره قالا نعم فعند ذلك تقدم إليهما الخازندار وكتفهما ووضعهما في صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة ولم يزل سائراً بهما في البرية إلى قريب الظهر فأنزلهما في مكان أقفر موحش ونزل عن فرسه وحط الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما وأخرج الأمجد والأسعد منهما فلما نظر إليهما بكى بكاء شديداً على حسنهما وجمالهما وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهما وا يا سيدي أنه يعز علي أن أفعل بكما فعلاً قبيحاً ولكن أنا معذور في هذه الأمور لأنني عبد مأمور وقد أمرني والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما فقالا له أيها الأمير افعل ما أمرك به الملك فنحن صابرون على ما قدره ا عز وجل علينا وأنت في حل من دمائنا ثم أنهما تعانقا وودعا بعضهما وقال الأسعد للخازندار با عليك يا عم أنـك لا تجرعني غصة أخي ولا تسقني حسرته بل أقتلني أنا قبله ليكون ذلك أهون علي وقال الأمجد للخازندار مثـل ما قال الأسعد واستعطف الخازندار أن يقتله قبل أخيه وقال له إن أخي أصغر مني فلا تذقني لوعته ثم بكـى كل منهما بكاء شديد ما عليه من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار بكى لبكائهما ثم أن الأخوين تعانقا وودعا بعضـهما وقـال أحدهما للآخر أن هذا كله من كيد الخائنتين أمي وأمك وهذا ما جرى مني في حق أمك وجزاء ما جرى منك في حق أمي ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم أنا وأنا إليه راجعون ثم أن الأسعد أعتنق أخاه وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

يـا مـن إليـه المشـتكي والمفـزع	**أنـت المعـد لكـل مـا يتوقـع**
مـالي سـوى قرعـي لبابـك حيلـة	**ولـئن رددت فـأي بـاب أقـرع**
يا من خـزائن فضـله فـي قـول كـن	**أمـنن فـإن الخيـر عنـدك أجمـع**

فلما سمع الأمجد بكاء أخيه بكى وضمه إلى صدره وأنشد هذين البيتين:

يا مـن أياديـه عنـدي غيـر واحـدة	**ومــن مواهبــه تنمــو مــن العــدد**
مانـا بنـي مـن زمـاني قـط نائبـة	**إلا وجــدتك فيهــا آخــذ بيــدي**

ثم قال الأمجد للخازندار سألتك بالواحد القهار الملك الستار أن تقتلني قبل أخي الأسعد لعل نار قلبـي تخمد ولا تدعها تتوقد فبكى الأسعد وقال ما يقتل قبل إلا أنا فقال الأمجد الرأي أن تعتنقني وأعتنقك حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة فلما اعتنق الأثنان وجهاً لوجه التزما بعضهما وشدهما الخازنـدار وربطهمـا بالحبال وهو يبكي ثم جرد سيفه وقال وا يا سيدي أنه يعز علي قتلكما فهل لكما مـن حاجـة فاقضـيها أو وصية فأنفذها أو رسالة فأبلغها فقال الأمجد ما لنا حاجة وأما من جهة الوصية فأني أوصيك أن تجعل أخـي الأسعد من تحت وأنا من فوق لأجل أن تقع على الضربة أولاً فإذا فرغت من قتلنا ووصلت إلى الملك وقـال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل له أن ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك أنك لا تعلم هل هما بريئـان أو مذنبان وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت في حالهما ثم أنشد هذين البيتين:

أن النســاء شــياطين خلقــن لنــا	**نعــوذ بــا مــن كيــد الشــياطين**
فهــن أصــل البليــات التــي ظهــرت	**بــين البريــة فــي الــدنيا وفــي الــدين**

ثم قال الأمجد ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد قال للخازندار ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتـين الـذين سمعتهما وأسألك با أن تطول بالك علينا حتى أنشد لأخي هذين البيتين الآخرين ثم بكى بكاء شديداً وجعـل يقول:

فــــي الـــــذاهبين الأولـــــين	**مــــن الملـــــوك لنـــــا بصـــــائر**
كــم قــد مضــى فــي ذا الطريــق	**مــــن الأكـــــابر والأصـــــاغر**

فلما سمع الخازندار من الأمجد هذا الكلام بكى بكاء شديداً حتى بل لحيته وأما الأسعد فإنه قد تغرغرت عيناه بالعبرات وأنشد هذه الأبيات :

الــدهر يفجــع بعــد العــين بــالأثر	**فمــا البكــاء علــى الأشــباح والصــور**
مــا لليــالي أقــال ا عثرتنــا	**مــن الليــالي وخانتهــا يــد الغيــر**
فقد أضمرت كيدها لابـن الزبيـر ومـا	**رعــت ليأنتــه بالبيــت والحجــر**
وليتهــا إذ فــدت عمــراً بخارجــة	**فدت عليـا بمـن شـاءت مـن البشـر**

ثم خضب آخذه بدمعه المدرار وأنشد هذه الأشعار:

أن الليــالي والأيــام قــد طبعــت	**علــى الخــداع وفيهــا المكــر والحيــل**
ســراب كــل يبــاب عنــدها شــنب	**وهــول كــل ظــلام عنــدها كحــل**
ذنبــي إلــى الــدهر فليكــره ســجيته	**ذنــب الحســام إذ مــا أحجــم البطــل**

ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

يـا طالـب الـدنيا الدنيـة أنهـا	شـرك الـردى أو قـرارة الأكـدار
دار متى مـا أضحكت فـي يومهـا	أبكـت غـدا تبـاً لهـا مـن دار
غاراتهـا لا تنقضـي وأسـيرها	لا يفتـدي بجلائـل الأخطـار
كـم مـزده بغـروره حتـى غـدا	متفـرداً متجـاوز المقـدار

فلما فرغ الأسعد من شعره اعتنق أخاه الأمجد حتى صارا كأنهما شخص واحد وسل الخازندار سـيفه وأراد أن يضربهما وإذا بفرسه جفل في البر وكان يساوي جملة من المال فالقى السيف من يده وذهـب وراء فرسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار ذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده ومازال يجـري خلفـه ليمسكه حتى دخل في غابة فدخل وراءه في تلك الغابة فشق الجواد في وسط الغابة ودق الأرض برجليه فعلاً الغبار وارتفع وثاروا ما الفرس فإنه شخر ونخر وصهل وزمجر وكان في تلك الغابة أسد عظيم الخطر قبيح المنظر عيونه ترمي بالشرر له وجه عبوس وشكل يهول النفوس بالتفت الخازندار فرأى ذلك الأسد قاصد إليه فلم يجد له مهربا من يديه ولم يكن معه سيف فقال في نفسه لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ما حصـل لي هذا الضيق إلا بذنب الأمجد والأسعد وأن هذه السفرة مشؤومة من أولها ثم أن الأمجد والأسعد قد حمـي عليهما الحر فعطشا عطشاً شديداً حتى نزلت ألسنتهما واستغاثا من العطش فلم يغثهما أحد فقالا يا ليتنـا كنـا قتلنا واسترحنا من هذا ولكن ما ندري أين جفل الحصان حتى ذهب الخازندار وراءه وخلانا مكتفين فلو جاءنا وقتلنا كان أربح لنا من مقاساة هذا العذاب فقال الأسعد يا أخي أصبر فسوف يأتينا فرج ا سبحانه وتعـالى فإن الحصان ما جفل إلا لأجل لطف ا بنا وما ضرنا غير هذا العطش ثم هز نفسه وتحرك يمينـاً وشـمالا فانحل كتافه فقام وحل كتاف أخيه ثم أخذ سيف الأمير وقال لأخيه وا لا تبرح من هذا حتى نكشف خبـره ونعرف ما جري له وشرعاً يقتفيان الأثر فدلهما على الغابة فقال لبعضهما أن الحصان والخازندار ما تجاوز ا هذه الغابة فقال الأسعد لأخيه قف هنا حتى أدخل الغابة وأنظرها فقال الأمجد ما أخليك تدخل فيهـا وحـدك وما ندخل إلا جميعاً فإن سلمنا سلمنا سواء وأن عطبنا عطبنا سواء فدخل الاثنان فوجدا الأسد قد هجـم عـل الخازندار وهو تحته كأنه عصفور ولكنه صار يبتهل إلى ا ويشير إلى نحو السماء فلما رآه الأمجـد أخـذ السيف وهجم على الأسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ووقع مطروحاً على الأرض فنهض الأميـر وهـو متعجب من هذا الأمر فرأي الأمجد والأسعد ولدى سيده وقفين فترامي على أقدامهما وقال لهما وا يا سيدي ما يصلح أن أفرط فيكما بقتلكما فلا كان من يقتلكما فبروحي أفديكما وأدرك شهرزاد فسـكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار قال للأمجد والأسعد بروحي أفديكما ثم نهض مـن وقتـه وساعته وأعتنقهما وسألهما عن سبب فك وثاقهما وقدومهما فأخبراه أنهما عطشاً وانحل الوثاق مـن أحـدهما ففك الآخر بسبب خلوص نيتهما ثم أنهما أقتفيا الأثر حتى وصلا إليه فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما

وخرج معهما إلى ظاهر الغابة فلما صارا في ظاهر الغابة قالا له ياعم أفعل ما أمرك به أبونا فقال حاشـا أن أقربكما بضرر ولكن أعلما أني أريد أن أنزع ثيابكما والبسكما ثيابي وأملا قنينتين من دم الأسد ثـم أروح إلى الملك وأقول له أني قتلتهما وأما أنتما فسيحاً في البلاد وأرض ا واسعة واعلما يا سيدي أن فراقكما يعز علي ثم بكى كل من الخازندار والغلامين وقلعهماثيابهما والبسهما ثيابه وراح إلى الملك وقد أخذ ذلك وربـط قماش كل واحد منهما في بقجة معه وملأ القنينتين من دم الأسد وجعل البقجتين قدامه على ظهر الجـواد ثـم ودعهما وسار متوجهاً إلى المدينة ولم يزل سائراً حتى دخل على الملك وقبل الأرض بين يديه فـرآه الملـك متغير الوجه وذلك مما جرى له من الأسد فظن أن ذلك من قتل أولاده ففرح وقال له هل قضيت الشغل قـال نعم يا مولانا ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنينتين الممتلئتين بالدم فقال له الملك ماذا رأيت منهمـا وهل أوصياك بشيء قال وجدتهما صابرين محتسبين لما نزل بهما وقد قالا لي أن أبانا معذور فاقرئـه منـا السلام وقل له أنت في حل من قتلنا ومن دمائنا ولكن نوصيك أن تبلغه هذين البيتين وهما:

أن النســاء شــياطين خلقــن لنــا	**نعــوذ بــا مــن كيــد الشــياطين**
فهــن أصــل البليــات التــي ظهــرت	**بــين البريــة فــي الــدنيا وفــي الــدين**

فلما سمع الملك من الخازندار هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ملياً وعلم أن كلام ولديه هذا يـدل على أنهما قد قتلا ظلماً ثم تفكر في مكر النساء ودواهيهن وأخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثيـاب أولاده ويبكي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين صار يقلب ثياب أولاده ويبكي فلما فتح ثياب ولده الأسعد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها وفهم معناها فعلم أن ولده الأسعد مظلوم ولما قلب ثياب الأمجد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها ففتح الورقة وقراها فعلم أنه مظلوم فدق يد على يد وقال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم قد قتلت أولادي ظلماً ثم صار يلطم على وجهه ويقول واولداه وأطول حزناه وأمر ببناء قبرين في بيت الأحزان وكتب على القبرين اسمى ولديه وترامى على قبر الأمجد وبكي وأن واشتكى وأنشـد هـذه الأبيات:

يــا قمــر قــد غــاب تحــت الثــري	**بكــت عليــه الأنجــم الزاهــره**
ويــا قضــيبا لــم يمــس بعــده	**معــاطف للأعــين النــاظرة**
منعــت عينــي عنــك مــن غيرتــي	**عليــك لا أراك للآخــره**
وأغرقــت بالســهد فــي دمهــا	**وأننــي مــن ذاك بالعــاهرة**

ثم ترامى على قبر الأسعد وبكى وأن واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

قد كنـت أهـوى أن أشـاطرك الـردى	**لكــن ا أراد غيــر مــرادي**
ســودت مــا بــين الفضــاء ونــاظري	**ومحــوت مــن عينــي كــل ســواد**

لا ينفــذ الــدمع الــذي أبكــي بــه	أن الفــؤاد لـــه مـــن الأمـــداد
أعــزز علــى بــان أراك بموضــع	متســـابه الأوغـــاد والأمجـــاد

ولما فرغ من شعره هجر الأحباب والخلان وانقطع في البيت الذي سماه بيت الأحزان وصـار يبكـي على أولاده وقد هجر نساءه وأصحابه وأصدقاءه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الأمجد والأسعد فإنهما لم يزالا سائرين في البرية وهما يأكلان من نبات الأرض ويشربان من متحصلات الأمطار مدة شـهر كامل حتى انتهى بهما المسير إلى جبل من الصوان الأسود لا يعلم أين منتهاه والطريق افترقت عنـد ذلـك الجبل طريقين طريق تشقه من وسطه وطريق صاعده إلى أعلاه فسلكا الطريق التي في أعلا الجبل واستمرا سائرين فيها خمسة أيام فلم يريا له منتهى وقد حصل لهم الأعياء من التعب وليسا معتادين على المشي فـي جبل ولا في غيره ولما يئسا من الوصول إلى منتهاه رجعاً وسلكا الطريق التي فـي وسـط الجبـل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد و الأسعد ولدي الملك قمر الزمان لمـا عـادا مـن الطريـق الصاعدة في الجبل إلى الطريق المسلوكة في وسطه مشياً طول ذلك النهار إلى الليل وقد تعب الأسـعد مـن كثرة السير فقال لأخيه يا أخي أنا ما بقيت أقدر على المشي فأني ضعفت جداً فقال له الأمجد يا أخـي شـد حيلك لعل ا أن يفرج عنا ثم أنهما مشيا ساعة من الليل وقد تعب الأسعد تعباً شديداً ما عليه من مزيد وقال يا أخي أني تعبت وكليت من المشي ثم وقع في الأرض وبكى فحمله أخوه الأمجد ومشي به وصـار سـاعة يمشي وساعة يستريح إلى أن لاح الفجر حتى استراح أخوه فطلع هو وأياه فوق الجبل فوجـدا عينـا نابعـة يجري منها الماء وعندها شجرة رمان ومحراب فما صدقا أنهما يريان ذلك ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها وأكلا من رمان تلك الشجرة وناما في ذلك الموضع حتى طلعت الشمس ثم جلسا واغتسلا مـن العـين وأكلا من ذلك الزمان الذي في الشجرة وناما إلى العصر وأراد أن يسيرا فما قدر الأسعد على السـير وقـد ورمت رجلاه فأقاما هناك ثلاثة أيام حتى استراحا ثم سارا في الجبل مدة أيام وهما سائران فوق الجبل وقـد تعبا من العطش إلى أن لاحت لهما مدينة من بعيد ففرحا وصارا حتى وصلا إليها فلما قربا منها شـكرا ا تعالى وقال الأمجد للأسعد يا أخي أجلس هنا وأنا أسير إلى هذه المدينة وانظر ما شأنها واسأل عن أحوالهـا لأجل أن نعرف أين نحن من أرض ا الواسعة ونعرف الذي قطعناه من البلاد في عرض هذا الجبل ولو ابناً مشينا في وسطه ما كنا نصل إلى هذه المدينة في سنة كاملة فالحمد على السلامة فقال له الأسعد وا يـا أخي ما يذهب إلى المدينة غيري وأنا فداؤك فأنك أن تركتني ونزلت وغبت عني تستغرقني الأفكار من أجلك وليس لي قدرة على بعدك عني فقال له الأمجد توجه ولا تبطيء فنزل الأسعد من الجبل وأخذ معـه دنانـاير وخلى أخاه ينتظره وسار ولم يزل ماشياً في أسفل الجبل حتى دخل المدينة وشق في أزقتها فلقيه في طريقـه رجل وهو شيخ كبير طاعن في السن وقد نزلت لحيته على صدره وافترقت فرقتين وبيده عكاز وعليه ثيـاب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء فلمارآه الأسعد تعجب من لبسه وهيئته وتقدم إليه وسلم عليه وقال له

أين طريق السوق يا سيدي فلما سمع الشيخ كلامه تبسم في وجهه وقال له يا ولدي كأنك غريب فقال له الأسعد نعم أنا غريب يا عم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الذي لقي الأسعد تبسم في وجهه وقال يا ولدي كأنك غريب فقال له الأسعد نعم غريب فقال له الشيخ قد آنست ديارنا وأوحشت ديار أهلك فما الذي تريد من السوق فقال الأسعد ياعم أن لي أخاً تركته في الجبل ونحن مسافران من بلاد بعيدة ولنا في السفر مدة ثلاثة شهور وقد أشرفنا على هذه المدينة فجئت إلى ههنا لأشتري طعاماً وأعود به إلى أخي لأجل أن نقتات به فقال له الشيخ يا ولدي أبشر بكل خير واعلم أنني عملت وليمة وعندي ضيوف كثيرة وجمعت فيها من أطيب الطعام وأحسنه ما تشتهيه النفوس فهل لك أن تسير معي إلى مكاني فأعطيك ما تريد ولا آخذ منك ثمناً وأخبرك بأحوال هذه المدينة والحمد يا ولدي حيث وقعت بك ولم يقع بك أحد غيري فقال الأسعد افعل ما أنت أهله وعجل فإن أخي ينتظرني وخاطره عندي فأخذ الشيخ بيد الأسعد ورجع به إلى زقاق ضيق وصار يتبسم في وجهه ويقول له سبحان من نجاك من أهل هذه المدينة ولم يزل ماشياً به حتى دخل داراً واسعة وفيها قاعة جالساً فيها أربعون شيخاً طاعنون في السن وهم مصطفون حلقة وفي وسطهم نار موقدة والمشايخ جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها فلما رأى ذلك الأسعد أقشعر بدنه ولم يعلم ما خبرهم ثم أن الشيخ قال لهؤلاء الجماعة يا مشايخ النار ما أبركه من نهار ثم نادى قائلاً يا غضبان فخرج له عبد أسود بوجه أعبس وأنف أفطس وقامة مائلة وصورة هائلة ثم أشار إلى العبد فشد وثاق الأسعد وبعد ذلك قال الشيخ أنزل به إلى القاعة التي تحت الأرض وأتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار فأخذه العبد وأنزله تلك القاعة وسلمه إلى الجارية فصارت تتولى عذابه وتعطيه رغيفاً واحداً في أول النهار ورغيفاً واحداً في أول الليل وكوز ماء مالح في الغداة ومثله في العشي ثم أن المشايخ قالوا لبعضهم لما يأتي أو أن عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرب به إلى النار ثم أن الجارية نزلت إليه وضربته ضرباً وجيعاً حتى سالت الدماء من أعضاءه وغشي عليه ثم حطت عند رأسه رغيفاً وكوز ماء مالح وراحت وخلته فاستفاق في نصف الليل فوجد نفسه مقيداً وقد آلمه الضرب فبكي بكاء شديداً وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد لما رأى نفسه مقيداً وقد آلمه الضرب تذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك السيادة فبكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

قفوا برسوم الدار واستخبروا عنا ... ولا تحسبونا في الديار كما كنا

لقد فرق الدهر المشتت شملنا ... وما تشتفي أكباد حسادنا منا

تولت عذابي بالسياط لئيمة ... وقد ملئت منها جوانحي ضغنا

عسى ولعل ا يجمع شملنا ... ويدفعوا بالتنكيل أعداءنا عنا

فلما فرغ الأسعد من شعره مد يده عند رأسه فوجد رغيفاً وكوز ماء مالح فأكل قليلاً ليسد رمقه وشرب قليلاً من الماء ولم يزل ساهراً إلى الصباح ومن كثرة البق والقمل فلما أصبح الصباح نزلت إليه الجارية ونزعت عنه ثيابه وكانت قد غمرت بالدم والتصقت بجلده وهو مقيد في الحديد بعبد عن الأحباب فتذكر أخاه والعز الذي كان فيه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد تذكر أخاه والعز الذي كان فيه فحن وأنّ واشتكى وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

يا دهر مهلاكم تجور وتعتدي	**ولكم بأحبابي تروح وتغتدي**
ما آن أن ترثى لطول تشتتي	**وترق يا من قلبه كالجامد**
وأسأت أحبابي بما أشمت بي	**كل العداة بما صنعت من الردى**
وقد اشتفى قلب العدو بما رأى	**من غربتي وصبابتي وتوحدي**
لم يكفه ما حل بي من كربة	**وفراق أحبابي وطرف أرمدي**
حتى بليت بضيق سجن ليس لي	**فيه أنيس غير عضى باليد**
ومدامع تهمي كفيض سحائب	**وغليل شوق ناره لم تخمد**
وكآبة وصبابة وتذكر	**وتحسر وتنفس وتنهد**
شوق أكابده وحزن متلف	**ووقعت في وجد مقيم مقعد**

فلما فرغ من نظمه ونثره حن وبكى وأن واشتكى وتذكر ما كان فيه وما حصل له من فراق أخيه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر أخيه الأمجد فإنه مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه فخفق فؤاده واشتد به ألم الفراق وأفاض دمعه المهراق وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد لما مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه خفق فؤاده واشتد به ألم الفراق وأفاض دمعه المهراق وصاح واحسرتاه ما كان أخوفني من الفراق ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سايل على خديه ودخل المدينة ولم يزل ماشياً فيها حتى وصل إلى السوق وسأل الناس عن اسم المدينة وعن أهلها فقالوا له هذه تسمى مدينة المجوس وأهلها يعبدون النار دون الملك الجبار ثم سأل عن مدينة الآبنوس فقالوا له أن المسافة التي بيننا وبينها من البر سنة ومن البحر ستة أشهر وملكها يقال له أرمانوس وقد صاهر اليوم ملكاً وجعله مكانه وذلك الملك يقال له قمر الزمان وهو صاحب عدل وإحسان وجود وأمان فلما سمع الأمجد ذكر أبيه حن وبكى وأن واشتكى وصار لا يعلم أين يتوجه وقد اشترى معه شيئاً للأكل وذهب إلى موضع يتوارى فيه ثم قعد وأراد أن يأكل فتذكر أخاه فبكى ولم يأكل إلا قدر سد الرمق ثم قام ومشى في المدينة ليعلم خبر أخيه فوجد رجلاً مسلماً خياطاً في دكان فجلس عنده وحكى له قصته فقال له الخياط أن كان وقع في يد أحد من المجوس فما بقيت تراه إلا بعسر ولعل ا يجمع بينك وبينه ثم قال هل لك يا أخي أن تنزل عندي قال نعم ففرح الخياط بذلك وأقام عنده أياماً وهو يسليه ويصبره ويعلمه الخياطة حتى صار ماهراً ثم خرج يوماً إلى شاطيء البحر وغسل أثوابه ودخل الحمام ولبس ثياباً نظيفة ثم خرج من

الحمام يتفرج في المدينة فصادف في طريقه أمرأة ذات حسن وجمال وقدر واعتدال ليس لها في الحسن مثال فلما رأته رفعت القناع عن وجهها وغمزته بحواجبها وعيونها وغزلته باللحظات وقد لعبت به أيدي الصبابات فأشار لها وأنشد هذه الأبيات:

ورد الخدود ودونه شوك القنا   فمن المحدث نفسه أن يجتني
لا تمددوا الأيدي إليه فطالما   شنوا الحروب لأن مددنا الأعينا
قل للتي ظلمت وكانت فتنة   ولو أنها عدلت لكانت افتنا
ليزاد وجهك بالتبرقع ضلة   وأرى السفور لمثل حسنك أصونا
كالشمس يمتنع اجتلاءك وجهها   وأن اكتست برقيق غيم أسكنا
غدت النحيلة في حمى من نحلها   فسلوا حماة الحي عم تصدنا
إن كان قتلى قصدهم فليرفعوا   تلك الضغائن وليخلوا بيننا
ما هم بأعظم فتكة لو بارزوا   من طرف ذات الخال إذا برزت لنا

فلما سمعت من الأمجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات وأشارت إليه وأنشدت هذه الأبيات:

أنت الذي ساك الأعراض لست أنا   جد بالوصال إذا كان الوفاء آبى
يا فالق الصبح من لآليء غرته   وجاعل الليل من أصداغه سكنا
بصورة الوثن استعبدتني وبها   فتنتني وقديماً هجت لي فتنا
لأغر وإن أحرقت نار الهوى كبدي   فالنار حق على من يعبد الوثنا
تبيع مثلي مجاناً إلا أن   إن كان لابد من بيع فخذ ثمنا

فلما سمع الأمجد منها هذا الكلام قال لها أتجيئين عندي أو أجيء عندك فأطرقت برأسها حياء إلى الأرض وتلت قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض ففهم الأمجد أشارتها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد فهم إشارة المرأة وعرف أنها تريد الذهاب معه حيث يذهب فالتزم لما بالمكان وقد استحى أن يروح بها عند الخياط الذي هو عنده فمشى قدامها ومشت خلفه ولم يزل ماشياً بها من زقاق إلى زقاق ومن موضع إلى موضع حتى تعبت الصبية فقالت له يا سيدي أين دارك فقال لها قدام وما بقى عليها إلا شيء يسير ثم انعطف بها في زقاق مليح ولم ماشياً فيه وهي خلفه حتى وصل إلى آخره فوجده غير نافذ فقال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم التفت بعينه فرأى في صدر الزقاق باباً كبيراً بمصطبتين ولكنه مغلق فجلس الأمجد على مصطبة وجلست المرأة على مصطبة ثم قالت له يا سيدي ما الذي تنتظره فأطرق برأسه إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه وقال لها انتظر مملوكي فإن المفتاح معه وكنت قد قلت له هيء لنا المأكول والمشروب وصحبته المدام حتى أخرج من الحمام ثم قال في نفسه ربما يطول عليها المطال فتزوج إلى حال سبيلها وتخليني في هذا المكان فلما طال عليها الوقت قالت له يا سيدي أن المملوك قد أبطأ علينا ونحن قاعدون في الزقاق ثم قامت الصبية إلى الضبة بحجر فقال لها الأمجد لا تعجلي وأصبري حتى يجيء المملوك فلم تسمع كلامه ثم ضربت الضبة بالحجر فقسمتها نصفين فانفتح الباب فقال

لها وأي شيء خطر لك حتى فعلت هكذا فقالت له يا سيدي أي شيء جرى أما هو بيتك فقال نعـم ولكـن لا يحتاج إلى كسر الضبة ثم أن الصبية دخلت البيت فصار الأمجد متحيراً في نفسه خوفاً من أصحاب المنـزل ولم يدر ماذا يصنع فقالت له الصبية لم لا تدخل يا سيدي يا نور عيني وحشاشة قلبي قال لها سمعاً وطاعـة ولكن قد أبطأ على المملوك وما أدري هل فعل شيئاً مما أمرته به أم لا ثم أنه دخل معها وهو في غايـة مـا يكون من الهم خوفاً من أصحاب المنزل فقالت يا سيدي مالك واقفاً هكذا ثم شهقت شهقة وأعطت الأمجد قبلة مثل كسر الجوز وقالت يا سيدي أن كنت مواعد غيري فأنا أشد ظهري وأخدمها فضحك الأمجد عـن قلـب مملوء بالغيظ ثم طلع وجلس وهو ينفخ وقال في نفسه يا قبلة الشوم إذا جاء صاحب المنزل فبينما هو كـذلك وإذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكاً من أكابر المدينة لأنه كان أمير ياخور عند الملك وقد جعـل تلـك القاعة معدة لحظة لينشرح فيها صدره ويختلي فيها بمن يريد وكان في ذلك اليوم قد أرسل إلى معشوق يجيء له وجهز له ذلك المكان وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان سخي اليد صاحب جـود وإحسـان وصـدقات وامتنان فلما وصل إلى قريب القاعة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهادر صاحب القاعة لما وصل إلى قريب القاعة وجد الباب مفتوحـاً فدخل قليلاً قليلاً وطل برأسه فنظر الأمجد والصبية وقدامهما طبق فاكهة وآلة المدام وفي ذلك الوقـت كـان الأمجد ماسك القدح وعينه إلى الباب فلما صارت عينه في عين صاحب الدار أصفر لونه وارتعدت فرئصـه فلما رآه بهادر وقد اصفر لونه وتغير حاله غمزه بأصبعه على فمه يعني أسكت وتعالى عندي فحط الأمجـد الكاس من يده وقام إليه فقالت الصبية إلى أين فحرك رأسه وأشار لها أنه يريق الماء ثم خرج إلـى الـدهليز حافياً فلما رأى بهادر علم أنه صاحب الدار فأسرع إليه وقبل يديه ثم قال له بالله عليك يـا سـيدي قبـل أن تؤذيني أسمع مني مقالي ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره وأخبره بسبب خروجه من أرضه ومملكته وأنـه ما دخل القاعة باختياره ولكن الصبية هي التي كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعـال فلمـا سـمع بهادر كلام الأمجد وعرف أنه ابن ملك حن عليه ورحمه ثم قال اسمع يا أمجد كلامي وأطعني وأنا أتكفل لك بالأمان مما تخاف وأن خالفتني قتلتك فقال الأمجد آمرني بما شئت فأنا لا أخالفك أبداً لأنني عتيق مروءتـك فقال له بهادر أدخل هذه القاعة واجلس في المكان الذي كنت فيه واطمئن وها أنا داخل إليك وأسمي بهـادر فإذا دخلت إليك فاشتمني وأنهرني وقل لي ما سبب تأخرك إلى هذا الوقت ولا تقبل لي عذراً بل قم أضـربني وأن أشفقت على أعدمتك حياتك فأدخل وانبسط ومهما طلبته مني تجده حاضراً بين يديك في الوقت وبت كما تحب في هذه الليلة وفي غد توجه إلى حال سبيلك أكراماً لغربتك فأني أحب الغريب وواجب علـى أكرامـه فقبل الأمجد يده ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضاً فأول ما دخل قال للصبية يا سيدتي آنست موضـعك وهذه ليلة مباركة فقالت له الصبية أن هذا عجيب منك حيث بسطت لي الأنس فقال الأمجد والله يا سيدتي أني كنت أعتقد أن مملوكي بهادر أخذ لي عقود جواهر كل عقد يساوي عشرة آلاف دينار ثم خرجت الآن وأنـا متفكر في ذلك ففتشت عليها فوجدتها في موضعها ولم أدر ما سبب تأخر المملوك إلى هذا الوقت ولابد لـي من عقوبته فاستراحت الصبية بكلام الأمجد ولعبا وشربا وأنشرحا ولم يزالا في حظ إلى قريب المغرب ثـم

دخل عليهما بهادر وقد غير لبسه وشد وسطه وجعل في رجليه زرنوباً على عادة المماليك ثـم سـلم وقبـل الأرض وكتف يديه وأطرق برأسه إلى الأرض كالمعترف بذنبه فنظر إليه الأمجد بعين الغضب وقال له مـا سبب تأخرك يا أنحس المماليك فقال له يا سيدي أني اشتغلت بغسل أثوابي وما علمت أنك ههنا فإن ميعـادي وميعادك العشاء لا بالنهار فصرخ عليه الأمجد وقال له تكذب يا أخس المماليك وا لابد من ضربك ثم قـام الأمجد وسطح بهادر على الأرض وأخذ عصا وضربه برفق فقامت الصبية وخلصت العصا من يده ونزلـت بها على بهادر بضرب وجيع حتى جرت دموعه واستغاث وصار يكز على أسنانه والأمجـد يصـيح علـى الصبية لا تفعلي هكذا وهي تقول له دعني أشفي غيظي منه ثم أن الأمجد خطف العصا من يدها ودفعها فقام بهادر ومسح دموعه عن وجهه ووقف في خدمته ساعة ثم مسح القاعة وأوقد القناديل وصارت الصبية كلمـا دخل بهادر وخرج تشتمه وتلعنه والأمجد يغضب عليها ويقول لها بحق ا تعالى أن تتركي مملـوكي فإنـه غير معود بهذا ومازالا يأكلان ويشربان وبهادر في خدمتهما إلى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب فنام في وسط القاعة وشخر ونخر فسكرت الصبية وقالت اللامجد قم خذ هذا السيف المعاق واضـرب رقبـة هذا المملوك وأن لم تفعل ذلك عملت على إزهاق روحك فقال الأمجد وأي شيء خطر لك أن أقتل مملـوكي قالت لا يكمل الحظ إلا بقتله وأن لم تقم قمت أنا وقتلته فقال الأمجد بحق ا عليك أن لا تفعلي فقالت لابد من هذا وأخذت السيف وجردته وهمت بقتله فقال الأمجد في نفسه هذا رجل عمل معنا خيراً وسترنا وأحسن إلينا وجعل نفسه مملوكي كيف تجازيه بالقتل لا كان ذلك أبداً ثم قال للصبية إن لم يكن بد من قتل مملـوكي فأنـا أحق بقتله منك ثم أخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبية في عنقها فأطاح رأسها عن جثتها فوقعـت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الأمجد واقفاً والسيف في يده مخضباً بالدم ثم نظر إلى الصبية فوجدها مقتولة فاستخبره عن أمرها فأعاد عليه حديثها وقال له أنها أبـت إلا أن تقتلـك وهـذا جزاؤها فقام بهادر وقبل رأس الأمجد وقال له يا سيدي ليتك عفوت عنها وما بقي في الأمر إلا أخراجها فـي هذا الوقت قبل الصباح ثم أن بهادر شد وسطه وأخذ الصبية ولفها في عباءة ووضعها في فرد وحملها وقـال للأمجد أنت غريب ولا تعرف أحداً فأجلس في مكانك وانتظرني عند طلوع الشمس فإن عدت إليك لابـد أن أفعل معك خيراً كثيراً واجتهد في كشف خبر أخيك وإن طلعت الشمس ولم أعد إليك فاعلم أنه قد قضى على والسلام عليك وهذه الدار لك بما فيها من الأموال والقماش ثم أنه حمل الفرد وخرج من القاعة وشـق بهـا الأسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيه فلما صار قريباً من البحر التفت فرأى الوالي والمقـدمين قد أحاطوا به ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا الفرد فوجدوا فيه قتيلة فقبضوا عليه وبيتوه في الحديد إلى الصـباح ثم طلعوا به هو والفرد إلى الملك واعلموه بالخبر فلما رأى الملك غضب غضباً شديداً وقال له ويلـك أنـك تفعل هكذا دائماً فتقتل القتلى وترميهم في البحر وتأخذ جميع ما لهم وكم فعلت قبل ذلك من قتل فأطرق بهادر برأسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهادر أطرق برأسه إلى الأرض قدام الملك فصرخ الملك عليه وقـال له ويلك من قتل هذه الصبية فقال له يا سيدي أنا قتلتها ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فغضب الملك

وأمر بشنقه فنزل به السياف حين أمره الملك وأمر الوالي المنادي ينادي في أزقة المدينة بالفرجة على بهادر أمير يا خور الملك ودار به في الأزقة والأسواق هذا ما كان من أمر بهادر (وأما) ما كان من أمـر الأمجـد فإنه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد إليه بهادر قال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظـيم أي شيء جرى له فبينما هو يتفكر وإذا بالمنادي ينادي بالفرجة على بهادر فأنهم يشنقونه في وسط النهـار فلمـا سمع الأ مجد ذلك بكى وقال أنا وأنا إليه راجعون قد أراد هلاك نفسه من أجلي وأنا الـذي قتلتهـا وا لا كان هذا أبداً ثم خرج من القاعة وقفلها وشق في وسط المدينة حتى إلى أتى إلى بهادر ووقف قـدام الـوالي وقال له ياسيدي لا تقتل بهادر فإنه بريء وا ما قتلها إلا أنا فلما سمع الوالي كلامه أخذه هو وبهادر وطلـع بهما إلى الملك وأعلمه بما سمعه من الأمجد فنظر الملك إلى الأمجد وقال له أنت قتلت الصبية قال نعم فقـال له الملك أحك لي ما سبب قتلك أياها وأصدقني قال له أيها الملك أنه جرى لي حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم حكى للملك حديثه وأخبره بما جرى له ولأخيـه مـن المبتدأ إلى المنتهى فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال أني قد علمت أنك معذور ولكن يا فتى هل لك أن تكون عندي وزيراً فقال له سمعاً وطاعة فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعاً سنية وأعطاه داراً حسنة وخدماً وحشماً وأنعم عليه بجميع ما يحتاج إليه ورتب له الرواتب والجرايات وأمره أن يبحث عـن أخيـه الأسـعد فجلس الأ مجد في رتبة الوزارة وحكم وعدل وولى وعزل وأخذ وأعطى وارسل المنادى في أزقـة المدينـة ينادي على أخيه الأسعد فمكث مدة أيام ينادي في الشوارع والأسواق فلم يسمع له بخبر ولم يقع له على أثـر هذا ما كان من أمر الأمجد (وأما) ما كان من أمر الأسعد فإن المجوس ما زالوا يعاقبونه بالليل والنهار وفـي العشى والأبكار مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس فتجهز بهرام المجوسي إلى السفر وهيأ لـه مركبـاً.

وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهرام المجوسي جهز مركباً للسفر ثم حط الأسعد في صندوق وأقفلـه عليه ونقله إلى المركب وسافر وأولم يزالوا مسافرين أياماً وليالي وكل يومين يخرج الأسعد ويطعمه قليلاً من الزاد ويسقيه قليلاً من الماء إلى أن قربوا من جبل النار فخرج عليهم ريح وهاج بهم البحـر حتـى تاهـت المركب عن الطريق وسلكوا طريقاً غير طريقهم ووصلوا إلى مدينة مبنية على شاطيء البحر ولهـا قلعـة بشبابيك تطل على البحر والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها الملكة مرجانه فقال الريس لبهرام يا سيدي أننا تهنا عن الطريق ولابد لنا من دخول هذه المدينة لأجل الراحة وبعد ذلك يفعل ا ما يشاء فقال له بهـرام نعم ما رأيت والذي تراه افعله فقال له الريس إذا أرسلت لنا المسكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها فقال له بهرام أنا عندي هذا المسلم الذي معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا إذا رأته الملكة تظن أنه مملوك فأقول لهـا أني جلاب مماليك أبيع واشتري فيهم وقد كان عندي مماليك كثيرة فبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك فقال لـه الريس هذا كلام مليح ثم أنهم وصلوا إلى المدينة وأرخوا القلوع ودقوا المراسي ووقف المراكب وإذا بالملكة مرجانة نزلت إليهم ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادت على الريس فطلع عندها وقبل الأرض بـين يديها فقالت له أي شيء في مركبك هذه ومن معك فقال لها يا ملكة الزمان معي رجل تاجر يبيـع المماليـك

فقالت علي به وإذا ببهرام طلع ومعه الأسعد ماش وراءه في صفة مملوك فلما وصل إليها بهرام قبل الأرض بين يديها فقالت له ما شأنك فقال لها أنا تاجر رقيق فنظرت إلى الأسعد وقد ظنت أنه مملوك فقالت لـه مـا اسمك فخنقه البكاء وقال لها اسمي الأسعد فحن قلبها عليه فقالت أتعرف الكتابة قال نعـم فناولتـه دواة وقلمـا وقرطاساً وقالت له اكتب شيئاً حتى أراه فكتب هذين البيتين:

مـا حيلـة العبـد والأقـدار جاريـة	عليـه فـي كـل حـال أيهـا الرائـي
ألقـاه فـي اليم مكتوفـاً وقـال لـه	إيـاك إيـاك أن تبتـل بالمـاء

فلما رأت الورقة رحمته ثم قالت لبهرام يعني هذا المملوك فقال لها يا سيدتي لا يمكنني بيعـه لأنـي بعت جميع مماليكي ولم يبق عندي غير هذا فقالت الملكة مرجانة لابد من أخذه منك أما ببيع وأما بهبة فقـال لها لا أبيعه ولا أهبه فقبضت على الأسعد وأخذته وطلعت به القلعة وأرسلت تقول له أن لم تقلع في هذه الليلة عن بلادنا أخذت جميع مالك وكسرت مركبك فلما وصلت إليه الرسالة أغتم غماً شديداً وقال هذه سفرة غيـر محمودة ثم قام وتجهز وأخذ جميع ما يريده وانتظر الليل ليسافر فيه وقال للبحرية خذوا أهبتكم واملؤا قـربكم من الماء وأقلعوا بنا في آخر الليل فصار البحرية يقضون أشغالهم هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان مـن أمر الملكة مرجانه فإنها أخذت الأسعد ودخلت به القلعة وفتحت الشبابيك المطلة على البحر وأمرت الجواري أن يقدمن لهم من الطعام فقدمن لهم الطعام فأكلا ثم أمرتهن أن يقدمن المدام وأدرك شهرزاد فسـكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة مرجانة أمرت الجواري أن يقدمن المدام فقد منه فشربت مـع الأسعد وألقى ا سبحانه وتعالى محبة الأسعد في قلبها وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عقله فقام يريد قضاء حاجة ونزل من القاعة فرأى باباً مفتوحاً فدخل فيه وتمشى فانتهى به السير إلى بستان عظيم فيه جميع الفواكه والأزهار فجلست تحت شجرة وقضى حاجته وقام إلى الفسقية التي في البستان فاستلقى علـى قفـاه ولباسه محلول فضربه الهواء فنام ودخل عليه الليل هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر بهرام فإنـه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم حلوا قلوعكم وسافروا بنا فقالوا له سـمعاً وطاعـة ولكن أصبر علينا حتى نملأ قربنا ونحل ثم طلع البحرية بالقرب وداروا حول القلعة فلم يجدوا غير حيطـان البستان فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا أثر الأقدام الموصلة إلى الفسقية فلما وصلوا وجدوا الأسعد مستلقياً على قفاه فعرفوه وفرحوا به وحملوه بعد أن ملؤوا قربهم ونطوا من الحائط وأتوا به مسرعين إلـى بهـرام المجوسي وقالوا له أبشر بحصول المراد وشفاه الأكباد فقد طبل طبلك وزمر زمرك فإن أسيرك الذي أخذتـه الملكة مرجانه منك غصباً قد وجدناه وآتينا به معنا ثم رموه قدامه فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح ثم خلع عليهم وأمرهم أن يحلوا القلوع بسرعة فحلوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار ولم يزالوا مسافرين إلى الصباح هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها بعـد نـزول الأسعد من عندها مكثت تنتظره ساعة فلم يعد إليها فقامت وفتشت عليه فما وجدته فأوقدت الشموع وأمـرت الجواري أن يفتشن عليه ثم نزلت هي بنفسها فرأت البستان مفتوحاً فعلمت أنه دخله فدخلت البستان فوجـدت

نعله بجانب الفسقية فصارت تفتش عليه في جميع البستان فلم تر له خبر ولم تزل تفتش عليه فـي جوانـب البستان إلى الصباح ثم سألت عن المركب فقالوا لها قد سافرت في ثلث الليل فعلمت أنهم أخذوه معهم فصعب عليها واغتاظت غيظاً شديداً ثم أمرت بتجهيز عشر مراكب كبار في الوقت وتجهزت للحرب ونزلـت فـي مركب من العشر مراكب ونزل معها عسكرها متهيئين بالعدة الفاخرة وآلات الحرب وحلوا القلـوع وقالـت للرؤساء متى لحقتم مركب المجوسي فلكم عندي الخلع والأموال وأن لم تلحقوها قتلتكم عن آخركم فحصـل للبحرية خوف عظيم ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة وثاني يوم وثالث يوم وفـي اليـوم الرابـع لاحت لهم مركب بهرام ولم ينقض النهار حتى أحاطت المراكب بمركب المجوسي وكان بهـرام فـي ذلـك الوقت قد أخرج الأسعد وضربه وصار يعاقبه والأسعد يستغيث ويستجير فلم يجد مغيثاً ولا مجيراً من الخلق وقد آلمه الضرب الشديد فبينما هو يعاقبه إذ لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد أحاطت بمركبه دارت حولها كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن أنه هالك لا محالة فتحسر بهرام وقال ويلك يا أسعد هذا كله من تحـت رأسك ثم أخذه من يده وأمر البحرية أن يرموه في البحر وقال وا لأقتلنك قبل موتي فاحتملته البحرية مـن يديه ورجليه ورموه في وسط البحر فأذن ا سبحانه وتعالى لما يريد من سلامته وبقية أجله أنه غطـس ثـم طلع وخبط بيديه ورجليه إلى أن سهل ا عليه آتاه الفرج وضربه الموج وقذفه بعيداً عن مركب المجوسـي ووصل إلى البر فطلع وهو لا يصدق بالنجاة ولما صار في البر قلع أثوابه وعصرها ونشرها وقعد عريانـاً يبكي على ما جرى له من المصائب والأسر ثم انشد هذين البيتين:

إلهـي قـل صبـري واحتيـالي	**وضـاق الصـدر وانصـرفت حبـالي**
إلـى مـن يشـتكي المسـكين إلا	**إلـى مـولاه يـا مـولى المـوالي**

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم أين يروح ولا أين يجيء فصار يأكل مـن نبـات الأرض وفواكه الأشجار ويشرب من ماء الأنهار وسافر بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة ففرح وأسـرع فـي مشيه نحو المدينة فلما وصل إليها أدركه المساء وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد لما وصل إلى المدينة أدركه المساء وقد قفـل بابهـا وكانـت المدينة هي التي كان أسيراً فيها وأخوه الأمجد وزير ملكها فلما رآها الأسعد مقفلة رجع إلى جهة المقابر فلما وصل إلى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها فحط وجهه في عنه وكان بهرام المجوسي لما وصـلت إليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بمكره وسحره ورجع سالماً نحو مدينته وسار من وقته وسـاعته وهـو فرحان فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربـة التـي فيهـا الأسعد مفتوحة فتعجب وقال لابد أن أنظر في هذه التربة فلما نظر فيها رأى الأسعد وهو نائم ورأسه في عبه فنظر في وجهه فعرفه فقال له هل أنت تعيش إلى الآن ثم أخذه وذهب به إلى بيته وكان له في بيتـه طـابق تحت الأرض معد لعذاب المسلمين وكان له بنت تسمى بستان فوضع في رجلي الأسعد قيداً ثقيلاً وأنزله فـي ذلك الطابق ووكل بنته بتعذيبه ليلاً ونهاراً إلى أن يموت ثم أنه ضربه الضرب الوجيع وأقفل عليـه الطـابق وأعطى المفاتيح لبنته ثم أن بنته بستان نزلت لتضربه فوجدته شاباً ظريف الشـمال حلـو المنظـر مقـوس

الحاجبين كحيل المقتلين فوقعت محبته في قلبها فقالت له ما اسمك قال لها اسمي الأسعد فقالـت لـه سـعدت وسعدتك أيامك أنت ما تستاهل العذاب وقد علمت أنك مظلوم وصارت تؤانسه بالكلام وفكت قيوده ثـم أنهـا سألته عن دين الإسلام فأخبرها أنه هو الدين الحق القويم وأن سيدنا محمد صاحب المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة وأن النار تضر ولا تنفع وعرفها قواعد الإسلام فأذعنت إليه ودخل حب الإيمان في قلبها ومزج ا محبة الأسعد بفؤادها فنطقت بالشهادتين وصارت من أهل السعادة وصارت تطعمه وتسـقيه وتتحـدث معـه وتصلي هي وهو وتصنع له المساليق بالدجاج حتى اشتد وزال ما به من الأمراض ورجع إلى ما كان عليـه من الصحة ثم أن بنت بهرام خرجت من عند الأسعد ووقفت على الباب وإذ بالمنادي ينادي ويقول كل مـن كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا وأظهره فله جميع ما طلب من الأموال ومن كان عنده وأنكره فإنه يشنق على باب داره وينهب ما له ويهدر دمه وكان الأسعد قد أخبر بستان بنت بهرام بجميع ما جـرى لـه فلمـا سمعت ذلك عرفت أنه هو المطلوب فدخلت عليه وأخبرته بالخبر فخرج وتوجه إلى دار الـوزير فلمـا رأى الوزير قال وا أن هذا الوزير هو أخي الأمجد ثم طلع وطلعت الصبية وراءه إلى القصر فرأى أخاه الأمجد فألقى نفسه عليه ثم أن الأمجد عرفه فألقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك وغشى علـى الأسـعد والأمجد ساعة فلما أفاقا من غشيتهما أخذه الأمجد وطلع به إلى السلطان وأخبره بقصته فأمر السلطان بنهـب بيت بهرام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان أمر الأمجد بنهب دار بهرام فأرسل الوزير جماعـة لـذلك فتوجهوا إلى بيت بهرام ونهبوه وطلعوا بابنته إلى الوزير فأكرمها وحدث الأسعد أخاه بكل ما جرى له مـن العذاب وما عملت معه بنت بهرام من الأحسان فزاد الأمجد في أكرامها ثم حكى الأمجد للأسعد جميـع مـا جرى له مع الصبية وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيراً وصار يشكو أحدهما للآخر ما وجد مـن فرقـة أخيه ثم أن السلطان أحضر المجوسي وأمر بضرب عنقه فقال بهرام أيها الملك الأعظم هل صـممت علـى قتلي قال نعم فقال بهرام أصبر علي أيها الملك قليلاً ثم أطرق برأسه إلى الأرض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد وأسلم على يد السلطان ففرحوا بإسلامه ثم حكى الأمجد والأسعد جميع ما جرى لهما فقال لهمـا يـا سـيدي تجهزا للسفر وأنا أسافر بكما ففرحا بذلك وبإسلامه وبكيا بكاء شديداً فقال لهما بهـرام يـا سـيدي لا تبكيـا فمصيركما تجتمعان كما اجتمع نعمة ونعم فقالا له وما جرى لنعمة ونعم.

حكاية نعم ونعمة

قال بهرام ذكروا ا أعلم أنه كان بمدينة الكوفة رجل من وجهاء أهلها يقال له الربيع بن حـاتم وكـان كثير المال مرفه الحال وكان قد رزق ولداً فسماه نعمة ا فبينما هو ذات يوم بدكة النخاسين إذ نظر جاريـة تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة في الحسن والجمال فأشار الربيع إلى النخاس وقال له بكم هذه الجارية وأبنتها فقال بخمسين دينار فقال الربيع اكتب العهد وخذ المال وسلمه لمولاها ثم دفع للنخـاس ثمـن الجارية وأعطاه دلالته وتسلم لجارية وابنتها ومضى بهما إلى بيته فلما نظرت ابنة عمه إلى الجارية قالت له يا ابن العم ما هذه الجارية قال اشتريتها رغبة في هذه الصغيرة التي على يديها واعلمي أنها إذا كبـرت مـا

يكون في بلاد العرب والعجم مثلها ولا أجمل منها فقالت لها ابنة عمه ما اسمك يا جارية فقالت يـا سـيدتي اسمي توفيق قالت وما اسم ابنتك قالت سعد قالت صدقت لقد سعدت وسعد من اشتراك ثم قالت يا ابن عمـي ما تسميها قال ما تختارينه أنت قالت نسميها نعم قال الربيع لا بأس بذلك ثم أن الصغيرة نعم تربت مع نعمـة بن الربيع في مهد واحد إلى حين بلغا من العمر عشر سنين وكان كل شخص منهما أحسـن مـن صـاحبه وصار الغلام يقول لها يا أختي وهي تقول له يا أخي ثم أقبل الربيع على ولده نعمة حين بلغا هذا السن وقال له يا ولدي ليست نعمة أختك بل هي جاريتك وقد اشتريتها على اسمك وأنت في المهد فلا تدعها بأختك مـن هذا اليوم قال نعمة لأبيه فإذا كان كذلك فأنا أتزوجها ثم أنه دخل على والدته وأعلمها بذلك فقالت يا ولدي هي جاريتك فدخل نعمة بن الربيع بتلك الجارية وأحبها ومشى عليهما تسع سنين وهما على تلك الحالة ولم يكـن بالكوفة جارية أحسن من نعم ولا أحلى ولا أظرف منها وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفـت أنـواع اللعب والآلات وبرعت في المغنى وآلات الملاهي حتى أنها فاقت جميع أهـل عصـرها وأدرك شـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد بأن نعم فاقت أهل عصرها وبينما هي جالسة ذات يوم من الأيـام مـع زوجها نعمة بن الربيع في مجلس الشراب وقد أخذت العود وشدت أوتاره وأنشدت هذين البيتين:

إذا كنـت لـي مـولى أعـيش بفضـله	**وسـيفا بـه أفنـى رقـاب النوائـب**
فما لـي إلـى زيـد وعمـرو شـفاعة	**سـواك إذا ضـاقت علـى مـذاهبي**

فطرب نعمة طرباً عظيماً ثم قال لها بحياتي يا نعم أن تغني لنا على الدف وآلات الطـرب فأطربـت بالنغمات وغنت بهذه الأبيات:

وحيـاة مـن ملكـت يـداه قيـادي	**لأخـالفن علـى الهـوى حسـادي**
ولا عصـين عـواذلي وأطـيعكم	**ولأهجـرن تلـذذي ورقـادي**
ولأجعلـن لكـم بأكنـاف الحشـا	**قبـراً ولـم يشـعر بـذاك فـؤادي**

فقال الغلام درك يا نعم فبينما هما في أطيب عيش وإذا بالحجاج في دار نيابته يقول لابـد لـي أن أحتال على أخذ هذه الجارية التي اسمها نعم وأرسلها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لأنه لا يوجـد في قصره مثلها ولا أطيب من غنائها ثم أنه استدعى بعجوز قهرمانة وقال لها أمض إلى دار الربيع واجتمعي بالجارية نعم وتسببي في أخذها لأنه لم يوجد على وجه الأرض مثلها فقبلت العجوز من الحجاج ما قاله ولما أصبحت لبست أثوابها الصوف وحطت في رقبتها سبحة عدد جبتها ألوف وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قبلت ما قاله الحجاج ولما أصبحت لبست أثوابهـا الصـوف ووضعت في رقبتها سبحة عدد حباتها ألوف وأخذت بيدها عكازاً وركوة يمانية وسارت وهي تقول سـبحان ا والحمد ولا إله إلا ا وا أكبر ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ولم تزل في تسـبيح وابتهـال

وقلبها ملان بالمكر والاحتيال حتى وصلت إلى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر فقرعت الباب ففتح لها البواب وقال ما تريدين قالت أنا فقيرة من العابدات وأدركتني صلاة الظهر واريد أن أصلي في هذا المكـان المبارك فقال لها البواب يا عجوز أن هذه دار نعمة بن الربيع وليست بجامع ولا مسجد فقالت أنا أعرف أنـه لا جامع ولا مسجد مثل دار نعمة ابن الربيع وأنا قهرمانة من قصر أمين المؤمنين خرجت طالبـة العبـادة والسياحة فقال لها البواب لا أمكنك من أن تدخلي وكثر بينهما الكلام فتعلقت به العجوز وقالت له هل يمنـع مثلي من دخول دار نعمة بن الربيع وأنا أعبر إلي ديار الأمراء والأكابر فخرج نعمة وسمع كلامها فضـحك وأمرها أن تدخل خلفه فدخل نعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نعم فسلمت عليها العجوز بأحسن سلام ولما نظرت إلى نعم تعجبت من فرط جمالها ثم قالت لها يا سيدتي أعيذك با الذي ألف بينـك وبـين مولاك في الحسن والجمال ثم انتصبت العجوز في المحراب وأقبلت على الركوع والسجود والدعاء إلـى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقالت الجارية يا أمي أريحي قدميك ساعة فقالت العجوز يا سـيدتي مـن طلب الآخرة أتعب نفسه في الدنيا ومن لم يتعب نفسه في الدنيا لم ينل منازل الأبرار في الآخرة ثم أن نعـم قدمت الطعام للعجوز وقالت لها كلي من طعامي وأدعي لي بالتوبة والرحمة فقالت العجوز يا سـيدتي أنـي صائمة وأما أنت فصبية يصلح لك الأكل والشرب والطرب وا يتوب عليك وقد قال ا تعالى إلا من تـاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ولم تزل الجارية جالسة مع العجوز ساعة تحدثها ثم قالت لسيدها يا سيدي أحلـف على هذه العجوز أن تقيم عندنا مدة فإن على وجهها أثر العبادة فقال أخلي لها مجلساً للعبادة ولا تخلي أحـداً يدخل عليها فلعل ا سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا ثم باتت العجوز ليلتها تصلي وتقـرأ إلـى الصباح فلما أصبح الصباح جاءت إلى نعمة ونعم وصبحت عليهما وقالت لهما استودعتكما ا فقالت لها نعم إلى أين تمضين يا أمي وقد أمرني سيدي أن أخلي لك مجلساً تعتكفين فيه للعبادة فقالت العجـوز ا يبقيكمـا ويديم نعمته عليكما ولكن أريد منكما أن توصوا البواب أن لا يمنعني من الدخول أليكما وأن شاء ا تعـالى أدور في الأماكن الطاهرة وأدعو لكما عقب الصلاة والعبادة في كل يوم وليلة ثم خرجت من الدار والجاريـة نعم تبكي على فراقها وما تعلم السبب الذي أتت إليها من أجله ثم أن العجوز توجهت إلى الحجاج فقال لها ما وراءك فقالت له أني نظرت إلى الجارية فرأيتها لم تلد النساء أحسن منها في زمانها فقال لهـا الحجـاج أن فعلت ما أمرتك به يصل إليك مني خير جزيل فقالت له أريد منك المهلة شهراً كاملاً فقال لها أمهلتك شـهراً ثم أن العجوز جعلت تتردد إلى دار نعمة وجاريته نعم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز صارت تتردد إلى دار نعمة ونعم وهما يزيدان في أكرامهـا ومازالت العجوز تمسي وتصبح عندهما ويرحب بها كل من في الدار حتى أن العجوز أختلت بالجارية يومـاً من الأيام وقالت يا سيدتي وا أني حضرت الأماكن الطاهرة ودعوت لك وأتمنى أن تكوني معي حتى ترى المشايخ الواصلين ويدعوا لك بما تختارين فقالت لها الجارية نعم با يا أمي أن تأخذين معـك فقالـت لهـا أستأذني حماتك وأنا أخذك معي فقالت الجارية لحماتها أم نعمة يا سيدتي اسألي سيدي أن يخليني أخرج أنـا وأنت يوماً من الأيام مع أمي العجوز إلى الصلاة والدعاء مع الفقراء في الأماكن الشريفة فلمـا أتـى نعمـة

وجلس تقدمت إليه العجوز وقبلت يديه فمنعها من ذلك ودعت له وخرجت من الدار فلما كان ثاني يوم جاءت العجوز ولم يكن نعمة في الدار فأقبلت على الجارية نعم وقالت لها قد دعونا لكم البارحة ولكن قومي في هذه الساعة تفرجي وعودي قبل أن يجيء سيدك فقالت الجارية لحماتها سألتك با أن تأذني لي في الخروج مع هذه المرأة الصالحة لا تفرج على أولياء ا في الأماكن الشريفة وأعود بسرعة قبل مجيء سيدي فقالت أم نعمة أخشى أن يعلم سيدك فقالت العجوز وا لا أدعها تجلس على الأرض بل تنظر وهي واقفة على أقدامها ولا تبطيء ثم أخذت الجارية بالحيلة وتوجهت بها إلى قصر الحجاج وعرفته بمجيئها بعد أن حطتها في مقصورة فأتى الحجاج ونظر إليها فرآها أجمل أهل زمانها ولم ير مثلها فلما رأته نعم سترت وجهها فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه وأركب معه خمسين فارساً وأمره أن يأخذ الجارية على نجيب سابق ويتوجه بها إلى دمشق ويسلمها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وكتب له كتاباً وقال له أعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب وأسرع لي بالرجوع فتوجه الحاجب وأخذ الجارية على هجين وسافر بها وهي باكية العين من أجل فراق سيدها حتى وصلوا إلى دمشق واستأذن على أمير المؤمنين فأذن له فدخل الحاجب عليه وأخبره بخبر الجارية فأخلى لها مقصورة ثم دخل الخليفة حريمه فرأى زوجته فقال لها أن الحجاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار وأرسل إلى هذا الكتاب وهي صحة الكتاب فقالت له زوجته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما أخبر زوجته بقصة الجارية قالت له زوجته زادك ا من فضلك ثم دخلت أخت الخليفة على الجارية فلما رأتها قالت وا ما خاب من أنت في منزله ولو كان ثمنك مائة ألف دينار فقالت لها الجارية نعم يا صبيحة الوجه هذا قصر من الملوك وأي مدينة هذه المدينة قالت لها هذه مدينة دمشق وهذا قصر أخي أمير المؤمنين عبد ا بن مروان ثم قالت للجارية كأنك ما علمت هذا قالت وا يا سيدتي لا علم لي بهذا قالت والذي باعك وقبض ثمنك لنفسها لقد تمت ما أعلمك بأن الخليفة قد اشتراك فلما سمعت الجارية ذلك الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت الحيلة علي ثم أنها أطرقت رأسها حياء وقد أحمرت خدودها من أثر السفر والشمس فتركتها أخت الخليفة في ذلك اليوم وجاءتها في اليوم الثاني بقماش وقلائد من الجوهر والبستها فدخل عليها أمير المؤمنين وجلس إلى جانبها فقالت له أخته انظر إلى هذه الجارية التي قد كمل ا فيها من الحسن والجمال فقال الخليفة لنعم أزيحي القناع عن وجهك فلم تزل القناع عن وجهها وأنما رأى معاصمها فوقعت محبتها في قلبه وقال لأخته لا أدخل عليها إلا بعد ثلاثة أيام حتى تستأنس بك ثم قام وخرج من عندها فصارت الجارية متفكرة في أمرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نعمة فلما أتى الليل ضعفت الجارية بالحمى ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ومحاسنها فعرفوا الخليفة بذلك فشق عليه أمرها ودخل عليها بالأطباء وأهل البصائر فلم يقف لها أحد على طب هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر سيدها نعمة فإنه أتى إلى داره وجلس على فراشه ونادى يا نعم فلم تجبه فقام مسرعاً ونادى فلم يدخل عليه أحد وكل جارية في البيت اختفت خوفاً منه فخرج نعمة إلى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها فقال لها يا أمي أين نعم فقالت له يا ولدي مع من هي أوثق مني عليها وهي العجوز الصالحة فإنها

خرجت معها لتزور الفقراء وتعود فقال ومتى كان لها عادة بذلك وفي أي وقت خرجت قالت خرجت بكـرة النهار قال وكيف أذنت لها بذلك فقالت له يا ولدي هي التي أشارت علي بذلك فقال نعمة لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود ثم توجه إلى صاحب الشرطة فقال له اتحتال علي وتأخذ جاريتي من داري فلابد لي أن أسافر واشتكيك إلى أمير المؤمنين فقال صاحب الشرطة ومـن أخـذها فقال عجوز صفتها كذا وكذا وعليها ملبوس من الصوف وبيدها سبحة عدد حباتها ألوف فقال لـه صـاحب الشرطة أوقفني على العجوز وأنا أخلص لك جاريتك فقال ومن يعرف العجوز فقال له صاحب الشرطة مـا يعلم الغيب إلا ا سبحانه وتعالى وقد علم صاحب الشرطة أنها محتالة الحجاج فقال له نعمـة مـا أعـرف حاجتي إلا منك وبيني وبينك الحجاج فقال له أمض إلي من شئت فتوجه نعمة إلى قصر الحجاج وكان والـده من أكابر أهل الكوفة فلما وصل إلى بيت الحجاج دخل حاجب الحجاج عليه وأعلمه بالقضية فقال له علي به فلما وقف بين يديه قال له الحجاج ما بالك فقال له نعمة كان من أمري ما هو كذا وكذا فقال هاتوا صـاحب الشرطة فنأمره أن يفتش على العجوز فلما حضر صاحب الشرطة قال له أريد منك أن تفتش علـى جاريـة نعمة أبن الربيع فقال له صاحب الشرطة لا يعلم الغيب إلا ا تعالى فقال له الحجاج لابد أن تركـب الخيـل وتبصر الجارية في الطرقات وتنظر في البلدان. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحجاج قال لصاحب الشرطة لابد أن تركب الخيل وتنظر في البلدان والطرقات وتفتش على الجارية ثم التفت إلى نعمة وقال له أن لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جـوار مـن داري وعشر جوار من دار صاحب الشرطة ثم قال لصاحب الشرطة أخرج في طلب الجارية فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة وكان قد بلغ من العمر أربع عشرة سنة ولا نبات بعارضيه فجعل يبكي وينتحب وانعزل عن داره ولم يزل يبكي إلى الصباح فأقبل والده عليه وقال له يا ولدي أن الحجاج قـد احتال على الجارية وأخذها ومن ساعة إلى ساعة يأتي ا بالفرج من عنده فتزايدت الهموم على نعمة وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليه وأقام ضعيفاً ثلاثة أشهر حتى تغيرت أحواله ويـئس منـه أبـوه ودخلت عليه الأطباء فقالوا ما له دواء إلا الجارية فبينما والده جالس يوماً من الأيام إذ سمع بطبيـب وهـو أعجمي وقد وصفه الناس بإتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل فدعا به الربيع فلما حضـر أجلسـه الربيـع وأكرمه وقال له أنظر ما حال ولدي فقال لنعمة هات يدك فأعطاه يده فجس مفاصله ونظر في وجهه وضحك والتفت إلى أبيه وقال ليس بولدك غير مرض في قلبه فقال صدقت يا حكيم فانظر في شأن ولـدي بمعرفتـك وأخبرني بجميع أحواله ولا تكتم عني شيئاً من أمره فقال الأعجمي أنه متعلق بجارية وهـذه الجاريـة فـي البصرة أو في دمشق وما دواء ولدك غير اجتماعه بها فقال الربيع أن جمعـت وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الربيع قال للعجمي أن جمعت بينهما فلك عندي ما يسـرك وتعـيش عمرك كله في المال والنعمة فقال له العجمي أن هذا الأمر قريب وسهل ثم التفت إلى نعمة وقال له لا بـأس

عليك فطب نفساً وقر عيناً ثم قال للربيع أخرج من مالك أربعة آلاف دينار فأخرجها وسلمها للأعجمي أريد أن ولدك يسافر معي إلى دمشق ثم أن نعمة ودع والده ووالدته وسافر مع الحكيم إلى حلب فلم يقع على خبر الجارية ثم أنهما وصلا إلى دمشق وأقاما فيها ثلاثة أيام وبعد ذلك أخذ الأعجمي دكاناً وملأ رفوفها بالصيني النفيس والأغطية وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة وحط قدامه أواني من القناني فيها سائر الأدهان وسائر الأشربة ووضع حول القناني أقداحاً من البلور وحط الأصطرلاب قدامه ولبس أثواب الحكمة والطب وأوقف بين يديه نعمة وألبسه قميصاً وملاوط من الحرير بفوطة في وسطه من الحرير مزركشة بالذهب ثم قال العجمي لنعمة يا نعمة أنت من اليوم ولدي فلا تدعني إلا بأبيك وأنا لا أدعوك إلا بولد فقال نعمة سمعاً وطاعة ثم أن أهل دمشق اجتمعوا على دكان العجمي ينظرون إلى حسن نعمة وإلى حسن الدكان والبضائع التي فيها والعجمي يكلم نعمة بالفارسية ونعمة يكلمه كذلك بتلك اللغة لأنه كان يعرفها على عادة أولاد الأكابر واشتهر ذلك العجمي عند أهل دمشق وجعلوا يصفون له الأوجاع وهو يعطيهم الأدوية فبينما هو ذات يوم جالس إذ أقبلت عليه عجوز راكبة على حمار بردعته من الديباج المرصع بالجواهر فوقفت على دكان العجمي وشدت لجام الحمار وأشارت للعجمي وقالت له أمسك يدي فأخذ يدها فنزلت من فوق الحمار وقالت له أنت الطبيب العجمي الذي جئت من العراق قال نعم قالت أعلم أن لي بنتاً وبها مرض وأخرجت له قارورة فلما نظر العجمي إلى ما في القارورة قال لها يا سيدتي ما اسم هذه الجارية حتى أحسب نجمها وأعرف أي ساعة يوفقها فيها شرب الدواء فقالت يا أخا الفرس أسمها نعم. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي لما سمع اسم نعم جعل يحسب ويكتب على يده وقال لها يا سيدتي ما أصف لها دواء حتى أعرف من أي أرض هي لأجل اختلاف الهواء فعرفيني في أي أرض تربت وكم سنة سنها فقالت العجوز سنها أربع عشرة سنة ومرباها بأرض الكوفة من العراق فقال وكم شهر لها في هذه الديار فقالت له قامت في هذه الديار شهوراً قليلة فلما سمع نعمة كلام العجوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه فقال لها الأعجمي يوافقها من الأدوية كذا وكذا فقالت له العجوز أعطني ما وصفت على بركة الله تعالى ورمت له عشرة دنانير على الدكان فنظر الحكيم إلى نعمة وأمره أن يهيء لها عقاقير الدواء وصارت العجوز تنظر إلى نعمة وتقول أعيذك بالله يا ولدي أن شكلها مثل شكلك ثم قالت العجوز للعجمي يا أخا الفرس هل هذا مملوكك أوولدك فقال لها العجمي أنه ولدي ثم أن نعمة وضع لها الحوائج في علبة وأخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين:

إذا أنعمت نعم علي بنظرة	**فلا أسعدت سعدي ولا أجملت جمل**
وقالوا أسل عنها تعط عشرين مثلها	**وليس لها مثل ولست لها أسلو**

ثم خبأ الورقة في داخل العلبة وختمها وكتب على غطاء العلبة بالخط الكوفي أنا نعمة ابن الربيع الكوفي ثم وضعت العلبة قدام العجوز فأخذتها وودعتهما وانصرفت متوجهة إلى قصر الخليفة فلما طلعت العجوز بالحوائج إلى الجارية وضعت الدواء قدامها ثم قالت لها يا سيدتي اعلمي أنه قد أتى مدينتنا طبيب عجمي ما رأيت أحداً أعرف بأمور الأمراض منه فذكرت له أسمك بعد أن رأى القارورة فعرف مرضك

ووصف دواءك ثم أمر ولده فشد لك هذا الدواء وليس في دمشق أجمل ولا أظرف من ولده ولا أحسن ثياباً منه ولا يوجد لأحد دكاناً مثل دكانه فأخذت العلبة فرأت مكتوباً على غطائها اسم سيدها واسم أبيه فلما رأت ذلك تغير لونها وقالت لاشك أن صاحب الدكان قد أتى في شأني ثم قالت للعجوز صفي لي هذا الصبي فقالت اسمه نعمة وعلى حاجبه الأيمن أثر وعليه ملابس فاخرة وله حسن كامل فقالت الجارية ناوليني الدواء على بركة الله تعالى وعونه وأخذت الدواء وشربته وهي تضحك وقالت لها أنه دواء مبارك ثم فتشت في العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها فلما فهمت معناها تحققت أنه سيدها فطابت نفسها وفرحت فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها أن هذا اليوم يوم مبارك فقالت نعم يا قهرمانة أريد الطعام والشراب فقالت العجوز للجواري قدمن الموائد والأطعمة الفاخرة لسيدتكن وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت للجوار أحضرن الطعام فقدمن إليها الأطعمة وجلست للأكل وإذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهن ونظر الجارية جالسة وهي تأكل الطعام ففرح ثم قالت القهرمانة يا أمير المؤمنين يهنيك عافية جاريتك نعم وذلك أنه وصل إلى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت أعرف منه بالأمراض ودوائها فأتيت لها منه بدواء فتعاطت منه مرة واحدة فحصلت لها العافية يا أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين خذي ألف دينار وقومي بأبرائها ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية وراحت العجوز إلى دكان العجمي بالألف دينار وأعطته أياها وأعلمته أنها جارية الخليفة وناولته ورقة كانت نعم قد كتبتها فأخذها العجمي وناولها لنعمة فلما رآها عرف خطها فوقع مغشياً عليه فلما أفاق فتح الورقة فوجد مكتوباً فيها من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة في عقلها المفارقة لحبيب قلبها أما بعد فإنه قد ورد كتابكم علي فشرح الصدر وسر الخاطر وكان كقول الشاعر:

ورد الكتاب فلا عدمت أناملا	**كتبت به حتى تضمخ طيباً**
فكأن موسى قد أعيد لأمه	**أو ثوب يوسف قد أتى يعقوباً**

فلما قرأ نعمة هذا الشعر همت عيناه بالدموع فقالت له القهرمانة ما الذي يبكيك يا ولدي لا أبكى الله لك عينا فقال العجمي يا سيدتي كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة إلا هواه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال للعجوز كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس لها علة إلا هواه فخذي أنت يا سيدتي هذه الألف دينار لك ولك عندي أكثر من ذلك وأنظري لنا بعين الرحمة وأننا لا نعرف أصلاح هذا الأمر إلا منك فقالت العجوز لنعمة هل أنت مولاها قال نعم قالت صدقت فإنها لا تفتر عن ذكرك فأخبرها نعمة بما جرى من الأول إلى الآخر فقالت العجوز يا غلام لا تعرف اجتماعك بها إلا مني ثم ودعته وذهبت إلى الجارية وقالت لها أن سيدك قد ذهبت روحه في هواك وهو يريد الاجتماع بك فما تقولين في ذلك فقالت نعم وأنا كذلك قد ذهبت روحي واريد الاجتماع به فعند ذلك أخذت العجوز بقجة فيها حلي ومصاغ وبدلة من ثياب

النساء وتوجهت إلى نعمة وقالت له أدخل بنا مكاناً وحدنا فدخل معها قاعة خلف الـدكان ونقشـته وزينـت معاصمه وزوقت شعره وألبسته لباس جارية وزينته بأحسن ما تزين به الجواري فصار كأنه من حور الجنان فلما رأته القهرمانة في تلك الصفة قالت تبارك الله أحسن الخالقين والله أنك لأحسن من الجارية ثم قالـت لـه أمش وقدم الشمال وأخر اليمين وهز أردافك فمشى قدامها كما أمرته فلما رأته قد عرف مشي النساء قالت له أمكث حتى آتيك ليلة غد أن شاء الله تعالى فآخذك وأدخل بك القصر وإذا نظرت الحجاب والخـدامين فـوق عزمك وطأطيء رأسك ولا تتكلم مع أحد وأنا أكفيك كلامهم وبالله التوفيق فلما أصبح الصباح أتته القهرمانـة في ثاني يوم وأخذته وطلعت به القصر ودخلت قدامه ودخل هو وراءها في أثرها فأراد الحاجب أن يمنعه من الدخول فقالت له يا أنحس العبيد أنها الجارية نعم محظية أمير المؤمنين فكيف تمنعها من الدخول ثـم قالـت أدخلي يا جارية فدخل مع العجوز ولم يزالا داخلين إلى الباب الذي يتوصل منه إلى صحن القصر فقالت لـه العجوز يا نعمة قو نفسك وثبت قلبك وأدخل القصر وخذ على شمالك وعد خمسة أبواب وأدخل الباب السادس فإنه باب المكان المعد لك ولا تخف وإذا كلمك أحد فلا تتكلم معه ثم سارت حتى وصلت إلى الأبواب فقابلهـا الحاجب المعد لتلك الأبواب وقال لها ما هذه الجارية. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب قابل العجوز وقال لها ما هذه الجارية فقالت له العجـوز أن سيدتنا تريد شراءها فقال الخادم ما يدخل أحد إلا بإذن أمير المؤمنين فارجعي بها فأني لا أخليها تدخل لأنـي أمرت بهذا فقالت له القهرمانة أيها الحاجب الكبير أين عقلك أن نعماً جارية للخليفة الذي قلبه متعلق بها قـد توجهت إليها العافية وما صدق أمير المؤمنين بعافيتها وتريد شراء هذه الجارية فلا تمنعها من الدخول لـئلا يبلغها أنك منعتها فتغضب عليك وأن غضبت عليك تسببت في قطع رأسك ثم قالت أدخلـي يـا جاريـة ولا تسمعي كلامه ولا تخبري سيدتك أن الحاجب منعك من الدخول فطأطأ نعمة رأسه ودخـل القصـر وأراد أن يمشي إلى جهة يساره فغلط ومشي إلى جهة يمينه وأراد أن يعد الخمسة أبواب ويدخل السـادس فعـد سـتة ودخل السابع فلما دخل في ذلك الباب رأى موضعاً مفروشاً بالديباج وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومـة بالذهب وفيه مباخر العود والعنبر والمسك إلا ذفر ورأى سريراً في الصدر مفروشاً بالديباج فجلس عليه نعمة ولم يعلم بما كتب له في الغيب فبينما هو جالس متفكر في أمره إذ دخلت عليه أخت أمير المـؤمنين ومعهـا جاريتها فلما رأت الغلام جالساً ظنته جارية فتقدمت إليه وقالت له من تكوني يا جارية ومـا خبـرك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخت الخليفة قالت لنعمة ما خبرك وما سبب دخولك في هذا المكـان فلم يتكلم نعمة ولم يرد عليها جواباً فقالت يا جارية أن كنت من محاظي أخي وقد غضب عليك فأنا أستعطفه عليك فلم يرد نعمة عليها جواباً فعند ذلك قالت لجاريتها قفي على باب المجلس ولا تدعي أحد يدخل ثم تقدمت غليه ونظرت إلى جماله وقالت يا صبية عرفيني من تكوني وما اسمك وما سبب دخولك هنا فأني لم أنظـرك في قصرنا فلم يرد عليها جواباً فعند ذلك غضبت أخت الملك ووضعت يدها على صدر نعمة فلـم تجـد لـه

نهوداً فأرادت أن تكشف ثيابه لتعلم خبره فقال لها نعمة يا سيدتي أنا مملوك فاشتريني وأنـا مسـتجير بـك فأجبريني فقالت له لا بأس عليك فمن أنت ومن أدخلك مجلسي هذا فقال لها نعمة أنا أيتها الملكة أدعي بنعمة بن الربيع الكوفي وقد خاطرت بروحي لأجل جاريتي نعم التي احتال عليها الحجاج وأخذها وأرسلها إلى هنا فقالت له لا بأس عليك ثم صاحت على جاريتها وقالت لها امض إلى مقصورة نعم وقد كانت القهرمانة أتـت إلى مقصورة نعم وقالت لها هل وصل إليك سيدك فقالت لا وا فقالت القهرمانة لعلـه غلـط فـدخل غيـر مقصورتك وتاه عن مكانك فقالت نعم لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم قد فرغ أجلنا وهلكنـا وجلسـتا متفكرين فبينما هما كذلك إذ دخلت عليهما جارية أخت الخليفة فسلمت على نعم وقالت لها أن مولاتي تدعوك إلى ضيافتها فقالت سمعاً وطاعة فقالت القهرمانة لعل سيدك عند أخت الخليفة وقد انكشف الغطا فنهضت نعم من وقتها وساعتها ودخلت على أخت الخليفة فقالت لها هذا مولاك جالس عندي وكأنه غلط في المكان وليس عليك ولا عليه خوف إن شاء ا تعالى فلما سمعت نعم هذا الكلام من أخت الخليفة اطمأنت نفسها وتقـدمت إلى مولاها نعمة فلما نظرها قام إليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نعمة لما نظر إلى جاريته نعم قام إليها وضم كل واحد منهما صـاحبه إلى صدره ثم وقعا على الأرض مغشياً عليهما فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة أجلسـا حتـى نتـدبر فـي الخلاص من الأمر الذي وقعنا فيه فقال لها سمعاً وطاعة والأمر لك فقالت وا ما ينالكما منا سوء قـط ثـم قالت لجاريتها أحضري الطعام والشراب فأحضرت فأكلوا بحسب الكفاية ثم جلسوا يشربون فـدارت علـيهم الأقداح وزالت عنهم الأتراح فقال نعمة ليت شعري بعد ذلك ما يكون فقالت له أخت الخليفة يا نعمة هل تحب نعما جاريتك فقال لها يا سيدتي إن هواها هو الذي حملني على ما أنا فيه من المخاطرة بروحي ثم قالت لنعم يا نعم هل تحبين سيدك قالت يا سيدتي هواه هو الذي أذاب جسمي وغير حالي فقالت وا أنكما متحابان فلا كان من يفرق بينكما فقرا عيناً وطيباً نفساً ففرحا بذلك وطلبت نعم عوداً فأحضروه لهـا فأخذتـه وأصـلحته وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

ولمــا أبـــي الواشـــون إلا فراقنـــا	وليس لهـم عنـدي وعنـدك مـن ثـار
وشـنوا علـى أسـماعنا كـل غـارة	وقلـت حمـاتي عنـد ذاك وأنصـاري
غـــزوتهم مـــن مقلتيـــك وأدمعـــي	ومن نفسـي بالسـيف والسـيل والنـار

ثم أن نعما أعطت العود لسيدها نعمة وقالت له غن لنا شعراً فأخذه وأصلحه وأطرب بالنغمات ثم أنشد هذه الأبيات:

البـــدر يحكيـــك لـــولا أنـــه كلـــف	والشمس مثلك لـولا الشـمس تنكسـف
أني عجبت وكم في الحـب مـن عجـب	فيـه الهمـوم وفيـه الوجـد والكلـف
أرى الطريـــق قريبـــاً حـــين أســـلكه	إلـى الحبيـب بعيـداً حـين انصـرف

فلما فرغ من شعره ملأت له قدحاً وناولته أياه فأخذه وشربه ثم ملأت قدحاً آخر وناولته لأخت الخليفـة فشربته وأخذت العود وأصلحته وشدت أوتاره وأنشدت هذين البيتين:

غـم وحـزن فـي الفـؤاد مقـيم	**وجـوى تـردد فـي حشـاي عظـيم**
ونحـول جسـمي قـد تبـدي ظـاهراً	**فالجسـم منـي بـالغرام سـقيم**

ثم ناولت العود لنعمة بن الربيع فأخذه وأصلح أوتاره وأنشد هذين البيتين:

يـا مـن وهبـت لـه روحـي فعـذبها	**ورمـت تخليصـه منـه فلـم أطـق**
دارك محبـا بمـا ينجيـه مـن تلـف	**قبـل الممـات فهـذا آخـر الرمـق**

ولم يزالوا ينشدون الأشعار ويشربون على نغمات الأوتار وهم في لذة وحبور وفرح وسرور فبينما هم كذلك أذ دخل عليهم أمير المؤمنين فلما نظروه قاموا إليه وقبلوا الأرض بين يديه فنظر إلى نعم والعود معها فقال يا نعم الحمد الله الذي أذهب عنك اليأس والوجع ثم التفت إلى نعمة وهو على تلك الحالة وقال يا أختـي من هذه الجارية التي في جانب نعم فقالت له أخته يا أمير المؤمنين أن هذه جارية من المحاظي أنيسة لا تأكل نعم ولا تشرب إلا وهي معها ثم أنشدت قول الشاعر:

ضـدان واجتمعـا افتراقـاً فـي إليهـا	**والضـد يظهـر حسـنه بالضـد**

فقال الخليفة والله العظيم أنها مليحة مثلها وفي غد أخلى لها مجلساً بجانب مجلسها وأخرج لها الفـرش والقماش وأنقل إليها جميع ما يصلح لها أكثر مما لنعم واستدعت أخت الخليفة بالطعام فقدمته لأخيهـا فأكـل وجلس معهم في تلك الحضرة ثم ملأ قدحاً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما ملأ القدح وأومأ إلى نعم بأن تنشد له من الشـعر فأخـذت العود بعد أن شربت قدحين وأنشدت هذين البيتين:

إذا مـا نـديمي علنـي ثـم علنـي	**ثلاثـة أقـداح لهـن هـدير**
أبيـت أجـر الـذيل تيهـاً كـأنني	**عليـك أميـر المـؤمنين أميـر**

فطرب أمير المؤمنين وملأ قدحاً آخر وناوله إلى نعم وأمرها أن تغني فبعد أن شربت القـدح جسـت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

يا أشرف الناس في هذا الزمـان ومـا	**لـه مثيـل بهـذا الأمـر يفتخـر**
يا واحداً فـي العـلا والجـود منصـبه	**يـا سـيداً ملكـاً فـي الكـل مشـتهر**
يـا مالكـاً لملـوك الأرض قاطبـة	**تعطـي الجزيـل ولا مـن ولا ضـجر**
أبقاك ربـي علـى رغـم العـدا كمـدا	**وزان طالعـك الأقبـال والظفـر**

فلما سمع الخليفة من نعم هذه الأبيات قال لها الله درك يا نعم ما أفصح لسانك وأوضح بيانك ولم يزالوا في فرح وسرور إلى نصف الليل ثم قالت أخت الخليفة أسمع يا أمير المؤمنين أني رأيت حكاية فـي الكتـب عن بعض أرباب المراتب قال الخليفة وما تلك الحكاية فقالت له أخته اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان بمدينـة الكوفة صبي يسمى نعمة بن الربيع وكان له جارية يحبها وتحبه وكانت قد تربت معه في فراش واحد فلمـا بلغا وتمكن حبهما من بعضهما رماهما الدهر بنكباته وجار عليهما الزمان بآفاتـه وحكـم عليهمـا بـالفراق

وتحيلت عليها الوشاة حتى خرجت من داره وأخذوها سرقة من مكانه ثم أن سارقها باعها لبعض الملوك بعشرة آلاف دينار وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ما عنده لها ففارق أهله وداره وسافر في طلبها وتسبب باجتماعه بها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نعمة لم يزل مفارقاً لأهله ووطنه وخاطر بنفسه وبذل مهجته حتى توصل إلى اجتماعه بجاريته وكان يقال لها نعم فلما اجتمع بها لم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذي كان اشتراها من الذي سرقها فعجل عليهما وأمر بقتلهما ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليه في حكمه فما تقول يا أمير المؤمنين في قلة إنصاف هذا الملك فقال أمير المؤمنين أن هذا شيء عجيب فكان ينبغي لذلك الملك العفو عند المقدرة لأنه يجب عليه أ، يحفظ لهما ثلاثة أشياء الأول أنهما متحابان والثاني أنهما في منزله وتحت قبضته والثالث أن الملك ينبغي له التأني في الحكم بين الناس فكيف بالأمر الذي يتعلق به فهذا الملك قد فعل فعلاً لا يشبه فعل الملوك فقالت له أخته يا أخي بحق ملك السموات والأرض أن تأمر نعماً بالغناء وتسمع ما تغنى به فقال يا نعم عن لي فاطر بت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

غدر الزمان ولم يزل غداراً … يصمي القلوب ويورث الأفكارا

ويفرق الأحباب بعد تجمع … فترى الدموع على الخدود غزارا

كانوا وكنت وكان عيشي ناعماً … والدهر يجمع شملنا مدرارا

فلأبكين دماً ودمعاً ساجما … أسفاً عليك لياليا ونهارا

فلما سمع أمير المؤمنين هذا الشعر طرب طرباً عظيماً فقالت له أخته يا أخي من حكم على نفسه بشيء ألزمه القيام به والعمل بقوله وأنت قد حكمت على نفسك هذا الحكم ثم قالت يا نعمة قف على قدميك وكذا قفي أنت يا نعم فوقفا فقالت أخت الخليفة يا أمير المؤمنين إن هذه الواقفة هي نعم المسروقة سرقها الحجاج بن يوسف الثقفي وأوصلها لك وكذب فيما أدعاه من كتابه من أنه اشتراها بعشرة آلاف دينار وهذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيدها وأنا أسألك بحرمة آبائك الطاهرين أن تعفو عنهما ويهبهما لبعضهما لتغنم أجرهما فأنهما في قبضتك وقد أكلا من طعامك وشربا من شرابك وأنا الشافعة فيهما المستوهبة دمهما فعند ذلك قال الخليفة صدقت أنا حكمت بذلك وما أحكم بشيء وأرجع فيه ثم قال يا نعم هل هذا مولاك قالت له نعم يا أمير المؤمنين فقال لا بأس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما ثم قال يا نعمة وكيف عرفت مكانها ومن وصف لك هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين اسمع خبري وأنصت إلى حديثي فوحق آبائك وأجدادك الطاهرين لا أكتم عنك شيئاً ثم حدثه بجميع ما كان من أمره وما فعله معه الحكيم العجمي وما فعلته القهرمانة وكيف دخلت به القصر وغلط في الأبواب فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم قال علي بالعجمي فأحضروه بين يديه فجعله من جملة خواصه وخلع عليه خلعة وأمر له بجائزة سنية وقال من يكون هذا تدبيره يجب أن نجعله من خواصنا ثم أن الخليفة أحسن على نعمة وأنعم على القهرمانة وقعدا عنده سبعة أيام في سرور وحظ وأرغد عيش ثم طلب نعمة الأذن بالسفر هو وجاريته فأذن لهما بالسفر إلى الكوفة فسافر واجتمع بوالده ووالدته وأقاموا في أطيب عيش إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الأمجد والأسعد هذا

الحديث من بهرام تعجبا منه غاية العجب وقالا أن هذا لشيء عجيب وأدرك شهرزاد فسـكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد والأسعد لما سمعا من بهرام المجوسي الذي أسلم هذه الحكايـة تعجبا منها غاية العجب وباتا تلك الليلة ولما أصبح الصباح وركب الأمجد والأسعد وأرادوا أن يدخلا علـى الملك أستأذنا في الدخول فأذن لهما فلما دخلا أكرمهما وجلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك وإذا بأهـل المدينـة يصيحون ويتصارخون ويستغيثون فدخل الحاجب على الملك وقال له أن ملكاً من الملوك نزل بعساكره على المدينة وهم شاهرون السلاح وما ندري ما مرادهم فأخبر الملك وزيره الأمجد وأخاه الأسعد بما سمعه مـن الحاجب فقال الأمجد أنا أخرج إليه وأكشف خبره فخرج الأمجد إلى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعه عسـكر كثير ومماليك راكبة فلما نظروا إلى الأمجد عرفوا أنه رسول من عند ملك المدينة فأخذوه وأحضـروه قـدام السلطان فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وإذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاماً فقالت اعلم أنه مالي عندكم غرض في هذه المدينة إلا مملوك أمرد فإن وجدته عندكم فلا بأس عليكم وأن لم أجده وقع بيني وبينكم القتال الشديد لأنني ما جئت إلا في طلبه فقال الأمجد أيتها الملكة ما صفة هذا المملوك وما اسمه فقالت اسمه الأسعد وأنا أسمي مرجانة وهذا المملوك جاءني صحبة بهرام المجوسي وما رضي أن يبيعه فأخذته منه غصباً فعدا عليه وأخذه من عندي بالليل سرقه وأما أوصافه فأنها كذا وكذا فلما سمع الأمجد ذلك علم أنه أخـو الأسـعد فقال لها يا ملكة الزمان الحمد الذي جاءنا بالفرج وأن هذا المملوك هو أخي ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما في بلاد الغربة وأخبرها بسبب خروجهما من جزائر الآبنوس فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحـت بلقاء الأسعد وخلعت على أخيه الأمجد ثم بعد ذلك عادا لأمجد إلى الملك وأعلمه بما جرى ففرحوا بذلك ونزل الملك هو والأمجد والأسعد قاصدين الملكة فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك وإذا بالغبار طار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار مثل البحر الذخار وهـم مهيئـون بالعـدد والسلاح فقصدوا المدينة ثم داروا بها كما يدور الخاتم بالخنصر وشهروا سيوفهم فقال الأمجد والأسعد أنا وإنا إليه راجعون ما هذا الجيش الكبير أن هذه أعداء لا محالة وأن لم نتفق مع هذه الملكة مرجانة على قتالهم أخذوا منا المدينة وقتلونا وليس لنا حيلة إلا أننا نخرج غليهم ونكشف خبرهم ثم قام الأمجد وخرج من بـاب المدينة وتجاوز جيش الملكة مرجانة فلما وصل إلى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور أبا أمـه الملكـة بدور. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد لما وصل إلى العسكر وجدها عسكر جده الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وبلغه الرسالة وقال له ما أسمك قـال أسمي الملك الغيور وقد جئت عابر سبيل لأن الزمان قد فجدعني في بنتي بدور فإنها فارقتني وما رجعت إلي وما سمعت لها ولزوجها قمر الزمان خبراً فهل عندكم خبرهما فلما سمع الأمجد ذلك أطـرق برأسـه إلـى الأرض ساعة يتفكر حتى تحقق أنه جده أبو أمه ثم رفع رأسه وقبل الأرض بين يديه وأخبره أنه ابـن بنتـه

بدور فلما سمع الملك أنه ابن أبنته بدور رمي نفسه عليه وصار يبكيان ثم قال الملك الغيور الحمد يا ولدي على السلامة حيث اجتمعت بك ثم قال له الأمجد أن ابنته بدور في عافية وكذلك أبوه قمر الزمـان وأخبـره أنهما في مدينة يقال لها جزيرة الآبنوس وحكى له أن قمر الزمان والده غضب عليه وعلى أخيه وأمر بقتلهما وأن الخازندار رق لهما وتركهما بلا قتل فقال الملك الغيور أنا أرجع بك وبأخيك إلى والدك وأصلح بينكمـا وأقيم عندكم فقبل الأرض بين يديه ثم خلع الملك الغيور على الأمجد ابن أبنته ورجع مبتسماً إلى الملك الغيور وأعلمه بقصة الملك الغيور فتعجب منها غاية العجب ثم أرسل له آلات الضيافة من الخيل والجمـال والغـنم والعليق وغير ذاك وأخرج للملكة مرجانة كذلك وأعلموها بما جرى فقالت أنا أذهب معكم بعسكري وأكـون ساعية في الصلح فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وأسود منه النهار وسمعوا مـن تحتـه صياحاً وصراخاً وصهيل الخيل ورأوا سيوفاً تلمع ورماحاً تشرع فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقوا الطبول فلما رأى الملك ذلك قال ما هذا النهار إلا نهار مبارك الحمد الذي أصلحنا مع هذين العسكرين وإن شاء ا تعالى يصلحنا مع هذا العسكر أيضاً ثم قال يا أمجد أخرج أنت وأخوك الأسعد وأكشفا لنا خبر هـذه العساكر فإنه جيش ثقيل ما رأيت أثقل منه فخرج الأثنان الأمجد وأخوه الأسعد بعد أن أغلـق الملـك بـاب المدينة خوفاً من العسكر المحيط بها ففتحا الأبواب وسارا حتى وصلا إلى العسكر الذي وصل فوجداه عسكر ملك جزائر الآبنوس وفيه والدهما قمر الزمان فلما نظراه قبلا الأرض بين يديه وبكيا فلما رآهما قمر الزمان رمى نفسه عليهما وبكى بكاء شديداً واعتذر لهما وضمهما إلى صدره ثم أخبرهما بما قاسـاه بعـدهما مـن الوحشة الشديدة لفراقهما ثم أن الأمجد والأسعد ذكرا له عن الملك الغيور أنه وصل إليهم فركب قمر الزمـان في خواصه وأخذ ولديه الأمجد والأسعد معه وساروا حتى وصلوا إلى قرب عسكر الملك الغيور فسبق واحد منهم إلى الملك الغيور وأخبره أن قمر الزمان وصل فطلع إلى ملاقاته فاجتمعوا ببعضهم وتعجبوا من هـذه الأمور وكيف اجتمعوا في هذا المكان وصنع أهل المدينة الولائم وأنواع الأطعمة والحلويات وقدموا الخيـول والجمال والضيافات والعليق وما تحتاج إليه العساكر فبينما هم كذلك وإذا بغبار ثار حتى سـد الأقطـار قـد وارتجت الأرض من الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح والجيش جميعـه بالعـدد والآزراد وكلهـم لابسون السواد وفي وسطهم شيخ كبير ولحيته واصلة إلى صدره عليه ملابس سود فلما نظر أهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك ألحمد الذي اجتمعتم بأذنه تعالى في يوم واحد وكنـتم كلكـم معارف فما هذا العسكر الجرار الذي قد سد الأقطار فقال له الملوك لا تخف منه فنحن ثلاثة ملوك وكل ملك له عساكر كثيرة فإن كانوا أعداء نقاتلهم معك ولو زادوا ثلاثة أمثالهم فبينما هم كذلك وإذا برسول من تلـك العساكر قد أقبل متوجها إلى هذه المدينة فقدموه بين يدي قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملـك صاحب المدينة فقبل الأرض وكان هذا الملك من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين وهو دائر يفتش عليه في الأقطار فإن وجده عندكم فلا بأس عليكم وأن لم يجده وقع الحرب بينه وبينكم وأخرب مدينتكم فقـال لـه قمر الزمان ما يصل إلى هذا ولكن ما يقال له في بلاد العجم فقال الرسول يقال له الملك شـهرمان صـاحب جزائر خالدات وقد جمع هذه العساكر من الأقطار التي مر بها وهو دائر يفتش على ولده فلمـا سـمع قمـر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخر مغشياً عليه واستمر في غشيته ساعة ثم أفاق وبكى بكـاء

شديداً وقال للأمجد والأسعد وخواصهما امشوا يا أولادي مع الرسول وسلموا علـى جـدكم والـدي الملـك شهرمان وبشروه بي فإنه حزين على فقدي وهو الآن لابس الملابس السود من أجلـي ثـم حكـى للملـوك الحاضرين جميع ما جرى له في أيام صباه فتعجب جميع الملوك من ذلك ثم نزلوا هم وقمر الزمان وتوجهوا إلى والده فسلم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقعا مغشياً عليهما من شدة الفرح فلما أفاقـا حكـى لأبنه جميع ما جرى له ثم سلم عليه بقية الملوك وردوا مرجانة إلى بلادها بعد أن زوجوها للأسعد ووصوها أنها لا تقطع عنهم مراسلتها ثم زوجوا الأمجد بستان بنت بهرام وسافروا كلهم إلى مدينة الآبنوس وخلا قمـر الزمان بصهره وأعلمه بجميع ما جرى له وكيف اجتمع بأولاده ففرح وهنأه بالسلامة ثم دخل الملك الغيـور أبو الملكة بدور على بنته وسلم عليها وبل شوقه منها وقعدوا في مدينة الآبنوس شهراً كاملاً ثم سافر الملـك الغيور بابنته إلى بلده وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك الغيور سافر بابنته وجماعته إلى بلده وأخذ الأمجد معهـم فلمـا استقر في مملكته أجلس الأمجد يحكم مكان جده وأما قمر الزمان فإنه أجلس ابنه الأسعد يحكم في مكانه فـي مدينة جده أرمانوس ورضي به جده ثم تجهز قمر الزمان وسافر مع أبيه الملك شهرمان إلى أن وصل إلـى جزائر خالدات فزينت له المدينة فاستمرت البشائر تدق شهراً كاملاً وجلس قمر الزمان يحكم مكان أبيه إلـى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وا أعلم فقال الملك يا شهرزاد أن هذه الحكاية عجيبة جداً قالت أيها الملك ليست هذه باعجب من حكاية علاء الدين أبي الشامات قال وما حكايته.

حكاية علاء الدين أبي الشامات

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر بمصر يقـال له شمس الدين وكان من أحسن التجار وأصدقهم مقالاً وهو صاحب خدم وحشم وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاه بندر التجار بمصر وكان معه زوجة يحبها وتحبه إلا أنه عاش معها أربعين عاماً ولم يـرزق منها ببنت ولا ولد فقعد يوماً من الأيام في دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم له ولداً وولدان أو أكثر وهـم قاعدون في دكاكين مثل أبائهم وكان ذلك اليوم يوم جمعة فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة ولما طلع أخذ مرآة المزين فرأى وجهه فيها وقال أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً رسول ا ثم نظر إلـى لحيته فرأى البياض غطى السواد وتذكر أن الشيب نذير الموت وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئـه فتغتسـل وتصلح شأنها له فدخل عليها فقالت له مساء الخير فقال لها أنا ما رأيت الخير وكانت قالت للجاريـة هـاتي سفرة العشاء فأحضرت الطعام وقالت له تعش يا سيدي فقال لها ما آكل شيئاً وأعرض عن السـفرة بوجهـه فقالت له ما سبب ذلك وأي شيء أحزنك فقال لها أنت سبب حزني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس الدين قال لزوجته أنت سبب حزني فقالت له لأي شيء فقال لها أنني فتحت دكاني في هذا اليوم ورأيت كل واحد من التجار له ولد أو ولدان أو أكثر وهم قاعدون في الدكاكين مثل آبائهم فقلت لنفسي أن الذي أخذ أباك ما يخليك وليلة دخلت بك حلفتيني أنني ما أتزوج عليك ولا أتسري

بجارية حبشية ولا رومية ولا غير ذلك من الجواري ولم أبت ليلة بعيداً عنك والحالة أنك عاقر والنكاح فيـك كالنحت في الحجر فقالت اسم ا على أن العاقة منك ما هي مني لأن بيضك رائق فقال لها وما شأن الـذي بيضه رائق فقالت هو الذي لا يحبل النساء وهو لا يجيء بأولاد فقال لها وأين معكر البيض وأنا اشتريه لعله يعكر بيضي فقالت له فتش عليه عند العطارين فبات التاجر وأصبح متندماً حيث عاير زوجته ونـدمت هـي حيث عايرته ثم توجه إلى السوق فوجد رجلاً عطاراً فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام فقال له هل يوجد عندك معكر البيض فقال له كان عندي وجبر ولكن أسأل جاري فدار يسأل حتى سأل جميع العطارين وهـم يضحكون عليه وبعد ذلك رجع إلى دكانه وقعد فكان في السوق نقيب الدلالين وكان رجلاً حشاشـاً يتعـاطي الأفيون والبرش ويستعمل الحشيش الأخضر وكان ذلك النقيب يسمى الشيخ محمد سمسم وكان فقيـر الحـال وكانت عادته أن يصبح على التاجر في كل يوم فجاءه على عادته وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وهو مغتاظ فقال له يا سيدي مالك مغتاظ فحكى له جميع ما جرى بينه وبين زوجته وقال له أن لي أربعين سـنة وأنا متزوج بها ولم تحبل مني بولد ولا ببنت وقالوا إلى سبب عدم حبلها منك أن بيضك رائق ففتشت علـى شيء أعكر به بيضي فلم أجده فقال له يا سيدي أنا عندي معكر البيض فما تقول فيمن يجعل زوجتك تحبـل منك بعد هذه الأربعين سنة التي مضت قال له التاجر أن فعلت ذلك فأنا أحسن إليك وأنعم عليك فقال له هات لي ديناراً فقال له خذ هذين الدينارين فأخذهما وقال هات هذه السلطانية الصيني فأعطاه السـلطانية فأخـذها وتوجه إلى بياع الحشيش وأخذ منه من المكرر الرومي قدر أوقيتين وأخذ جانباً من الكبابة الصيني والقرفـة والقرنفل والحبهان والزنجبيل والفلفل الأبيض والسقنقور الجبلي ودق الجميع وغلاهم في الزيت الطيب وأخذ ثلاث أوراق حصا لبان ذكر وأخذ مقدار قدح من الحبة السوداء ونقعه وعمل جميع ذلـك معجونـاً بالعسـل النحل وحطه في السلطانية ورجع بها إلى التاجر وأعطاها له وقال له هذا معكر البيض فينبغي أن تأخذ منـه على رأس الملوق بعد أن تأكل اللحم الضاني والحمام البيتي وتكثر له الحرارات والبهارات وتتعشى وتشرب السكر المكرر فأحضر التاجر جميع ذلك وأرسله إلى زوجته وقال لها أطبخي ذلك طبخاً جيداً وخذي معكـر البيض واحفظيه عندك حتى أطلبه ففعلت ما أمرها به ووضعت له الطعام فتعشى ثم أنه طلب السلطانية فأكل منها فأعجبته فأكل بقيتها وواقع زوجته فعلقت منه تلك الليلة ففات عليها أول شهر والثاني والثالث ولم ينـزل عليها الدم فعلمت أنها حملت ثم وفت أيام حملها ولحقها الطلق وقامت الأفراح فقاست الدايـة المشـقة فـي الخلاص ورقته بأسمي محمد وعلي وكبرت وأذنت في أذنه ولفته وأعطته لأمه فأعطتـه ثـديها وأرضـعته فشرب وشبع ونام وأقامت الداية عندهم ثلاثة أيام حتى عملوا الحلاوة ليفرقوها في اليوم السابع ثم رشوا ملحه ودخل التاجر وهنأ زوجته بالسلامة وقال لها أين وديعة ا فقدمت له مولوداً بديع الجمـال صـنع المـدبر الموجود وهو ابن سبعة أيام ولكن الذي ينظره يقول عليه أنه ابن عام فنظر التاجر في وجهـه فـرآه بـدراً مشرقاً وله شامات على الخدين فقال لها ما سميتيه فقالت له لو كان بنتاً كنت سميتها وهذا ولد فلا يسـميه إلا أنت وكان أهل ذلك الزمن يسمون أولادهم بالفال فبينما هم يتشاورون في الاسم وإذا بواحد يقول يـا سـيدي علاء الدين فقال لها نسميه بعلاء الدين أبي الشامات ووكل به المراضع والدايات فشرب اللبن عامين وفطموه فكبر وانتشي وعلى الأرض مشى فلما بلغ من العمر سبع سنين أدخلوه تحت طابق خوفاً عليه من العين وقال

هذا لا يخرج من الطابق حتى تطلع لحيته ووكل به جارية وعبداً فصارت الجارية تهيء له السـفرة والعبـد يحملها إليه ثم أنه طاهره وعمل له وليمة عظيمة ثم بعد ذلك أحضر له فقيهاً يعلمه فعلمه الخط والقرآن والعلم إلى أن صار ماهراً وصاحب معرفة فاتفق أن العبد أوصل إليه السفرة في بعض الأيام ونسي الطابق مفتوحاً فطلع علاء الدين من الطابق ودخل على أمه وكان عندها محضر من أكابر النساء فبينما النساء يتحدثن مـع أمه وإذا هو داخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله فحيز رآه النسوة غطين وجوههن وقلن لأمه ا يجازيك يا فلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الأجنبي أما تعلمين أن الحياء من الإيمان فقالت لهن سـمين ا أن هذا ولدي وثمرة فؤادي وأبن شاه بندر التجار شمس الدين ابن الدادة والقلادة والقشفة واللبابة فقلن لها عمرنا ما رأينا لك ولداً فقالت أن أباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فـي طـابق تحـت الأرض وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم علاء الدين قالت للنسوة أن أباه خاف عليه من العين فجعل مربـاه في طابق تحت الأرض فلعل الخادم نسى الطابق مفتوحاً فطلع منه ولم يكن مرادنا أن يطلع منه حتى تطلـع لحيته فهنأها النسوة بذلك وطلع الغلام من عند النسوة إلى حوش البيت ثم طلع المقعد وجلس فيه فبينمـا هـو جالس وإذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة أبيه فقال لهم علاء الدين أين كانت هذه البغلة فقالوا له نحن أوصـلنا أباك إلى الدكان وهو راكب عليها وجئنا بها فقال لهم أي شيء صنعة أبي فقالوا أن أباك شاه بنـدر التجـار بأرض مصر وهو سلطان أولاد العرب فدخل علاء الدين على أمه وقال لها يا أمي ما صناعة أبي فقالت لـه يا ولدي أن أباك تاجر وهو شاه بندر التجار بأرض مصر وسلطان أولاد العرب وعبيده لا تشاوره في البيـع إلا على البيعة التي تكون أقل ثمنها ألف دينار وأما البيعة التي تكون بتسعمائة دينار فأقل فإنهم لا يشـاورونه عليها بل يبيعونها بأنفسهم ولا يأتي متجر من بلاد الناس قليلاً أو كثيراً لا ويدخل تحت يده ويتصـرف فيـه كيف يشاء ولا ينحزم متجراً ويروح بلاد الناس إلا ويكون من بيت أبيك وا تعالى أعطى أباك يا ولدي مالاً كثيراً إلا يحصى فقال لها يا أمي الحمد   الذي جعلني أبن سلطان أولاد العرب ووالدي شاه بنـدر التجـار ولاي شيء يا أمي تحطونني في الطابق وتتركونني محبوساً فيه فقالت له يا ولدي نحن مـا حطينـاك فـي الطابق إلاخوفا عليك من أعين الناس فإن العين حق وأكثر أهل القبور من العين فقال لها يا أمي وأين المفـر من القضاء والحذر لا يمنع القدر والمكتوب ما منه مهروب وأن الذي أخذ جدي لا يترك أبي فإنه أن عـاش اليوم ما يعيش غداً وإذا مات أبي وطلعت أنا وقلت أنا علاء الدين أبن التاجر شمس الدين لا يصدقني أحد من الناس والاختيارية يقولون عمرنا ما رأينا لشمس الدين ولداً ولا بنتاً فينزل بيت المال ويأخذ مال أبي ورحـم ا من قال:

يمـوت الفتـى ويـذهب مالـه   ويأخـذ أنـذل الرجـال نسـاءه

فأنت يا أمي تكلمين أبي حتى يأخذني معه إلى السوق ويفتح لي دكاناً وأقعد فيه ببضائع ويعلمني البيـع والشراء والأخذ والعطاء فقالت له يا ولدي إذا حضر أبوك أخبرته بذلك فلما رجع التاجر إلى بيته وجد أبنـه علاء الدين أبا الشامات قاعداً عند أمه فقال لها لأي شيء أخرجتيه من الطابق فقالت له يا ابن عمي أنـا مـا

أخرجته ولكن الخدم نسوا الطابق مفتوحاً فبينما أنا قاعدة وعندي محضر من أكابر النساء وإذا به دخل علينا وأخبرته بما قاله ولده فقال له يا ولدي في غد أن شاء الله تعالى آخذك معي إلى السوق ولكن يا ولدي قعود الأسواق والدكاكين يحتاج إلى الأدب والكمال في كل حال فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام أبيه فلما أصبح الصباح أدخله الحمام وألبسه بدله تساوي جملة من المال ولما أفطروا وشربوا الشرابات ركب بغلته وأركب ولده بغلة وأخذه وراءه وتوجه به إلى السوق فنظر أهل السوق شاه بندر التجار مقبلاً ووراءه غلام كأن وجهه القمر في ليلة أربعة عشر فقال واحد منهم لرفيقه أنظر هذا الغلام الذي وراء شاه بندر التجار قد كنا نظن به الخير وهو مثل الكرات شائب وقلبه أخضر فقال الشيخ محمد سمسم النقيب المتقدم ذكره للتجار نحن ما بقينا نرضى به أن يكون شيخاً علينا أبداً وكان من عادة شاه بندر التجار أنه لما يأتي من بيته في الصباح ويقعد في دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون شاه بندر التجار ويقرؤون له الفاتحة ويصبحون عليه ثم ينصرف كل واحد منهم إلى دكانه فلما قعد شاه بندر التجار في دكانه ذلك اليوم على عادته لم تأت إليه التجار حسب عادتهم فنادى النقيب وقال له لأي شيء لم تجتمع التجار على جري عادتهم فقال له أنا ما أعرف نقل الفتن أن التجار أتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرءون لك فاتحة فقال له ما سبب ذلك فقال له ما شأن هذا الولد الجالس بجانبك وأنت اختيار ورئيس التجار فهل هذا الولد مملوكك أو يقرب لزوجتك وأظن أنك تعشقه وتميل إلى الغلام فصرخ عليه وقال له أسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدي فقال له عمرنا ما رأينا لك ولداً فقال له لما جئتني بمعكر البيض حملت زوجتي وولدته ولكن من خوفي عليه من العين ربيته في طابق تحت الأرض وكان مرادي أنه لا يطلع من الطابق حتى يمسك لحيته بيده فما رضيت أمه وطلب مني أن أفتح له دكاناً وأحط عنده بضائع وأعلمه البيع والشراء فذهب النقيب إلى التجار وأخبرهم بحقيقة الأمر فقاموا كلهم بصحبته وتوجهوا إلى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرءوا الفاتحة وهنأوه بذلك الغلام وقالوا له ربنا يبقي الأصل والفرع ولكن الفقير منا لما يأتيه ولداً أو بنت لابد أن يصنع لأخوانه دست عصيدة ويعزم معارفه وأقاربه وأنت لم تعمل ذلك فقال لهم لكم علي ذلك ويكون اجتماعنا في البستان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شاه بندر التجار وعد التجار بالسماط وقال لهم يكون اجتماعنا في البستان فلما أصبح الصباح أرسل الفراش للقاعة والقصر الذين في البستان وأمره بفرشهما وأرسل آلة الطبخ من خرفان وسمن وغير ذلك مما يحتاج إليه الحال وعمل سماطين سماطاً في القصر وسماطاً في القاعة وتحزم التاجر شمس الدين وتحزم ولده علاء الدين وقال له ياولدي إذا دخل الرجل الشائب فأنا أتلقاه وأجلسه على السماط الذي في القصر وأنت يا ولدي إذا دخل الولد الأمرد فخذه وأدخل به القاعة وأجلسه على السماط فقال له لأي شيء يا أبي تعمل سماطين وأحد للرجال وواحد للأولاد فقال يا ولدي أن الأمرد يستحي أن يأكل عند الرجال فاستحسن ذلك ولده فلما جاء التجار صار شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم في القصر وولده علاء الدين يقابل الأولاد ويجلسهم في القاعة ثم وضعوا الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وشربوا الشربات وأطلقوا البخور ثم قعد الاختيارية في مذاكرة العلم والحديث وكان بينهم رجل تاجر يسمى محمود

البلحي وكان مسلماً في الظاهر ومجوسياً في الباطن وكان يبغي الفساد ويهوى الأولاد فنظر إلى علاء الـدين نظرة أعقبته ألف حسرة وعلق له الشيطان جوهرة في وجهه فأخذه به الغرام والوجد والهيـام وكـان ذلـك التاجر الذي أسمه محمود البلخي يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين ثم أن محمود البلخي قام يتمشى وانعطف نحو الأولاد فقاموا لملتقاه وكان علاء الدين أنحصر فقام يزيل الضرورة فالتفت التاجر محمود إلـى الأولاد وقال لهم أن طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معي أعطيت كل واحد منكم بدلة تساوي جملة مـن المال ثم توجه من عندهم إلى مجلس الرجال فبينما الأولاد جالسون وإذا بعلاء الدين أقبل عليهم فقاموا لملتقاه وأجلسوه بينهم في صدر المقام فقام ولد منهم وقال لرفيقه يا سيدي حسن أخبرني برأس المال الذي عندك تبيع فيه وتشتري من أين جاءك فقال له أنا لما كبرت ونشأت وبلغت مبلغ الرجال قلت لأبي يا والدي إحضر لـي متجراً فقال يا ولدي ما عندي شيء ولكن رح خذ مالاً من واحد تاجر وأتجر به وتعلم البيع والشراء والأخـذ والعطاء فتوجهت إلى واحد من التجار واقترضت منه ألف دينار فاشتريت بها قماشاً وسافرت به إلى الشـام فربحت المثل مثلين ثم أخذت متجراً من الشام وسافرت به إلى بغداد وبعته فربحت المثل مثلين ولم أزل أتجر حتى صار رأس مالي نحو عشرة آلاف دينار وصار كل واحد من الأولاد يقول لرفيقه مثل ذلك إلـى أن دار الدور وجاء الكلام إلى علاء الدين أبي الشامات فقالوا له وأنت يا سيدي علاء الدين فقال لهم أنا تربيت فـي طابق تحت الأرض وطلعت منه في هذه الجمعة وأنا أروح الدكان وأرجع منه إلى البيت فقالوا له أنت متعود على قعود البيت ولا تعرف لذة السفر والسفر ما يكون إلا للرجال فقال لهم أنا مالي حاجـة بالسـفر ولـيس للراحة قيمة فقال واحد منهم لرفيقه هذا مثل السمك أن فارق الماء مات ثم قالوا له يا علاء الدين مـا فخـر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل المكسب فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الأولاد وهو بـاكي العين فقالت له أمه ما يبكيك يا ولدي فقال لها أن أولاد التجار جميعاً يعايرونني وقالوا لـي مـا فخـر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال لوالدته أن أولاد التجار عايروني وقالوا لي ما فخـر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم والدنانير فقالت أمه يا ولدي هل مرادك السفر قال نعم فقالت له تسافر إلى أي البلاد فقال لها إلى مدينة بغداد فإن الإنسان يكتسب فيها المثل مثلين فقالت يا ولدي أن أباك عنده مال كثير وأن لم يجهز لك متجراً من ماله فأنا أجهز لك متجراً من عندي فقال لها خير البر عاجله فإن كان معروفاً فهذا وقته فأحضرت العبيد وأرسلتهم إلى الذين يحزمون القماش وفتحت حاصلاً وأخرجت له منه قماشاً وحزموا عشرة أحمال هذا ما كان من أمر أمه (وأما) ما كان من أمر أبيه فإنه التفت فلم يجد أبنه علاء الدين في البستان فسأل عنه فقالوا أنه ركب بغلته وراح إلى البيت فركب وتوجه خلفه فلما دخل منزلـه رأي أحمالاً محزومة فسأل عنها فأخبرته زوجته بما وقع من أولاد التجار لولده علاء الدين فقال له يا ولدي خيب ا الغربة فقد قال رسول ا ﷺ من سعادة المرء أن يرزق في بلده وقال الأقدمون دع السفر ولو كان ميلاً ثم قال لولده هل صممت على السفر ولا ترجع عنه فقال له ولده لابد لي من السفر إلى بغداد بمتجر وإلا قلعـت ثيابي ولبست ثياب الدراويش وطلعت سائحاً في البلاد فقال له ما أنا محتاج ولا معدم بل عندي مـال كثيـر

وأراه جميع ما عنده من المال والمتاجر والقماش وقال له أنا عندي لكل بلد ما يناسبها من القماش والمتـاجر وأراه من جملة ذلك أربعين حملاً محزمين ومكتوباً على كل جمل ثمنه ألف دينار ثم قـال يـا ولـدي خـذ الأربعين حملاً والعشرة أحمال التي من عند أمك وسافر مع سلامة ا تعالى ولكن يا ولدي أخاف عليك من غابة في طريقك تسمى غابة الأسد وواد هناك يقال له وادي الكلاب فإنهما تروح فيهما الأرواح بغير سـماح فقال له لماذا يا والدي فقال من بدوى قاطع الطريق يقال له عجلان فقال له الرزق رزق ا وأن كان لي فيه نصيب لم يصيبني ضرر ثم ركب علاء الدين مع والده وسار إلى سوق الدواب وإذا بعكام نزل مـن فـوق بغلته وقبل يد شاه بندر التجار وقال له وا زمان يا سيدي ما استقضيتنا في تجارات فقال له لكل زمان دولة ورجال ورحم ا من قال:

وشـيخ فـي جهـات الأرض يمشـي ... ولحيتـــه تقابـــل ركبتيـــه

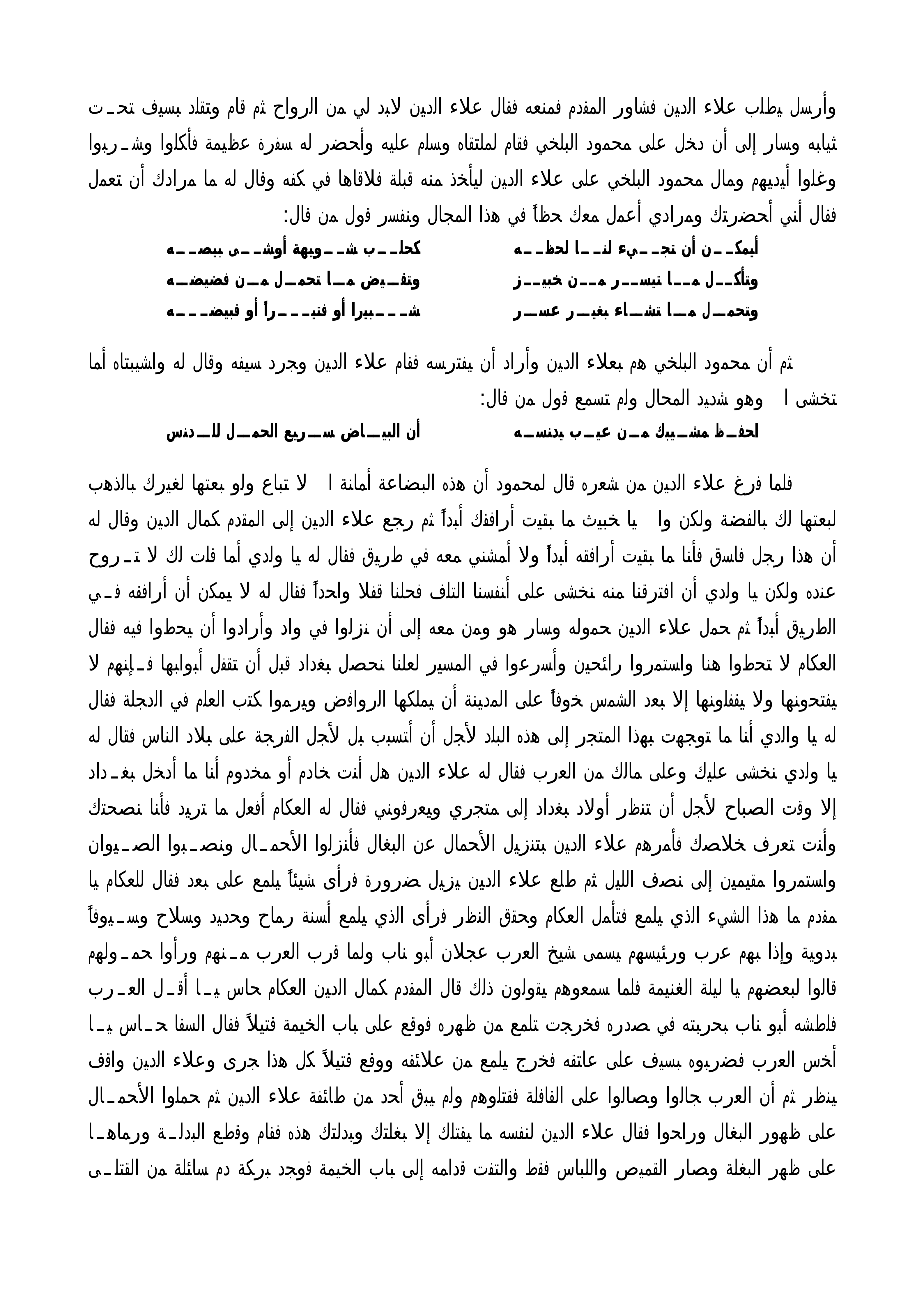
فقلـت لـه لمـاذا أنـت محـن ... فقـال وقـد لـوى نحـوي يديـه

شبابي فـي الثـرى قـد ضـاع مني ... وهـا أنـا مـنحن بحثـاً عليـه

فلما فرغ من شعره قال يا مقدم ما مراده السفر إلا ولدي هذا فقال له العكام ا يحفظه عليك ثم أن شاه بندر التجار عاهد بين ولده وبين العكام وجعله ولده وأوصاه عليه وقال له خذ هذه المائة دينار لغلمانك ثم أن شاه بندر التجار اشترى ستين بغلاً وستر السيدي عبد القادر الجيلاني وقال له يا ولدي أنا غائب وهذا أبـوك عوضاً عني وجميع ما يقوله لك طاوعه فيه ثم توجه بالبغال والغلمان وعملوا في تلك الليلـة ختمـة ومولـد الشيخ عبد القادر الجيلاني ولما أصبح الصباح أعطي شاه بندر التجار لولده عشرة آلاف دينار وقال لـه إذا دخلت بغداد ولقيت القماش رائجاً معه فبعه وأن لقيت حاله واقفاً فأصرف من هذه الدنانير ثم حملـوا البغـال وودعوا بعضهم. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين والعكام لما أمروا العبيد أن يحملوا البغال ودعوا شاه بندر التجحار والد علاء الدين وساروا متوجهين حتى خرجوا من المدينة وكان محمود البلخي تجهز للسـفر إلـى جهة بغداد وأخرج حمولة ونصب صواوينه خارج المدينة وقال في نفسه ما تحظى بهذا الولد إلا في الخـلاء لأنه لا واشي ولا رقيب يعكر عليك وكان لأب الولد ألف دينار عند محمود البلخي بقية معاملة فـذهب إليـه وودعه وقال له أعط الألف دينار لولدي علاء الدين وأوصاه عليه وقال أنه مثل ولدك فاجتمع عـلاء الـدين بمحمود البلخي فقام محمود البلخي ووصى طباخ علاء الدين أنه لا يطبخ شيئاً وصار محمود يقـدم لعـلاء الدين المأكل والمشرب هو وجماعته ثم توجهوا للسفر وكان للتاجر محمود البلخي أربعة بيوت واحـد فـي مصر وواحد في الشام وواحد في حلب وواحد في بغداد ولم يزالوا مسافرين في البراري والقفار حتى أشرفوا على الشام فأرسل محمود عبده إلى علاء الدين فرآه قاعداً يقرأ فتقدم وقبل يديه فقال له ما تطلب فقال له سـيدي يسلم عليك ويطلعك لعزومتك في منزله فقال له لما أشاور أبي المقدم كمال الدين العكام فشاوره على الرواح فقال له لا ترح ثم سافروا من الشام إلى أن دخلوا حلب فعمل محمود البلخي عزومة وأرسل يطلـب عـلاء الدين فشاور المقدم فمنعه وسافروا من حلب إلى أن بقي بينهم وبين بغداد مرحلة فعمل محمود البلخي عزومة


وأرسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه فقال علاء الدين لابد لي من الرواح ثم قام وتقلد بسيف تحت ثيابه وسار إلى أن دخل على محمود البلخي فقام لملتقاه وسلم عليه وأحضر له سفرة عظيمة فأكلوا وشربوا وغلوا أيديهم ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ منه قبلة فلاقاها في كفه وقال له ما مرادك أن تعمل فقال أني أحضرتك ومرادي أعمل معك حظاً في هذا المجال ونفسر قول من قال:

أيمكن أن تجيء لنا لحظه كحلب شويهة أوشى بيضه

وتأكل ما تيسر من خبيز وتقبض ما تحمل من فضيضه

وتحمل ما تشاء بغير عسر شبيرا أو فتيرا أو قبيضه

ثم أن محمود البلخي هم بعلاء الدين وأراد أن يفترسه فقام علاء الدين وجرد سيفه وقال له واشيبتاه أما تخشى الله وهو شديد المحال ولم تسمع قول من قال:

احفظ مشيبك من عيب يدنسه أن البياض سريع الحمل للدنس

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود أن هذه البضاعة أمانة الله لا تباع ولو بعتها لغيرك بالذهب لبعتها لك بالفضة ولكن والله يا خبيث ما بقيت أرافقك أبداً ثم رجع علاء الدين إلى المقدم كمال الدين وقال له أن هذا رجل فاسق فأنا ما بقيت أرافقه أبداً ولا أمشني معه في طريق فقال له يا ولدي أما قلت لك لا تروح عنده ولكن يا ولدي أن افترقنا منه نخشى على أنفسنا التلاف فخلنا قفلا واحداً فقال له لا يمكن أن أرافقه في الطريق أبداً ثم حمل علاء الدين حموله وسار هو ومن معه إلى أن نزلوا في واد وأرادوا أن يحطوا فيه فقال العكام لا تحطوا هنا واستمروا رائحين وأسرعوا في المسير لعلنا نحصل بغداد قبل أن تقفل أبوابها فإنهم لا يفتحونها ولا يقفلونها إلا بعد الشمس خوفاً على المدينة أن يملكها الروافض ويرموا كتب العلم في الدجلة فقال له يا والدي أنا ما توجهت بهذا المتجر إلى هذه البلد لأجل أن أتسبب بل لأجل الفرجة على بلاد الناس فقال له يا ولدي نخشى عليك وعلى مالك من العرب فقال له علاء الدين هل أنت خادم أو مخدوم أنا ما أدخل بغداد إلا وقت الصباح لأجل أن تنظر أولاد بغداد إلى متجري ويعرفوني فقال له العكام أفعل ما تريد فأنا نصحتك وأنت تعرف خلاصك فأمرهم علاء الدين بتنزيل الأحمال عن البغال فأنزلوا الأحمال ونصبوا الصيوان واستمروا مقيمين إلى نصف الليل ثم طلع علاء الدين يزيل ضرورة فرأى شيئاً يلمع على بعد فقال للعكام يا مقدم ما هذا الشيء الذي يلمع فتأمل العكام وحقق النظر فرأى الذي يلمع أسنة رماح وحديد وسلاح وسيوفاً بدوية وإذا بهم عرب ورئيسهم يسمى شيخ العرب عجلان أبو ناب ولما قرب العرب منهم ورأوا حمولهم قالوا لبعضهم يا ليلة الغنيمة فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين العكام حاس يا أقل العرب فلطشه أبو ناب بحربته في صدره فخرجت تلمع من ظهره فوقع على باب الخيمة قتيلاً فقال السقا حاس يا أخس العرب فضربوه بسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه ووقع قتيلاً كل هذا جرى وعلاء الدين واقف ينظر ثم أن العرب جالوا وصالوا على القافلة فقتلوهم ولم يبق أحد من طائفة علاء الدين ثم حملوا الأحمال على ظهور البغال وراحوا فقال علاء الدين لنفسه ما يقتلك إلا بغلتك وبدلتك هذه فقام وقطع البدلة ورماها على ظهر البغلة وصار القميص واللباس فقط والتفت قدامه إلى باب الخيمة فوجد بركة دم سائلة من القتلى

فصار يتمرغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالقتيل الغريق في دمه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كـان من أمر شيخ العرب عجلان فإنه قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر أو خارجة مـن بغـداد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي لما قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلـه مـن مصـر أو خارجة من بغداد فقالوا له داخلة من مصر إلى بغداد فقال لهم ردوا على القتلى لأنني أظن أن صـاحب هـذه القافلة لم يمت فرد العرب على القتلى وصاروا يردون القتلى بالطعن والضرب إلى أن وصلوا إلـى عـلاء الدين وكان قد القى نفسه بين القتلى فلما وصلوا إليه قالوا أنت جعلت نفسك ميتاً فنحن نكمل قتلـك وسـحب البدوي الحربة وأراد أن يغرزها في صدر علاء الدين فقال علاء الدين يا بركتك يا سيدتي نفيسة هذا وقتـك وإذا بعقرب لدغ البدوي في كفه فصرخ وقال يا عرب تعالوا إلي فأنني لدغت ونزل من فوق ظهر فرسه فأتاه رفقاؤه وأركبوه ثانياً على فرسه وقالوا له أي شيء أصابك فقال لهم لدغني عقرب ثم أخذوا القافلة وسـاروا هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر محمود البلخي فإنه أمر بتحميل الأحمال وسافر إلى أن وصـل إلى غابة الأسد فوجد غلمان علاء الدين كلهم قتلى وعلاء الدين نائماً وهو عريان بالقميص واللباس فقط فقال له من فعل بك هذه الفعال وخلاك في أسوأ حال فقال له العرب فقال له يا ولدي فداك البغال والأموال وتسـل بقول من قال:

إذا سلمت هـام الرجـال مـن الـردي	**فمـــا المـــال إلا مثـــل قـــص الأظـــافر**

ولكن يا ولدي أنزل ولا تخش بأساً فنزل علاء الدين من شباك الصهريج وأركبه بغلة وسافروا إلى أن دخلوا مدينة بغداد في دار محمود البلخي فأمر بدخول علاء الدين الحمام وقال له المال والأحمال فداؤك يـا ولدي وأن طاوعتني أعطيك قدر مالك وأحمالك مرتين وبعد طلوعه من الحمام أدخله قاعة مزركشة بالذهب لها أربعة لواوين ثم أمر بإحضار سفرة فيها جميع الأطعمة فأكلوا وشربوا ومال محمود البلخي على عـلاء الدين ليأخذ من خده قبلة فلقيها علاء الدين بكفه وقال له هل أنت إلى الآن تابع لضلالك أما قلت لك أنـا لـو كنت بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب ما كنت أبيعها لك بالفضة فقال أنا ما أعطيتك المتجر والبغلة والبدلـة إلا لأجل هذه القضية فأنني من غرامي بك في خيال و در من قال:

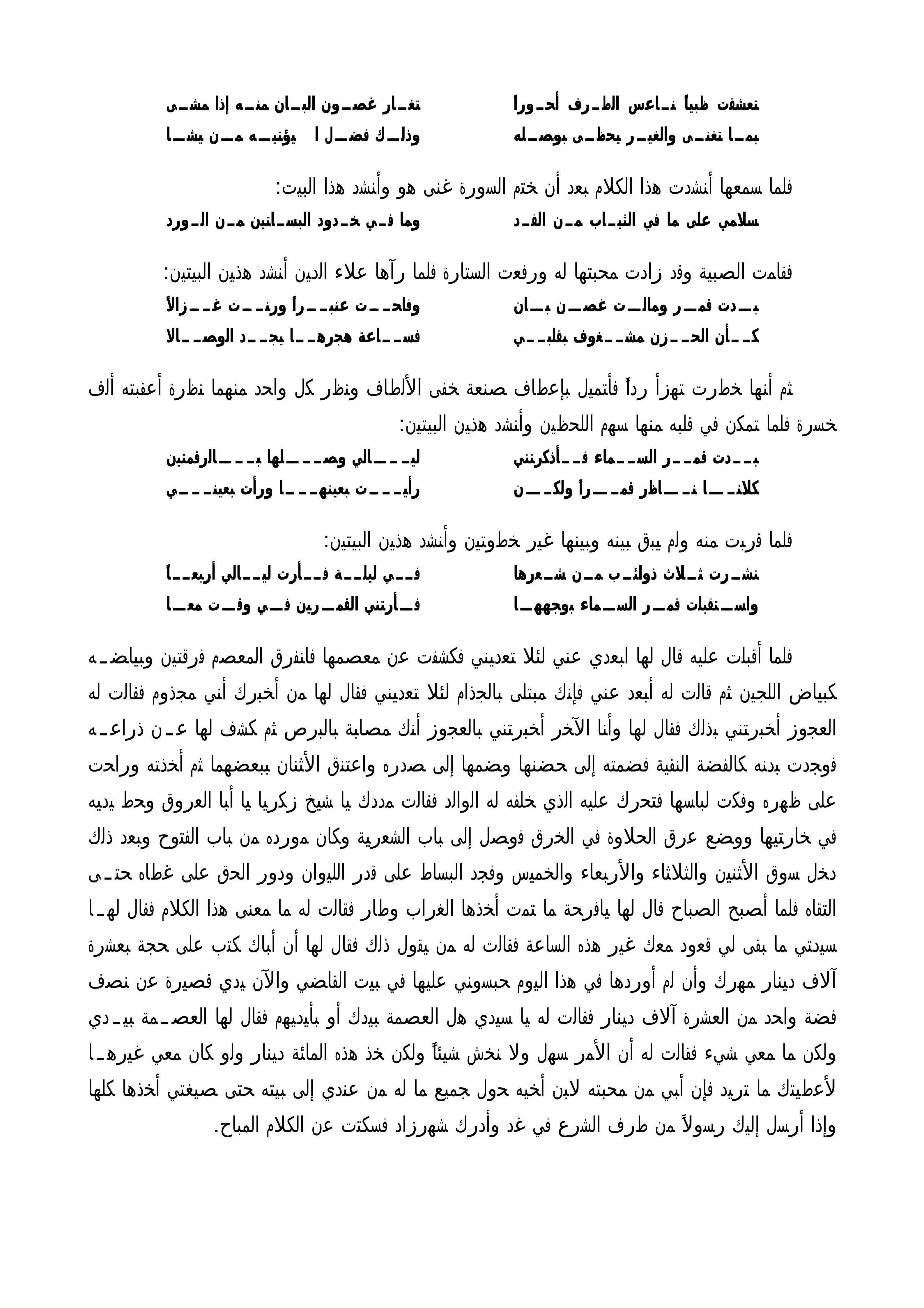
حـــدثنا عـــن بعـــض أشـــياخه	**أبـــو بـــلال شـــيخنا عـــن شـــريك**
لا يشـــتفي العاشـــق ممـــا بـــه	**بالضـــم والتقبيـــل حتـــى ينيـــك**

فقال له علاء الدين أن هذا لشيء لا يمكن أبداً فخذ بدلتك وبغلتك وافتح الباب حتى أروح ففتح له الباب فطلع علاء الدين والكلاب تنبح وراءه وسار فبينما هو سائر إذ رأى باب مسجد فدخل في دهليـز المسـجد واستكن فيه وإذا بنور مقبل عليه فتأمله فرأى فانوسين في يد عبدين قدام اثنين من التجار واحد منهما اختيار حسن الوجه والثاني شاب فسمع الشاب يقول للاختيار با يا عمي أن ترد لي بنت عمي فقال له أما نهيتـك مراراً عديدة وأنت جاعل الطلاق مصحفك ثم أن الاختيار التفت على يمينه فرأى ذلك الولد كأنه فلقـة قمـر

فقال له السلام عليك فرد عليه السلام فقال له يا غلام من أنت فقال له أنا علاء الدين ابن شمس الـدين شـاه بندر التجار بمصر وتمنيت على والدي المتجر فجهز لي خمسين حملاً من البضاعة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال فجهز لي خمسين حملاً من البضاعة وأعطاني عشرة آلاف دينار وسافرت حتى وصلت إلى غابة الأسد فطلع على العرب وأخذوا مالي وأحمـالي فـدخلت هـذه المدينة وما أدري أين أبيت فرأيت هذا المحل فاستكنت فيه فقال له يا ولدي ما تقول في أني أعطيـك ألـف دينار وبدلة بألف دينار فقال له علاء الدين على أي وجه تعطيني ذلك يا عمي فقال له أن هذا الغـلام الـذي معي ابن أخي ولم يكن لأبيه غيره وأنا عندي بنت لم يكن لي غيرها تسمي زبيدة العودية وهي ذات حسـن وجمال فزوجتها له وهو يحبها وهي تكرهه فحنث في يمينه بالطلاق الثلاث فما صدقت زوجته بـذلك حتـى افترقت منه فساق على جميع الناس أني أردها له فقلت له هذا لا يصح إلا بالمحلل واتفقت معه على أن نجعل المحلل له واحد غريباً لا يعايره أحد بهذا الأمر وحيث كنت أنت غريباً فتعال معنا لكتب كتابك عليها وتبيـت عندها هذه الليلة وتصبح تطلقها ونعطيك ما ذكرته لك فقال علاء الدين في نفسه مبيتي ليلة مع عروس فـي بيت على فراش أحسن من مبيتي في الأزقة والدهاليز فسار معهما إلى القاضي فلما نظر القاضي إلى عـلاء الدين وقعت محبته في قلبه وقال لأبي البنت أي شيء مرادكم فقال مرادنا أن نعمل هذا محللاً لبنتنـا ولكـن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة آلاف دينار فإذا بات عندها وأصبح طلقها أعطيناه بدلة بـألف دينـار فعقدوا والعقد على هذا الشرط وأخذ أبو البنت حجة بذلك ثم أخذ علاء الدين معه وألبسه البدلة وساروا به إلى أن وصلوا دار بنته فأوقفه على باب الدار ودخل على بنته وقال لها خذي حجة صداقك فأني كتبـت كتابـك على شاب مليح يسمى علاء الدين أبا الشامات فتوصي به غاية الوصية ثم أعطاها الحجة وتوجه إلـى بنتـه وأما ابن عم البنت فإنه كان له قهرمانة تتردد على زبيدة العودية بنت عمه وكان يحسن إليها فقال لها يا أمي أن زبيدة بنت عمي متى رأت هذا الشاب المليح لم تقبلني بعد ذلك فأنا أطلب منك أن تعملي حيلـة وتمنعـي الصبية عنه فقالت له وحياة شبابك ما أخليه يقربها ثم أنها جاءت لعلاء الدين وقالت له يا ولدي أنصـحك تعالى فأقبل نصيحتي ولا تقرب تلك الصبية ودعها تنام وحدها ولا تلمسها ولا تدن منها فقال لأي شيء فقالت له إن جسدها ملآناً بالجذام وأخاف عليك منها أن تعدي شبابك المليح فقال لها ليس لي بها حاجة ثـم انتقلـت إلى الصبية وقالت لهما مثل ما قالت لعلاء الدين فقالت لها لا حاجة لي به بل أدعه ينام وحده ولمـا يصـبح الصباح يروح لحال سبيله ثم دعت جارية وقالت لها خذي سفرة الطعام وأعطيها له يتعشى فحملت له الجارية سفرة الطعام ووضعتها بين يديه فأكل حتى اكتفى ثم قعد وقرأ سورة يس بصوت حسن فصغت لـه الصـبية فوجدت صوته يشبه مزامير آل داود فقالت في نفسها ا ينكد على هذه العجوز التي قالت لي عليه إنه مبتلى بالجذام فمن كانت به هذه الحالة لا يكون صوته هكذا وإنما هذا الكلام كذب عليه ثم إنها وضعت فـي يـديها عوداً من صنعة الهنود وأصلحت أو تاره وغنت عليه بصوت يوقف الطير في كبد السماء وأنشـدت هـذين البيتين:



تعشقت ظبياً ناعس الطرف أحوراً	تغار غصون البان منه إذا مشى
بما تغنى والغير يحظى بوصله	وذلك فضل ا يؤتيه من يشا

فلما سمعها أنشدت هذا الكلام بعد أن ختم السورة غنى هو وأنشد هذا البيت:

سلامي على ما في الثياب من القد	وما في خدود البساتين من الورد

فقامت الصبية وقد زادت محبتها له ورفعت الستارة فلما رآها علاء الدين أنشد هذين البيتين:

بدت قمر ومالت غصن بان	وفاحت عنبراً ورنت غزالاً
كأن الحزن مشغوف بقلبي	فساعة هجرها يجد الوصالا

ثم أنها خطرت تهزأ رداً فأتميل بإعطاف صنعة خفى الألطاف ونظر كل واحد منهما نظرة أعقبته ألف حسرة فلما تمكن في قلبه منها سهم اللحظين وأنشد هذين البيتين:

بدت قمر السماء فأذكرتني	ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن	رأيت بعينها ورأت بعيني

فلما قربت منه ولم يبق بينه وبينها غير خطوتين وأنشد هذين البيتين:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها	في ليلة فأرت ليالي أربعاً
واستقبلت قمر السماء بوجهها	فأرتني القمرين في وقت معاً

فلما أقبلت عليه قال لها ابعدي عني لئلا تعديني فكشفت عن معصمها فانفرق المعصم فرقتين وبياضه كبياض اللجين ثم قالت له أبعد عني فإنك مبتلى بالجذام لئلا تعديني فقال لها من أخبرك أني مجذوم فقالت له العجوز أخبرتني بذلك فقال لها وأنا الآخر أخبرتني بالعجوز أنك مصابة بالبرص ثم كشف لها عن ذراعه فوجدت بدنه كالفضة النقية فضمته إلى حضنها وضمها إلى صدره واعتنق الأثنان ببعضهما ثم أخذته وراحت على ظهره وفكت لباسها فتحرك عليه الذي خلفه له الوالد فقالت مددك يا شيخ زكريا يا أبا العروق وحط يديه في خارتيها ووضع عرق الحلاوة في الخرق فوصل إلى باب الشعرية وكان موروده من باب الفتوح وبعد ذلك دخل سوق الأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فوجد البساط على قدر الليوان ودور الحق على غطاه حتى التقاه فلما أصبح الصباح قال لها يافرحة ما تمت أخذها الغراب وطار فقالت له ما معنى هذا الكلام فقال لها سيدتي ما بقى لي قعود معك غير هذه الساعة فقالت له من يقول ذلك فقال لها أن أباك كتب على حجة بعشرة آلاف دينار مهرك وأن لم أوردها في هذا اليوم حبسوني عليها في بيت القاضي والآن يدي قصيرة عن نصف فضة واحد من العشرة آلاف دينار فقالت له يا سيدي هل العصمة بيدك أو بأيديهم فقال لها العصمة بيدي ولكن ما معي شيء فقالت له أن الأمر سهل ولا تخش شيئاً ولكن خذ هذه المائة دينار ولو كان معي غيرها لأعطيتك ما تريد فإن أبي من محبته لابن أخيه حول جميع ما له من عندي إلى بيته حتى صيغتي أخذها كلها وإذا أرسل إليك رسولاً من طرف الشرع في غد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية قالت لعلاء الدين وإذا أرسلوا إليك رسولاً من طرف الشـرع في غد وقال لك القاضي وأبي طلق فقل لهما في أي مذهب يجوز أنني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح ثم أنك تقبل يد القاضي وتعطيه أحساناً وكذا كل شاهد تقبل يده وتعطيه عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك فإذا قالوا لك لأي شيء ما تطلق وتأخذ ألف دينار والبغلة والبدلة على حكم الشرط الذي شرطناه عليك فقل لهم أنا عندي فيها كل شعرة بألف دينار ولا أطلقها أبداً ولا آخذ بدلة ولا غيرها فإذا قال لك القاضي أدفع المهر فقل لهم أنا معسر الآن وحينئذ يسترفق بك القاضي والشهود ويمهلونك مدة فبينما هما في الكـلام وإذا برسـول القاضي يدق الباب فخرج إليه فقال له الرسول كلم الأفندي فإن نسيبك طالبك فأعطاه خمسة دنانير وقال له يا محضر في أي شرع أني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح فقال له لا يجوز عندنا أبداً وأن كنت تجهـل الشرع فأنا أعمل وكيلك وساروا إلى المحكمة فقالوا له لأي شيء لم تطلق المرأة وتأخذ ما وقع عليه الشـرط فتقدم إلى القاضي وقبل يده ووضع فيها خمسين ديناراً وقال له يا مولانا القاضي في أي مذهب أني أتـزوج في العشاء وأطلق في الصباح قهراً عني فقال القاضي لا يجوز الطلاق بالإجبار في أي مذهب من مـذاهب المسلمين فقال أبو الصبية إن لم تطلق فادفع الصداق عشرة آلاف دينار فقال علاء الدين أمهلني ثلاثـة أيـام فقال القاضي لا تكف ثلاثة أيام في المهلة يمهلك عشرة أيام واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد العشرة أيـام إما المهر وإما الطلاق وطلع من عندهم على هذا الشرط فأخذ اللحم والأرز والسمن وما يحتاج إليه الأمر من المأكل وتوجه إلى البيت فدخل على الصبية وحكى جميع ما جرى له فقالت له بين الليـل والنهـار يسـاوي عجائب و در من قال:

كـن حليمـاً إذا بليـت بغـيظ	وصـبوراً إذا أتتـك مصـيبة
فالليـالي مـن الزمـان حبـالى	مـثقلات يلـدن كـل عجيبـة

ثم قامت وهيأت الطعام وأحضرت السفرة فأكلا وشربا وتلاذذا وطربا ثم طلب منها أن تعمل نوبة سماع فأخذت العود وعملت نوبة يطرب منها الحجر الجلمود ونادت الأوتار في الحضرة يا داود ودخلت في دارج النوبة فبينما هما في حظ ومزاح وبسط وانشراح وإذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفـتح الباب فوجدا ربع دراويش بالباب واقفين فقال لهم أي شيء تطلبون فقالوا له يا سيدي نحن دراويش غربـاء الديار وقوت أرواحنا السماع ورقائق الأشعار ومرادنا أن نرتاح عندك هذه الليلة إلى وقت الصباح ثم نتوجه إلى حال سبيلنا وأجرك على ا تعالى فإننا نعشق السماع وما فينا واحـد إلا ويحفـظ القصـائد والأشـعار والموشحات فقال لهم على مشورة ثم طلع وأعلمها فقالت له افتح لهم الباب وأطلعهم وأجلسهم ورحب بهم ثم أحضر لهم طعاماً فلم يأكلوا وقالوا له يا سيدي أن زادنا ذكر ا بقلوبنا وسماع المغاني بآذاننـا و در مـن قال:

ومـا القصـد إلا أن يكـون اجتماعنـا	ومـا الأكـل إلا سـيمة للبهـائم

وقد كنا نسمع عندك سماعاً لطيفاً فلما طلعنا بطل السماع فيا هل ترى التي كانت تعمل النوبة جارية بيضاء أو سوداء أو بنت ناس فقال لهم هذه زوجتي وحكى لهم جميع ما جرى له وقال لهم أن نسيبي عمل على عشرة آلاف دينار مهرها وأمهلوني عشرة أيام فقال درويش منهم لا تحزن ولا تأخذ في خاطرك إلا الطيب فأنا شيخ التكية وتحت يدي أربعون درويشاً أحكم عليهم وسوف أجمع لك العشرة آلاف دينار منهم وتوفي المهر الذي عليك لنسيبك ولكن آمرها أن تعمل لنا نوبة لأجل أن ننحظ ويحصل لنا انتعاش فإن السماع لقوم كالغداء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة وكان هؤلاء الدراويش الأربعة الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي وأبو نواس الحسن بن هانيء ومسرور سياف النقمة وسبب مرورهم على هذا البيت أن الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزيران مرادنا أن ننزل ونشق في يالمدينة لأنه حاصل عندي ضيق صدر فلبسوا لبس الدراويش ونزلوا في المدينة فجازوا على تلك الدار فسمعوا النوبة فأحبوا أن يعرفوا حقيقة الأمر ثم أنهم باتوا في حظ ونظام ومناقلة كلام إلى أن أصبح الصباح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وتوجهوا إلى حال سبيلهم فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار تحتها فقالت لزوجها خذ هذه المائة دينار التي وجدتها تحت السجادة لأن الدراويش حطوها قبل ما يروحوا وليس عندنا علم بذلك فأخذها علاء الدين وذهب إلى السوق واشتري منها اللحم والأرز والسمن وجميع ما يحتاج إليه وفي ثاني ليلة قاد الشمع. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قاد الشمع في ثاني ليلة وقال لزوجته زبيدة أن الدراويش لم يأتوا بالعشرة آلاف دينار التي وعدوني بها ولكن هؤلاء فقراء فبينما هما في الكلام وإذا بالدراويش قد طرقوا الباب فقالت له أنزل أفتح لهم ففتح لهم وطلعوا فقال لهم هل أحضرتم العشرة آلاف دينار التي وعدتموني بها فقالوا له ما تيسر منها شيء ولكن لا تخش بأساً أن شاء ا في غد نطبخ لك طبخة كيمياء وأمر زوجتك أن تسمعنا نوبة عظيمة تنتعش بها قلوبنا فإننا نحب السماع فعملت لهم نوابة على العود ترقص الحجر الجلمود فباتوا في هناء وسرور ومسامرة وحبور إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وانصرفوا من عنده إلى حال سبيلهم ولم يزالوا يأتون إليه على هذا الحال مدة تسع ليال وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار إلى أن أقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا وكان السبب في انقطاعهم أن الخليفة أرسل إلى رجل عظيم من التجار وقال له أحضر لي خمسين حملاً من الأقمشة التي تجيء من مصر وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لذاك التاجر أحضر لي خمسين حملاً من القماش الذي يجيء من مصر يكون كل حمل ثمنه ألف دينار واكتب على كل حمل ثمنه وأحضر لي عبداً حبشياً فأحضر له التاجر جميع ما أمره به ثم أن الخليفة أعطى العبد طشتاً وأبريقاً من الذهب وهدية والخمسين حملاً وكتب كتاباً على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال له خذ هذه الأحمال وما معها ورح بها الحارة الفلانية التي فيها بيت شاه بندر التجار وقل أين سيدي علاء الدين أبو الشامات فإن

الناس يدلونك على الحارة وعلى البيت فأخذ العبد الأحمال وما معها وتوجه كما أمره الخليفة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر ابن عم الصبية فإنه توجه إلى أبيها وقال له تعال نروح لعلاء الدين لنطلق بنـت عمي فنزل وسار هو وأياه وتوجها إلى علاء الدين فلما وصلا إلى البيت وجدا خمسين بغلاً وعليها خمسـون حملاً من القماش وعبداً راكب بغلة فقالا له لمن هذه الأحمال فقال لسيدي علاء الدين أبي الشامات فإن أبـاه كان جهز له متجراً وسفره إلى مدينة بغداد فطلع عليه العرب فأخذوا ماله وأحماله فبلـغ الخبـر إلـى أبيـه فأرسلني إليه بالجمال عوضا وأرسل له معي بغلاً عليه خمسون ألف دينار وبقجة تساوي جملة مـن المـال وكرك سمور وطشتاً وأبريقاً من الذهب فقال له أبو البنت هذا نسيبي وأنا أدلك على بيته فبينما علاء الـدين قاعد في البيت وهو في غم شديد وإذا بالباب يطرق فقال علاء الدين يا زبيدة ا أعلم أن أباك أرسـل إلـى رسولاً من طرف القاضي أو من طرف الوالي فقالت له أنزل وأنظر الخبر فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار أبا زبيدة ووجد عبداً حبشياً أسمر اللون حلو المنظر راكباً فوق بغلة فنزل العبد وقبل يديه فقال له أي شيء تريد فقال له أنا عبد سيدي علاء الدين أبي الشامات بن شمس الدين شاه بندر التجار يا أرض مصر وقد أرسلني إليه أبوه بهذه الأمانة ثم أعطاه الكتاب فأخذه علاء الدين وفتحه وقرأه فرأى مكتوباً فيه:

يـــا كتـــابي إذا رآك حبيبــــي	**قبــــل الأرض والنعــــال لديـــــه**
وتمهــــل ولا تكــــن بعجــــول	**أن روحــي وراحتــي فــي يديــه**

بعد السلام والتحية والأكرام من شمس الدين إلى ولده علاء الدين أبي الشامات أعلم يا ولدي أنه بلغني خبر قتل رجالك ونهب أموالك وأحمالك فأرسلت غليك غيرها هذه الخمسين حملاً مـن القمـاش المصـري والبدلة والكرك السمور والطشت والأبريق الذهب ولا تخش بأساً والمال فداؤك يا ولدي ولا يحصل لك حزن أبداً وأن أمك وأهل البيت طيبون بخير وهم يسلمون عليك كثير السلام وبلغني يا ولدي خبر وهو أنهم عملوك محللاً للبنت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها خمسين ألف دينار فهي واصلة إليك صـحبة الأحمـال مـع عبدك سليم فلما فرغ من قراءة الكتاب تسلم الأحمال ثم التفت إلى نسيبه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما التفت إلى نسيبه قال له يا نسيبي خذ الخمسـين ألـف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الأحمال تصرف فيها واك المكسب ورد لي رأس المال فقال لـه لا وا لا آخـذ شيئاً وأما مهر زوجتك فأتفق أنت وأياها من جهته فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخـلا البيـت بعـد إدخـال الجمول فقالت زبيدة لأبيها يا أبي لمن هذه الأحمال فقال لها هذه الأحمال لعلاء الدين زوجك أرسلها إليه أبوه عوضاً عن الأحمال التي أخذها العرب منه وارسل إليه الخمسين ألف دينار وبقجة وكـرك سـمور وبغلـة وطشتاً وأبريقاً ذهباً وأما من جهة مهرك فالرأي لك فيه فقام علاء الدين وفتح الصندوق وأعطاها أياه فقـال الولد ابن عم البنت يا عم خل علاء الدين يطلق لي أمرأتي قال له هذا شيء ما بقي يصح أبداً والعصمة بيده فراح الولد مهموماً مقهوراً ورقد في بيته ضعيفاً فكانت القاضية فمات وأما علاء الدين فإنه طلع إلى السـوق بعد أن أخذ الأحمال وأخذ ما يحتاج إليه من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظاماً مثل كل ليلة وقال لزبيدة

انظري هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا وأخلفوا وعدهم فقالت له أنت ابن شاه بندر التجار وكانت يـدك قصيرة عن نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش فقال لها أغنانا ا تعالى عنهم ولكن ما بقيت أفـتح لهـم الباب إذا أتوا إلينا فقالت له لأي شيء والخير ما جاءنا إلا على قدومهم وكل ليلة يحطون لنا تحت السـجادة مائة دينار فلابد أن تفتح لهم الباب إذا جاءوا فلما ولى النهار بضيائه وأقبل الليل قادوا الشمع وقال لهـا يـا زبيدة قومي اعملي لنا نوبة وإذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فرآهم الدراويش فقال مرحباً بالكذابين اطلعوا فطلعوا معه وأجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلـذذوا وطربـوا وبعد ذلك قالوا له يا سيدي أن قلوبنا عليك مشغولة أي شيء جرى لك مع نسيبك فقال لهم عوض ا علينـا بما فوق المراد فقالوا له وا أنا كنا خائفين عليك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدراويش قالوا لعلاء الدين وا أنا كنا خائفين عليـك ومـا منعنـا الأقصر أيدينا عن الدراهم فقال لهم قد أتاني الفرج القريب من ربي وقد أرسل إلى والدي خمسين ألف دينار وخمسين حملاً من القماش ثمن كل حمل ألف دينار وبدلة وكرك سمور وبغلة وعبداً وطشـتاً وأبريقـاً مـن الذهب ووقع الصلح بيني وبين نسيبي وطابت لي زوجتي والحمد على ذلك ثـم أن الخليفـة قـام يزيـل ضرورة فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له الزم الأدب فإنك في حضرة أمير المؤمنين فقال له أي شيء وقع مني من قلة الأدب في حضرة أمير المؤمنين ومن هو أمير المؤمنين منكم فقال له أن الذي كـان يكلمك وقام يزيل الضرورة هو أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد وأنا الوزير جعفر وهذا مسرور سـياف نقمته وهذا أبو نواس الحسن بن هانيء فتأمل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم في السفر من مصر إلى بغداد فقال له خمسة وأربعون يوماً فقال له أن حمولك نهبت من منذ عشرة أيام فقط فكيف يروح الخبـر لأبيك ويحزم لك الأحمال وتقطع مسافة خمسة وأربعين يوماً في العشرة أيام فقال له يا سيدي ومن أين أتاني هذا فقال له من عند الخليفة أمير المؤمنين بسبب فرط محبته لك فبينما هم في هذا الكلام وإذا بالخليفة قد أقبل فقام علاء الدين وقبل الأرض بين يديه وقال له ا يحفظك يا أمير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عـدم النـاس فضلك وأحسانك فقال يا علاء الدين خل زبيدة تعمل لنا نوبة حلاوة السلامة فعملت نوبة عـل العـود مـن غرائب الموجود إلى أن طرب لها الحجر الجلمود وصاح العود في الحضرة يا داود فباتوا على أسر حال إلى الصباح فلما أصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين في غدا طلع الديوان فقال له سمعاً وطاعة يا أمير المـؤمنين إن شاء ا تعالى وأنت بخير ثم أن علاء الدين أخذ عشرة أطباق ووضع فيها هدية سنية وطلع بها الديوان فـي ثاني يوم فبينما الخليفة قاعد على الكرسي في الديوان وإذا بعلاء الدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين:

تصـحبك السـعادة كـل يـوم	**بـإجلال علـى رغـم الحسـود**
ولا زالـت الأيـام لـك بيضـا	**وأيـام الـذي عـاداك سـود**

فقال له الخليفة مرحباً يا علاء الدين فقال علاء الدين يا أمير المؤمنين أن النبي ﷺ قبل الهديـة وهـذه العشرة أطباق وما فيها هدية مني إليك فقبل منه ذلك أمير المؤمنين وأمر له بخلعة وجعله شاه بندر التجـار

وأقعده في الديوان فبينما هو جالس وإذا نسيبه أبي زبيدة مقبل فوجد علاء الدين جالساً في رتبته وعليه خلعة فقال لأمير المؤمنين يا ملك الزمان لأي شيء هذا جالس في رتبتي وعليه هذه الخلعة فقال له الخليفة أنني جعلته شاه بندر التجار والمناصب تقليد لا تخليد وأنت معزول فقال له أنه منا وإلينا ونعم ما فعلت يا أمير المؤمنين ا يجعل خيارنا أولياء أمورنا وكم من صغير صار كبيراً ثم أن الخليفة كتب فرمانا لعلاء الدين أبو الشامات وهو مسموع الكلمة محفوظ الحرمة يجب له الإكرام والاحترام ورفع المقام فلما انفض الديوان نزل الوالي بالمنادي بين يدي علاء الدين وصار المنادي يقول ما شاه بندر التجار الأسيدي علاء الدين أبو الشامات فلما أصبح الصباح فتح دكاناً للعبد وأجلسه فيها يبيع ويشتري وأما علاء الدين فأنه كان يركب ويتوجه إلى مرتبته في ديوان الخليفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين كان يركب ويتوجه إلى ديوان الخليفة فأتفق أنه جالس في مرتبته يوماً على عادته فبينما هو جالس إلى ديوان الخليفة فاتفق أنه جالس في مرتبته يوماً على عادته فبينما هو جالس وإذا بقائل يقول للحليفة يا أمير المؤمنين تعيش راسك في فلان النديم فإنه توفى إلى رحمة ا تعالى وحياتك الباقية فقال الخليفة أين علاء الدين أبو الشامات فحضر بين يديه فلما رآه خلع عليه خلعة سنية وجعله نديمه وكتب له جامكية ألف دينار في كل شهر وأقام عنده يتنادم معه فاتفق أنه كان جالساً يوماً من الأيام في مرتبته على عادته في خدمة الخليفة وإذا بأمير طالع إلى الديوان بسيف وترس وقال يا أمير المؤمنين تعيش رأسك رئيس الستين فإنه مات في هذا اليوم فأمر الخليفة لعلاء الدين أبي الشامات وجعله رئيس الستين مكانه وكان رئيس الستين لا ولد له ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على ماله وقال الخليفة لعلاء الدين واره في التراب وخذ جميع ما تركه من مال وعبيد وجوار وخدم ثم نفض الخليفة المنديل وانفض الديوان فنزل علاء الدين وفي ركابه المقدم أحمد الدنف مقدم ميمنة الخليفة هو واتباعه الأربعون وفي يساره المقدم حسن شومان مقدم ميسرة الخليفة هو واتباعه الأربعون فالتفت علاء الدين إلى المقدم حسن شومان هو واتباعه وقال لهم أنتم سياق على المقدم أحمد الدنف لعله يقبلني ولده في عهد ا فقبله وقال له أنا واتباعي الأربعون نمشي قدامك إلى الديوان في كل يوم ثم أن علاء الدين مكث في خدمة الخليفة مدة أيام فاتفق أن علاء الدين نزل من الديوان يوماً من الأيام وسار إلى بيته وصرف أحمد الدنف هو ومن معه إلى حال سبيلهم ثم جلس مع زوجته زبيدة العودية وقد أوقدت الشموع وبعد ذلك قامت تزيل ضرورة فبينما هو جالس في مكانه إذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعاً لينظر الذي صرخ فرأى صاحب الصرخة زبيدة العودية وهي مطروحة فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة وكان بيت أبيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها فقال لعلاء الدين ما الخبر يا سيدي علاء الدين فقال له تعيش رأسك يا والدي في بنتك زبيدة العودية ولكن يا والدي أكرام الميت دفنه فلما أصبح الصباح واروها في التراب وصار علاء الدين يعزى أباها وأباها يعزيه هذا ما كان من أمر زبيدة العودية (وأما) ما كان من أمر علاء الدين فأنه لبس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وصار باكي العين حزين القلب فقال الخليفة لجعفر يا وزيري ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان فقال له الوزير يا أمير المؤمنين أنه حزين القلب على امرأته زبيدة مشغول بعزائها فقال الخليفة للوزير

واجب علينا أن نعزيه فقال الوزير سمعاً وطاعة ثم نزل الخليفة هو والوزير وبعض الخدم وركبوا وتوجهـوا إلى بيت علاء الدين فبينما هو جالس وإذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليه فقـام لملتقـاهم وقبـل الأرض بين يدي الخليفة فقال له الخليفة عوضك ا خيراً فقال علاء الدين أطال ا لنـا بقـاءك يـا أميـر المؤمنين فقال الخليفة يا علاء الدين ما سبب انقطاعك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لعلاء الدين ما سبب انقطاعك عن الديوان فقال له حزنـي على زوجتي زبيدة يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة ادفع الهم عن نفسك فإنها ماتت إلى رحمـة ا تعـالى والحزن لا يفيدك شيئاً أبداً فقال يا أمير المؤمنين أنا لا أترك الحزن عليها إلا إذا مت ودفنوني عندها فقال له الخليفة أ، في ا عوضاً من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال و در من قال:

كل ابـن أنثـى وإن طالبـت سـلامته	**يومــاً علــى آلــة حــدباء محمــول**
وكيــف يلهــوا بعــيش أو يلــذ بــه	**مــن التــراب علــى خديــه مجعــول**

ولما فرغ الخليفة من تعزيته أوصاه أنه لا ينقطع عن الديوان وتوجه إلى محله ثم بات علاء الدين ولما أصبح الصباح ركب وسار إلى الديوان فدخل على الخليفة وقبل الأرض بين يديه فتحرك له الخليفة من على الكرسي ورحب به وحياه وأنزله في منزلته وقال له يا علاء الدين أنت ضيفي في هذه الليلة ثـم دخـل بـه سرايته ودعا بجارية تسمى قوت القلوب وقال لها أن علاء الدين كان عنده زوجة تسمى زبيدة العودية وكانت تسليه عن الهم والغم فماتت إلى رحمة ا تعالى ومرادي أن تسمعيه نوبة على العود وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لجاريته قوت القلوب مرادي أن تسمعيه نوبة على العـود من غرائب الموجود لأجل أن يتسلى عن الهم والأحزان فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب فقال الخليفة ما تقول يا علاء الدين في صوت هذه الجارية فقال له أن زبيدة أحسن صوتاً منها إلا أنها صاحبة صناعة في ضرب العود لأنها تطرب الحجر الجلمود فقال له هل هي أعجبتك فقال له أعجبتني يا أمير المـؤمنين فقـال الخليفة وحياة رأسي وتربة جدودي أنها هبة مني إليك هي وجواريها فظن علاء الدين أن الخليفة يمزح معـه فلما أصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب وقال لها أنا وهبتك لعلاء الدين ففرحت بذلك لأنهـا رأتـه واحبته ثم تحول الخليفة من قصر السراية إلى الديوان ودعا بالحمالين وقال لهم انقلوا أمتعة قـوت القلـوب وحطوها في التختروان هي وجواريها إلى بيت علاء الدين فنقلوها هي وجواريها وامتعتها إلى بيـت عـلاء الدين وأدخلوها القصر وجلس الخليفة في مجلس الحكم إلى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل قصره هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قوت القلوب فإنها لما دخلت قصر علاء الدين هي وجواريهـا وكـانوا أربعين جارية غير الطواشيه قالت لأثنين من الطواشية أحدكما يقعد على كرسي في ميمنة الباب والثاني يقعد على كرسي في ميسرته وحين يأتي علاء الدين قبلا يديه وقولا له أن سيدتنا قوت القلوب تطلبك إلى القصـر فإن الخليفة وهبها لك هي وجواريها فقالا لها سمعاً وطاعة ثم فعلا ما أمرتهما به فلما أقبل علاء الدين وجـد

أثنين من طواشيه الخليفة جالسين بالباب فاستغرب الأمر وقال في نفسه لعل هذا ما هو بيتي وإلا فما الخبـر فلما رأته الطواشية قاموا إليه وقبلوا يديه وقالوا نحن من اتباع الخليفة ومماليك قوت القلوب وهي تسلم عليك وتقول لك أن الخليفة قد وهبها لك هي وجواريها وتطلبك عندها فقال لهم قولوا لها مرحباً بك ولكن ما دمـت عنده ما يدخل القصر الذي أنت فيه لأن ما كان للمولى لا يصلح أن يكون للخدام وقـولا لهـا مـا مقـدار مصروفك عند الخليفة في كل يوم فطلعوا إليها وقالوا لها ذلك فقالت كل يوم مائة دينار فقال لنفسه أنا لـيس لي حاجة بأن يهب لي الخليفة قوت القلوب حتى أصرف عليها هذا المصروف ولكن لا حيلة في ذلك ثم إنها أقامت عنده مدة أيام وهو مرتب لها في كل يوم مائة دينار إلى أن انقطع علاء الدين عن الديوان يومـاً مـن الأيام فقال الخليفة للوزير جعفر أنا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين إلا لتسلية عن زوجتـه ومـا سـبب انقطاعه عنا فقال يا أمير المؤمنين لقد صدق من قال من لقي أحبابه نسي أصحابه فقال الخليفة لعله ما قطعه عنا إلا عذر ولكن نحن نزوره وكان قبل ذلك بأيام قال علاء الدين للوزير أنا شكوت للخليفة ما أجـده مـن الحزن على زوجتي زبيدة العودية فوهب لي قوت القلوب فقال له الوزير لولا أنه يحبك ما وهبها لك وهـل دخلت بها يا علاء الدين فقال لا وا لا أعرف لها طولاً من عرض فقال له ما سبب ذلك فقال يا وزير الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام ثم أن الخليفة وجعفر اختفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزالا سائرين إلى أن دخلا على علاء الدين فعرفهما وقام وقبل يد الخليفة فلما رآه الخليفة وجد عليه علامة الحزن فقال له يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذي أنت فيه أما دخلت على قوت القلوب فقال يا أمير المؤمنين الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وأنني إلى الآن ما دخلت عليها ولا أعرف لها طولاً من عرض فأقلني منها فقال الخليفـة أن مرادي الاجتماع بها حتى أسألها عن حالها فقال علاء الدين سمعاً وطاعة يا أمير المـؤمنين فـدخل عليهـا الخليفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة دخل على قوت القلوب فلما رأته قامت وقبلـت الأرض بـين يديه فقال لها هل دخل بك علاء الدين فقالت لا يا أمير المؤمنين وقد أرسلت أطلبه للدخول فلم يرض فـأمر الخليفة برجوعها إلى السراية وقال لعلاء الدين لا تنقطع عنا ثم توجه الخليفة إلى داره فبات علاء الدين تلـك الليلة ولما أصبح ركب وسار إلى الديوان فجلس في رتبة رئيس الستين فأمر الخليفة الخازنـدار أن يعطـي للوزير جعفر عشرة آلاف دينار فأعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير الزمتك أن تنزل إلى سوق الجواري وتشتري لعلاء الدين بالعشرة آلاف دينار جارية فامتثل الوزير أمر الخليفة وأخذ معه علاء الدين وسار بـه إلى سوق الجواري فاتفق في هذا اليوم أن وأنني ببغداد الذي من طرف الخليفة وكان اسمه الأمير خالد نـزل إلى السوق لأجل اشتراء جارية لولده وسبب ذلك أنه كان له زوجة تسمى خاتون وكان رزق منها بولد قبـيح المنظر يسمى حبظلم بظاظة وكان بلغ من العمر عشرين سنة ولا يعرف أن يركب الحصـان وكـان أبـوه شجاعاً قرما مناعاً وكان يركب الخيل ويخوض بحار الليل فنام حبظلم بظاظة في ليله مـن الليـالي فـاحتلم فأخبر والدته بذلك ففرحت وأخبرت والده بذلك وقالت مرادي أن تزوجه فإنه صار يستحق الزواج فقال لهـا هذا قبيح المنظر كريه الرائحة دنس وحش لا تقبله واحدة من النساء فقالت تشتري له جارية فلأمر قـدره ا

تعالى أن اليوم الذي نزل فيه الوزير وعلاء الدين إلى السوق نزل فيه الأمير خالد الوالي هو وولده حـبظلم بظاظة فبينما هم في السوق وإذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال في رد رجل دلال فقال الوزير شاور يا دلال عليها بألف دينار فمر بها على الوالي فرآها حبظلم بظاظة نظرة أعقبته النظرة ألف حسرة وتولع بها وتمكن منه حبها فقال يا أبت اشتري هذه الجارية فناد الدلال وسأل الجارية عن اسمها فقالت له إسمي ياسمين فقال له أبوه يا ولدي إن كانت أعجبتك فزد في ثمنها فقال يا دلال كم معك من الثمن قال ألف دينار قال علي بألف دينار ودينار فجاء لعلاء الدين فعملها بألفين فصار كلما يزيد الوليد ابن الوالي ديناراً في الـثمن يزيـد علاء الدين ألف دينار فاغتاظ بن الوالي وقال يا دلال من يزيد علي في ثمن الجارية فقـال لـه الـدلال أن الوزير جعفر يريد أن يشتريها لعلاء الدين أبي الشامات فعملها علاء الدين بعشرة آلاف دينار فسمح له سيدها وقبض ثمنها وأخذها علاء الدين وقال لها اعتقتك لوجه ا تعالى ثم أنه كتب كتابه عليها وتوجه بهـا إلـى البيت ورجع الدلال ومعه دلالته فناداه أبن الوالي وقال له أين الجارية فقال له اشتراها علاء الـدين بعشـرة آلاف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها فانكمد الولد وزادت به الحسرات ورجع ضعيفاً إلى البيت من محبتـه لها وأرتمى في الفرش وقطع الزاد وزاد به العشق والغرام فلما رأته أمه ضعيفاً قالت له سلامتك يا ولدي ما سبب ضعفك قال لها اشتري لي ياسمين يا أمي قالت له لما يفوت صاحب الرياحين اشتري لك جنبة ياسـمين فقال لها ليس الياسمين الذي يشم وإنما هي جارية اسمها ياسمين لم يشترها لي أبي فقالت لزوجها لأي شـيء ما اشتريت له هذه الجارية فقال لها الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وليس لي قدرة على أخذها فإنه مـا اشتراها إلا علاء الدين رئيس الستين فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد وقطع الزاد وتعصبت أمه بعصائب الحزن فبينما هي جالسة في بيتها حزينة على ولدها وإذا بعجوز دخلت عليها اسمها أم أحمد قمـاقم السـراق وكان هذا السراق ينقب وسطانياً ويلقف فوقانياً ويسرق الكحل من العين وكان بهذه الصفات القبيحة فـي أول أمره ثم عملوه مقدم الدرك فسرق عمله فوقع بها وهجم عليه الوالي فأخذه وعرضه على الخليفة فأمر بقتلـه في نفعة الدم فاستجار بالوزير وكان للوزير عند الخليفة شفاعة لا ترد فشفع فيه فقال له الخليفة كيف تشـفع في آفة تضر الناس فقال له يا أمير المؤمنين فإن الذي بنى السجن كان حكيماً لأن السجن قبر الأحياء وشماتة العداء فأمر الخليفة بوضعه في قيد وكتب على قيد مخلد إلى الممات لا يفك إلا على دكة المغسـل فوضـعوه مقيد في السجن وكانت أمه تتردد على بيت الأمير خالد الوالي وتدخل لأبنها في السجن وتقول له أما قلت لك تب عن الحرام فيقول لها قدر اه على ذلك ولكن يا أمي إذا دخلت على زوجة الوالي فخليها تشفع لي عنـده فلما دخلت العجوز على زوجة الوالي وجدتها معصبة بعصائب الحزن فقالت لها مالك حزينة فقالت لها على فقد ولدي حبظلم بظاظة فقالت لها سلامة ولدك ما الذي أصابه فحكت لها الحكاية فقالت لها العجوز ما تقولين فيمن يلعب منصفاً يكون فيه سلامة ولدك فقالت لها وما الذي تفعليه فقالت أنا لي ولد يسـمي أحمـد قمـاقم السراق وهو مقيد في السجن مكتوب على قيده مخلد إلى الممات وأنت تقومين وتلبسين أفخـر مـا عنـدك وتتزينين بأحسن الزينة وتقابلين وجهك ببشر وبشاشة فإذا طلب منك ما يطلب الرجال من النساء فامتنعي منه ولا تمكنيه وقولي له يا العجب إذا كان للرجل حاجة عند زوجته يلح عليها حتى يقضيها منهـا وإذا كـان للزوجة عند زوجها حاجة فإنه لا يقضيها لها فيقول لك وما حاجتك فقولي له حتى تحلف لي فإذا حلـف لـك

بحياة رأسه أو با   فقولي له أحلف لي بالطلاق مني ولا تمكنيه إلا أن حلف لك بالطلاق فـإذا حلـف لـك بالطلاق فقولي له عندك في السجن واحد مقدم إسمه أحمد قماقم وله أم مسكينة وقد وقعت على وساقتني عليك وقالت لي خليه يشفع له عند الخليفة لأجل أن يتوب ويحصل له الثواب فقالت لها سمعاً وطاعة فلمـا دخـل الوالي على زوجته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوالي لما دخل على زوجته قالت له ذلك الكلام وحلف لها بـالطلاق فمكنته وبات ولما أصبح الصباح اغتسل وصلي الصبح وجاء إلى السجن وقال يا أحمد قماقم يا سـراق هـل تتوب مما أنت فيه فقال أني تبت إلى ا   ورجعت وأقول بالقلب واللسان استغفر ا   فأطلقه الوالي من السجن وأخذه معه إلى الديوان وهو في القيد ثم تقدم إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه فقال له يا أمير خالد أي شيء تطلب فتقدم أحمد قماقم يخطر في القيد قدام الخليفة فقال له يا قماقم هل أنت حي إلى الآن فقـال يـا أميـر المؤمنين أن عمر الشقي بقي فقال يا أمير خالد لأي شيء جئت به هنا فقال له أن له أم مسكينة منقطعة وليس لها أحد غيره وقد وقعت على عبدك أن يتشفع عندك يا أمير المؤمنين في أنك تفكه من القيد وهو يتوب عمـا كان فيه وتجعله مقدم الدرك كما كان أولاً فقال الخليفة لاحمد قماقم هل تبت عما كنت فيه فقال له تبت إلـى ا   يا أمير المؤمنين فأمر بإحضار الحداد وفك قيده على دكة المغسل وجعله مقدم الدرك وأوصـاه بالمشـي الطيب والاستقامة فقبل يد الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا له بالتقديم فمكث مدة من الزمان في منصبه ثـم دخلت على زوجة الوالي فقالت لها الحمد   الذي خلص ابنك من السجن وهو على قيد الصـحة والسـلامة فلأي شيء لم تقولي له يدبر أمراً في مجيئه بالجارية ياسمين إلى ولدي حبظلم بظاظة فقالت أقول له ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكراناً فقالت له يا ولدي ما سبب خلاصك من السجن إلا زوجة الوالي وتريد منك أن تدبر لها أمراً في قتل علاء الدين أبي الشامات وتجيء بالجارية ياسمين إلـى ولـدها حـبظلم بظاظة فقال لها هذا أسهل ما يكون ولابد أن أدبر له أمراً في هذه الليلة وكانت تلك الليلة أول ليلة في الشـهر الجديد وعادة أمير المؤمنين أن يبيت فيها عند السيدة زبيدة لعتق جارية أو مملوك أو نحو ذلك وكان من عادة الخليفة أن يقلع بدلة الملك ويترك السبحة والنمشة وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسي في قاعة الجلوس وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيه ثلاث جواهر منظومة في سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزاً عند الخليفة ثم أن الخليفة وكل الطواشية بالبدلة والمصباح وباقي الأمتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة فصبر أحمد قماقم السراق لما انتصف الليل وأضاء سهيل ونامت الخلائق وتجلى عليهم بالستر الخالق ثم سحب سيفه في يمينه وأخذ مقلفه في يساره وأقبل على قاعة الجلوس التي للخليفة ونصب سلم التسليم ورمى ملقفه علـى قاعة الجلوس فتعلق بها وطلع على السلم إلى السطوح ورفع طابق القاعة ونزل فيها فوجد الطواشية نـائمين فبنجهم وأخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمشة والمنديل والخاتم والمصباح الذي بالجواهر ثم نزل من الموضـع الذي طلع منه وسار إلى بيت علاء الدين أبي الشامات وكان علاء الدين في هذه الليلة مشغولاً بفرح الجارية فدخل عليها وراحت منه حاملاً فنزل أحمد قماقم السراق على قاعة علاء الدين وقلع لوحاً رخامـاً مـن دار قاعة القاعة وحفر تحته ووضع بعض المصالح وأبقى بعضها معه ثم جبس اللوح الرخام كما كان ونزل مـن

الموضع الذي طلع منه وقال في نفسه أنا أقعد أسكر وأحط المصباح قدامي وأشرب الكاس على نوره ثم سار إلى بيته فلما أصبح الصباح ذهب الخليفة إلى القاعة فوجد الطواشية مبنجين فأيقظهم وحط يده فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمشة ولا المنديل ولا المصباح فاغتاظ لذلك غيظاً شديداً ولبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء وجلس في الديوان فتقدم الوزير وقبل الأرض بين يديه وقال يكفي ا شر أمير المؤمنين فقال له يا وزير أن الشر فايض فقال له الوزير أي شيء حصل فحكى له جميع ما وقع وإذا بالوالي طالع وفي ركابه أحمد قماقم السراق فوجد الخليفة في غيظ عظيم فلما نظر الخليفة إلى الوالي قال له يا أمير خالد كيف حال بغداد فقال له سالمة أمينة فقال له تكذب فقال له لأي شيء يا أمير المؤمنين فقص عليه القصة وقال له الزمتك أن تجيء لي بذلك كله فقال له يا أمير المؤمنين دود الخل منه فيه ولا يقدر غريب أن يصل إلى هذا المحل أبداً فقال إن لم تجيء لي بهذه الأشياء قتلتك فقال له قبل أن تقتلني اقتل أحمد قماقم السراق فإنه لا يعرف الحرامي والخائن إلا مقدم الدرك فقال أحمد قماقم وقال للخليفة شفعني في الوالي وأنا أضمن لك عهدة الذي سرق وأقص الأثر وراءه حتى أعرف ولكن أعطني اثنين من طرف القاضي وأثنين من طرف الوالي فإن الذي فعل هذا الفعل لا يخشاك ولا يخشى من الوالي ولا من غيره فقال الخليفة لك ما طلبت ولكن أول التفتيش يكون في سرايتي وبعدها سراية الوزير وفي سراية رئيس الستين فقال أحمد قماقم صدقت يا أمير المؤمنين ربما يكون الذي عمل هذه العملة واحد قد تربى في سراية أمير المؤمنين أو في أحد من خواصه فقال الخليفة وحياة رأسي كل من ظهرت عليه هذه العملة لابد من قتله ولو كان ولدي ثم أن أحمد قماقم أخذ ما أراده وأخذ فرماناً بالهجوم على البيوت وتفتيشها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد قماقم أخذ ما أراده وأخذ فرماناً بالهجوم على البيوت وتفتيشها ونزل وبيده قضيب ثلثه من الشوم وثلثه من النحاس وثلثه من الحديد ومن الفولاذ وفتش سراية الخليفة وسراية الوزير جعفر ودار على بيوت الحجاب والنواب إلى أن مر على بيت علاء الدين أبي الشامات فلما سمع الضجة علاء الدين قدام بيته قام من عند ياسيمين زوجته ونزل وفتح الباب فوجد الوالي في كركبة فقال له ما الخبر يا أمير خالد فحكى له جميع القضية فقال علاء الدين أدخلوا بيتي وفتشوه فقال الوالي العفو يا سيدي أنت أمين وحاشا أن يكون الأمين خائناً فقال له لابد من تفتيش بيتي فدخل الوالي والقضاة والشهود وتقدم أحمد قماقم إلى دار قاعة القاعة وجاء إلى الرخامة التي دفن تحتها الأمتعة وأرخي القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة وإذا بشيء ينور تحتها فقال المقدم بسم ا ما شاء ا على بركة قدومنا انفتح لنا كنز أريد أن أنزل إلى هذا المطلب وانظر ما فيه فنظر القاضي والشهود إلى ذلك المحل فوجدوا الأمتعة بتمامها فكتبوا ورقة مضمونها أنهم وجدوا الأمتعة في بيت علاء الدين ثم وضعوا في تلك الورقة ختومهم وأمروا بالقبض على علاء الدين وأخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ما له ورزقه في قائمة وقبض أحمد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت حاملاً من علاء الدين وأعطاها لأمه وقال لها سلميها لخاتون امرأة الوالي فأخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالي فلما رآها حبظلم بظاظة جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحاً شديداً وتقرب إليها فسحبت خنجراً من حياصتها وقالت له أبعد عني

وإلا أقتلك وأقتل نفسي فقالت له أمه خاتون يا عاهرة خلي ولدي يبلغ منك مراده فقالت لها يا كلبـة فـي أي مذهب يجوز للمرأة أن تتزوج بأثنين وأي شيء أوصل الكلاب أن تدخل في مواطن السباع فزاد بالولد الغرام وأضعفه الوجد والهيام وقطع الزاد ولزم الوساد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حبظلم بظاظة قطع الزاد ولزم الوساد فقالت لها امرأة الوالي يا عاهرة كيف تحسريني على ولدي لابد من تعذيبك وأما علاء الدين فإنه لابد من شنقه فقالت لها أنا أموت على محبته فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير وألبسها لباساً من الخيش وقميصاً من الشعر وأنزلتها في المطبخ وعملتها من الجواري الخدمة وقالت لها جـزاؤك أنـك تكسـرين الحطـب وتقشرين البصل وتحطين النار تحت الحلل فقالت لها أرضي بكل عذاب وخدمة ولا أرضى برؤيـة ولـدك فحنن ا عليها قلوب الجواري وصرن يتعاطين الخدمة عنها في المطبخ هذا ما كان من أمر ياسمين (وأمـا) ما كان من أمر علاء الدين أبي الشامات فإنهم أخذوه هو وأمتعة الخليفة وساروا به إلـى أن وصـلوا إلـى الديوان فبينما الخليفة جالس على الكرسي وإذا بهم طالعون بعلاء الدين ومعه الأمتعـة فقـال الخليفـة أيـن وجدتموها فقالوا له في وسط بيت علاء الدين أبي الشامات فامتزج الخليفة بالغضب وأخذ الأمتعة فلـم يجـد المصباح فقال يا علاء الدين أين المصباح فقال أنا ما سرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معي خبر فقال له يـا خائن كيف أقربك إلى وتبعدني عنك وأستأمنك وتخونني ثم أمر بشنقه فنزل به إلى الوالي والمنـادي ينـادي علهي هذا جزاء وأقل من جزاء من يخون الخلفاء الراشدين فاجتمع الخلائق عند المشنقة هذا ما كان من أمر علاء الدين (وأما) ما كان من أمر أحمد الدنف كبير علاء الدين فإنه كان قاعداً هو واتباعه على بستان فبينما هم جالسون في حظ وسرور وإذا برجل سقاء من السقايين الذين في الديوان دخل عليهم وقبل يد أحمد الدنف ما الخبر فقال السقاء أن ولدك في عهد ا علاء الدين نزلوا به إلى المشنقة فقال الدنف ما عندك من الحيلة يا حسن شومان فقال له علاء الدين بريء من هذا الأمر وهذا ملعوب عليه من واحد عدو فقال له مـا الـرأي عندك فقال خلاصه علينا إن شاء المولى ثم أن حسن شومان ذهب إلى السجن وقال للسجان أعطنـا واحـداً يكون مستوجباً للقتل فأعطاه واحداً وكان شبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات فغطى رأسه وأخذه أحمد الدنف بينه وبين علي الزيبق المصري وكانوا قدموا علاء الدين إلى الشنق فتقدم الدنف وحط رجلـه علـى رجـل المشاعل فقال له المشاعلي أعطني الوسع حتى أعمل صنعتي فقال له يا لعين خذ هذا الرجل وأشنقه موضـع علاء الدين أبي الشامات فإنه مظلوم وأنفذي إسماعيل بالكبس فأخذ المشاعلي ذلك الرجل وشنقه عوضاً عـن علاء الدين ثم أن أحمد الدنف وعلي الزيبق المصري أخذ علاء الدين وسارا به إلى قاعة أحمد الدنف فلمـا دخلوا عليه قال له علاء الدين جزاك ا خيراً يا كبيري فقال له أحمد الدنف ما هذا الفعل الي فعلتـه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف قال لعلاء الدين ما هذا الفعل الذي فعلته ورحـم ا مـن قال من أئتمنك فلا تخونه ولو كنت خائناً والخليفة مكنك عنده وسماك بالثقة الأمين كيف تفعـل معـه هكـذا

وتأخذ أمتعته فقال علاء الدين والأسم الأعظم يا كبيري ما هي عملتي ولا لي فيها ذنب ولا أعرف من عملها فقال أحمد الدنف إن هذه العملة ما عملها إلا عدو مبين ومن فعل شيئاً يجازي به ولكن يا علاء الدين أنت ما بقي لك إقامة في بغداد فإن الملوك لا تعادي يا ولدي ومن كانت الملوك في طلبه يا طول تعبه فقـال عـلاء الدين أين أروح يا كبيري فقال له أنا أوصلك إلى الاسكندرية فإنها مباركة وعتبتها خضراء وعيشتها هنيئـة فقال له سمعاً وطاعة يا كبيري فقال أحمد الدنف لحسن شومان خل بالك وإذا سأل عني الخليفة فقل لـه أنـه راح يطوف على البلاد ثم أخذه وخرج من بغداد ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى الكروم والبساتين فوجـدا يهودين من عمال الخليفة راكبين على بغلتين فقال أحمد الدنف لليهوديين هاتوا الغفر فقال اليهوديان نعطيـك الغفر على أي شيء فقال لهما أنا غفير هذا الوادي فأعطاه كل واحد منهما مائة دينار وبعد ذلك قتلهما أحمـد الدنف وأخذ البغلتين فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسار إلى مدينة أياس فأدخلا البغلتين في خان وباتا فيه ولما أصبح الصباح باع علاء الدين بغلته وأوصى البواب على بغلة أحمد الدنف ونزل في مركـب مـن مينة أياس حتى وصلا إلى الاسكندرية فطلع أحمد الدنف ومعه علاء الدين ومشيا في السوق وإذا بدلال يدلل على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين فقال علاء الدين علي بألف فسمح له البائع وكانت لبيت المال فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلاً فيه قلاع وصواري وحبال وصناديق وأجربة ملآنة خرزاً وودعـا وركابـات وأطيـاراً ودبـابيس وسكاكين ومقصات وغير ذلك لأن صاحبه كان سقطياً فقعد علاء الدين أبو الشامات في الدكان وقال له أحمد الدنف يا ولدي الدكان والطبقة وما فيها صارت ملكك فاقعد فيها وبع واشتري ولا تنكري فإن ا تعالى بارك في التجارة وأقام عنده ثلاثة أيام واليوم الرابع أخذ خاطره وقال له استقر في هذا المكان حتى أروح وأعـود إليك بخبر من الخليفة بالأمان عليك وأنظر الذي عمل معك هذا الملعوب ثم توجه مسافراً حتى وصـل إلـى إياس فأخذ البغلة من الخان وسار إلى بغداد فاجتمع بحسن شومان وأتباعه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف أجتمع بحسن شومان وأتباعه وقال يا حسن هل الخليفـة سأل عني فقال لا ولا خطرت على باله فقام في خدمة الخليفة وصار يستنشق الأخبار فرأى الخليفة التفت إلى الوزير جعفر يوماً من الأيام وقال له أنظر يا وزير هذه العملة التي فعلها معي علاء الدين فقال له يا أميـر المؤمنين أنت جازيته بالشنق وجزاؤه ما حل به فقال له يا وزير مرادي أن أنزل وأنظره وهو مشنوق فقـال الوزير أفعل ما شئت يا أمير المؤمنين فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر إلى جهة المشنقة ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين فقال يا وزير هذا ما هو علاء الدين فقال له كيف عرفت أنه غيره فقال أن علاء الدين كان قصيراً وهذا طويل فقال له الوزير أن المشنوق يطول فقال لـه أن عـلاء الدين كان قصيراً وهذا طويل فقال له الوزير أن المشنوق يطول فقال له أن علاء الدين كان أبـيض وهـذا وجهه أسود فقال له أما تعلم يا أمير المؤمنين أن الموت له غبرات فأمر بتنزيله من فوق المشنقة فلما أنزلوه وجد مكتوباً على كعبيه الأثنين أسما الشيخين فقال له يا وزير إن علاء الدين كان سنياً وهذا رافضي فقال له

سبحان ا علام الغيوب ونحن لا نعلم هل هذا علاء الدين أو غيره فأمر الخليفة بدفنه فدفنوه وصار علاء الدين نسياً منسياً هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر حبظلم بظاظة ابن الوالي فإنه قد طاب به العشق والغرام حتى مات وواروه في التراب (وأما) ما كان من أمر الجارية ياسمين فإنها وفت حملها ولحقها الطلق فوضعت ذكراً كأنه القمر فقال لها الجواري ما تسميه فقالت لو كان أبوه طيباً كان سماه ولكن أنا أسميه أصلان ثم أنها أرضعته اللبن عامين متتابعين وفطمته وحبي ومشي فأتفق أن أمه اشتغلت بخدمة المطبخ يوماً من الأيام فمشى الغلام ورأى سلم المقعد فطلع عليه وكان الأمير خالد الوالي جالساً فأخذه وأقعده في حجره وسبح مولاه فيما خلق وصور وتأمل وجهه فرآه شبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات ثم أن أمه ياسمين فتشت عليه فلم تجده فطلعت المقعد فرأت الأمير خالد جالساً والولد في حجره يلعب وقد ألقى ا محبة الولد في قلب الأمير خالد فالتفت الولد فرأى أمه فرمي نفسه عليها فزنقه الأمير خالد في حضنه وقال لها تعالي يا جارية فلما جاءت قال لها هذا الولد ابن من فقالت له هذا ولدي وثمرة فؤادي فقال لها ومن أبوه فقالت أبوه علاء الدين أبو الشامات والآن صار ولدك فقال لها إن علاء الدين كان خائناً فقالت سلامته من الخيانة حاشا وكلا أن يكون الأمين خائناً فقال لها إذا كبر هذا الولد ونشأ وقال لك من أبي فقولي له أنت ابن الأمير خالد الوالي صاحب الشرطة فقالت له سمعاً وطاعة ثم إن الأمير خالد طاهر الولد ورباه وأحسن تربيته وجاء له بفقيه خطاط فعلمه الخط والقراءة فقرأ وأعاد وختم وصار يقول للأمير خالد يا والدي وصار الوالي يعمل في الميدان ويجمع الخيل وينزل يعلم الولد أرباب الحرب ومقام الطعن والضرب إلى أن انتهى في الفروسية وتعلم الشجاعة وبلغ من العمر أربع عشرة سنة ووصل إلى درجة الأمارة فاتفق أن أصلان اجتمع مع أحمد قماقم السراق يوماً من الأيام وصارا أصحاباً فتبعه إلى الخمارة وإذا بأحمد قماقم السراق أطلع المصباح الجوهر الذي أخذه من أمتعة الخليفة وحطه قدامه وتناول الكاس على نوره وسكر فقال له أصلان يا مقدم أعطني هذا المصباح فقال له ما أقدر أن أعطيك إياه فقال له لأي شيء وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أصلان قال لأحمد قماقم لأي شيء فقال لأنه راحت على شأنه الأرواح فقال له أي روح راحت على شأنه فقال له كان واحد جاءنا هنا وعمل رئيس الستين يسمي علاء الدين أبا الشامات ومات بسبب ذلك فقال له وما حكايته وما سبب موته فقال له كان لك أخ يسمي حبظلم بظاظة وبلغ من العمر ستة عشر عاماً حتى استحق الزواج وطلب أبوه أن يشتري له جارية وأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها وأعلمه بضعف حبظلم بظاظة وما وقع لعلاء الدين ظلماً فقال أصلان في نفسه لعل هذه الجارية ياسمين أمي وما أبي إلا علاء الدين أبو الشامات فطلع الولد أصلان من عنده حزيناً فقابل المقدم أحمد الدنف فلما رآه أحمد الدنف قال سبحان من لا شبيه له فقال له حسن شومان يا كبيري من أي شيء تتعجب فقال له من خلقة هذا الوجد أصلان فإنه أشبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات فناد أحمد الدنف وقال يا أصلان فرد عليه فقال هل ما أسم أمك فقال له تسمى الجارية ياسمين فقال له يا أصلان طب نفساً وقر عيناً فإنه ما أبوك إلا علاء الدين أبو الشامات ولكن يا ولدي أدخل على أمك واسألها عن أبيك فقال سمعاً

وطاعة ثم دخل على أمه وسأله ا فقالت له أبوك الأمير خالد فقال لها ما أبي إلا علاء الدين أبـو الشـامات فبكت أمه وقالت له من أخبرك بهذا يا ولدي فقال المقدم أحمد الدنف أخبرني بذلك فحكت له جميع ما جـرى وقالت له يا ولدي قظهر الحق واختفى الباطل واعلم أن أباك علاء الدين أبو الشامات إلا أنه مـا ربـاك إلا الأمير خالد وجعلك ولده فيا ولدي أن اجتمعت بالمقدم أحمد الدنف قل له يا كبيري سألتك با الآن تأخذ لـي ثاري من قاتل أبي علاء الدين أبي الشامات فطلع من عندها وسار وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أصلان طلع من عند أمه وسار إلى أن دخل على المقدم أحمد الـدنف وقبل يده فقال له مالك يا أصلان فقال له إنني قد عرفت وتحققت أن أبي علاء الدين أبو الشامات ومرادي أنك تأخذ لي ثأري من قاتله فقال له من الذي قتل أباك فقال له أحمد قماقم السراق فقال له ومن أعلمك بهذا الخبر فقال رأيت معه المصباح الجوهر الذي ضاع من جملة أمتعة الخليفة وقلت له أعطني هذا المصباح فما رضي وقال لي هذا١ا راحت على شأنه الأرواح وحكى لي أنه هو الذي نزل وسرق العملة ووضعها فـي دار أبـي فقال له أحمد الدنف إذا رأيت الأمير خالد الوالي يلبس لباس الحرب فقل له ألبسني مثلك فإذا طلعـت معـه وأظهرت باباً من أبواب الشجاعة قدام أمير المؤمنين فإن الخليفة يقول لك بمن علي يا أصلان فقل له أتمنـى عليك أن تأخذ لي ثار أبي من قاتله فيقول لك أن أباك حي وهو الأمير خالد الوالي فقل له أن أبي علاء الدين أبو الشامات وخالد الوالي له علي حق التربية فقط وأخبره بجميع ما وقع بينك وبين أحمد قماقم السراق وقـل له يا أمير المؤمنين أؤمر بتفتيشه وأنا أخرجه من جيبه فقال له سمعاً وطاعة ثم طلع أصلان فوجـد الأميـر خالداً يتجهز إلى طلوعه ديوان الخليفة فقال له مرادي أن تلبسني لباس الحرب مثلك وتأخذني معك إلى ديوان الخليفة فألبسه وأخذه معه إلى الديوان ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلع بالأكرة والصولجان فصار الفارس منهم يضرب الأكرة بالصولجان فيردها عليـه الفـارس الثاني وكان بين العسكر واحد جاسوس مغري على قتل الخليفة فأخذ الأكرة وضربها الصـولجان وحررهـا على وجه الخليفة وإذا بأصلان استلقاها عن الخليفة وضربها راميها فوقعت بين أكتافه فوقـع علـى الأرض فقال الخليفة بارك ا فيك يا أصلان ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسـي وأمـر الخليفـة بإحضار الذي ضرب الأكرة فلما حضر بين يديه قال له من أغراك على هذا الأمر وهل أنت عدو أو حبيب فقال له أنا عدو وكنت مضمر قتلك فقال له ما سبب ذلك أما أنت مسلم فقال لا وأنما أنار رافضي فأمر الخليفـة بقتله وقال لأصلان تمن علي فقال له أتمنى عليك أن تأخذ لي ثار أبي من قاتله فقال له أن أباك حـي وهـو واقف على رجليه فقال له من هو أبي فقال له الأمير خالد الوالي فقال له يا أمير المؤمنين ما هو أبي إلا في التربية وما والدي إلا علاء الدين أبو الشامات فقال له أن أباك كان خائناً فقال يا أمير المـؤمنين حاشـا أن يكون الأمين خائناً وما الذي خانك فيه فقال له سرق بدلتي وما معها فقال يا أمير المؤمنين حاشا أن يكون أبي خائناً ولكن يا سيدي لما عدمت بدلتك وعادت إليك هل رأيت المصباح رجع إليك أيضاً فقال ما وجدناه فقـال أنا رأيته مع أحمد قماقم وطلبته منه فلم يعطه لي وقال هذا راحت عليه الأرواح وحكى لـي عـن ضـعف حبظلم بظاظة أبن الأمير خالدوعشقه للجارية ياسمين وخلاصة من القيد وانه هو الذي سرق البدلة والمصباح

وأنت يا أمير المؤمنين تأخذ لي بثار والدي من قاتله فقال الخليفة اقبضوا على أحمد قماقم فقبضوا عليه وقال أين المقدم أحمد الدنف فحضر بين يديه فقال له الخليفة فتش قماقم فحط يديه في جيبه فأطلع منـه المصـباح الجوهر فقال الخليفة تعال يا خائن من أين لك هذا المصباح فقال له اشتريته يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة من أين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك وضربوه فأقر أنه هو الذي سرق البدلة والمصباح فقال له الخليفة لأي شيء تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين أبا الشامات وهو الثقة الأمين ثـم أمـر الخليفة بالقبض عليه وعلى الوالي فقال الوالي يا أمير المؤمنين أنا مظلوم وأنت أمرتني بشنقه ولم يكن عندي خبر بهذا الملعوب فإن التدبير كان بين العجوز وأحمد قماقم وزوجتي وليس عندي خبر وأنا في جيرتك يـا أصلان فتشفع فيه أصلان عند الخليفة ثم قال أمير المؤمنين ما فعل ا بأم هذا الولد فقال لـه عنـدي فقـال أمرتك أن تأمر زوجتك أن تلبسها بدلتها وصيغتها وتردها إلى سيادتها وأن تفك الختم الذي على بيت عـلاء الدين وتعطي ابنه رزقه وماله فقال سمعاً وطاعة ثم نزل الوالي وأمر امرأته فألبستها بدلتها وفك الختم عـن بيت علاء الدين وأعطى أصلان المفاتيح ثم قال الخليفة تمن علي يا أصلان فقال له تمنيت عليـك أن تجمـع شملي بأبي فبكى الخليفة وقال الغالب أن أباك هو الذي شنق ومات ولكن وحياة جدودي كل من بشرني بأنـه على قيد الحياة أعطيته جميع ما يطلبه فتقدم أحمد الدنف وقبل الأرض بين يديه وقال له أعطني الأمـان يـا أمير المؤمنين فقال له عليك الأمان فقال أبشرك أن علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين طيب على قيد الحياة فقال له ما الذي تقول فقال له وحياة رأسك أن كلامي حق وفديته بغيره ممن يستحق القتـل وأوصـلته إلـى الاسكندرية وفتحت له دكان سقطي فقال الخليفة ألزمتك أن تجيء به وأدرك شهرزاد فسـكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لأحمد الدنف ألزمتك أن تجيء به فقال له سمعاً وطاعـة فأمر له الخليفة بعشرة آلاف دينار وسار متوجهاً إلى الاسكندرية هذا ما كان من أمر أصلان (وأما) ما كـان من أمر والده علاء الدين أبي الشامات فإنه باع ما كان عنده في الدكان جميعه ولم يبق في الدكان إلا القليـل وجراب فنفض الجراب فنزلت منه خرزة تملأ الكف في سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها أسـماء وطلاسم كدبيب النمل فدعك الخمسة وجوه فلم يجاوبه أحد فقال في نفسه لعلها خرزة من جزع ثم علقها فـي الدكان وإذا بقنصل فائت في الطريق فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال له يا سيدي هل هذه الخرزة للبيع فقال له جميع ما عندي للبيع فقال له أتبيعني أياها بثمانين ألف دينار فقـال لـه علاء الدين يفتح ا فقال له أتبيعها بمائة ألف دينار فقال بعتها لك بمائة ألف دينار فأنقذني الدنانير فقال لـه القنصل ما أقدر أن أحمل ثمنها معي والأسكندرية فيها حرامية وشرطية فأنت تروح معي إلى مركبي وأعطي لك الثمن ورزمة صوف أنجوري ورزمة أطلس ورزمة قطيفة ورزمة جوخ فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد أن أعطاه الخرزة وأعطي المفاتيح لجاره وقال له خذ هذه المفاتيح عندك أمانة حتى أروح إلى المركب مـع هذا القنصل وأجيء بثمن خرزتي فإن عوقت عنك وورد عليك المقدم أحمد الدنف الذي كان وطنني في هـذا المكان فأعطه المفاتيح وأخبره بذلك ثم توجه مع القنصل إلى المركب فلما نزل به المركب نصب له كرسـياً

وأجلسه عليه وقال هاتوا المال فدفع له الثمن والخمس رزم التي وعده بها وقال له يا سيدي أقصد جبري بلقمة أو شربة ماء فقال إن كان عندك ماء فاسقني فأمر بالشربات فإذا فيها بنج فلما شرب انقلب على هـره فرفعوا الكراسي وحطوا المداري وحلوا القلوع وأسعفتهم الرياح حتى وصلوا إلى وسط البحر فأمر القبطان بطلوع علاء الدين من الطنبر فطلعوه وشمموه ضد البنج ففتح عينيه وقال أين أنا فقال له أنت معي مربوط وديعة ولو كنت تقول يفتح ا لكنت أزيدك فقال له علاء الدين ما صناعتك فقال له أنا قبطان ومرادي أن آخذك إلى حبيبة قلبي فبينما هما في الكلام وإذا بمركب فيها أربعون من تجار المسلمين فطلع القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب في مراكبهم ونزل هو ورجاله فنهبوها وأخذها وساروا بها إلى مدينة جنوة فأقبل القبطان الذي معه علاء الدين إلى باب قصر قيطون وإذا بصبية نازلة وهي ضاربة لثاماً فقالت له هل جئت بالخرزة وصاحبها فقال لها جئت بهما فقالت له هات الخرزة فأعطاها لها وتوجه إلى المينا وضرب مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان فخرج إلى مقابلته وقال له كيف كانت سفرتك فقال له كانت طيبة جداً وقد كسبت فيها مركباً فيها واحد وأربعون من تجار المسلمين فقال له أخرجهم إلى المدينة في الحديد ومن جملتهم علاء الدين وركب الملك هو والقبطان وأمشوهم قدامهم إلى أن وصلوا إلى الديوان وقدموا أول واحد فقال له الملك من أين يا مسلم فقال من الاسكندرية فقال يا سياف اقتله فضربه السياف بالسيف فرمى رقبته والثاني والثالث وهكذا إلى تمام الأربعين وكان علاء الدين في آخرهم فشرب حسرتهم وقال لنفسه رحمة ا عليك يا علاء الدين فرغ عمرك فقال له الملك وأنت من أي البلاد فقال من الاسكندرية فقال يا سياف ارم عنقه فرفع السياف يده بالسيف وأراد أن يرمي رقبة علاء الدين وإذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين أيادي الملك فقام إليها تعظيماً لها فقالت يا ملك أما قلت لك لما يجيء القبطان بالأسارى تذكر الدير بأسير أو بأسيرين يخدمان في الكنيسة فقال لها يا أمي ليتك سبقت بساعة ولكن خذي هذا الأسير الذي فضل فالتفتت إلى علاء الدين وقالت له هل أنت تخدم في الكنيسة أو أخلي الملك يقتلك فقال لها أنا أخدم في الكنيسة فأخذته وطلعت به من الديوان وتوجهة إلى الكنيسة فقال لها علاء الدين ما أعمل من الخدمة فقالت له تقوم في الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسير بها إلى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجيء به إلى مطبخ الدير وبعد ذلك تلم البسط وتكنس وتمسح البلاط والرخام وترد الفرش مثل ما كان وتأخذ نصف أردب قمح وتغربله وتطحنه وتعجنه وتعمله منينات للدير وتأخذ ويبة عدس تغربلها وتدشها وتطبخها ثم تملأ الأربع فساقي ماء وتحول بالبرميل وتملأ ثلثمائة وستة وستين قصعة وتفت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لك راهب أو بطريق قصعته فقال لها علاء الدين رديني إلى الملك وخليه يقتلني أسهل لي من هذه الخدمة فقالت له إن خدمت ووفيت الخدمة التي عليك خلصت من القتل وإن لم توف خليت الملك يقتلك فقعد علاء الدين حامل الهم وكان في الكنيسة عشر عميان مكسحين فقال له واحد منهم هات لي قصرية فأتي له فتغوط فيها وقال له أرم الغائط فرماه فقال له يبارك فيك المسيح يا خدام الكنيسة وإذا بالعجوز أقبلت وقالت له لأي شيء ما وفيت الخدمة في الكنيسة فقال لها أنا لي كم يد حتى أقدر على توفية هذه الخدمة فقالت له يا مجنون أنا ما جئت بك للخدمة ثم قالت له خذ يا إبني هذا القضيب وكان من النحاس وفي رأسه صليب وأخرج إلى الشارع فإذا قابلك والي البلد فقل له إني أدعوك إلى خدمة الكنيسة من أجل السيد المسيح فإنه لا يخالفك فخليه

يأخذ القمح ويغربله ويطحنه وينخله ويعجنه ويخبزه منينات وكل من يخالفك أضربه ولا تخف من أحد فقـال سمعاً وطاعة وعمل كما قالت ولم يزل يسخر الأكابر والأصاغر مدة سبعة عشر عاماً فبينما هو قاعـد فـي الكنيسة وإذا بالعجوز داخلة عليه فقالت له أطلع إلى خارج الدير فقال لها أين أروح فقالت له بت هذه الليلـة في خمارة أو عبد واحد من أصحابك فقال لها لأي شيء تطردينى من الكنيسة فقالت له إن حسن مريم بنـت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها أن تدخل الكنيسة للزيارة ولا ينبغي أن تقعد في طريقها فامتثل كلامهـا وقام وأراها أنه رائح إلى خارج الكنيسة وقال في نفسه يا هل ترى بنت الملك مثل نسائنا أو أحسن منهن فأنا لا أروح حتى أتفرج عليها فاختفى في مخدع له طاقة تطل على الكنيسة فبينما هو ينظر في الكنيسة وإذا ببنت الملك مقبلة فنظر إليها نظرة أعقبته ألف حسرة لأنه وجدها كأنها البدر إذا نزغ من تحت الغمـام وصـحبتها صبية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما نظر إلى بنت الملك ورأى صحبتها صبية وهي تقـول لتلك الصبية آلست يا زبيدة فأمعن علاء الدين النظر في تلك الصبية فرآها زوجته زبيدة العودية التي كانـت ماتت ثم أن بنت الملك قالت لزبيدة قومي أعملي لنا نوبة على العود فقالت لها أنا لا أعمل لك نوبـة حتـى تبلغيني مرادي وتفي لي بما وعدتيني به فقالت لها ما الذي وعدتك به قالت لها وعدتيني بجمع شملي بزوجي علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين فقالت لها يا زبيدة طيبي نفساً وقري عيناً واعملي لنـا نوبـة حـلاوة اجتماع شملك بزوجك علاء الدين فقالت لها وأين هو فقالت لها إنه هنا في هذا المخدع يسمع كلامنا فعملـت نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فلمكا سمع ذلك علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجـم عليها وأخذ زوجته زبيده العودية بالحضن وعرفته فأعتنق الأثنان بعضهما ووقعا على الأرض مغشياً عليهما فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد ونبهتهما وقالت جمع ا شملكما فقال لها علاء الـدين على محبتك يا سيدتي ثم التفت علاء الدين إلى زوجته زبيدة العودية وقال لها أنت قدمت يا زبيدة ودفناك في القبر فكيف حييت وجئت بها إلى هذا المكان فقالت له يا سيدي أنا ما مت وإنما اختطفني عون مـن أعـوان الجان وطار بي إلى هذا المكان وأما التي دفنتموها فإنها جنيه وتصورت في صورتي وعمل أنها ميتة وبعـد ما دفنتموها شقت القبر وخرجت منه وراحت إلى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك وأما أنا فإني صرعت وفتحت عيني فرأيت نفسي عند حسن مريم بنت الملك وهي هذه فقالت لها لأي شيء جئت بي إلى هنا فقالت لي أنا موعودة بزواجي بزوجك علاء الدين أبي الشامات فهل تقبليني يا زبيدة أن أكون ضرتك ويكون لـي ليلة ولك ليلة فقالت لها سمعاً وطاعة يا سيدتي ولكن أين زوجي فقالت إنه مكتوب على جبينه مـا قـدره ا عليه فمتى أستوفي ما على جبينه لابد أن يجيء إلى هذا المكان ولكن نتسلى على فراقه بالنغمات والضـرب على الآلات حتى يجمعنا ا به فمكثت عندها هذه المدة إلى أن جمع ا شملي بك في هذه الكنيسـة ثـم أن حسن مريم التفتت إليه وقالت له يا سيدي علاء الدين هل تقبلني أن أكون لك أهلاً وتكون لي بعلاً فقال لها يا سيدتي أنا مسلم وأنت نصرانية فكيف أتزوج بك فقالت حاش أن أكون كافرة بل أنا مسلمة ولـي ثمانيـة عشر عاماً وأنا متمسكة بدين الإسلام وأني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام فقال لها يا سيدتي مـرادي

أن أروح إلى بلادي فقالت له اعلم أني رأيت مكتوباً على جبينك أموراً لابد أن تستوفيها وتبلغ غرضك ونهنيك يا علاء الدين أنه ظهر لك ولد اسمه أصلان وهو الآن جالس في مرتبتك عند الخليفة وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً واعلم أنه ظهر الحق واختفى الباطل وربنا كشف الستر عن الذي سرق أمتعة الخليفة وهو أحمد قماقم السراق الخائن وهو الآن في السجن محبوس ومقيد واعلم أني أنا التي أرسلت إليك الخرزة ووضعتها لك في داخل الجراب الذي في الدكان وأنا التي أرسلت القبطان وجاء بك بالخرزة واعلم أن هذا القبطان متعلق بي ويطلب مني الوصال فماضيت أن أمكنه من نفسي بل قلت له لا أمكنك من نفسي إلا إذا جئت لي بالخرزة وصاحبها وأعطيته مائة كيس وارسلته في صفة تاجر وهو قبطان ولما قدموك إلى القتل بعد قتل الأربعين الأسارى الذين كنت معهم أرسلت إليك هذه العجوز فقال لها جزاك الله عني كل خير ثم أن حسن مريم جددت أسلامها على يديه ولما عرف صدق كلامها قال لها أخبريني عن فضيلة هذه الخرزة من أين هي فقالت له هذه خرزة من كنز مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج إليها وأن جدتي أم أبي كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما في الكنوز فوقعت لها هذه الخرزة من كنز فلما كبرت أنا وبلغت من العمر أربعة عشر عاماً قرأت الأنجيل وغيره من الكتب فرأيت اسم محمد ﷺ في الأربعة كتب التوراة والأنجيل والزبور والفرقان فآمنت بمحمد ﷺ وأسلمت وتحققت بعقلي أنه لا يعبد بحق إلا الله تعالى وأن رب الأنام لا يرضى إلا دين الإسلام وكانت جدتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخرزة وأعلمتني بما فيها من الخمس الفضائل وقبل أن تموت جدتي قال لها أبي أضربي لي تخت رمل وأنظري عاقبة أمري وما يحصل لي فقالت له أن البعيد يموت قتيلاً من أسير يجيء من الأسكندرية فحلف أبي أن يقتل كل أسير يجيء منها وأخبر القبطان بذلك وقال له لابد أن تهجم على مراكب المسلمين وكل من رأيته من الأسكندرية تقتله أو تجيء به إلى فامتثل أمره حتى قتل عدد شعر رأسه ثم هلكت جدتي فطلعت أنا وضربت لي تخت رمل وأضمرت ما في نفسي وقلت يا هل ترى من يتزوج بي فظهر أنه لا يتزوج بي إلا واحد يسمى علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين فتعجبت من ذلك وصبرت إلى أن آن الأوان واجتمعت بك ثم أنه تزوج بها وقال لها أنا مرادي أن أروح إلى بلادي فقالت له إذا كان الأمر كذلك فتعالى معي ثم أخذته وخبأته في مخدع في قصرها ودخلت على أبيها فقال لها يا بنتي أنا عندي اليوم قبض زائد فاقعدي حتى أسكر معك فقعد ودعا بسفرة المدام وصارت تملأ وتسقيه حتى غاب عن الوجود ثم أنها وضعت له البنج في قدح فشرب القدح وأنقلب على قفاه ثم جاءت إلى علاء الدين وأخرجته من المخدع وقالت له أن خصمك مطروح على قفاه فافعل به ما شئت فأني أسكرته وبنجته فدخل علاء الدين فرآه مبنجاً فكتفه تكتيفاً وثيقاً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين أعطى الملك أبا حسن مريم ضد البنج فأفاق فوجد علاء الدين وأبنته راكبين على صدره فقال لها يا بنتي أتفعلين معي هذه الفعال فقالت له أن كنت بنتك فأسلم لأنني أسلمت وقد تبين لي الحق فاتبعته والباطل فاجتنبته وقد أسلمت لله رب العالمين وأنني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام في الدنيا والآخرة فإن أسلمت حباً وكرامة وإلا فقتلك أولى من حياتك ثم نصحه علاء

الدين فأبى وتمرد فسحب علاء الدين خنجراً ونحره من الوريد إلى الوريد وكتب ورقة بصورة الذي جـرى ووضعها على جبهته وأخذ ما خف حمله وغلا ثمنه وطلعا من القصر وتوجها إلى الكنيسة فأحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذي هو منقوش عليه السرير ودعكته وإذا بسرير وضع قدامها فركبت هي وعـلاء الدين وزوجته زبيدة العودية على ذلك السرير وقالت بحق ما كتب على هذه الخرزة من الأسماء والطلاسـم وعلوم الأقلام أن ترتفع بنا يا سرير فارتفع بهم السرير وسار إلى واد لا نبات فيه فأقامت الأربعـة وجـوه الباقية من الخرزة إلى السماء وقلبت الوجه المرسوم عليه السرير فنزل بهـم إلـى الأرض وقلبـت الوجـه المرسوم عليه هيئة صيوان ودعكته وقالت لينتصب صيوان في هذا الوادي فانتصب الصيوان وجلسوا فيـه وكان ذلك الوادي أقفر لا نبات فيه ولا ماء فقلبت الأربعة وجوه إلى السماء وقالت بحق أسماء ا تنبت هنـا أشجار ويجري بجانبها بحر فنبتت الأشجار في الحال وجري بجانبها بحر عجاج متلاطم بالأمواج فتوضـؤا منه وصلوا وشربوا وقلبت الثلاثة وجوه الباقية من الخرزة إلى الوجه الذي على هيئة سفرة الطعـام وقالـت بحق أسماء ا يمتد السماط وإذا بسماط امتد وفيه سائر الأطعمة الفاخرة فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه دخل ينبه أباه فوجده قتيلاً ووجد الورقة التي كتبهـا علاء الدين فقرأها وعرف ما فيها ثم فتش على أخته فلم يجدها فذهب إلى العجوز في الكنيسة وسألها عنهـا فقالت من أمس ما رأيتها فناد إلى العسكر وقال لهم الخيل يا أربابها وأخبرهم بالذي جـرى فركبـوا الخيـل وسافروا إلى أن قربوا من الصيوان فالتفتت حسن مريم فرأت الغبار قد سد الأقطار وبعـد أن عـلا وطـار أنكشف فظهر من تحته أخوها والعسكر وهم ينادون إلى أين تقصدون نحن وراءكم فقالت الصبية لعلاء الدين كيف ثباتك في الحرب والنزال فقال لها مثل الوتد في النخال فإني ما أعرف الحرب والكفـاح ولا السـيوف والرماح فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفارس وإذا بفارس ظهر من البر ولم يزل يضرب فيهم بالسيف إلى أن كسرهم وطردهم ثم قالت له أتسافر إلى مصر أو إلى الإسـكندرية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن مريم قالت أتسافر إلى مصر أو إلى الإسكندرية فادخلهم عـلاء الدين في مغارة وذهب إلى الإسكندرية فأتاهم بثياب وألبسهم أياها وتوجه بهم إلى الدكان والطبقة ثـم طلـع يجيء لهم بغداء وإذا بالمقدم أحمد الدنف قادم من بغداد فرآه في الطريق فقابله بالعناق وسلم عليه ورحب به ثم أن المقدم أحمد الدنف بشره بولده أصلان وأنه بلغ من العمر عشرين عاماً وحكى له علاء الدين جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر وأخذه إلى الدكان والطبقة فتعجب أحمد الدنف من ذلك غاية العجب وباتوا تلك الليلة ولما أصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنها على ما معه ثم أن أحمد الدنف أخبر علاء الدين بأن الخليفة يطلبه فقال له أنا رائح إلى مصر أسلم على أبي وأمي وأهل بيتي فركبوا السرير جميعاً وتوجهوا إلى مصر السعيدة ونزلوا في الدرب الأصفر لأن بيتهم كان في تلك الحارة ودق باب بيتهم فقالت أمه من بالبـاب بعد فقد الأحباب فقال أنا علاء الدين فنزلوا وأخذوه بالأحضان ثم أدخل زوجته وما معه في البيت وبعد ذلـك دخل وأحمد الدنف صحبته وأخذوا لهم راحة ثلاثة أيام ثم طلب السفر إلى بغداد فقال له أبوه يا ولدي أجلـس

عندي فقال ما أقدر على فراق ولدي أصلان ثم أنه أخذ أباه وأمه معه وسافروا إلى بغداد فدخل أحمد الـدنف وبشر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى له حكايته فطلع الخليفة لملتقاه وأخـذ معـه ولـده أصـلان وقـابلوه بالأحضان وأمر الخليفة بأحضار أحمد قماقم السراق فلما حضر بين يديه قال يا علاء الدين دونك وخصـمك فسحب علاء الدين السيف وضرب أحمد قماقم فرمي عنقه ثم أن الخليفة عمل لعلاء الدين فرحاً عظيماً بعـد أن أحضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم ولما دخل عليها وجدها درة لم تثقب ثم جعل ولـده أصلان رئيس الستين وخلع عليهم الخلع السنية وأقاموا في أرغد عيش وأهناه إلى أن أتـاهم هـازم اللـذات ومفرق الجماعات.

بعض حكايات تتعلق بالكرام

أما حكايات الكرام فإنها كثيرة جداً (منها) ما روى عن حاتم الطائي أنه لما مات دفن فـي رأس جبـل وعملوا على قبره حوضين من حجر وصور بنات محلولات الشعر من حجر وكان تحت ذلك الجبل نهر جار فإذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ في الليل من العشاء إلى الصباح فإذا أصبحوا لم يجدوا أحد غير البنـات المصورة من الحجر فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادي خارجاً عن عشيرته بات تلك الليلة هنـاك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

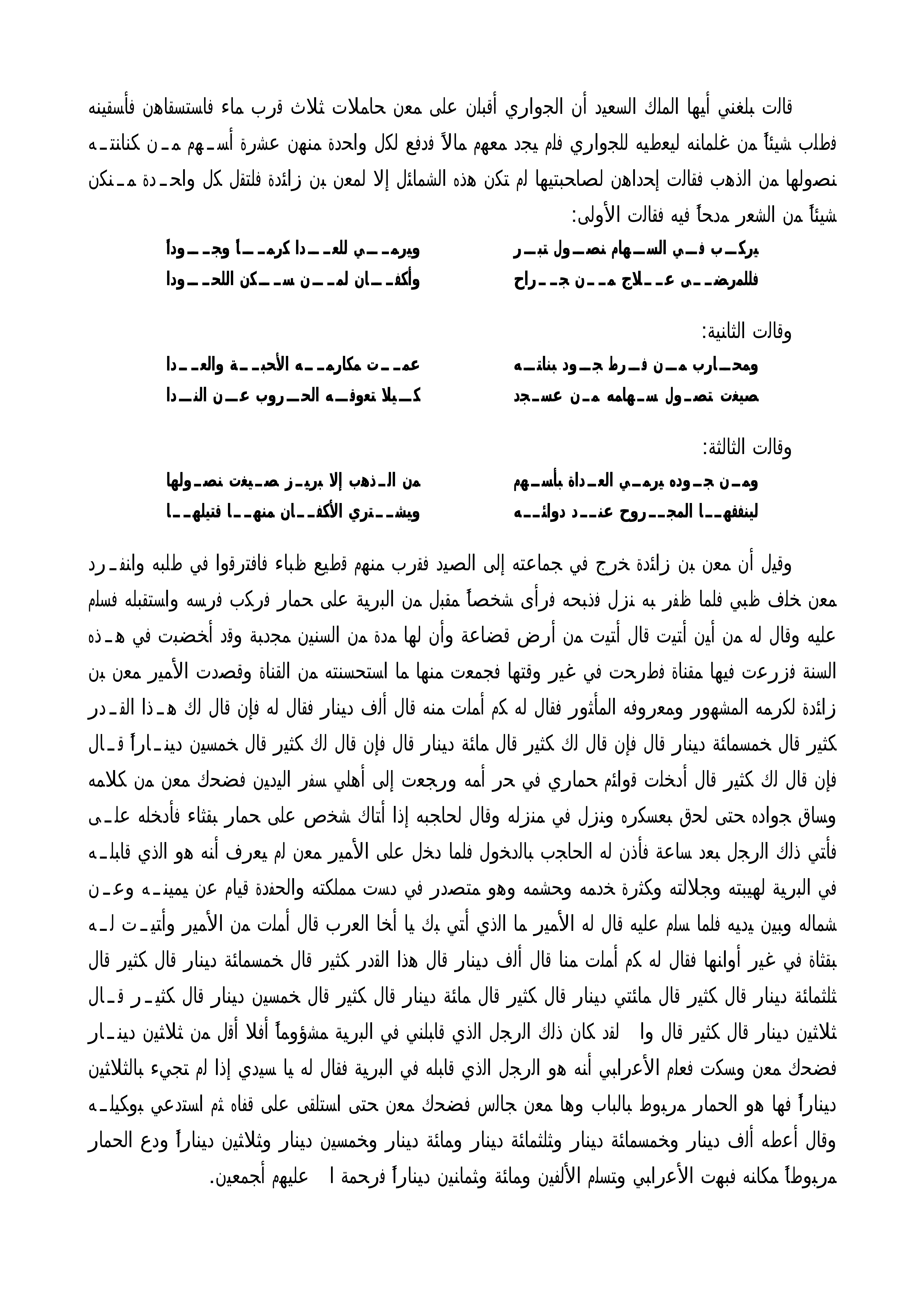
(وفي ليلة ٣١٤)

ً قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذا الكراع لما نزل بذلك الوادي بات تلك الليلة هناك وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال ما هذا العويل الذي فوق الجبل فقالوا له أن هذا قبر حاتم الطائي يا حاتم نحـن الليلة ضيوفك ونحن خماض فغلب عليه النوم ثم استيقظ وهو مرعوب وقال يا عـرب الحقـوني وأدركـوا راحلتي فلما جاءوه وجدوا الناقة تضطرب فنحروها وشووا لحمها وأكلوه ثم سألوه عن سبب ذلك فقال أنـي نمت فرأيت حاتماً الطائي في المنام قد جاءني بسيف وقال جئتنا ولم يكن عندنا شيء وعقر ناقتي بالسيف ولو لم تنحروها لماتت فلما أصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من أصحابه ثم أردفه خلفه فلما كان فـي وسط النهار رأوا راكباً على راحلة وفي يده راحلة أخرى فقالوا له من أنت قال أنا عندي بن حاتم الطائي ثم قال أين ذو الكراع أمير حمير فقالوا له هو هذا فقال اركب هذه الناقة عوضاً عن راحلتك فإن ناقتك قد نحرها أبي لك قال ومن أخبرك قال أتاني في المنام في هذه الليلة وقال لي يا عـدي أن ذو الكـراع ملـك حميـر استضافني فنحرت له ناقته فأدركه بناقة يركبها فإني لم يكن عندي شيء فأخذها ذو الكراع وتعجب من كـرم حاتم حياً وميتاً.

ومن حكايات الكرام أيضاً

ما يروي عن معن بن زائدة أنه كان في يوم من الأيام في الصيد والقنص فعطش فلم يجد مع غلمانـه ماء فبينما هو كذلك وإذا بثلاث جوار قد أقبلن عليه حاملات ثلاث قرب ماء وأدرك شهرزاد فسـكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٥)



قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواري أقبلن على معن حاملات ثلاث قرب ماء فاستسقاهن فأسقينه فطلب شيئاً من غلمانه ليعطيه للجواري فلم يجد معهم مالاً فدفع لكل واحدة منهن عشرة أسهم من كنانته نصولها من الذهب فقالت إحداهن لصاحبتيها لم تكن هذه الشمائل إلا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئاً من الشعر مدحاً فيه فقالت الأولى:

يركب في السهام نصول تبر ... ويرمي للعدا كرماً وجوداً
فللمرضى علاج من جراح ... وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية:

ومحارب من فرط جود بنانه ... عمت مكارمه الأحبة والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد ... كيلا تعوقه الحروب عن الندا

وقالت الثالثة:

ومن جوده يرمي العداة بأسهم ... من الذهب إلا بريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند دوائه ... ويشتري الأكفان منها قتيلها

وقيل أن معن بن زائدة خرج في جماعته إلى الصيد فقرب منهم قطيع ظباء فافترقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصاً مقبل من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له من أين أتيت قال أتيت من أرض قضاعة وأن لها مدة من السنين مجدبة وقد أخصبت في هذه السنة فزرعت فيها مقثاة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته من القثاة وقصدت الأمير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور فقال له كم أملت منه قال ألف دينار فقال له فإن قال لك هذا القدر كثير قال خمسمائة دينار قال فإن قال لك كثير قال مائة دينار قال فإن قال لك كثير قال خمسين ديناراً قال فإن قال لك كثير قال أدخلت قوائم حماري في حر أمه ورجعت إلى أهلي سفر اليدين فضحك معن من كلامه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل في منزله وقال لحاجبه إذا أتاك شخص على حمار بقثاء فأدخله على فأتي ذلك الرجل بعد ساعة فأذن له الحاجب بالدخول فلما دخل على الأمير معن لم يعرف أنه هو الذي قابله في البرية لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وعن شماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الأمير ما الذي أتي بك يا أخا العرب قال أملت من الأمير وأتيت له بقثاة في غير أوانها فقال له كم أملت منا قال ألف دينار قال هذا القدر كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال خمسين دينار قال كثير قال ثلاثين دينار قال كثير قال وا لقد كان ذلك الرجل الذي قابلني في البرية مشؤوماً أفلا أقل من ثلاثين دينار فضحك معن وسكت فعلم الأعرابي أنه هو الرجل الذي قابله في البرية فقال له يا سيدي إذا لم تجيء بالثلاثين ديناراً فها هو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعي بوكيله وقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينار وثلاثين ديناراً ودع الحمار مربوطاً مكانه فبهت الأعرابي وتسلم الألفين ومائة وثمانين ديناراً فرحمة ا عليهم أجمعين.

حكاية تتعلق ببعض مدائن الأندلس التي فتحها طارق بن زياد

وبلغني أيها الملك السعيد أن بلدة يقال لها لبطه وكانت مملكة للأفرنج وكان فيها قصر مقفل دائماً وكلما مات ملك وتولى بعده ملك آخر من الروم رمي عليه قفلاً محكماً فاجتمع على الباب أربعة وعشرون قفلاً من كل ملك قفل ثم تولى بعدهم رجل ليس من أهل بيت المملكة فأراد فتح تلك الأقفال ليرى ما في ذلك القصـر فمنعه من ذلك أكابر الدولة وأنكروا عليه وزجروه فأبى وقال لابد من فتح ذلك القصر فبذلوا له جميـع مـا بأيديهم من نفائس الأموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أهل المملكة بذلوا لذلك الملك جميع ما في أيديهم من الأموال والذخائر على عدم فتح ذلك القصر فلم يرجع عن فتحه ثم أنه أزال الأقفال وفتح الباب فوجد فيه صور الغرب علـى خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم متقلدون بالسيوف وبأيديهم الرماح الطوال ووجد كتاباً فيـه فأخـذ الكتاب وقرأه فوجد مكتوباً فيه إذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هـذه الصور فالحذر ثم الحذر من فتحه وكانت تلك المدينة بالأندلس ففتحها طارق ابن زياد في تلـك السـنة فـي خلافة الوليد بن عبد الملك من بني أمية وقتل ذلك الملك أقبح قتلة ونهب بلاده وسبى من بهـا مـن النسـاء والغلمان وغنم أموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيها ما ينوف عن مائة وسبعين تاجاً من الدر والياقوت ووجد فيها أحجاراً نفيسة وأيواناً ترمح فيه الخيالة برماحهم ووجد بها من أواني الذهب والفضة مـالا يحـيط بـه وصف ووجد بها المائدة التي كانت لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وكانت على ما ذكر مـن زمـرد أخضر وهذه المائدة إلى الآن باقية في مدينة رومة وأوانيها من الذهب وصـحافها مـن الزبرجـد ونفـيس الجواهر ووجد فيها الزبور مكتوباً بخط يوناني في ورق من الذهب مفصص بالجواهر ووجد فيها كتاباً يذكر فيه منافع الأحجار والنبات والمدائن والقرى والطلاسم وعلم الكيمياء من الذهب والفضة ووجد كتابـاً آخـر يحكي فيه صناعة صياغة اليواقيت والأحجار وتركيب السموم وأنترياقات وصورة شـكل الأرض والبحـار والبلدان والمعادن ووجد فيها قاعة كبيرة ملآنة من الأكسير الذي الدرهم منه يقلب ألف درهم من الفضة ذهباً خالصاً ووجد بها مرآة كبيرة مستديرة عجيبة مصنوعة من أخلاط صنعت لنبي الله سليمان بن داود عليهمـا السلام إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة عياناً ووجد فيها ليواناً فيه من الياقوت البهرماني مالا يحـيط به وصف فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك وتفرق العرب في مدنها وهي من أعظم البلاد.

(حكاية هشام بن عبد الملك مع غلام من الأعراب)

(ومما) يحكي أيضاً أن هشام بن عبد الملك بن مروان كان ذاهباً إلى الصيد في بعض الأيام فنظر إلى ظبي فتبعه بالكلاب فبينما هو خاف الظبي إذ نظر إلى صبي من الأعراب يرعى غنماً فقال هشام له يا غلام دونك هذا الظبي فأتني به فرفع رأسه إليه وقال يا جاهلاً بقدر الأخبار لقد نظرت إلي بالاستصغار وكلمتنـي بالاحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل جبار فقال هشام ويلك أما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبـك إذ بدأتني بكلامك دون سلامك فقال له ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال له الأعرابي لا قرب الله ديارك ولا حيا

مزارك فما أكثر كلامك وأقل إكرامك فما أستتم كلامه حتى أحدقت به الجند من كل جانب وكل واحد منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام أقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام إلى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام البدوي فأتى به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وأرباب الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ونظر حيث يقع قدمه إلى أن وصل إلى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه إلى الأرض وسكت عن السلام وامتنع من الكلام فقال له بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك أن تسلم على أمير المؤمنين فالتفت إلى الخادم مغضباً وقال يا بردعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق وصعود الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وغاب عنك أملك وانصرم عمرك فقال وا يا هشام لئن كان في المدة تأخير ولم يكن في الأجل تقصير فما ضرني من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب هل بلغ من مقامك يا أخس العرب أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعاً لقيت الخبل ولا فارقك الويل والهيل أما سمعت ما قال ا تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك اغتاظ هشام غيظاً شديداً وقال يا سياف علي برأس هذا الغلام فإنه أكثر بالكلام ولم يخش الملام فأخذ الغلام ونزل به إلى نطع الدم وسل سيفه على رأسه وقال يا أمير المؤمنين هذا عبدك المذل بنفسه السائر إلى رمسه هل أضرب عنقه وأنا بريء من دمه قال نعم فأستأذن ثانياً فأذن له فاستأذن ثالثاً ففهم الفتى أنه إن أذن له في هذه المرة يقتله فضحك حتى بدت نواجذه فازداد هشاماً غضباً وقال يا صبي أظنك معتوهاً أما ترى أنك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزأ بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير لا يضرني قليل ولا كثير ولكن حضرتني أبياتاً فاسمعها فإن قتلي لا يفوتك فقال هشام هات وأوجز فأنشد هذه الأبيات:

نبئت أن الباز صادف مرة	عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور في أظفاره	والباز منهمك عليه يطير
ما في ما يغني لمثلك شبعة	ولئن أكلت بأنني لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه	عجباً وأفلت ذلك العصفور

فتبسم هشام وقال وحق قرابتي من رسول ا ﷺ لو تلفظ بهذا اللفظ في أول كلامه وطلب ما دون الخلافة لأعطيتها أياه يا خادم أحش فاه جوهراً وأحسن جائزته فأعطاه الخادم صلة عظيمة فأخذها وانصرف إلى حال سبيله انتهى.

(حكاية اسحق الموصلي وتزوج المأمون بخديجة بنت الحسن بن سهل)

ومما يحكي أن أسحق الموصلي قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجهاً إلى بيتي فتضايقني حصر البول فعمدت إلى زقاق وقمت أبول خوفاً أن يضربي شيء إذا جلست في جانب الحيطان فرأيت شيئاً معلقاً من تلك الدور فلمسته لا عرف ما هو فوجدته زنبيلاً كبيراً بأربعة آذان ملبساً ديباجاً فقلت في نفسي لابد هذا من سبب وصرت متحيراً في أمري فحملني السكر على أن أجلس فيه فجلست فيه وإذا بأصحاب الدار جذبوه بي وظنوا أنني الذي كانوا يرتقبونه ثم رفعوا الزنبيل إلى رأس الحائط وإذا بأربع جوار يقلن لي أنزل على الرحب والسعة ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت إلى دار فيها مجالس مفروشة لم أر مثلها إلا في

دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة إلا بستور قد رفعت في ناحية من الجدار وإذا بوصائف يتماشى وفي أيديهن الشموع ومجامر البخور من العود القاقلي وبينهن جارية كأنها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحباً بك من زائر ثم أجلستني وسألتني عن خبري فقلت لها أني انصرفت من عند بعض أخواني وغرني الوقت وحصرني البول في الطريق فملت إلى هذا الزقاق فوجدت زنبيلاً ملقى فأجلسني النبيذ في الزنبيل ورفع بي الزنبيل إلى هذا الدار هذا ما كان من أمري فقالت لا ضير عليك وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك ثم قالت لي فما صناعتك فقلت تاجر في سوق بغداد فقالت هل تروي من الأشعار شيئاً قلت شيئاً ضعيفاً قالت فذاكرنا فيه وأنشدنا شيئاً منه فقلت أن للداخل دهشه ولكن تبدئين أنت قالت صدقت ثم أنشدت شعراً رقيقاً من كلام القدماء والمحدثين وهو من أجواد أقاويلهم وأنا أسمع ولا أدري أأعجب من حسنها وجمالها أم من حسن روايتها ثم قالت هل ذهب ما كان عندك من الدهشة قلت أي وا   قالت أن شئت فأنشدنا شيئاً من روايتك فأنشدتها شعر الجماعة من القدماء ما فيه الكفاية فاستحسنت ذلك ثم قالت وا   ما ظننت أنه يوجد في أبناء السوقة مثل هذا ثم أمرت بالطعام فقالت لها أختها دينارا دما أحلى حديثك وأحسنه وأطيبه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق الموصلي قال ثم أن الجارية أمرت بإحضار الطعام فحضر فجعلت تأخذ وتضع قدامي وكان في المجلس من أصناف الرياحين وغريب الفواكه مالا يكون إلا عند الملوك ثم دعت بالشراب فشربت قدحاً ثم ناولتني قدحاً وقالت هذا أوان المذاكرة والأخبار فأندفعت إذا كرها وقالت بلغني أنه كان كذا وكذا وكان رجل يقول كذا حتى حكيت لها عدة أخبار حسان فسرت بذلك وقالت أني لا عجب كيف يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذه الأخبار وأنما هي أحاديث ملوك فقلت كان لي جار يحادث الملوك وينادمهم وإذا تعطل حضرت بيته فربما حدث بما سمعت فقالت لعمري لقد أحسنت الحفظ ثم أخذنا في المذاكرة وكلما سكت ابتدأت هي حتى قطعنا أكثر الليل وبخور العود يعبق وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا إليها فقالت لي أنك من الطف الرجال وأظرفهم لأنك ذو أدب بارع وما بقي إلا شيء واحد فقلت لها وما هو قالت لو كنت تترنم بالأشعار على العود فقلت لها أني كنت تعلقت بهذا قديماً ولكن لما لم أرزق حظاً فيه أعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة وكنت أحب في هذا المجلس أن أحسن شيئاً منه لتكمل ليلتي قالت كأنك عرضت بإحضار العود فقلت الرأي لك وأنت صاحبة الفضل ولك المنة في ذلك فأمرت بعود فحضرت وغنت بصوت ما سمعت بمثل حسنه مع حسن الأدب وجودة الضرب والكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت لمن وهل تعرف الشعر لمن قلت لا قالت الشعر لفلان والمغنى لأسحق قلت وهل اسحق جعلت فداءك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحق بارع هذا الشأن فقلت سبحان ا   الذي أعطى هذا الرجل مالا يعطه أحد سواه قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم نزل على ذلك حتى إذا كان انشقاق الفجر أقبلت عليها عجوز كأنها داية لها وقالت أن الوقت قد حضر فنهضت عند قولها وقالت لتستر ما كان منا فإن المجالس بالأمانات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لتستر ما كان منا فإن المجالس بالأمانـات فقالـت لهـا جعلت فداءك لست محتاجاً إلى وصية في ذلك ثم ودعتها وأرسلت جارية تمشي بين يدي إلـى بـاب الـدار ففتحت لي وخرجت متوجها إلى داري فصليت الصبح ونمت فأتاني رسول المأمون فسـرت إليـه وأقمـت نهاري عنده فلما كان وقت العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهو شيء لا يصبر عنه الجهـلاء فخرجـت وجئت إلى الزنبيل وجلست فيه ورفعت إلى موضعي الذي كنت فيه البارحة فقالت لي الجارية لقـد عـاودت فقلت لا أظن إلا أنني قد غفلت ثم أخذنا في المحادثة على عادتنا في الليلة السالفة من المـذاكرة والمناشـدة وغريب الحكايات منها ومني إلى الفجر ثم انصرفت إلى منزلي وصليت الصبح ونمت فأتى رسول المـأمون فمضيت إليه وأقمت نهاري عنده فلما كان وقت العشاء قال لي أمير المؤمنين أقسمت عليه أن تجلـس حتـى أذهب إلى غرض وأحضر فلما ذهب الخليفة وغاب عني جالت وساوسي وتذكرت ما كنت فيه فهان علي ما يحصل لي من أمير المؤمنين فوثبت مدبراً وخرجت جارياً حتى وصلت إلى الزنبيل فجلست فيه ورفع بـي إلى مجلسي فقالت لعلك صديقنا قلت أي وا قالت اجعلتنا دار إقامة قلت جعلت فداءك حتى الضـيافة ثلاثـة أيام فإن رجعت بعد ذلك فأنتم في حل من دمي ثم جلسنا على تلك الحالة فلما قرب الوقت علمت أن المأمون لابد أن يسألني فلا يقنع إلا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم أحسن منـي وجهـاً وأشرف قدراً وأكثر أدباً وأعرف خلق ا تعالى بأسحق قالت اطفيلي وتقترح قلت لها أنت المحكمة في الأمر فقالت إن كان ابن عمك علي ما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت متوجها إلى داري فلم أصل إلى داري إلا ورسل المأمون هجموا علي وحملوني حملاً عنيفاً وأدرك شهرزاد فسكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اسحق الموصلي قال فلم أصل إلى داري إلا ورسل المأمون قد هجموا علي وحملوني حملاً عنيفاً وذهبوا بي إليه فوجدته قاعداً على كرسي وهو مغتاظ مني فقال يا أسحق أخروجاً عن الطاعة فقلت لا وا يا أمير المؤمنين فقال فما قصتك أصدقني الخبر فقلت نعم ولكن في خلوة فأومأ إلى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له أني وعدتها بحضورك قال أحسنت ثم أخذنا في لذتنا ذلك اليـوم والمأمون متعلق القلب بها فما صدقنا بمجيء الوقت وسرنا وأنا أوصيه وأقول له تجنب أن تنـاديني بأسـمي قدامها بل أنا لك تبع في حضرتها أو اتفقنا على ذلك ثم سرنا إلى أن أتينا مكان الزنبيل فوجدنا زنبلين فقعـدنا فيهما ورفعنا إلى الموضع المعهود فأقبلت وسلمت علينا فلما رآها المأمون تحير من حسنها وجمالها وأخـذت تذاكره الأخبار وتناشده الأشعار ثم أحضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو أيضاً مقبل إليها مسروراً بها ثم أخذت العود وغنت طريقة وبعد ذلك قالت لي وهل ابن عمك من التجار وأشارت إلى المأمون قلت نعم قالت أنكما لقريبا الشبه من بعضكما قلت نعم فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب

فصاح وقال يا أسحق قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال عن بهذه الطريقة فلما علمت أنه الخليفة مضـت إلـى مكان ودخلت فيه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية دخلت في المكان ولما فرغ اسحق من الغناء قال له المـأمون انظر من رب هذه الدار فبادرت عجوز بالجواب وقالت هي للحسن ابن سهل فقال علي به فغابـت العجـوز ساعة وإذا بالحسن قد حضر فقال له المأمون ألك بنت قال نعم قال ما أسمها قال اسمها خديجة قال له هل هي متزوجة قال لا وا قال فأني أخطبها منك قال هي جاريتك وأمرها إليك يا أمير المؤمنين قال الخليفـة قـد تزوجتها علي نقد ثلاثين ألف دينار تحمل إليك صبيحة يومنا هذا فإذا قبضت المال فاحملها إلينا من ليلتها قال سمعاً وطاعة ثم خرجنا فقال يا اسحق لا تقص هذا الحديث على أحد فسترته إلى أن مات المأمون فما اجتمع لأحد مثل ما اجتمع لي في هذه الأربعة أيام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة خديجة بالليل وا مـا رأيـت أحداً من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة من النساء مثل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهماً ولا عقـلاً ولا لفظاً وا أعلم

(حكاية الحشاش مع حريم بعض الأكابر)

(ومما) يحكي أنه كان آوان الحج والناس في الطواف فبينما المطاف مزدحم بالناس وإذا بإنسان متعلق بأستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه اسألك يا ا أنها تغضب على زوجها وأجامعها قال فسمعه جماعـة من الحجاج فقبضوا عليه وأتوا إلى أمير الحجاج بعد أن أشبعوه ضرباً وقالوا له أيها الأمير أنا وجدنا هذا في الأماكن الشريفة يقول كذا وكذا فأمر أمير الحجاج بشنقه فقال له أيها الأمير بحق رسـول ا ﷺ أن تسـمع قصتي وحديثي وبعد ذلك أفعل بي ما تريد قال حدث قال أعلم أيها الأمير أنني رجل حشاش أعمل في مسالخ الغنم فأحمل الدم والوسخ إلى الكيمان فأتفق أنني رائح بحماري يوماً من الأيام وهو محمل فوجـدت النـاس هاربين فقال واحد منهم أدخل هذا الزقاق لئلا يقتلوك فقلت ما للناس هاربين فقال لي واحد خدام هـذا حـريم لبعض الأكابر وصار الخدم ينحون الناس من الطريق قدامها ويضربون جميع الناس ولا يبالون بأخذ فدخلت بالحمار عطفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل قال فدخلت بالحمار عطفة ووقفت وانتظر انفضاص الزحمـة فرأيت الخدم وبأيديهم العصى ومعهم نحو ثلاثين أمرأة بينهم واحدة كأنها قضيب بان كاملة الحسن والظـرف والدلال والجميع في خدمتها فلما وصلت إلى باب العطفة التي أنا واقف فيها التفتت يميناً وشمالاً ثـم دعـت بطواشي فحضر بين يديها فساورته في أذنه وإذا بالطواشي جاء إلي وقـبض علـي فتهاربـت النـاس وإذا بطواشي آخر أخذ حماري ومضى به ثم جاء الطواشي وربطني بحبل وجرني خلفه وأنا لم أعرف ما الخبـر والناس من خلفنا يصيحون ويقولون ما يحل من ا هذا رجل حشاش فقير الحال ما سـبب ربطـه بالحبـال ويقولون الطواشيه ارحموه يرحمكم ا تعالى وأطلقوه فقلت أنا في نفسي ما أخذني الطواشية إلا لأن سيدتهم شمت رائحة الوسخ فاشمأزت من ذلك أو تكون حبلى أو حصل لها ضرر فلا حول ولا قوة إلا بـا العلـي

العظيم وما زلت ماشياً خلفهم إلى أن وصلوا إلى باب دار كبير فدخلوا وأنا خلفهم واستمروا داخلين بي حتى وصلت إلى قاعة كبيرة ما أعرف كيف أصف محاسنها وهي مفروشة بفرش عظيم ثم دخلت النساء تلك القاعة وأنا مربوط مع الطواشي فقلت في نفسي لابد أنهم يعاقبونني في هذا البيت حتى أموت ولا يعلم بموتي أحد ثم بعد ذلك أدخلوني حماماً لطيفاً من داخل القاعة فبينما أنا في الحمام وإذا بثلاث جوار دخلن وقعدن حولي وقلن لي أقلع شراميطك فقلعت ما على من الخلقان وصارت واحدة منهن تحك رجلي وواحدة منهن تغسل رأسي وواحدة تكبسني فلما فرغن من ذلك حطوا لي بقجة قماش وقالوا لي البس هذه فقلت والله ما أعرف كيف ألبس فتقدمن إلي والبستني وهن يتضاحكن على ثم جئن بقماقم مملوءة بماء الورد ورششن علي وخرجت معهن إلى قاعة أخرى والله ما أعرف كيف أصف محاسنها من كثرة ما فيها من النقش والفرش فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل قال فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران قوائمه من عاج وبين يديها جملة جوار فلما رأتني قامت إلى ونادتني فجئت عندها فأمرتني بالجلوس فجلست إلى جانبها وأمرت الجواري أن يقدمن الطعام فقدمن لي طعاماً فأخرا من سائر الألوان ما أعرف أسمه ولا أعرف صفته في عمري فأكلت منه قدر كفايتي وبعد رفع الزبادي وغسل الأيادي أمرت بإحضار الفواكه فحضرت بين يديها في الحال فأمرتني بالأكل فأكلت فلما فرغنا من الأكل أمرت بعض الجواري بإحضار سلاحيات الشراب فأحضرن شيئاً مختلف الألوان ثم أطلقن المباخر من جميع البخور وقامت جارية مثل القمر تسقينا على نغمات الأوتار فسكرت أنا وتلك السيدة الجالسة كل ذلك جرى وأنا أعتقد أنه حلم في المنام ثم بعد ذلك أشارت إلى بعض الجواري أن يفرشن لنا في مكان ففرشن في المكان الذي أمرت به ثم قامت وأخذت بيدي إلى ذلك المكان المفروش وقامت ونمت معها إلى الصباح وكنت كلما ضممتها إلى صدري أشم منها رائحة المسك والطيب وما أعتقد إلا أني في الجنة أو أني أحلم في المنام فلما أصبحت سألتني عن مكاني فقلت في المحل الفلاني فأمرت بخروجي وأعطتني منديلاً مطرزاً بالذهب والفضة وعليه شيء مربوط فقالت لي أدخل الحمام بهذا ففرحت وقلت في نفسي أن كان ما عليه خمسة فلوس فهي غدائي في هذا اليوم ثم خرجت من عندها كأني خارج من الجنة وجئت إلى المخزن الذي أنا فيه ففتحت المنديل فوجدت فيه خمسين مثقالاً من الذهب فدفنتها وقعدت عند الباب بعد أن اشتريت بفلسين خبزاً وإداماً وتغديت ثم صرت متفكراً في أمري فبينما أنا كذلك إلى وقت العصر وإذا بجارية قد أتت وقالت لي أن سيدتي تطلبك فخرجت معها إلى باب الدار فاستأذنت لي فدخلت وقبلت الأرض بين يديها فأمرتني بالجلوس وأمرت بإحضار الطعام والشراب على العادة ثم نمت معها على جري العادة التي تقدمت أول ليلة فلما أصبحت ناولتني منديلاً ثانياً فيه خمسون مثقالاً من الذهب فأخذتها وخرجت وجئت إلى المخزن ودفنتها ومكثت على هذه الحالة مدة ثمانية أيام أدخل عندها في كل يوم وقت العصر وأخرج من عندها في أول النهار فبينما أنا نائم عندها ليلة ثامن يوم وإذا بجارية دخلت وهي تجري وقالت لي قم أطلع إلى هذه الطبقة فطلعت في تلك

الطبقة فوجدتها تشرف على وجه الطريق فبينما أنا جالس وإذا بضجة عظيمة ودربكة خيل في الزقاق وكـان في الطبقة طاقة تشرف على الباب فنظرت منها فرأيت شاباً راكباً كأنه القمر الطالع ليلة تمامه وبـين يديـه مماليك وجند يمشون في خدمته فتقدم إلى الباب وترجل ودخل القاعة فرآها قاعدة على السرير فقبل الأرض بين يديها ثم تقدم وقبل يدها فلم تكلمه فما برح ينخضع لها حتى صالحها ونـام عنـدها تلـك الليلـة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية لما صالحها زوجها نام عندها تلك الليلة فلما أصبح الصـباح أتته الجنود وركب وخرج من الباب فطلعت عندي وقالت لي أرأيت هذا قلت لها نعم قالت هو زوجي وأحكي لك ما جرى لي معه أتفق أنني كنت أنا وأياه يوماً قاعدين في الجنينة داخل البيت وإذا هو قد قام من جـانبي وغاب عني ساعة طويلة فاستبطأته فقلت في نفسي لعله يكون في بيت الخلاء فنهضت إلى بيت الخلاء فلـم أجده فدخلت المطبخ فرأيت جارية فسألتها عنه فأرتني أياه وهو راقد مع جارية من جواري المطبخ فعند ذلك حلفت يميناً عظيماً أنني لابد أن أزني مع أوسخ الناس وأقدرهم ويوم قبض عليك الطواشي كان لي أربعة أيام وأنا أدور في البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت أحداً أوسخ ولا أقذر منك فطلبتك وقد كان ما كان من قضاء الله علينا وقد خلصت من اليمين التي حلفتها ثم قالت فمتى وقع زوجي على الجارية ورقـد معهـا مرة أخرى أعدتك إلى ما كنت عليه معي فلما سمعت منها هذا الكلام ورمت قلبي من لحاظها بالسهام جـرت دموعي حتى قرحت المحاجر وأنشدت قول الشاعر:

مكنينـي مـن بـوس يسـراك عشـراً	**وأعرفـي فضـلها علـى يمنـاك**
أن يسـراك لهـي أقـرب عهـداً	**وقـت غسـل الخـرا بمسـتنجاك**

ثم أنها أمرت بخروجي من عندها وقد تحصل لي منها أربعمائة مثقال من الذهب فأنا أصـرف منهـا وجئت إلى ههنا أدعو الله سبحانه وتعالى أن زوجها يعود إلى الجارية مرة لعلي أعود إلى ما كنت عليه فلمـا سمع أمير الحج قصة الرجل أطلقه وقال للحاضرين بالله عليكم أن تدعوا له فإنه معذور.

حكاية هارون الرشيد مع محمد بن علي الجوهري

(ومما) يحكي أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقاً شديداً فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له أن صدري ضيق ومرادي في هذه الليلة أن اتفرج في شوارع بغداد وانظر في مصالح العباد بشرط أننا نتزيا بزي التجار حتى لا يعرفنا أحد من الناس فقال له الوزير سمعاً وطاعة ثم قاموا في الوقت والساعة ونزعوا ما عليهم من ثياب الافتخار ولبسوا ثياب التجار وكانوا ثلاثة الخليفـة وجعفـر ومسـرور السـياف وتمشوا من مكان إلى مكان حتى وصلوا إلى الدجلة فرأوا شيخاً قاعداً في زورق فتقدموا إليه وسلموا عليـه وقالوا له يا شيخ أنا نشتهي من فضلك وأحسانك أن تفرجنا في مركبك هذه وخذ هذا الـدينار فـي أجرتـك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم قالوا للشيخ أنا نشتهي أن تفرجنا في مركبك وخذ هذا الدينار قال لهم من ذا الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل في كل ليلة بحر الدجلة في زورق صغير ومعـه مناد ينادي ويقول يا معشر الناس كافة من كبير وصغير وخاص وعام وصبي وغلام كل من نزل في مركب وشق الدجلة ضربت عنقه أو شنقته على صاري مركبه وكأنكم به في هذه الساعة وزورقه مقبل فقال الخليفة وجعفر يا شيخ خذ هذين الدينارين وأدخل بنا قبة من هذه القباب إلى أن يروح زورق الخليفة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والتوكل على ا تعالى فأخذ الذهب وعوم بهم قليلاً وإذا بالزورق قد أقبل من كبد الدجلة وفيـه الشموع والمشاعل مضيئة فقال لهم الشيخ أما قلت لكم أن الخليفة يشق في كل ليلة ثم أن الشيخ صار يقول يا ستار لا تكشف الأستار ودخل بهم في قبة ووضع عليهم مئزرا أسود وصاروا يتفرجون من تحـت المئـزر فرأوا في مقدم الزورق رجلاً بيده مشعل من الذهب لأحمر وهو يشعل فيه بالعود القاقلي وعلى كتفه الآخـر محلاة من الحرير الأخضر ملآنة بالعود القاقلي يوقد منها المشعل عوضاً عن الحطـب ورأوا رجـلاً آخـر الزورق لابساً مثل لبسه وبيده مشعل مثل المشعل الذي معه ورأوا في الزورق مائتي مملوك واقفـين يمينـاً ويساراً ووجد كرسياً من الذهب الأحمر منصوباً وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطـراز من الذهب الأصفر وبين يديه إنسان كأنه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كأنه مسرور وبيـده سـيف مشهور ورأوا عشرين نديماً فلما رأى الخليفة ذلك قال يا جعفر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال لعل هذا واحد من أولادي أما المأمون وأما الأمين ثم تأمل الشاب وهو جالس على الكرسي فرآه كامل الحسن والجمال والقد والاعتدال فلما تأمله التفت إلى الوزير قال يا وزير قال لبيك قال وا أن هذا الجالس لم يترك شيئاً من شكل الخلافة والذي بين يديه كأنه أنت يا جعفر والخادم الذي وقف على رأسه كأنه مسرور وهؤلاء الندماء كـأنهم ندمائي وقد حار عقلي في هذا الأمر. فقالت لها أختها دنيا زاد ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه وا لا أقتلها حتـى أسـمع بقية حديثها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما رأى هذا الأمر تحير في عقله وقال وا أني تعجبت مـن هذا الأمر يا جعفر فقال له جعفر وأنا وا يا أمير المؤمنين ثم ذهب الزورق حتى غاب عن العين فعند ذلـك خرج الشيخ بزورقه وقال الحمد على السلامة حيث لم يصادفنا أحد فقال الخليفة يا شيخ وهل الخليفة فـي كل ليلة ينزل الدجلة قال نعم يا سيدي وله على هذه الحالة سنة كاملة فقال يا شيخ نشتهي من فضلك أن تقف لنا هنا الليلة القابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهباً فأننا قوم غرباء وقصدنا النزهة ونحن نازلون في الخندق فقال له الشيخ حباً وكرامة ثم أن الخليفة وجعفراً ومسروراً توجهوا من عند الشيخ إلى القصر وقلعوا ما كان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك وجلس كل واحد في مرتبته ودخل الأمراء والـوزراء والحجـاب والنواب وانعقد المجلس بالناس فلما انقضى المجلس وتفرقت أجناس الناس وذهب كل واحد إلى حال سـبيله

قال الخليفة هارون الرشيد يا جعفر أنهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا يشقون وهم في غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا إلى الدجلة وجـدوا الشيخ صاحب الزورق قاعداً لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب فما استقر بهم الجلـوس مـع الشـيخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثاني وأقبل عليهم فالتفتوا إليه وأمعنوا فيه النظر فوجدوا فيه مائتي مملـوك غير المماليك الأول والمشاعلية ينادون على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شيء لو سمعت به مـا كنـت أصدقه ولكنني رأيت ذلك عياناً ثم أن الخليفة قال لصاحب الزورق الذي هم فيه خذ يا شيخ هذه العشرة دنانير وسر بنا في محاذاتهم فإنهم في النور ونحن في الظلام فننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا فأخذ الشـيخ العشرة دنانير ومشي بزورقه في محاذاتهم وساروا في ظلام زورقهم وأدرك شهرزاد فسكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قال للشيخ خذ هذه العشرة دنانير ومر بنا فـي محاذاتهم فقال سمعاً وطاعة ثم أخذ الدنانير وسار بهم ومازالوا سائرين في ظلام الزورق إلى البساتين فلمـا وصلوا إلى البستان رأوا زربيه فرسي عليها الزورق وإذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرجة ملجمـة فطلـع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندماء وصاحت المشاعلية واشتغلت الغاشية بشـأن الخليفـة الثـاني هارون الرشيد هو وجعفر ومسرور إلى البر وسقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة أشخاص لبسهم لبس تجار وهم غرباء الديار فأنكروا عليهم وغمزوا عليهم وأحضروهم بين يدي الخليفة الثاني فلما نظرهم قال لهم كيف وصلتم إلى هذا المكان وما الذي جاء بكم في هذا الوقـت قـالوا يـا مولانا نحن قوم من التجار غرباء الديار وقدمنا في هذا اليوم وخرجنا نتمشى الليل وإذا بكم فقد أقبلتم فجـاء هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين يديك وهذا خبرنا فقال الخليفة الثاني لا بأس عليكم لأنكم قوم غرباء ولـو كنتم من بغداد لضربت أعناقكم ثم التفت إلى وزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك فإنهم ضيوفنا في هذه الليلة فقال سمعاً وطاعة لك يا مولانا ثم سار وهم معه إلى أن وصلوا إلى قصر عال عظيم الشأن محكم البنيان ما حواه سلطان قام من التراب وتعلق بأكتاف السحاب وبابه من خشب الصاج مرصع بالذهب الوهـاج يصـل منـه الداخل إلى أيوان بفسقية وشاذروان وبسط ومخدات من الديباج ونمارق وطوالات وهناك ستر مسبول وفرش يذهل العقول ويعجز من يقول وعلى الباب مكتوب هذان البيتان:

قصـــر عليـــه تحيـــة وســـلام	**خلعـــت عليـــه جمالهـــا الأيـــام**
فيـــه العجائـــب والغرائـــب نوعـــت	**فتحيـــرت فـــي فنهـــا الأقـــلام**

ثم دخل الخليفة الثاني والجماعة صحبته إلى أن جلس على كرسي من الذهب مرصع بالجواهر وعلـى الكرسي سجادة من الحرير الأصفر وقد جلست الندماء ووقف سياف النقمة بين يديه فمدوا السـماط وأكلـوا ورفعت الأواني وغسلت الأيادي وأحضروا آلة المدام واصطفت القناني والكاسات ودار الدور إلى أن وصل إلى الخليفة هارون الرشيدي فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثاني لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يـا مولاي أن له مدة ما شرب من هذا فقال الخليفة الثاني عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهـو مـن

شراب التفاح ثم أمر به فأحضروه في الحال فتقدم الخليفة الثاني بين يدي هارون الرشيد وقال له كلما وصل إليك الدور فأشرب من هذا الشراب ومازالوا في انشراح وتعاطي أقداح الراح إلى أن تمكن الشراب من رؤوسهم واستولى على عقولهم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة الثاني هو وجلسائه ما زالوا يشربون حتى تمكن الشرب من رؤوسهم واستولى على عقولهم فقال الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر وا ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعري ما شأن هذا الشاب فبينما هما يتحدثان سراً إذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يتسارر مع الخليفة فقال أن المساررة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة إلا أن رفيقي هذا يقول أني سافرت إلى غالب البلاد ونادمت أكابر الملوك وعاشرت الأجناد فما رأيت أحسن من هذا النظام ولا أبهج من هذه الليلة غير أن أهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع ربما أورث الصداع فلما سمع الخليفة الثاني ذلك تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة وإذا بباب فتح وخرج منه خادم يحمل كرسياً من العاج مصفحاً بالذهب الوهاج وخلفه جارية بارعة في الحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية في السماء الصافية وبيدها عود عمل صناع الهنود فوضعته في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وغنت عليه بعد أن أطربت وقلبت أربعاً وعشرين طريقة حتى أذهلت العقول ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

لسان الهوى في مهجتي لك ناطق	**يخبر عني أنني لك عاشق**
ولي شاهد من حر قلب معذب	**وطرف قريح والدموع سوايق**
وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى	**ولكن قضاء ا في الخلق سابق**

فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه إلى الذيل وأسبلت عليه الستارة وأتوه ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها ثم جلس على عادته فلما وصل إليه القدح ضرب بالقضيب على المدورة وإذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسياً من الذهب وخلفه جارية أحسن من الجارية الأولى فجلست على ذلك الكرسي وبيدها عود يكمد قلب الحسود فغنت عليه بهذين البيتين:

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي	**والدمع من مقلتي طوفانه أبدي**
وا ما طاب لي عيش أسربه	**فكيف يفرح قلب حشوه كمدي**

فلما سمع الشاب هذا الشعر صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب إلى الذيل وانسبلت عليه الستارة وأتوه ببدلة أخرى فلبسها واستوي جالساً فرجع إلى حالته الأولى وانبسط في الكلام فلما وصل القدح إليه ضرب على المدورة فحرج خادم وراءه جارية أحسن من التي قبلها ومعه كرسي فجلست الجارية على الكرسي وبيدها عود فغنت عليه بهذه الأبيات:

أقصروا الهجر أو أقلوا جفاكم	**ففؤادي وحقكم ما سلاكم**
وأرحموا مدنفا كئيباً حزيناً	**ذا غرام متيماً في هواكم**
قد برته السقام من فرط وجد	**فتمنى من الإله رضاكم**

يــا بــدورا محلهــم فــي فــؤادي	كيــف أختــار فــي الأنــام ســواكم

فلما سمع الشاب هذه الأبيات صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب فأرخوا عليـه السـتارة وأتوه بثياب غيرها ثم عاد إلى حالته مع ندمائه ودارت الأقداح فلما وصل القدح إليه ضرب علـى المـدورة فانفتح الباب وخرج منه غلام ومعه كرسي وخلفه جارية فنصب لها الكرسي وجلست عليه وأخـذت العـود وأصلحته وغنت عليه بهذه الأبيات:

حتى متـى يمضـي التهـاجر والقلـي	ويعـود لـي مـا قـد مضـى لـي أولا
مـن أمــس كنــا والــديار تلمنــا"	فـي أنســنا ونــرى الحواســد عقــلا
غــدر الزمــان بنــا وفــرق شــملنا	مـن بعـد مـا تـرك المنـازل كـالخلا
أتــروم منــي يــا عــذولي ســلوة	وأرى فــؤادي لا يطيــع العــذلا
فــدع المــلام وخلنــي بصــبابتي	فالقلـب مـن أنـس الأحبـة مـا خـلا
يــا ســادة نقضــوا العهــود وبــدلوا	لا تحســبوا قلبــي ببعــدكم ســلا

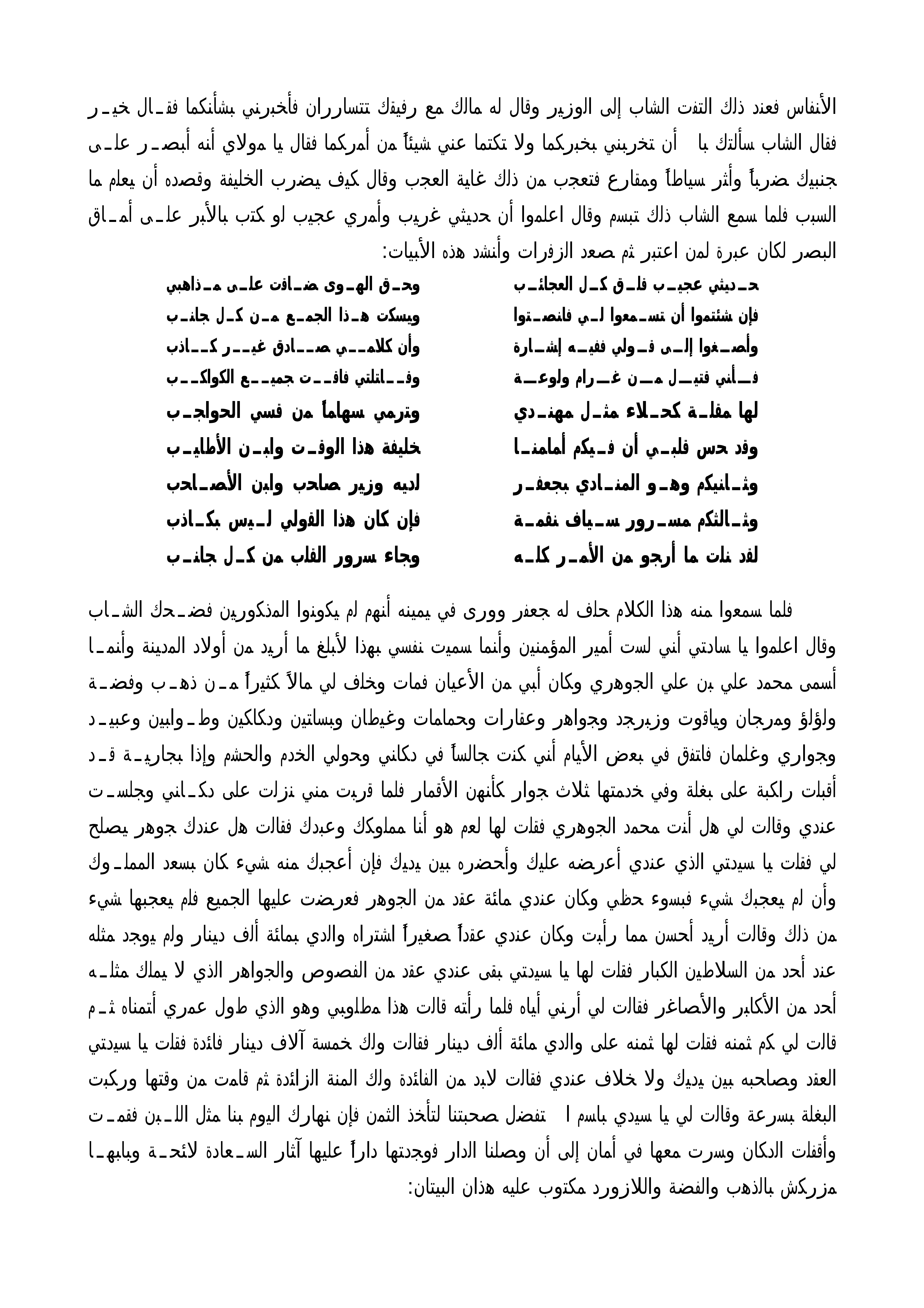
فلما سمع الخليفة الثاني إنشاد الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه. وأدرك شهرزاد فسـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة الثاني لما سمع شعر الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق مـا عليه من الثياب وخر مغشياً عليه فأرادوا أن يرخوا عليه الستارة بحسب العادة فتوقفت حبالها فلاحـت مـن هارون الرشيد التفاتة إليه فنظر على بدنه آثار ضرب مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد يا جعفـر وا أنه شاب مليح إلا أنه لص قبيح فقال جعفر من أين عرفت ذلك يا أمير المؤمنين فقال أما رأيت ما على جنبيه من أثر السياط ثم أسبلوا عليه الستارة وأتوه ببدلة غير التي كانت عليه فلبسها واستوى جالساً علـى حالتـه الأولى مع الندماء فلاحت منه التفاتة فوجد الخليفة وجعفراً يتحدثان سراً فقال لهما ما الخبر يا فتيـان فقـال جعفرلا يا مولانا خير غير أنه لا خفاء عليك أن رفيقي هذا من التجار وقد سافر جميع الأمصـار والأقطـار وصحب الملوك والأخبار وهو يقول لي أن الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة أسراف عظيم ولم أر أحداً فعل مثل فعله في سائر الأقاليم لأنه شق كذا وكذا بدلة كل بدلة بألف دينار وهذا أسـراف زائـد فقـال الخليفة الثاني يا هذا أن المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعض الألغام على الخدام والحواشي فـإن كـل بدلة شققتها لواحد من الندماء المضار وقد رسمت لهم مع كل بدلة بخمسمائة دينار فقال الوزير جعفر نعم ما فعلت يا مولانا ثم أنشد هذين البيتين:

بنــت المكــارم وســط كفــك منــزلاً	وجعلــت مالــك للأنــام مباحــاً
فــإذا المكــارم أغلقــت أبوابهــا	كانــت يــداك لقفلهــا مفتاحــاً

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بألف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الأقداح وطـاب لهم الراح فقال الرشيد يا جعفر أسأله عن الضرب الذي على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جوابـه فقـال لا تعجل يا مولانا وترفق بنفسك فإن الصبر أجمل فقال وحياة رأسي وتربة العباس أن لم تسأله لأخمـدن منـك



الأنفاس فعند ذلك التفت الشاب إلى الوزير وقال له مالك مع رفيقك تتسارران فأخبرني بشأنكما فقال خير فقال الشاب سألتك با أن تخبرني بخبركما ولا تكتما عني شيئاً من أمركما فقال يا مولاي أنه أبصر على جنبيك ضرباً وأثر سياطاً ومقارع فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كيف يضرب الخليفة وقصده أن يعلم ما السبب فلما سمع الشاب ذلك تبسم وقال اعلموا أن حديثي غريب وأمري عجيب لو كتب بالأبر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

حديثي عجيب فاق كل العجائب ... وحق الهوى ضاقت علي مذاهبي
فإن شئتموا أن تسمعوا لي فانصتوا ... ويسكت هذا الجمع من كل جانب
وأصغوا إلى قولي ففيه إشارة ... وأن كلامي صادق غير كاذب
فأني قتيل من غرام ولوعة ... وقاتلتي فاقت جميع الكواكب
لها مقلة كحلاء مثل مهندي ... وترمي سهاماً من قسي الحواجب
وقد حس قلبي أن فيكم أمامنا ... خليفة هذا الوقت وابن الأطايب
وثانيكم وهو المنادي بجعفر ... لديه وزير صاحب وابن الأصاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة ... فإن كان هذا القولي ليس بكاذب
لقد نلت ما أرجو من الأمر كله ... وجاء سرور القلب من كل جانب

فلما سمعوا منه هذا الكلام حلف له جعفر ووری في يمينه أنهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال اعلموا يا سادتي أني لست أمير المؤمنين وأنما سميت نفسي بهذا لأبلغ ما أريد من أولاد المدينة وأنما أسمى محمد علي بن علي الجوهري وكان أبي من الأعيان فمات وخلف لي مالاً كثيراً من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر وعقارات وحمامات وغيطان وبساتين ودكاكين وطوابين وعبيد وجواري وغلمان فاتفق في بعض الأيام أني كنت جالساً في دكاني وحولي الخدم والحشم وإذا بجارية قد أقبلت راكبة على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كأنهن الأقمار فلما قربت مني نزلت على دكاني وجلست عندي وقالت لي هل أنت محمد الجوهري فقلت لها نعم هو أنا مملوكك وعبدك فقالت هل عندك جوهر يصلح لي فقلت يا سيدتي الذي عندي أعرضه عليك وأحضره بين يديك فإن أعجبك منه شيء كان بسعد المملوك وأن لم يعجبك شيء فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد من الجوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء من ذلك وقالت أريد أحسن مما رأيت وكان عندي عقداً صغيراً اشتراه والدي بمائة ألف دينار ولم يوجد مثله عند أحد من السلاطين الكبار فقلت لها يا سيدتي بقى عندي عقد من الفصوص والجواهر الذي لا يملك مثله أحد من الأكابر والأصاغر فقالت لي أرني أياه فلما رأته قالت هذا مطلوبي وهو الذي طول عمري أتمناه ثم قالت لي كم ثمنه فقلت لها ثمنه على والدي مائة ألف دينار فقالت ولك خمسة آلاف دينار فائدة فقلت يا سيدتي العقد وصاحبه بين يديك ولا خلاف عندي فقالت لابد من الفائدة ولك المنة الزائدة ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لي يا سيدي باسم ا تفضل صحبتنا لتأخذ الثمن فإن نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وأقفلت الدكان وسرت معها في أمان إلى أن وصلنا الدار فوجدتها داراً عليها آثار السعادة لائحة وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد مكتوب عليه هذان البيتان:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ... ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف ... إذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرتني بالجلوس على مصطبة الباب إلى أن يأتي الصيرفي فجلست على باب الدار ساعة وإذا بجارية خرجت إلى وقالت يا سيدي أدخل الدهليز فإن جلوسك على الباب قبيح فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكة فبينما أنا جالس وإذا بجارية خرجت إلي وقالت لي يا سيدي أن سيدتي تقول لك أدخل وأجلس على باب الديوان حتى تقبض مالك فقمت ودخلت البيت وجلست لحظة وإذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير وإذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي أشترت مني ذلك العقد وقد أسفرت عن وجه كأنه دارة القمر والعقد في عنقها فطاش عقلي وأندهش لبي من تلك الجارية لفرط حسنها وجمالها فلما رأتني قامت من فوق الكرسي وسعت إلى نحوي وقالت لي يا نور عيني هل كل من كان مليح مثلك ما يرثي لمحبوبته فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا جوهري اعلم أني أحبك وما صدقت أني أجيء بك عندي ثم أنها مالت على فقبلتها وقبلتني وإلى جهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري قال ثم أنها مالت علي وقبلتني وإلى جهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني وعلمت من حالي أنني أريد وصالها فقالت يا سيدي أتريد أن تجتمع بي في الحرام وا لا كان من يفعل مثل هذه الآثام ويرضى بقبح الكلام فأني بكر عذراء مادنا مني أحد ولست مجهولة في البلد أتعلم من أنا فقلت لا وا يا سيدتي فقالت أنا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي وأخي جعفر وزير الخليفة فلما سمعت ذلك منها أحجمت بخاطري عنها وقلت لها يا سيدتي مالي ذنب في التهجم عليك أنت التي أطعمتيني في وصالك بالوصول إليك فقالت لا بأس عليك ولابد من بلوغك المراد بما يرضى ا فإن أمري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد أن أكون لك أهلاً وتكون لي بعلاً ثم أنها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم محمد علي ابن علي الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد في مهري وأنا قبلت ورضيت فكتبوا كتابي عليها ودخلت بها وأحضرت آلات الراح ودارت الأقدام بأحسن نظام وأتم أحكام ولما شعشعت الخمرة في رؤوسنا أمرت جارية عوادة أن تغني فأخذت العود وأطربت النغمات وأنشدت هذه الأبيات:

بدا فأراني الظبي والغصن والبدرا ... فتبا لقلب لا يبيت به مغرى
مليح أراد ا أطفاء فتنة ... يعارضه فاستؤنفت فتنة أخرى
أغالط عذالي إذا ذكروا لي ... حديثاً كأني لا أحب له ذكراً
وأصغى إذا فاهوا بغير حديثه ... بسمعي ولكني أذوب به فكراً
نبي جمال كل ما فيه معجز ... من الحسن لكن وجهه الآية الكبرى
أقام بلال الخال في صحن خده ... يراقب من لألأ غرته الفجرا
يريد سلوى العاذلون ... وما كنت أرضى بعد أيماني الكفرا

فاطربت الجارية بما أبدته من نغمات الأوتار ورقيق الأشعار ولم تزل الجواري تغني جاريـة بعـد جارية وينشدن الأشعار إلى أن غنت عشر جوار ثم أنها صرفت الجواري وقمنا إلى أحسن مكان قد فرش لنا فيه فرش من سائر الألوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الأحباب فوجـدتها درة لـم تثقـب ومهرة لم تركب ففرحت بها ولم أر في عمري ليلة أطيب من تلك الليلة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن محمد بن علي الجوهري قال لما دخلت بالسيدة دنيا بنت يحيـى بـن خالد البرمكي رأيتها درة لم تثقب ومهرة لم تركب فأنشدت هذين البيتين:

طوقتـــه طـــوق الحمـــام بســـاعدي   وجعلـــت كفـــى للثـــام مباحـــاً

هـذا هـو الفـوز العظـيم ولـم نـزل   متعـــانقين فـــلا نريـــد براحـــا

ثم أقمت عندها شهراً كاملاً وقد تركت الدكان والأهل والأوطان فقالت لي يوماً من الأيام يا نور العين يا سيدي محمد أني قد عزمت اليوم على المسير إلى الحمام فاستقر أنت على هذا السرير ولا تنتقل من مكانك إلى أن أرجع إليك وحلفتني على ذلك فقلت لها سمعاً وطاعة ثم أنها حلفتني أني لا أنتقل من موضعي وأخذت جواريها وذهبت إلى الحمام فو ا يا أخواني ما لحقت أن تصل إلى رأس الزقاق إلا والباب قد فتح ودخلـت منه عجوز وقالت يا سيدي محمد أن السيدة زبيدة تدعوك فإنها سمعت بأدبك وظرفك وحسن غنائك فقلت لها وا ما أقوم من مكاني حتى تأتي السيدة دنيا فقالت العجوز يا سيدي لا يجعل السيدة زبيدة تغضـب عليـك وتبقى عدوتك فقم كلمها وأرجع إلى مكانك فقمت من وقتي وتوجهت إليها والعجوز أمامي إلى أن أوصـلتني إلى السيدة زبيدة فلما وصلت إليها قالت لي يا نور العين هل أنت معشوق السيدة دنيا فقلـت أنـا مملوكـك وعندك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال والأدب والكمال فإنك فوق الوصف والمنال ولكن غن لي حتى أسمعك فقلت سمعاً وطاعة فأتتني بعود فغنيت عليه بهذه الأبيات:

قلـب المحـب مـع الأحبـاب مغلـوب   وجسـمه بيـد الأسـقام منهـوب

ما في الرجـال وقـد زمـت ركـائبهم   إلا محـب لـه فـي الركـب محبـوب

أســتودع ا فــي أظعــانكم قمـــراً   يهـواه قلبـي وعـن عينـي محجـوب

يرضـى ويغضـب مـا أحلـى تـد   وكـل مـا يفعلـه المحبـوب محبـوب

فلما فرغت من الغناء قالت لي أصح ا بدنك وطيب أنفاسك فلقد كملت في الحسن والأدب والغناء فقم وامض إلى مكانك قبل أن تجيء السيدة دنيا فلا تجدك فتغضب عليك فقبلت الأرض بـين يـديها وخرجـت والعجوز أمامي إلى أن وصلت إلى الباب الذي خرجت منه فدخلت وجئت إلى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمام وهي نائمة على السرير فقعدت عند رجليها وكبستها ففتحت عينيها فرأتني تحت رجليهـا فرفسـتني ورمتني من فوق السرير وقالت لي يا خائن خنت اليمين وحنثت فيه ووعدتني أنـك لا تنتقـل مـن مكانـك وأخلفت الوعد وذهبت إلى السيدة زبيدة وا لولا خوفي من الفضيحة لهدمت قصرها على رأسها ثـم قالـت

لعبدها يا صواب قم أضرب رقبة الخائن الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عيني وأراد أن يضرب عنقي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن محمد الجواهرجي قال فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عيني وأراد أن يضرب عنقي فقامت إليها الجواري الكبار والصغار وقلن لها يا سيدتنا ليس هذا أول من أخطأ وهو لا يعرف خلقك وما فعل ذنباً يوجب القتل فقالت وا لابد أن أعمل فيه أثراً ثم أمرت بضربي فضربوني على أضلاعي وهذا الذي رأيتموه أثر ذلك الضرب وبعد ذلك أمرت بإخراجي فأخرجوني وأبعدوني عن القصر ورموني فحملت نفسي ومشيت قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى منزلي وأحضرت جراحياً وأريته الضرب فلاطفني وسعى في مداواتي فلما شفيت ودخلت الحمام وزالت عني الأوجاع والأسقام جئت إلى الدكان وأخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت لي أربعمائة مملوك ما جمعهم أحد من الملوك وصار يركب معي منهم في كل يوم مائتان وعملت هذا الزورق وصرفت عليه خمسة آلاف دينار من الذهب وسميت نفسي بالخليفة ورتبت من معي من الخدم واحد في وظيفة واحد من أتباع الخليفة وهيأته بهيئته وناديت كل من يتفرج في الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولي على هذا الحال سنة كاملة وأنا لم أسمع لها خبراً ولم أقف لها على أثر ثم أنه بكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

وا ما كنت طول الدهر ناسيها	**ولا دنوت إلى من ليس يدنيها**
كأنها البدر في تكوين خلقتها	**سبحان خالقها سبحان باريها**
قد صيرتني حزيناً ساهراً دنفاً	**والقلب قد حار مني في معانيها**

فلما سمع هارون الرشيد كلامه وعرف وجده ولوعته وغرامه تدله ولها تحير عجباً وقال سبحان ا الذي جعل لكل شيء سبباً ثم أنهم استأذنوا الشاب في الانصراف فأذن لهم وأضمر له الرشيد على الإنصاف وأن يتحفه غاية الإتحاف ثم أنصرفوا من عنده سائرين إلى محل الخلافة متوجهين فلما استقر بهم الجلوس وغيروا ما عليهم من الملبوس ولبسوا أثواب المواكب ووقف بين أيديهم مسرور سياف النقمة قال الخليفة لجعفر يا وزير علي بالشاب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال للوزير علي بالشاب الذي كنا عنده في الليلة الماضية فقال سمعاً وطاعة ثم توجه إليه وسلم عليه وقال له أجب أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد فسار معه إلى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل على الخليفة قبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والإقبال وبلوغ الآمال ودوام النعم وإزالة البؤس والنقم وقد أحسن ما به تكلم حيث قال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامي حومة الدين ثم أنشد هذين البيتين:

لا زال بابك كعبة مقصودة	**وترابها فوق الجباه رسوم**
حتى ينادي في البلاد بأسرها	**هذا المقام وأنت ابراهيم**

فتبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام والتفت إليه بعين الإكرام وقربه لديه وأجلسه بين يديه وقال له يا محمد علي أريد منك أن تحدثني بما وقع لك في هذه الليلة فإنه من العجائب وبديع الغرائب فقـال الشـاب العفو يا أمير المؤمنين أعطني منديل الأمان ليسكن روعي ويطمئن قلبي فقال له الخليفة لـك الأمـان مـن الخوف والأحزان فشرع الشاب يحدثه بالذي حصل له من أوله إلى آخره فعلم الخليفـة أن الصـبي عاشـق وللمعشوق مفارق فقال له أتحب أن أردها عليك قال هذا من فضل أمير المؤمنين ثم أنشد هذين البيتين:

الـــتم أناملـــه فليـــيس أنـــاملا لكـــــــنهن مفـــــــاتح الأرزاق

وأشـــكر صـــنائعه فلســـن صـــنائعا لكـــــنهن قلائـــــد الأعنـــــاق

فعند ذلك التفت الخليفة إلى الوزير وقال له يا جعفر أحضر لي أختك السيدة دنيا بنت الوزير يحيى بن خالد فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ثم أحضرها في الوقت والساعة فلما تمثلت بين يديه قال لها الخليفة أتعرفين من هذا قالت يا أمير المؤمنين من أين للنساء معرفة الرجال فتبسم الخليفة وقال لها يا دنيا هذا حبيبك محمد بن علي الجوهري وقد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها إلى آخرها وفهمنـا ظاهرهـا وباطنهـا والأمر لا يخفى وإن كان مستوراً فقالت يا أمير المؤمنين كان ذلك في الكتاب مسـطوراً وأنـا اسـتغفر ا العظيم مما جرى مني وأسألك من فضلك العفو عني فضحك الخليفة هارون الرشيد وأحضر القاضي والشهود وجدد عقدها على زوجها محمد بن علي الجوهري وحصل لها وله سعد السعود وإكماد الحسود وجعله مـن جملة ندمائه واستمروا في سرور وله وحبور إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات.

(حكاية هارون الرشيد مع علي العجمي وما يتبع ذلك)

(من حديث الجراب والكردي)

(ومما) يحكي أيضاً أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي فاستدعى بوزيره فلما حضر بين يديه قال له يا جعفر أني قلقت الليلة قلقاً عظيماً وضاق صدري وأريد منك شيئاً يسر خاطري وينشرح به صدري فقال له جعفر يا أمير المؤمنين إن لي صديقاً أسمه علي العجمي وعنده من الحكايات والأخبار المطربة مـا يسر النفوس ويزيل عن القلب البؤس فقال له على به فقال سمعة وطاعة ثم أن جعفر خرج من عند الخليفـة في طلب العجمي فأرسل خلفه فلما حضر قال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعاً وطاعـة وأدرك شـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال سمعاً وطاعة ثم توجه معه إلى الخليفة فلما تمثل بين يديه أذن له في الجلوس فجلس فقال له الخليفة يا علي أنه ضاق صدري في هذه الليلة وقد سمعت عنك أنك تحفظ حكايات وأخبار وأريد منك أن تسمعني ما يزيل همي ويصقل فكري فقال يا أمير المؤمنين هل أحدثك بالـذي رأيته بعيني أو بالذي سمعته بأذني فقال إن كنت رأيت شيئاً فاحكه فقال سمعاً وطاعة اعلم يا أمير المـؤمنين أني سافرت في بعض السنين من بلادي هذه وهي مدينة بغداد وصحبتي غلام ومعه جراب لطيـف ودخلنـا مدينة فبينما أنا أبيع وأشتري وإذا برجل كردي ظالم متعدي قد هجم علي وأخذ مني الجراب وقال هذا جرابي

وكل ما فيه متاعي فقلت يا معشر المسلمين خلصوني من يدا فجر الظالمين فقال الناس جميعـاً اذهبـا إلـى القاضي واقبلا حكمه بالتراضي فتوجهنا إلى القاضي وأنا بحكمه راضي فلما دخلنا عليه وتمثلنا بين يديه قال القاضي في أي شيء جئتما وما قضية خبركما فقلت نحن خصمان إليك تداعينا وبحكمك تراضينا فقال أيكمـا المدعي فتقدم الكردي وقال أيد ا مولانا القاضي أن هذا الجراب جرابي وكل ما فيه متاعي وقد ضاع منـي ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع منك فقال الكردي من أمس هذا اليوم وبت لفقده بـلا نـوم فقال القاضي إن كنت تعرفه فصف لي ما فيه فقال الكردي في جرابي هذا مردوان من لجين وفيـه أكحـال للعين ومنديل لليدين ووضعت فيه شرابتين مذهبتين وشمعدانين وهو مشتمل على بيتين وطبقتـين ومعلقتـين ومخدة ونطعين وأبريقين وصينية وطشتين وقدرة وزلعتين ومغرفة ومسلة ومرودين وهرة وكلبتين وقصـعة وقعيدتين وجبة وفروتين وبقرة وعجلين وعنزا وشاتين ونعجة وسلخين وصيوانين أخضرين وجملاً ونـاقتين وجاموسة وثورين ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وقصراً وقاعتين ورواقاً ومقعدين ومطبخـاً ببابين وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول أنت يا هذا فتقدمت إليـه يـا أميـر المؤمنين وقد أبهتني الكردي بكلامه فقلت أعز ا مولانا القاضي أنا ما في جرابي هذا إلا دويـرة خـراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون الكعاب وفيه خيام وأطنـاب ومدينـة البصرة وبغداد وقصر شداد ابن عاد وكور حداد وشبكة صياد وعصا وأوتاد وبنـات وأولاد وألـف قـواد يشهدون أن الجراب جرابي فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا مولانا القاضي أن جرابي هذا معروف وكل ما فيه موصوف في جرابي هذا حصون وقلاع وكراكي وسباع ورجـال يلعبـون بالشـطرنج والرقاع وفي جرابي هذا حجرة ومهران وفحل وحصانان ورمحان طويلان وهو مشتمل على سبع وأرنبـين ومدينة وقريتين وقحبة وقوادين شاطرين ومخنث وعلقين وأعمى وبصيرين وأعـرج ومكسـحين وقسـيس وشماسين وبطريق وراهبين وقاض وشاهدين وهم يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول يا علي فامتلأت غيظاً يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت أيد مولانا القاضي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال فامتلأت غيظاً يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت أيد ا مولانا القاضي أنا في جرابي هذا زرد وصفاح وخزائن سلاح وألف كبش نطاح وفيه للغنم مراح وألف كلب نباح وبساتين وكروم وأزهار ومشموم وتين وتفاح وصور وأشباح وقناني وأقداح وعرائس ومغاني وأفـراح وهرج وصياح وأقطار فساح وأخوة نجاح ورفقة صباح ومعهم سيوف ورماح ملاح وقوس ونشاب وأصدقاء وأحباب وخلان وأصحاب ومحابس للعقاب وندماء للشراب وطنبور ونايات وأعلام ورايات وصبيان وبنـات وعرائس مجليات وجوار مغنيات وخمس حبشيات وثلاث هنديات وأربع مدنيات وعشرون روميات وخمسون تركيات وسبعون عجميات وثمانون كرديات وتسعون جرجيات والدجله والفرات وشبكة صياد وقداحة وزناد وأرم ذات العماد وألف علق وقواد وميادين واصطبلات ومساجد وحمامات وبناء وتجار وخشـبة ومسـمار وعبد أسود بمزمار ومقدم وركبدار ومدن وأمصار ومائة ألف دينار والكوفة مع الأنبار وعشرون صـندوقاً

ملآنة بالقماش وخمسون حاصلاً للمعاش وغزة وعسقلان من دمياط إلى أصوان وأيوان كسرى أنوشروان وملك سليمان ومن وادي نعمان إلى أرض خراسان وبلخ وأصبهان ومن الهند إلى بلاد السودان وفيه أطال ا عمر مولانا القاضي غلائل وعراضي وألف موس ماض تحلق ذقن القاضي إن لم يخش عقابي ولم يحكم بان الجراب جرابي فلما سمع القاضي هذا الكلام تحير عقله من ذلك وقال ما أراكما إلا شخصين نحسين أو رجلين زنديقين تلعبان بالقضاة والحكام ولا تخشيان من الملام لأنه ما وصف الواصفون ولا سمع السامعون بأعجب مما وصفتما ولا تكلموا بمثل ما تكلمتما وا أن من الصين إلى شجرة أم غيلان ومن بلاد فارس إلى أرض السودان ومن وادي نعمان إلى أرض خراسان لا يسع ما ذكرتماه ولا يصدق ما أدعيتماه فهل هذا الجراب بحر ليس له قرار أويوم العرض الذي يجمع الأبرار والفجار ثم أن القاضي أمر بفتح الجراب ففتحه وإذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم رميت الجراب قدام الكردي ومضيت فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من على العجمي استلقى على قفاه من الضحك وأحسن جائزته.

(حكاية هارون الرشيد مع جعفر والجارية والإمام أبي يوسف)

(ومما يحكي أن جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال الرشيد يا جعفر بلغني أنك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة تطلبها فإنها على غاية الجمال وقلبي بحبها في اشتغال فبعها لي فقال لا أبيعها يا أمير المؤمنين فقال هبها لي فقال لا أهبها فقال هارون الرشيد زبيدة طالق ثلاثاً إن لم تبعها لي أو تهبها لي قال جعفر زوجتي طالق ثلاثاً إن بعتها لك ثم أفاق من نشوتهما وعلما أنهما وقعا في أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال هارون الرشيد هذه وقعة ليس لها غير أبي يوسف فطلبوه وكان ذلك نصف الليل فلما جاءه الرسول قام فزعاً وقال في نفسه ما طلبت في هذا الوقت إلا لأمر حدث في الإسلام ثم خرج مسرعاً وركب بغلته وقال لغلامه خذ معك مخلاة البغلة لعلها لم تستوف عليقها فإذا دخلنا دار الخلافة فضع لها المخلاة لتأكل ما بقي من عليقها إلى حين خروجي إذ لم تستوف عليقها في هذه الليلة فقال الغلام سمعاً وطاعة فلما دخل على هارون الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه أحد غيره وقال له ما طلبناك في هذا الوقت إلا لأمر مهم هو كذا وكذا وقد عجزنا في تدبير الحيلة فقال يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر أسهل ما يكون ثم قال يا جعفر بع لأمير المؤمنين نصفها وهب له نصفها وتبرآن في يمينكما بذلك فسر أمير المؤمنين بذلك وفعلا ما أمرهما به ثم قال هارون الرشيد أحضروا الجارية في هذا الوقت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قال أحضروا لجارية في هذا الوقت فإني شديد الشوق إليها فأحضروها وقال للقاضي أبي يوسف أريد وطأها في هذا الوقت فإني لا أطيق الصبر عنها إلى مضي مدة الأستبراء وما الحيلة في ذلك فقال أبو يوسف تئوني بمملوك أمير المؤمنين الذي لم يجر عليهم العتق فأحضروا مملوكاً فقال أبو يوسف أئذن لي أن أزوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها في هذا الوقت من غير استبراء فأعجب هارون الرشيد ذلك أكثر من الأول فلما حضر المملوك قال الخليفة للقاضي أذنت لك في العقد فأوجب القاضي النكاح ثم قبله المملوك وبعد ذلك قال له القاضي طلقها ولك مائة دينار

فقال لا أفعل ولم يزل يزيده وهو يمتنع إلى أن عرض عليه ألف دينار ثم قال للقاضي هل الطلاق بيدي أم بيد أمير المؤمنين قال بل بيدك قال وا لا أفعل أبداً فاشتد غضب أمير المؤمنين وقال ما الحيلة يا أبا يوسف قال القاضي أبو يوسف يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الأمر هين ملك هذا المملوك للجارية قال ملكته لها قال لها القاضي قولي قبلت فقالت قبلت فقال القاضي حكمت بينهما بالتفريق لأنه دخل في ملكها فانفسخ النكاح فقـام أمير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضياً في زماني واستدعي بأطباق الذهب فأفرغت بين يديـه وقال للقاضي هل معك شيء تضعه فيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهباً فأخذها وانصرف إلى بيته فلما أصبح الصباح قال لأصحابه لا طريق إلى الدين والدنيا أسهل وأقرب من طريق العلم فإني أعطيت هذا المال العظيم في مسئلتين أو ثلاث فانظر أيها المتأدب إلى لطف هذه الوقعة فإنها اشتملت على محاسـن منها دلال الوزير على هارون الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم ا تعالى أرواحهم أجمعين.

(حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق)

(ومما) يحكى أن خالد بن عبد ا القسري كان أمير البصرة فجاء إليه جماعـة متعلقـون بشـاب ذي جمال باهر وأدب ظاهر وعقل وافر وهو حسن الصورة طيب الرائحة وعليه سكينة ووقار فقدموه إلى خالـد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص أصبناه البارحة في منزلنا فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم دنا منه وسأله عن قصته فقال أن القوم صادقون فيما قالوه والأمر على ما ذكروا فقال له خالـد ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني على ذلك الطمع في الـدنيا وقضـاء ا سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن أدبك زاجر يزجرك عن السرقة قال دع عنك هذا أيها الأمير وامض إلى ما أمر ا تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما ا بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له أن اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابنـي وأنا ما أظنك سارقاً ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها قال أيها الأمير لا يقطع نفعك شيء سـوى مـا اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقت ما أمكنني فأدركوني وأخذوه مني وحملوني إليك فأمر خالد بحبسه وأمر منادي ينادي بالبصرة إلا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فـلان اللـص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحل الفلاني فلما استقر الفتى في الحبس ووضعوا في رجليه الحديد تنفس الصعداء وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

هـــددني خالـــد بقطـــع يـــدي	إذ لـــم أبـــح عنـــده بقصــــتها
فقلـــت هيهـــات أن أبـــوح بمـــا	تضـــمن القلـــب مـــن محبتهـــا
قطـــع يـــدي الـــذي اعترفـــت بـــه	أهـــون للقلـــب مـــن فضـــيحتها

فسمع ذلك الموكلون به فاتوا خالداً وأخبره بما حصل منه فلما جن الليل أمر بإحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه عاقلاً أديباً فطنا ظريفاً لبيباً فأمر له بطعام فأكل وتحدث معه ساعة ثم قال له خالد قد علمت أن لك قصة غير السرقة فإذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضي وسألك عن السرقة فأنكرها واذكر مـا يدرأ عنك حد القطع فقد قال رسول ا ﷺ أدرأوا الحدود بالشبهات ثم أمر به إلى السـجن وأدرك شـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خالداً بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه ليلته فلما أصبح الصباح حضر الناس يقطعون يد الشاب ولم يبق أحد في البصرة من رجل ولا امرأة إلا وقد حضـر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم استدعى بالقضاة وأمـر بإحضـار الفتى فأقبل يحجل في قيوده ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه وارتفعت أصوات النسـاء بالنحيـب فـأمر القاضي بتسكيت النساء ثم قال له أن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت ما لهم فلعلـك سـرقت دون النصائب قال بل سرقت نصاباً كاملاً قال لعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لاحـق لي فيه فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلاً بهذا البيت

يريـــد المـــرء أن يعطـــي منـــاه ويـــــأبى ا ألا مــــــا يريـــــد

بم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبادرت جاريـة مـن وسط النساء عليها أطوار وسخة فصرخت ورمت نفسها عليهي ثم أسفرت عن وجه كأنه القمر وارتفـع فـي الناس ضجة عظيمة وكاد أن يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشر ثم نادت تلك الجارية بأعلا صوتها ناشدتك ا أيها الأمير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت إليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات:

أخالـــد هـــذا مســـتهام متـــيم	**رمتـــه لحـــاظي عـــن قســـي الحمـــالق**
فأصـــماه ســـهم اللحـــظ منـــي لأنـــه	**حليف جـوري مـــن دائـــه غيـــر فـــائق**
أقربمـــــا لـــــم يقترفـــــه كأنـــــه	**رأي ذاك خيـــراً مـــن هتيكـــة عاشـــق**
فهـــلا عـــن الصـــب الكئيـــب فإنـــه	**كريم السجايا في الـورى غيـر سـارق**

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى وانفرد عن الناس وأحضر المرأة ثم سألها عن القصة فأخبرته بـأن هـذا الفتى عاشق لها وهي عاشقة له وأنما أراد زيارتها فتوجه إلى دار أهلها ورمى حجراً في الدار ليعلمها بمجيئه فسمع أبوها وأخوتها صوت الحجر فصعدوا إليه فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وأراهم أنه سارق ستراً على معشوقته فلما رأوه على هذه الحالة أخذوه وقالوا هذا سارق وأتوا به إليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحني وقد ارتكب هذه الأمور من رمى نفسه بالسرقة لفرط مروءته وكرم نفسه فقال خالد أنه لخليق بان يسعف بمراده ثم استدعى الفتى إليه وقبله بين عينيه وأمر بإحضار أبي الجارية وقال له يا شيخ أنا كنا عزمنا على إنفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع ولكن ا عز وجل قد حفظه من ذلك وقد أمرت له بعشـرة آلاف درهم لبذله يده حفظاً لعرضك وعرض أبنتك وصيانتكما من العار وقد أمرت لأبنتك بعشرة آلاف درهم حيث أخبرتني بحقيقة الأمر وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ أيها الأمير قد أذنت لك فـي ذلك فحمد ا خالد وأثنى عليه وخطب خطبة حسنة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خالد أحمد ا وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بأذنها ورضاها وأذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج ثم أن خالداً أمر بحمل المال إلى دار الفتى مزفوفاً في الصواني وانصرف الناس وهم مسرورون فما رأيت يوماً أعجب من ذلك اليوم أوله بكاء وشرور وآخره فرح وسرور.

(حكاية أبي محمد الكسلان مع الرشيد)

(ومما) يحكى أن هارون الرشيد كان جالساً ذات يوم في تخت الخلافة إذ دخل عليه غلام من الطواشية ومعه تاج من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفيه من سائر اليواقيت والجواهر مالاً يفي به مال ثم أن الغلام قبل الأرض بين يدي الخليفة وقال له يا أمير المؤمنين أن السيدة زبيدة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه وا لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

(وفي ليلة ٣٣٦)

قالت لها أختها يا أختي أتممي لنا حديثك قالت حباً وكرامة أن أذن لي الملك فقال الملك أحكي يا شهرزاد قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام قال للخليفة أن السيدة زبيدة تقبل الأرض بين يديك وتقول لك أنت تعرف أنها قد عملت هذا التاج وأنه محتاج إلى جوهرة كبيرة تكون في رأسه وفتشت في ذخائرها فلم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها فقال الخليفة للحجاب والنواب فتشوا على جوهرة كبيرة على غرض زبيدة ففتشوا فلم يجدوا شيئاً يوافقها فاعلموا الخليفة بذلك فضاق صدره وقال كيف أكون خليفة وملك ملوك الأرض واعجز عن جوهرة ويلكم فاسألوا التجار فسألوا التجار فقالوا لهم لا يجد مولانا الخليفة الجوهرة إلا عند رجل من البصرة يسمى أبا محمد الكسلان فأخبروا الخليفة بذلك فأمر وزيره جعفر أن يرسل بطاقة إلى الأمير محمد الزبيدي المتولي على البصرة أن يجهز أبا محمد الكسلان ويحضر بين يدي أمير المؤمنين فكتب الوزير بطاقة بمضمون ذلك وأرسلها مع مسرور ثم توجه مسرور بالبطاقة إلى مدينة البصرة ودخل على الأمير محمد الزبيدي ففرح به وأكرمه غاية الأكرام ثم قرأ عليه بطاقة أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال سمعاً وطاعة ثم أرسل مسرور مع جماعة من أتباعه إلى أبي محمد الكسلان فتوجهوا إليه وطرقوا عليه الباب فخرجوا لهم بعض الغلمان فقال له مسرور قل لسيدك أن أمير المؤمنين يطلبك فدخل الغلام وأخبره بذلك فخرج فوجده مسروراً حاجب الخليفة ومعه أتباع الأمير محمد الزبيدي فقبل الأرض بين يديه وقال سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ولكن ادخلوا عندنا فقالوا ما نقدر على ذلك لأننا على عجل كما أمرنا أمير المؤمنين فإنه ينتظر قدومك فقال أصبروا على يسيراً حتى أجهز أمري ثم دخلوا معه إلى الدار بعد استعطاف زائد فرأوا في الدهليز ستوراً من الديباج الأزرق المطرز بالذهب الأحمر ثم أن أبا محمد الكسلان أمر بعض غلمانه أن يدخلوا مع مسرور الحمام الذي في الدار ففعلوا فرأوا حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مزركش بالذهب والفضة ماؤه ممزوج بماء الورد واحتفل الغلمان بمسرور ومن معه وخدموهم أتم الخدمة ولما خرجوا من الحمام البسوهم خلعاً من الديباج منسوجة بالذهب ثم دخل مسرور وأصحابه فوجدوا أبا محمد

الكسلان جالساً في قصره وقد علقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجـوهر والقصر مفروش بمساند مزركشة بالذهب الأحمر وهو جالس على مرتبة والمرتبة علـى سـرير مرصـع بالجواهر فلما دخل عليه مسرور رحب به وتلقاه واجلسه بجانبه ثم أمر بإحضار السماط فلما رأى مسـرور وذلك السماط قال وا ما رأيت عند أمير المؤمنين مثل ذلك السماط أبداً وكان في ذلك السماط أنواع الأطعمة وكلها موضوعة في أطباق صيني مذهبة قال مسرور فأكلنا وشربنا وفرحنا إلىآخر النهار ثم أعطانـا كـل واحد خمسة آلاف دينار ولما كان اليوم الثاني ألبسونا خلعاً خضراء مذهبة وأكرمونا غاية الإكرام ثم قال لـه مسرور لا يمكننا أن نقعد زيادة على تلك المدة خوفاً من الخليفة فقال له أبو محمد الكسلان يا مولانا أصـبر علينا إلى غد حتى نتجهز ونسير معكم فقعدوا ذلك اليوم وباتوا إلى الصباح ثم أن الغلمان شدوا لأبي محمـد الكسلان بغلة بسرج من الذهب مرصع بأنواع الدر والجوهر فقال مسرور في نفسه يا ترى إذا أحضر أبـو محمد بين يدي الخليفة بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الأموال ثم بعد ذلك ودعوا أبا محمـد الزبيـدي وطلعوا من البصرة وساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مدينة بغداد فلما دخلوا على الخليفة ووقفـوا بين يديه أمره بالجلوس فجلس ثم تكلم بأدب وقال يا أمير المؤمنين أني جئت معي بهدية على وجـه الخدمـة فهل أحضرها عن أذنك قال الرشيد لا بأس بذلك فأمر بصندوق وفتحه وأخرج منه تفاحاً من جملتها أشـجار من الذهب وأوراقها من الزمرد الأبيض وثمارها ياقوت أحمر وأصفر ولؤلؤ أبيض فتعجب الخليفة من ذلـك ثم أحضر صندوقاً ثانياً وأخرج منه خيمة من الديباج مكللة باللؤلؤ واليواقيت والزمـرد والزبرجـد وأنـواع الجوهر وقوائمها من عود هندي رطب وأذيال تلك الخيمة مرصعة بالزمرد الأخضر وفيهـا تصـاوير كـل الصور من سائر الحيوانات الطيور والوحوش وتلك الصور مكللة بالجواهر واليواقيت والزمـرد والزبرجـد والبلخش وسائر المعادن فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحاً شديداً ثم قال أبو محمد الكسلان يا أمير المؤمنين لا تظن أني حملت لك هذا فزعاً من شيء ولا طمعاً في شيء وأنما رأيت نفسي رجلاً عامياً ورأيـت هـذا لا يصلح إلا لأمير المؤمنين وأن أذنت لي فرجتك على بعض ما أقدر عليه فقال الرشيد أفعل ما شـئت حتـى ننظر فقال سمعاً وطاعة ثم حرك شفتيه وأومأ إلى شراريف القصر فمالت إليه ثم أشار إليها فرجعـت إلـى موضعها ثم أشار بعينه فظهرت إليه مقفلة الأبواب ثم تكلم عليها وإذا بأصوات طيور تجاوبه فتعجب الرشـيد من ذلك غاية العجب وقال له من أين لك هذا كله وأنت ما تعرف إلا بأبي محمد الكسلان وأخبروني أن أباك كان حلاقاً يخدم في حمام وما خلف لك شيئاً فقال يا أمير المؤمنين أسمع حديثي وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال للخليفة يا أمير المؤمنين أسـمع حـديثي فإنـه عجيب وأمره غريب لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الرشيد حدث بمـا عنـدك وأخبرني به يا أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أدام ا لك العز والتمكين أن أخبـار النـاس بـأن أعـرف بالكسلان وأن أبي لم يخلف لي مالا صدق لأن أبي لم يكن إلا كما ذكرت فإنه كان حلاقاً في حمام وكنت أنا في صغري أكسل من يوجد على وجه الأرض وبلغ من كسلي أني إذا كنت نائماً في أيام الحر وطلعت علـى

الشمس أكسل عن أن أقوم وأنتقل من الشمس إلى الظل وأقمت على ذلك خمسة عشر عاماً ثم أن أبي تـوفى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلف لي شيئاً وكانت أمي تخدم الناس وتطعمني وتسقيني وأنا راقد علـى جنبـي فأتفق أن أمي دخلت علي في بعض الأيام ومعها خمسة دراهم من الفضة وقالت لي يا ولدي بلغني أن الشيخ أبا المظفر عزم على أن يسافر إلى الصين وكان ذلك الشيخ يحب الفقراء وهو من أهل الخير فقالت أمي يـا ولدي خذ هذه الخمسة دراهم وامض بنا إليه واسأله أن يشتر لك بهاشيئاً من بلاد الصين لعله يحصل لك فيـه ربح من فضل الله تعالى فكسلت عن القيام معها فأقسمت بالله أن لم أقم معها لا تطعمني ولا تسقيني ولا تدخل على بل تتركني أموت جوعاً وعطشاً فلما سمعت كلامها يا أمير المؤمنين علمت أنها تفعل ذلك لما تعلم مـن كسلي فقلت لها أقعديني فأقعدتني وأنا باكي العين وقلت لها أتيني بمداسي فأتتني به فقلت ضعيه في رجـلاي فوضعته فيهما فقلت لها احمليني حتى ترفعيني من الأرض ففعلت ذلك فقلت أسنديني حتى أمشـي فصـارت تسندني وما زلت أمشي وأتعثر في أذيالي إلى أن وصلنا إلى ساحل البحر فسلمنا على الشيخ وقلت له يا عـم أنت أبو المظفر قال لبيك قلت خذ هذه الدراهم واشتر لي بها شيئاً من بلاد الصين عسى الله أن يربحني فيـه فقال الشيخ أبو المظفر لأصحابه أتعرفون هذا الشاب قالوا نعم هذا يعرف بأبي محمد الكسلان ما رأيناه قـط خرج من داره إلا في هذا الوقت فقال الشيخ أبو المظفر يا ولدي هات الدراهم على بركة الله تعالى ثم أخـذ مني الدراهم وقال بسم الله ثم رجعت مع أمي إلى البيت وتوجه الشيخ أبو المظفر إلى السفر ومعه جماعـة من التجار ولم يزالوا مسافرين حتىوصلوا إلى بلاد الصين ثم أن الشيخ باع واشتري وبعد ذلك عزم علـى الرجوع هو ومن معه بعد قضاء أغراضهم وساروا في البحر ثلاثة أيام فقال الشيخ لأصحابه قفوا بالمركـب فقال التجار ما حاجتك فقال اعلموا أن الرسالة التي معي لأبي محمد الكسلان نسيتها فارجعوا بنا حتى نشتري له بها شيئاً حتى ينتفع به فقالوا له سألناك بالله تعالى أن لا تردنا فإننا قطعنا مسافة طويلة زائدة وحصل لنـا في ذلك أهوال عظيمة ومشقة زائدة فقال لابد لنا من الرجوع فقالوا خذ منا أضعاف ربح الخمسة دراهـم ولا تردنا فسمع منهم وجمعوا له مالا جزيلاً ثم ساروا حتى أشرفوا على جزيرة فيها خلق كثير فأرسـوا عليهـا وطلع التجار يشترون منها متجراً من معادن وجواهر ولؤلؤ وغير ذلك ثم رأى أبو المظفر رجلاً جالساً وبين يديه قرود كثيرة وبينهم قرد منتوف الشعر وكانت تلك القرود كلما غفل صاحبهم يمسكون ذلك القرد المنتوف ويضربونه ويرمونه على صاحبهم فيقوم ويضربهم ويقيدهم ويعذبهم على ذلك فتغتاظ القرود كلها مـن ذلـك القرد ويضربونه ثم أن الشيخ أبا المظفر لما رأى ذلك القرد حزن عليه ورفق به فقال لصاحبه أتبيعني هـذا القرد قال اشتر قال أن معي لصبي يتيم خمسة دراهم هل تبيعني أياه بها قال له بعتك بارك الله لك فيـه ثـم تسلمه وأقبضه الدراهم وأخذ عبيد الشيخ القرد وربطوه في المركب ثم حلوا وسافروا إلـى جزيـرة أخـرى فأرسوا عليها فنزل الغطاسون الذين يغطسون على المعادن واللؤلؤ والجوهر وغير ذلك فأعطـاهم التجـار دراهم أجرة على الغطاس فغطسوا فرآهم القرد يفعلون ذلك فحل نفسه من رباطه ونط من المركب وغطـس معهم فقال أبو المظفر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد عدم القرد منا ببخت هذا المسكين الذي أخذناه له ويأسوا على القرد ثم طلع جماعة من الغطاسين وإذا بالقرد طلع معهم وفي يده نفائس الجواهر فرماها بين يدي أبي المظفر فتعجب من ذلك وقال أن هذا القرد فيه سرد عظيم ثم حلوا وسافروا إلى أن وصـلوا إلـى

جزيرة تسمى جزيرة الزنوج وهم قوم من السودان يأكلون لحم بني آدم فلما رأوهم السودان ركبوا عليهم في القوارب وأتوا إليهم وأخذوا كل من في المركب وكتفوهم وأتوا بهم إلى الملك فأمر بذبح جماعة من التجـار فذبحوهم وأكلوا لحومهم ثم أن بقية التجار باتوا محبوسين وهم في نكد عظيم فلما كان وقت الليل قام القـرد إلى أبي المظفر وحل قيده فلما رأى التجار أبا المظفر قد انحل قالوا عسى ا أن يكون خلاصنا على يديك يا أبا المظفر فقال لهم اعلموا أنه ما خلصني بإرادة ا تعالى إلا هذا القرد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا المظفر قال ما خلصني بإرادة ا تعالى إلا هذا القرد وقد خرجت له عن ألف دينار فقال التجار ونحن كذلك كل واحد منا خرج له عن ألف دينار أن خلصنا فقام القـرد إلـيهم وصار يحل واحد بعد واحد حتى حل الجميع من قيودهم وذهبوا إلىالمركب وطلعوا فيها فوجدوها سالمة ولم ينقص منها شيء ثم حلوا وسافروا فقال أبو المظفر يا تجار أوفوا بالذي قلتم عليه للقرد فقالوا سمعاً وطاعـة ودفع له كل واحد منهم ألف دينار وأخرج أبو المظفر من ماله ألف دينار فاجتمع للقرد من المال شيء عظيم ثم سافروا حتى وصلوا إلى مدينة البصرة فتلقاهم أصحابهم حين طلعوا من المركب فقال أبو المظفر أين أبو محمد الكسلان فبلغ الخبر إلى أمي فبينما أنا نائم إذ أقبلت على أمي وقالت يا ولدي أن الشيخ أبا المظفر قـد أتى ووصل إلى المدينة فقم وتوجه إليه وسلم عليه وأسأله عن الذي جاء به فلعل ا تعالى يكون قد فتح عليه بشيء فقلت لها احمليني من الأرض واسنديني حتى أخرج وأمشي إلى ساحل البحر ثم مشيت وأنا أتعثر فـي أذيالي حتى وصلت إلى الشيخ أبا المظفر فلما رآني قال لي أهلاً بمن كانت دراهمه سبباً لخلاصي وخـلاص هؤلاء التجار بإرادة ا تعالى ثم قال لي خذ هذا القرد فإني اشتريته لك وامض به إلى بيتك حتى أجيء إليك فأخذت القرد بين يدي ومضيت وقلت في نفسي وا ما هذا إلا متجر عظيم ثم دخلت بيتي وقلت لأمي كلمـا أنا نائم تأمريني بالقيام لأتجر فانظري بعينك هذا المتجر ثم جلست فبينما أنا جالس وإذا بعبيد أبي المظفر قد أقبلوا علي وقالوا لي هل أنت أبو محمد الكسلان فقلت لهم نعم وإذا بأبي المظفر أقبل خلفهم فقمت إليه وقبلت يديـه فقال لي سر معي إلى داري فقلت سمعاً وطاعة وسرت معه إلى أن دخلت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال ثم سرت معه ودخلت الدار فـأمر عبيـده أن يحضروا بالمال فحضروا به فقال يا ولدي لقد فتح ا عليك بهذا المال من ربح الخمسة دراهم ثم حملوه في صناديقه على رؤوسهم وأعطاني مفاتيح تلك الصناديق وقال لي أمض قدام العبيد إلى دارك فإن هذا المال كله لك فمضيت إلى أمي ففرحت بذلك وقالت يا ولدي لقد فتح ا عليك بهذا المال الكثير فدع عنك هذا الكسـل وانزل إلى السوق وبع واشتر فتركت الكسل وفتحت دكاناً في السوق وصار القرد يجلس معي على مرتبتـي فإذا أكلت يأكل معي وإذا شربت يشرب معي وصار كل يوم من بكرة النهار يغيب إلى وقت الظهر ثم يـأتي ومعه كيس فيه ألف دينار فيضعه في جانبي ويجلس ولم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتـى اجتمـع

عندي مال كثير فاشتريت يا أمير المؤمنين الأملاك والربوع وغرست البساتين واشتريت المماليك والعبيد والجوار فاتفق في بعض الأيام أنني كنت جالساً والقرد جالس معي على المرتبة وإذا به تلفت يميناً وشمالاً فقلت في نفسي أي شيء خبر هذا فانطق ا القرد بلسان فصيح وقال يا أبا محمد فلما سمعت كلامه فزعت فزعاً شديداً فقال لي لا تفزع أنا أخبرك بحالي أني أنا مارد من الجن ولكن جئتك بسبب ضعف حالك وأنت اليوم لا تدري قدر مالك وقد وقعت لي عندك حاجة وهي خير لك فقلت ما هي قال أريد أن أزوجك بصبية مثل البدر فقلت له وكيف ذلك فقال لي في غد البسك قماشك الفاخر وأركب بغلتك بالمرج المذهب وامض إلى سوق العلافين واسأل عن دكان الشريف واجلس عنده وقل له أني جئت خاطباً راغباً في ابنتك فإن قال لك أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فادفع له ألف دينار فإن قال لك زدني فزده ورغبة في المال فقال سمعاً وطاعة في غد افعل ذلك إن شاء ا تعالى قال أبو محمد فلما أصبحت لبست أفخر قماشي وركبت البغلة بالسرج المذهب ثم مضيت إلى سوق العلافين وسألت عن دكان الشريف فوجدته جالساً في دكانه فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وكان معي عشرة من العبيد والمماليك فقال الشريف لعل لك عندنا حاجة نفوز بقضائها فقلت نعم لي عندك حاجة قال وما حاجتك فقلت جئتك خاطباً راغباً في ابنتك فقال لي أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فأخرجت له كيساً فيه ألف دينار ذهباً أحمر وقلت له هذا حسبي ونسبي وقد قال ﷺ نعم الحسب المال وما أحسن قول من قال:

من كان يملك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا

وتقدم الأخوان فاستمعوا له ... ورأيته بين الورى مختالاً

لولا دراهمه التي يزهو بها ... لوجدته في الناس أسوأ حالاً

إن الغني إذا تكلم بالخطأ ... قالوا صدقت وما نطقت محالاً

أما الفقير إذا تكلم صادقاً ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا

أن الدراهم في المواطن كلها ... تكسوا الرجال مهابة وجمالاً

فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالاً

فلما سمع الشريف مني هذا الكلام وفهم الشعر والنظام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال لي أن كان ولابد فإني أريد منك ثلاثة آلاف دينار أخرى فقلت سمعاً وطاعة ثم أرسلت بعض المماليك إلى منزلي فجاءني بالمال الذي طلبه فلما رأى ذلك وصل إليه قام من الدكان وقال لغلمانه أقفلوها ثم دعا أصحابه من السوق إلى داره وكتب كتابي على بنته وقال لي بعد عشرة أيام أدخلك عليها ثم مضيت إلى منزلي وأنا فرحان فخلوت مع القرد وأخبرته بما جرى لي فقال نعم ما فعلت فلما قرب ميعاد الشريف قال القرد أن لي عندك حاجة أن قضيتها لي فلك عندي ما شئت قلت وما حاجتك قال لي أن في صدر القاعة التي تدخل فيها على بنت الشريف خزانة وعلى بابها حلقة من نحاس والمفاتيح تحت الحلقة فخذها وافتح الباب تجد

صندوقاً من حديد على أركانه أربع رايات من الطلسم وفي وسط ذلك طشت ملآن من المال وفي جانبه إحدى عشر حية وفي وسط الطشت ديك أفرق أبيض مربوط هناك سكين بجنب الصندوق فخذ السكين واذبـح بهـا الديك واقطع الرايات واقلب الصندوق وبعد ذلك أخرج للعروسة وأزل بكارتها فهذه حاجتي عندك فقلت سمعاً وطاعة ثم مضيت إلى دار الشريف فدخلت القاعة وانظرت إلى الخزانة التي وصفها إلى القرد فلمـا خلـوت بالعروسة تعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها لأنها لا تستطيع الألسن أن تصـف حسـنها وجمالهـا ففرحت بها فرحاً شديداً فلما كان نصف الليل ونامت العروسة قمت وأخذت المفاتيح وفتحت الخزانة وأخـذت السكين وذبحت الديك وقطعت الرايات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه قال لما ذبحت الديك وقطعت الرايات وقلبت الصـندوق فاسـتيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فتحت والديك قد ذبح فقالت لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم قد أخذني المـارد فما استتمت كلامها إلا وقد أحاط المارد بالدار وخاف العروسة فعند ذلك وقعت الضجة وإذا بالشريف قد أقبل وهو يلطم علىوجهه وقال يا أبا محمد ما هذا الفعل الذي فعلته معنا هل هذا جزاؤنا منك وأنا قد عملت هـذا الطلسم في هذه الخزنة خوفاً على بنتي من هذا الملعون فإنه كان يقصد أخذ هذه الصبية من مندست سنين ولا يقدر على ذلك ولكن ما بقى لك عندنا مقام فامض إلى حال سبيلك فخرجت من دار الشريف وجئت إلى داري وفتشت على القرد فلم أجده ولم أر له أثراً فعلمت أنه هو المارد الذي أخذ زوجتي وتحيل على حتـى فعلـت ذلك بالطلسم والديك اللذين كانا يمنعانه من أخذها فندمت وقطعت أثوابي ولطمت على وجهي ولـم تسـعني الأرض فخرجت من ساعتي وقصدت البرية ولم أزل سائراً إلى أن أمسى على المساء ولم أعلم أيـن أروح فبينما أنا مشغول الفكر إذ قبل على حيتان واحداة سمراء والأخرى بيضاء وهما يتقاتلان فأخذت حجراً مـن الأرض وضربت به الحية السمراء فقتلتها فإنها كانت باغية على البيضاء فغابت ساعة وعادت ومعها عشـر حيات بيض فجاءوا إلى الحية التي ماتت وقطعوها قطعاً حتى لم يبق إلا رأسها ثم مضوا إلى حـال سـبيلهم واضطجعت في مكاني من التعب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال ثم أضطجعت من التعب فبينما أنـا مضـطجع متفكر في أمري وإذا أنا بهاتف اسمع صوته ولم أر شخصه وهو يقول هذين البيتين:

دع المقـــادير تجـــري فـــي أعنتهـــا	**ولا تبيـــــتن إلا خـــــالي البـــــال**
مـــا بـــين طرفـــة عـــين وانتباهتهـــا	**يغيـــر ا مـــن حـــال إلـــى حـــال**

فلما سمعت ذلك لحقني يا أمير المؤمنين أمر شديد وفكر ما عليه من مزيد وإذا بصـوت مـن خلفـي أسمعه ينشد هذين البيتين:

يـــا مســـلماً أمامـــه القـــرآن	**أبشـــر بـــه قـــد جـــاءك الآمـــان**
ولا تخـــف مـــا ســـول الشـــيطان	**فـــنحن قـــوم ديننـــا الإيمـــان**

فقلت له بحق معبودك أن تعرفني من أنت فانقلب ذلك الهاتف في صورة إنسان وقال لي لا تخف فـإن جميلك قد وصل إلينا ونحن قوم من جن المؤمنين فإن كان لك حاجة فأخبرنا بها حتى نفوز بقضائها فقلت له أن لي حاجة عظيمة لأني أصبت بمصيبة جسيمة ومن الذي حصل له مثل مصيبتي فقال لعلك أبـو محمـد الكسلان فقلت نعم فقال يا أبا محمد أنا أخوالحية البيضاء التي قتلت أنت عدوها ونحن أربع أخوة من أم وأب وكلنا شاكرون لفضلك واعلم أن الذي كان على صورة القرد وفعل معك المكيدة مارد من مردة الجن ولـولا أنه تحيل بهذه الحيلة ما كان يقدر على أخذها أبداً لأن له مدة طويلة وهو يريد أخذها فيمنعه من ذلـك هـذا الطلسم ولو بقي ذلك الطلسم ما كان يمكنه الوصول إليها ولكن لا تجزع من هذا الأمر فنحن نوصـلك إليهـا ونقتل المارد فإن جميلك لا يضيع عندنا ثم أنه صاح صيحة عظيمة وأدرك شهرزاد فسـكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت قال فإن جميلك لا يضيع عندنا ثم أنه صاح صيحة عظيمـة بصوت هائل وإذا بجماعة قد أقبلوا عليه فسألهم عن القرد فقال واحد منهم أنا أعرف مستقره قال أين مستقره قال في مدينة النحاس التي لا تطلع عليها الشمس فقال يا أبا محمد خذ عبداً من عبيدنا وهـو يحملـك علـى ظهره ويعلمك كيف تأخذ الصبية واعلم أن ذلك العبد مارد من المردة فإذا حملك لا تذكر اسم ا وهو حاملك فإنه يهرب منك فتقع وتهلك فقلت سمعاً وطاعة وأخذت عبداً من عبيدهم فانحنى وقال اركب فركبت ثم طـار بي في الجو حتى غاب عن الدنيا ورأيت النجوم كالجبال الرواسي وسمعت تسبيح الملائكة في السماء كل هذا والمارد يحدثني ويفرجني وينهيني عن ذكر ا تعالى فبينما أنا كذلك وإذا بشخص عليه لباس أخضـر ولـه ذوائب شعر ووجه منير وفي يده حربة يطير منها الشرر قد أقبل على وقال لي يا أبا محمد قل لا إله إلا ا محمد رسول ا وإلا ضربتك بهذه الحربة وكانت مهجتي قد تقطعت من سكوتي عن ذكر ا تعالى فقلت لا إله إلا ا محمد رسول ا ثم أن ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار رماداً فسقطت من فـوق ظهره فصرت أهوى إلى الأرض حتى وقعت في بحر عجاج متلاطم بـالأمواج وإذا بسـفينة فيهـا خمسـة أشخاص بحرية فلما رأوني أتوا إلي وحملوني في السفينة وصاروا يكلموني بكلام لا أعرفه فأشرت لهم أنـي لا أعرف كلامكم فساروا إلى آخر النهار ثم رموا شبكة واصطادوا حوتاً وشووه وأطعمـوني ولـم يزالـوا سائرين حتى وصلوا بي إلى مدينتهم فدخلوا بي إلى ملكهم وأوقفوني بين يديه فقبلت الأرض فخلع علي خلعة وكان ذلك الملك يعرف اللغة العربية فقال قد جعلتك من أعواني فقلت ما اسم هذه المدينة قـال اسـمها هنـا دوهي من بلاد الصين ثم أن الملك سلمني إلى وزير المدينة وأمره أن يفرجني في المدينة وكان أهـل تلـك المدينة في الزمن الأول كفار فمسخهم ا تعالى حجارة فتفرجت فيها فلم أرى أكثر من أشجارها وأثمارهـا فأقمت فيها مدة شهر ثم أتيت إلى نهر وجلست على شاطئه فبينما أنا جالس وإذا بفارس قد أتى وقال هل أنت أبو محمد الكسلان فقلت له نعم قال لا تخف فإن جميلك وصل إلينا فقلت له من أنت قال أنا أخوا الحية وأنت قريب من مكان الصبية التي تريد الوصول إليها ثم خلع أثوابه والبسني أياها وقال لي لا تخف فإن العبد الذي هلك من تحتك بعض عبيدنا ثم أن ذلك الفارس أردفني خلفه وسار بي إلى برية وقال أنزل من خلفي وسـر

بين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس فقف بعيداً عنها ولا تدخلها حتى أعود إليك وأقول لك كيف تصنع فقلت له سمعاً وطاعة ونزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت إلى المدينة فرأيت سورها فجعلت أدور حولهـا لعلي أجد لها باباً فما وجدت لها باباً فبينما أنا أدور حولها وإذا بأخ الحية قد أقبل علي وأعطاني سيفاً مطلسماً حتى لا يراني أحد ثم أنه مضى إلى حال سبيله فلم يغب عني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال لم يغب عني إلا قليلاً وإذا بصـياح قـد عـلا ورأيت خلقاً كثيراً وأعينهم في صدورهم فلما رأوني قالوا من أنت وما الذي رماك في هذا المكان فـأخبرتهم بالواقعة فقالوا أن الصبية التي ذكرتها مع المارد في هذه المدينة وما ندري ما فعل بها ونحن أخوة الحية ثـم قالوا أمض إلى تلك العين وانظر من أين يدخل الماء وأدخل معه فإنه يوصلك إلى المدينة ففعلت ذلك ودخلت مع الماء في سرداب تحت الأرض ثم طلعت معه فرأيت نفسي في وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج وحول الستارة بستان فيه أشجار من الذهب وأثمارهـا مـن نفـيس الجواهر كالياقوت والزمرجد واللؤلؤ والمرجان فلما رأتني تلك الصبية عرفتني وأبتدائتني بالسلام وقالت لي يا سيدي من أوصلك إلى هذا المكان فأخبرتها بما جرى فقالت لي اعلم أن هذا الملعون من كثـرة محبتـه لـي اعلمني بالذي يضره والذي ينفعه وأعلمني أن في هذه المدينة طلسمان أن شاء هلاك جميع من فـي المدينـة أهلكهم به ومهما أمر العفاريت فإنهم يمتثلون أمره وذلك الطلسم في عمود فقلت لها وأين العمود فقالت فـي المكان الفلاني فقلت وأي شيء يكون ذلك الطلسم قالت هو صورة عقاب وعليه كتابة لا أعرفها فخـذه بـين يديك وخذ مجمرة نار وأرم فيه شيئاً من المسك فيطلع دخان يجذب العفاريت فإذا فعلت ذلك فإنهم يحضرون بين يديك كلهم ولا يغيب منهم أحد ويمتثلون أمرك ومهما أمرتهم فإنهم يفعلونه فقم وافعل ذلك على بركة ا تعالى فقلت لها سمعاً وطاعة ثم قمت وذهبت إلى ذلك العمود وفعلت جميع ما أمرتني به فجاءت العفاريـت وحضرت بين يدي وقالوا لبيك يا سيدي فمهما أمرتنا به فعلناه فقلت لهم قيدوا المارد الذي جاء بهذه الصـبية من مكانها فقالوا سمعاً وطاعة ثم ذهبوا إلى ذلك المارد وقيدوه وشدوا وثاقه ورجعوا إلي وقالوا قد فعلنا مـا أمرتنا به فأمرتهم بالرجوع ثم رجعت إلى الصبية وأخبرتها بما حصل وقلت يا زوجتي هل تـروحين معـي فقالت نعم ثم إني طلعت بها من السرداب الذي دخلت منه وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذي كـانوا دلـوني عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه قال وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذين كانوا دلوني عليها ثـم قلـت دلوني على طريق توصلني إلى بلادي فدلوني ومشوا معي إلى ساحل البحر وأنزلوني في مركب وطاب لنـا الريح فسارت بنا تلك المركب حتى وصلنا إلى مدينة البصرة فلما دخلت الصبية دار أبيهـا رأوهـا أهلهـا ففرحوا فرحاً شديداً ثم أني بخرت العقاب بالمسك وإذا بالعفاريت قد أقبلوا من كل مكان وقالوا لبيك فما تريد أن نفعل فأمرتهم أن ينقلوا كل ما في مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر إلى داري التي في البصرة ففعلوا ذلك ثم أمرتهم أن يدخلوه في قمقم نحاس فأدخلوه في قمقم ضيق من نحاس وسدوا عليـه بالرصـاص

وأقمت أنا وزوجتي في هناء وسرور وعندي الآن يا أمير المؤمنين من نفائس الـذخائر والجـواهر وكثيـر الأموال مالا يحيط به عدو لا يحصره أحد وإذا طلبت شيئاً من المال وغيره أمرت الجن أن يأتوا لك به فـي الحال وكل ذلك من فضل ا تعالى فتعجب أمير المؤمنين من ذلك غاية العجب ثم أعطاه مواهـب الخلافـة عوضاً عن هديته وأنعم عليه أنعاماً يليق به.

(حكاية على شار مع زمرد الجارية)

(وحكى) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار في بلاد خراسان اسمه مجد وله مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان إلا أنه بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولد أو بعد ذلك رزقـه ا تعالى ولداً فسماه علياً فلما نشأ ذلك الغلام صار كالبدر ليلة التمام ولما بلغ مبلغ الرجال وحاز صفات الكمال ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال له يا ولدي أنه قد قرب وقت المنية وأريد أن أوصيك بوصـية فقال له وما هي يا والدي فقال له أوصيك أنك لا تعاشر أحد من الناس وتجنب ما يجلب الضر والبأس وأياك وجليس السوء فإنه كالحداد إن لم تحرقك ناره يضرك دخانه وما أحسن قول الشاعر:

ما فـي زمانـك مـن ترجـوا مودتـه ... ولا صـديق إذا خـان الزمـان وفـي
فعـش فريـد أولا تـركن إلـى أحـد ... هـا قـد نصـحتك فيمـا قلتـه وكفـى

فقال يا أبي سمعت وأطعت ثم ماذا أفعل فقال أفعل الخير إذا قدرت ودم على صنع الجميل مع النـاس واغتنم بذل المعروف فما في كل وقت ينجح الطلب وما أحسن قول الشاعر:

لـيس فـي كـل سـاعة وأوان ... تتـأتي صـنائع الإحسـان
فـإذا أمكنتـك بـادر إليهـا ... حـذر مـن تعـذر الإمكـان

فقال سمعت وأطعت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبي قال لأبيه سمعت وأطعت ثم ماذا قال يـا ولـدي أحفـظ ا يحفظك وصن مالك ولا تفرط فيه فإنك أن فرطت فيه تحتاج إلى أقل الناس واعلم أن قيمة المرء مـا ملكـت يمينه وما أحسن قول الشاعر:

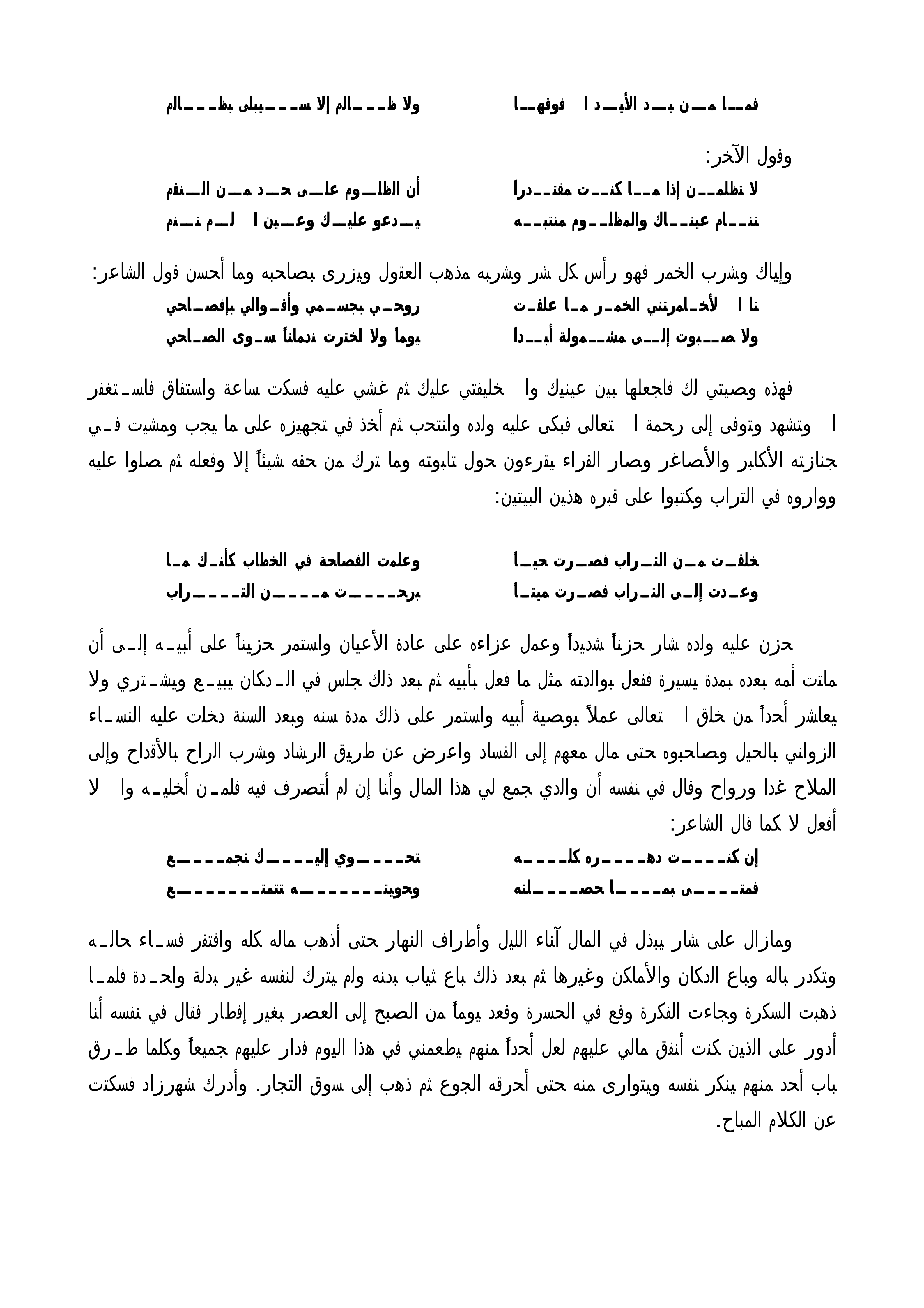
أن قـل مـالي فـلا خـل يصـاحبني ... وإن زاد مـالي فكـل النـاس خـلا بـي
فكـم عـدو لأجـل المـال صـاحبني ... وكـم صـديق لفقـد المـال عـاداني

فقال ثم ماذا قال يا ولدي شاور من هو أكبر منك سناً ولا تعجل في الأمر الذي تريده وارحم من هـو دونك يرحمك من هو فوقك ولا تظلم أحداً فيسلط ا عليك من يظلمك وما أحسن قول الشاعر:

أقـرن برأيـك رأي غيـرك واستشـر ... فـالرأي لا يخفـى علـى الأثنـين
فـالمرء مـرآة تريـه وجهـه ... ويـرى قفـاه بجمـع مـرآتين

وقول الآخر:

تـأن ولا تعجـل لامـر تريـده ... وكـن راحمـاً للنـاس تبلـى بـراحم



فما من يد إلا يد الأيد ا فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وقول الآخر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... أن الظلوم على حد من النقم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين ا لم تنم

وإياك وشرب الخمر فهو رأس كل شر وشربه مذهب العقول ويزرى بصاحبه وما أحسن قول الشاعر:

تا ا لأخامرتني الخمر ما علقت ... روحي بجسمي وأقوالي بإفصاحي

ولا صبوت إلى مشمولة أبداً ... يوماً ولا اخترت ندماناً سوى الصاحي

فهذه وصيتي لك فاجعلها بين عينيك وا خليفتي عليك ثم غشي عليه فسكت ساعة واستفاق فاستغفر ا وتشهد وتوفى إلى رحمة ا تعالى فبكى عليه ولده وانتحب ثم أخذ في تجهيزه على ما يجب ومشيت في جنازته الأكابر والأصاغر وصار القراء يقرءون حول تابوته وما ترك من حقه شيئاً إلا وفعله ثم صلوا عليه وواروه في التراب وكتبوا على قبره هذين البيتين:

خلقت من التراب فصرت حياً ... وعلمت الفصاحة في الخطاب كأنك ما

وعدت إلى التراب فصرت ميتاً ... برحت من التراب

حزن عليه ولده شار حزناً شديداً وعمل عزاءه على عادة الأعيان واستمر حزيناً على أبيه إلى أن ماتت أمه بعده بمدة يسيرة ففعل بوالدته مثل ما فعل بأبيه ثم بعد ذلك جلس في الدكان يبيع ويشتري ولا يعاشر أحداً من خلق ا تعالى عملاً بوصية أبيه واستمر على ذلك مدة سنه وبعد السنة دخلت عليه النساء الزواني بالحيل وصاحبوه حتى مال معهم إلى الفساد واعرض عن طريق الرشاد وشرب الراح بالأقداح وإلى الملاح غدا وراح وقال في نفسه أن والدي جمع لي هذا المال وأنا إن لم أتصرف فيه فلمن أخليه وا لا أفعل لا كما قال الشاعر:

إن كنت دهره كله ... تحوي إليك تجمع

فمتى بما حصلته ... وحويته تتمتع

ومازال على شار يبذل في المال آناء الليل وأطراف النهار حتى أذهب ماله كله وافتقر فساء حاله وتكدر باله وباع الدكان والأماكن وغيرها ثم بعد ذلك باع ثياب بدنه ولم يترك لنفسه غير بدلة واحدة فلما ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع في الحسرة وقعد يوماً من الصبح إلى العصر بغير إفطار فقال في نفسه أنا أدور على الذين كنت أنفق مالي عليهم لعل أحداً منهم يطعمني في هذا اليوم فدار عليهم جميعاً وكلما طرق باب أحد منهم ينكر نفسه ويتوارى منه حتى أحرقه الجوع ثم ذهب إلى سوق التجار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار أحرقه الجوع فذهب إلى سوق التجار فوجد حلقـة ازدحـام والناس مجتمعون فيها فقال في نفسه يا ترى ما سبب اجتماع هؤلاء الناس وا لا أنتقل من هذا المكان حتى أتفرج على هذه الحلقة ثم تقدم فوجد جارية خماسية معتدلة القد موردة الخد قاعدة النهد قد فاقت أهل زمانهـا في الحسن والجمال والبهاء والكمال كما قال بعض واصفيها.

كما اشـتهت خلقـت حتـى إذا كملـت — في قالـب الحسـن لا طـول ولا قصـر
والحسـن أصـبح مشـغوفاً بصـورتها — والصـد أبعـد لهـا والتيـه والخفـر
فالبـدر طلعتهـا والغصـن قامتهـا — والمسـك نكهتهـا مـا مثلهـا بشـر
كأنهـا أفرغـت مـن مـاء لؤلـؤة — فـي كـل جارحـة مـن حسـها قمـر

وكانت تلك الجارية اسمها زمرد فلما نظرها علي شار تعجب من حسنها وجمالها وقال وا لا أبـرح حتى أنظر القدر الذي يبلغه ثمن هذه الجارية وأعرف الذي يشتريها ثم وقف بجملة التجار فظنوا أنه يشـتري لما يعلمون من غناه بالمال الذي ورثه من والده ثم أن الدلال وقف على رأس الجارية وقال يا تجار يا أرباب الأموال من يفتح باب السعر في هذه الجارية سيدة الأقمار الدرة السنية زمرد السنورية بغية الطالب ونزهـة الراغب فافتحوا الباب فليس على من فتحه لوم ولا عتاب فقال بعض التجار على بخمسمائة دينار وقال آخـر وعشرة فقال شيخ يسمي رشيد الدين وكان أزرق العين قبيح المنظر ومائة وقال آخر وعشرة قال الشيخ بألف دينار فحبس التجار ألسنتهم وسكتوا فشاور الدلال سيدها فقال أنا حالف أني ما أبيعها إلا لمن تختاره فشاورها فجاء الدلال إليها وقال يا سيدة الأقمار أن هذا التاجر يريد أن يشتريك فنظرت إليه فوجدته كما ذكرنا فقالـت للدلالة أنا لا أباع لشيخ أوقعته الهموم في أسوأ حال و در من قال:

سـألتها قبلـة يومـاً وقـد نظـرت — شـيبي وقـد كنـت ذا مـال وذا نعـم
فأعرضت عـن مرامـي وهـي قائلـة — لا والـذي خلـق الإنسـان مـن عـدم
ما كان لي في بياض الشـيب مـن أرب — >أفي الحياة يكون القطـن حشـو فمـي

فلما سمع الدلال قولها قال لها وا أنك معذورة وقيمتك عشرة آلاف دينار ثم اعلم سـيدها أنهـا مـا رضيت بذلك الشيخ فقال شاورها في غيره فتقدم إنسان آخر وقال علي بما أعطى فيها الشيخ الذي لم تـرض به فنظرت إلى ذلك الرجل فوجدته مصبوغ اللحية فقالت ما هذا العيب والريب وسواد وجه الشيب وأنشـدت هذين البيتين:

قالت أراك خضبت الشـيب قلـت لهـا — سترته عنـك يـا سـمعي ويـا بصـري
فقهقهــت ثــم قالــت أن ذا عجــب — تكاثر الغـش حتـى صـار فـي الشـعر

فلما سمع الدلال شعرها قال لها وا أنك صدقت فقال التاجر ما الذي قالت فأعاد عليه الأبيات فعـرف أن الحق على نفسه وأمتنع من شرائها فتقدم تاجر آخر وقال شاورها على الثمن الـذي سـمعته فشـاورها فنظرت إليه فوجدته أعور فقالت هذا أعور فقال لها الدلال يا سيدتي أنظري من يعجبـك مـن الحاضـرين

وقولي عليه حتى أبيعك له فنظرت إلى حلقة التجار وتفرستهم واحداً بعد واحد فوقع نظرها على علي شـار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وقع نظرها على علي شار نظرته نظـرة أعقبتهـا ألـف حسرة وتعلق قلبها به لأنه كان بديع الجمال وألطف من نسيم الشمال فقالت يا دلال أنا لا أبـاع إلا لسـيدي صاحب هذا الوجه المليح والقد الرجيح الذي قال فيه بعض واصفيه أبرزوا وجهك الجميل ولا موا من أفتـتن لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن فلا يمكنني إلا هو لأن خده أسيل وريقه يشـفي العليل ومحاسنه تحير الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر:

فريقـــه خمـــر وأنفاســـه … مسـك وذاك الثغــر كـــافور

أخرجـــه رضـــوان مـــن داره … مخافـــة أن تفـــتن الحـــور

يلومـــه النـــاس علـــى تيهـــه … والبـــدر مهمـــا تـــاه معـــذور

صاحب الشعر الأجعد والخد المورد واللحظ الساحر الذي قال فيه الشاعر:

وشـــادن بوصـــال منـــه واعـــدني … فالقلـب فـي قلـق والعـين منتظـره

أجفانـه ضـمنت لـي صـدق موعـده … فكيـف تـوفى ضـماناً وهـي منكسـرة

فلما سمع الدلال ما أنشدته من الأشعار في محاسن على شار تعجب من فصاحتها وأشراق بهاتها فقال له صاحبها لا تعجب من بهجتها التي تفضح شمس النهار ولا من حفظها لرقائق الأشعار فإنها مع ذلك تقـرأ القرآن العظيم بالسبع قراءات وتروى الحديث بصحيح الروايات وتكتب بالسبعة أقلام وتعرف العلـوم مـالا يعرفه العالم العلام ويداها أحسن من الذهب والفضة فإنها تعمل الستور الحرير وتبيعها فتكسب في كل واحدة خمسين دينار أو تشتغل الستر في ثمانية أيام فقال الدلال يا سعادة من تكون هذه في داره ويجعلها من ذخائر أسراره ثم قال له سيدها بعها لكل من أرادته فرجع الدلال إلى على شار وقبل يديه وقال يا سيدي اشتري هذه الجارية فإنها اختارتك وذكر له صفتها وما تعرفه وقال له هنيأً لك إذا اشتريتها فإنه قد أعطاك من لا يبخـل بالعطاء فاطرق على شار برأسه ساعة إلى الأرض وهو يضحك على نفسه ويقول في سره أنا لي هذا الوقت من غير إفطار ولكن أختشي من التجار أن أقول ما عندي مال اشتريها به فنظرت الجارية إلى أطرافه وقالت للدلال خذ بيدي وامض بي إليه حتى أعرض نفسي عليه وأرغبه في أخذي فإني ما أباع الإله فأخذها الـدلال وأوقفها قدام على شار وقال له ما رأيك يا سيدي فلم يرد عليه جواباً فقالت الجارية يا سيدي وحبيـب قلبـي مالك لا تشتريني فاشترني بما شئت وأكون سبب سعادتك فرفع رأسه إليها وقال هل الشراء بالغصـب أنـت غالية بألف دينار فقالت له يا سيدي اشترني بتسعمائة قال لا قالت بثمانمائة قال لا فمازالت تنقص من الـثمن إلي أن قالت له بمائة دينار قال ما معي مائة كاملة فضحكت وقالت له كم تنقص مائتك قال ما معي لا مائـة ولا غيرها أنا وا ما أملك لا أبيض ولا أحمر من درهم ولا دينار فانظري لك زبوناً غيري فلما علمت أنـه ما معه شيء قالت له خذ بيدي على أنك تقبلني في عطفة ففعل ذلك فاخرجت من جيبها كيساً فيه ألف دينـار

وقالت زن منه تسعمائة في ثمني وأبق المائة معك تنفعنا ففعل ما أمرته به واشتراها بتسعمائة دينـار ودفـع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها إلى الدار فلما وصلت إلى الدار وجدتها قاعاً صفصفاً لا فرش بها ولا أواني فأعطته ألف دينار وقالت له أمض إلى السوق واشتر لنا بثلثمائة دينار فرشاً وأواني للبيت ففعل ثم قالت لـه اشتر لنا مأكولاً ومشروباً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت له اشتر لنا مأكولاً ومشروباً بثلاثة دنانير ففعل ثم قالت له اشتر لنا خرقة حرير قدر ستر واشتر قصباً أصفر وأبيض وحريراً ملوناً صبغة ألوان ففعل ثم أنها فرشت البيت وأوقدت الشمع وجلست تأكل وتشرب هي وأياه وبعد ذلك قاموا إلى الفـرش وقضـوا الغـرض مـن بعضهما ثم باتا متعانقين خلف الستائر وكان كما قال الشاعر:

زر مـن تحـب ودع كـلام الحاسـد	**ليس الحسـود علـى الهـوى بمسـاعد**
أنـي نظرتـك المنـام مضـاجعي	**ولثمـت مـن شـفتيك أحلـى بـارد**
حـق صـحيح كـل مـا عاينتـه	**ولسـوف أبلغـه بـرغم الحاسـد**
لـم تنظـر العينـان أحسـن منظـراً	**مـن عاشـقين علـى فـراش واحـد**
متعـانقين عليهمـا حلـل الرضـا	**متوسـدين بمعصـم ويسـاعد**
وإذا تألفـت القلـوب علـى الهـوى	**فالنـاس تضـرب فـي حديـد بـارد**
يا من يلوم على الهـوى أهـل الهـوى	**هـل تسـتطيع صـلاح قلـب فاسـد**
وإذا صـفا لـك مـن زمانـك واحـد	**فهـو المـراد وعـش بـذاك الواحـد**

واستمرا متعانقين إلى الصباح وقد سكنت محبة كل واحد منهما في قلب صاحبه ثـم أخـذت السـتر وطرزته بالحرير الملون وزركشته بالقصب وجعلت فيه منطقة بصور طيور وصورت في دائرهـا صـور الوحوش ولم تترك وحشاً في الدنيا إلا وصورت صورته فيه ومكثت تشتغل فيه ثمانية أيام فلما فرغ صـقلته وطوته ثم أعطته لسيدها وقالت له اذهب به إلى السوق وبعه بخمسين ديناراً للتاجر واحذر أن تبيعـه لأحـد عابر طريق فإن ذلك يكون سبباً للفراق بيني وبينك لأن لنا أعداء لا يغفلون عنا فقال سمعاً وطاعة ثم ذهـب به إلى السوق وباعه لتاجر كما أمرته وبعد ذلك اشترى الحرقة والحرير والقصب على العادة وما يحتاجـان إليه من الطعام وأحضر لها ذلك وأعطاها بقية الدراهم فصارت كل ثمانية أيام تعطيه ستراً يبيعـه بخمسـين ديناراً ومكثت على ذلك سنة كاملة وبعد السنة راح إلى السوق بالستر على العادة وأعطاه للدلال فعرض لـه نصراني فدفع له ستين ديناراً فامتنع فما زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير فرجع الدلال على علي شار وأخبره بالثمن وتحيل عليه في أن يبيع الستر للنصراني بذلك المبلغ وقال له يا سـيدي لا تخف من هذا النصراني وما عليك منه بأس وقامت التجار عليه فباعه للنصراني وقلبه مرعوب ثم قـبض المال ومضى إلى البيت فوجد النصراني ماشياً خلفه فقال له يا نصراني مالك ماشياً خلفي فقال له يا سـيدي أن لي حاجة في صدر الزقاق الله لا يحوجك فما وصل على شار إلى منزله إلا والنصراني لاحقه فقـال يـا ملعون مالك تتبعني أينما أسير فقال يا سيدي أسقني شربة ماء فإني عطشان وأجرك على الله تعالى فقال على شار في نفسه هذا رجل ذمي وقصدني في شربة ماء فو الله لا خيبة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار قال في نفسه هذا رجل ذمي وقصدني في شربة ماء فو ا لا أخيبه ثم دخل البيت وأخذ كوز ماء فرأته جازيته زمرد فقالت يا حبيبي هل بعت الستر قال نعم قالت لتاجر أو لعابر سبيل قد أحس قلبي بالفراق قال ما بعته إلا لتاجر قالت أخبرني بحقيقة الأمر حتى أتدارك شأني وما بالك أخذت كوز الماء قال لأسقي الدلال فقالت لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم أنشدت هذين البيتين:

يـــا طالبـــاً للفـــراق مهـــلاً　　فـــلا يغرنـــك العنـــاق

مهـــلاً فطبـــع الزمـــان غـــدر　　وآخـــر الصـــحبة الفـــراق

ثم خرج بالكوز فوجد النصراني داخلاً في دهليز البيت فقال له هل وصلت إلى هنا يا كلب كيف تدخل بغير أذني فقال يا سيدي لا فرق بين الباب والدهليز وما بقيت أنتقل من مكاني هذا إلا للخروج وأنـت لـك الفضل والإحسان والجود والإمتنان ثم أنه تناول كوز الماء وشرب منه وبعد ذلك ناوله إلى علي شار فأخـذه وانتظره أن يقوم فما قام فقال له لأي شيء لم تقم وتذهب إلى حال سبيلك فقال يا مولاي أني قد شربت ولكن أريد منك أن تطعمني مهما كان من البيت حتى إذا كان كسرة قرقوشة وبصلة فقال له قم بلا مماحكة ما فـي البيت شيء فقال يا مولاي أن لم يكن في البيت شيء فخذ هذه المائة دينار وائتني بشيء مـن السـوق ولـو برغيف واحد ليصير بيني وبينك خبز وملح فقال علي شار في سره أن هذا النصراني مجنون فأنا آخذ منـه المائة دينار آتي له بشيء يساوي درهمين وأضحك عليه فقال النصراني يا سيدي إنما أريد شيئاً يطرد الجوع ولو رغيفاً واحداً وبصلة فخير الزاد ما دفع الجوع فقال على شار أصبر هنا حتى أقفل القاعة وآتيك بشـيء من السوق فقال له سمعاً وطاعة ثم خرج وقفل القاعة وحط على الباب كيلونا وأخذ المفتاح معه وذهب إلـى السوق واشتري جبناً مقلياً وعسلاً أبيض وموزاً وخبزاً وآتي به إليه فلما نظر النصراني إلى ذلـك قـال يـا مولاي هذا شيء كثير يكفي عشرة رجال وأنا وحدي فلعلك تأكل معي فقال له كل وحدك فإني شبعان فقال له يا مولاي قالت الحكماء من لم يأكل مع ضيفه فهو ولد زنا فلما سمع علي شار من النصراني هذا الكلام جلس وأكل معه شيئاً قليلاً وأراد أن يرفع يده وهنا أدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار جلس وأكل معه شيئاً قلـيلاً وأراد أن يرفـع يـده فأخـذ النصراني موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل في نصفها بنجاً مكرراً ممزوجاً بأفيون الدرهم منه يرمي الفيل ثم غمس نصف الموزة في العسل وقال يا مولاي وحق دينك أن تأخذ هذه فاستحي على شار أن يحنثـه فـي يمينه فأخذها منه وابتلعها فما استقرت في بطنه حتى سبقت رأسه رجليه وصار كأنه له سنة وهو راقد فلمـا رأى النصراني ذلك قام على قدميه كأنه ذئب معط أو قضاء مسلط وأخذ منه مفتاح القاعـة وتركـه مرميـاً وقهب يجري إلى أخيه وأخبره بالخبر وسبب ذلك أن أخا النصراني هو الشيخ الهرم الذي أراد أن يشـتريها بألف دينار فلم ترض به وهجته بالشعر وكان كافراً في الباطن ومسلماً في الظاهر وسمي نفسه رشيد الـدين ولما هجته ولم ترض به شكا إلى أخيه النصراني الذي تحيل في أخذها من سيدها على شـار وكـان اسـمه برسوم فقال له لا تحزن من هذا الأمر فأنا أتحيل لك في أخذها بلا درهم ولا دينار لأنه كان كاهنـاً مـاكراً

مخادعاً فاجراً ثم أنه لم يزل يمكر ويتحيل حتى عمل الحيلة التي ذكرناها وأخذ المفتاح وذهـب إلـى أخيـه وأخبره بما حصل وركب بغلته وأخذ غلمانه وتوجه مع أخيه إلى بيت علي شار وأخذ معه كيساً فيـه ألـف دينار ذا صادفه الوالي فيعطيه أياه ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معه على زمرد وأخذوها قهراً وهددوها بالقتل أن تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منه شيئاً وتركوا علي شار راقداً في الدهليز ثـم ردوا الباب عليه وتركوا مفتاح القاعة في جانبه ومضى بها النصراني إلى قصره ووضعها بين جواريه وسـراريه وقال لها يا فاجرة أنا الشيخ الذي ما رضيت بي وهجوتيني وقد أخذتك بلا درهم ولا دينار فقالـت لـه وقـد تغرغرت عيناها بالدموع حسبك ا يا شيخ السوء حيث فرقت بيني وبين سيدي فقال لها يا فاجرة يا عشـاقة سوف تنظرين ما أفعل بك من العذاب وحق المسيح والعذراء إن لم تطار عيني وتدخل في دينـي لأعـذبنك بأنواع العذاب فقالت له لو قطعت لحمي قطعاً ما أفارق دين الإسلام ولعل ا تعالى يأتيني بالفرج القريب أنه على ما يشاء قدير وقد قالت العقلاء مصيبة في الأبدان ولا مصيبة في الأديان فعند ذلك صاح علـى الخـدم والجواري وقال لهم أطرحوها فطرحوها ومازال يضربها ضرباً عنيفاً وصارت تسـتغيث فـلا تغـاث ثـم أعرضت عن الاستغاثة وصارت تقول حسبي ا وكفى إلى أن أنقطع نفسها وخفي أنينها واشتفى قلبه منها ثم قال للخدم اسحبوها من رجليها وأرموها في المطبخ ولا تطعموها شيئاً ثم بات الملعون تلك الليلة ولما أصبح الصباح طلبها وكرر عليها الضرب وأمر الخدم أن يرموها في مكانها ففعلوا فلما رد عليها الضرب قالـت لا إله إلا ا محمد رسول ا حسبي ا ونعم الوكيل ثم استغاثت بسيدنا محمد ﷺ وأدرك شهرزاد فسكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرد استغاثت بالنبي ﷺ هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر علي شار فإنه لم يزل راقداً إلى ثاني يوم ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيه وصاح قائلاً يا زمرد فلم يجبـه أحد فدخل القاعة فوجد الجو قفرا والمزار بعيد فعلم أنه ما جرى عليه هذا الأمر إلا من النصراني فحن وبكى وأن واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

يـا وجـد لا تبقـى علـي ولا تـذر … هـا مهجتـي بـين المشـقة والخطـر

يـا سـادتي رقـوا لعبـد ذل فـي … شـرع الهـوى وغنـى قـوم افتقـر

مـا حيلـة الرامـي إذا التقـت العـدا … وأراد يرمـي السـهم فـانقطع الـوتر

وإذا تكـاثرت الهمـوم علـى الفتـى … وتراكمـت أيـن المفـر مـن القـدر

ولكـم أحـاذر مـن تفـرق شـملنا … ولكن إذا نـزل القضـاء عمـي البصـر

وندم حيث لا ينفعه الندم وبكى ومزق أثوابه وأخذ بيديه حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما في صدره ويصيح قائلاً يا زمرد فدارت الصغار حوله وقالوا مجنون مجنون فكل من عرفه يبكي عليه ويقـول هذا فلان ما الذي جرى له ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلما جن عليه الليل نام في بعض الأزقة إلى الصباح ثم أصبح دائراً بالأحجار حول المدينة إلى آخر النهار وبعد ذلك رجع إلى قاعتـه ليبيـت فيهـا

فنظرته جارته وكانت امرأة عجوز من أهل الخير فقالت له يا ولدي سلامتك متى جننـت فأجابهـا بهـذين البيتين:

قالوا جننت بمـن تهـوى فقلـت لهـم	**مـا لـذة العـيش إلا للمجـانين**
دعوا جنوني وهـاتوا مـن جننـت بـه	**إن كـان يشـفى جنـوني لا تلومـوني**

فعلمت جارته العجوز أنه عاشق مفارق فقالت لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم يا ولدي أشـتهي منك أن تحكي لي خبر مصيبتك عسى ا أن يقدرني على مساعدتك عليها بمشيئته فحكى لها جميع ما وقع له مع برسوم النصراني أخي الكاهن الذي سمي نفسه رشيد الدين فلما علمت ذلك قالت له يا ولدي أنك معـذور ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

كفـى المحبـين فـي الـدنيا عـذابهم	**تـا لأعـذبتهم بعـدها سـقر**
لأنهـم هلكـوا عشـقاً وقـد كتمـوا	**مـع العفـاف بهـذا يشـهد الخبـر**

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ولدي قم الآن واشتر قفصاً مثل أقفاص أهل الصاغة واشتر أسـاور وخواتم وحلقاناً وحلياً يصلح للنساء ولا تبخل بالمال وضع جميع ذلك في القفص وهات القفص وأنـا أضـعه على رأسي في صورة دلالة وأدور أفتش عليها في البيوت حتى أقع على خبرها أن شاء ا تعالى ففرح علي شار بكلامها وقبل يدها ثم ذهب بسرعة وأتى لها بما طلبته فلما حضر ذلك عندها قامـت ولبسـت مرقعـه ووضعت على رأسها آزاراً عسلياً وأخذت في يدها عكازاً وحملت القفص ودارت في العطف والبيوت ولـم تزل دائرة من مكان إلى مكان ومن حارة إلى حارة ومن درب إلى درب إلى أن دلها ا تعالى على قصـر الملعون رشيد الدين النصراني فسمعت من داخله أنيناً فطرقت الباب وأدرك شهرزاد فسـكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما سمعت من داخل البيت أنيناً طرقت البـاب فنزلـت لهـا جارية ففتحت لها الباب وسلمت عليها فقالت لها العجوز معي هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشتري منها شيئاً فقالت لها الجارية نعم ثم أدخلتها الدار وأجلستها وجلس الجواري حولها وأخذت كل واحدة شـيئاً منهـا وصارت العجوز تلاطف الجواري وتتساهل معهن في الثمن ففرح بها الجواري بسبب معروفها ولين كلامها وهي تتأمل من جهات المكان على صاحب الأنين فلاحت منها التفاتة إليها فحابتهم وأحسنت إلـيهم وتأملـت فوجدت زمرد مطروحة فعرفتها فبكت وقالت لهم يا أولادي ما بال هذه الصبية في هذا الحـال فحكـى لهـا الجواري جميع القصة وقلن لها الأمر ليس باختيارنا ولكن سيدنا أمر بهذا وهو مسافر الآن فقالـت لهـم يـا أولادي لي عندكم حاجة وهي أنكم تحلون هذه المسكينة من الرباط إلى أن تعلموا بمجيء سيدكم فتربطوهـا كما كانت وتكسبوا الأجر من رب العالمين فقلن لها سمعاً وطاعة ثم أنهم حلوها وأطعموها وأسقوها ثم قالت العجوز يا ليت رجلي انكسرت ولا دخلت لكم وبعد ذلك ذهبت إلى زمرد وقالت لها يا بنتي سلامتك سـيفرج ا عنك ثم ذكرت لها أنها جاءت من عند سيدها على شارو وأعدتها أنها في ليلة غد تكون حاضرة وتلقـى

سمعها للحس وقالت لها إن سيدك يأتي إليك تحت مصطبة القصر ويصفر لك فإذا سمعت ذلك فاصفري له وتدلي له من الطاقة بحبل وهو يأخذك ويمضي فشكرتها على ذلك ثم خرجت العجوز وذهبت إلى علي شار وأعلمته وقالت له توجه في الليلة القابلة نصف الليل إلى الحارة الفلانية فإن بيت الملعون هناك وعلامته كذا وكذا فقف تحت قصره وصفر فإنها تتدلى إليك فخذها وامض بها إلى حيث شئت فشكرها على ذلك ثم أنه صبر إلى أن جن الليل وجاء وقت الميعاد فذهب إلى تلك الحارة التي وصفتها له جارته ورأى القصر فعرفه وجلس على مصطبة تحته وغلب عليه النوم فنام وجل من لا ينام وكان له مدة لم ينم من الوجد الذي به فصار كالسكران فبينما هو نائم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه بينما هو نائم وإذا بلص من اللصوص خرج تلك الليلة في أطراف المدينة ليسرق شيئاً فرمته المقادير تحت قصر ذلك النصراني فدار حوله فلم يجد له سبيلاً إلى الصعود إليه فصار دائر حوله إلى أن وصل إلى المصطبة فرأى علي شار نائماً فأخذ عمامته وبعد أن أخذها لم يشعر إلا وزمرد طلعت في ذلك الوقت فرأته واقفاً في الظلام فحسبته سيدها فصفرت له فصفر لها الحرامي فتدلت له بالحبل وصحبتها خرج ملآن ذهبا فلما رآه اللص قال في نفسه ما هذا إلا أمر عجيب له سبب غريب ثم حمل الخرج وحملتها على أكتافه وذهب بهما مثل البرق الخاطف فقالت له أن العجوز أخبرتني أنك ضعيف بسببي وها أنت أقوى من الفرس فلم يرد عليها جواباً فحبست على وجهه فوجدت لحيته مثل مقشة الحمام كأنه خنزيراً ابتلع ريشاً فطلع زغبه من حلقه ففزعت منه وقالت له أي شيء أنت فقال لها يا عاهرة أنا الشاطر جوان الكردي من جماعة أحمد الدنف ونحن أربعون شاطراً وكلهم في هذه الليلة يفسقون في رحمك من العشاء إلى الصباح فلما سمعت كلامه بكت ولطمت على وجهها وعلمت أن القضاء غاب عليها وأنه لا حيلة لها إلا التفويض إلى ا تعالى فصبرت وسلمت الحكم تعالى وقالت لا إله إلا ا كلما خلصنا من هم وقعنا في هم أكبر وكان السبب في مجيء جوان إلى هذا المحل أنه قال لأحمد الدنف يا شاطر أنا دخلت هذه المدينة قبل الآن وأعرف فيها غارا خارج البلد يسع أربعين نفساً وأنا أريد أن أسبقكم إليه وأخلي أمي في ذل الغار ثم أرجع إلى المدينة وأسرق منها شيئاً على بختكم وأحفظه على أسمكم إلى أن تحضروا فتكون ضيافتكم في هذا النهار من عندي فقال له أحمد الدنف أفعل ما تريد فخرج قبلهم وسبقهم إلى ذلك المحل ووضع أمه في ذلك الغار ولما خرج من الغار وجد جندياً راقداً وعنده فرس مربوط فذبحه وأخذ فرسه وسلاحه وثيابه وأخفاها في الغار عند أمه وربط الحصان هناك ثم رجع المدينة ومشى إلي حتى وصل إلى قصر النصراني وفعل ما تقدم ذكره من أخذ عمامة على شار ومن أخذ زمرد جاريته ولم يزل يجري بها إلى أن أحطها عند أمه وقال لها احتفظي عليها إلى حين ارجع إليك في بكرة النهار ثم ذهب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جوان الكردي قال لأمه احتفظي عليها حتى أرجع إليك في بكرة النهار ثم ذهب فقالت زمرد في نفسها وما هذه الغفلة عن خلاص روحي بالحيلة كيف أصبر إلى أن يجيء هؤلاء الأربعون رجلاً فيتعاقبون على حتى يجعلوني كالمركب الغريقة في البحر ثم أنها التفتت إلى العجوز أم

جوان الكردي وقالت لها يا خالتي أما تقومين بنا إلى خارج الغار حتى أفليك في الشمس فقالـت أي وا يـا أبنتي فإن لي مدة وأنا بعيدة عن الحمام لأن هؤلاء الخنازير لم يزالوا دائرين بي من مكان إلى مكان فخرجت معها فصارت تفليها وتقتل القمل من رأسها إلى أن استلذت بذلك ورقدت فقامت زمرد ولبست ثياب الجنـدي الذي قتله جوان الكردي وشدت سيفه في وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كأنها رجل وركبت الفـرس وأخذت الخرج الذهب معها وقالت يا جميل الستر استرني بجاه محمد ﷺ ثم أنها قالت في نفسها إن رحت إلى البلاد ربما ينظرني أحد من أهل الجندي فلا يحصل لي خير ثم أعرضت عن دخول المدينة وسارت في البـر الأقفر ولم تزل سائرة بالخرج والفرس وتأكل من نبات الأرض وتطعم الفرس منه وتشـرب وتسـقيها مـن الأنهار مدة عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر أقبلت على مدينة طيبة أمينة بالخير مكينة قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بزهره ووردة فزهات أزهارها وتدفقت أنهارها وغردت أطيارها فلمـا وصلت إلى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والأمراء وأكابر أهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم علـى هذه الحالة وقالت في نفسها أن أهل هذه المدينة كلهم مجتمعون ببابها ولابد لذلك من سبب ثم أنهـا قصـدتهم فلما قربت منهم تسابق العساكر وترجلوا وقبلوا الأرض بين يديها وقالوا ا ينصرك يـا مولانـا السـلطان واصطفت بين يديها أرباب المناصب فصارت العساكر يرتبون الناس ويقولون لها ا ينصرك ويجعل قدومك مباركاً على المسلمين يا سلطان العالمين ثبتك ا يا ملك الزمان يا فريد العصر والأوان فقالت لهم زمرد مـا خبركم يا أهل هذه المدينة فقال الحاجب أنه أعطاك من لا يبخل بالعطاء وجعلك سلطاناً على هـذه المدينـة وحاكماً على رقاب جميع من فيها واعلم أن عادة أهل هذه المدينة إذا مات ملكهم ولم يكن لـه ولـد تخـرج العساكر إلى ظاهر المدينة ويمكثون ثلاثة أيام فأي إنسان جاء من طريقك التي جئت منها يجعلونـه سـلطاناً عليهم والحمد الذي ساق لنا إنساناً من أولاد الترك جميل الوجه فلو طلع علينا أقل منك كان سلطاناً وكانت زمرد صاحبة رأي في جميع أفعالها فقالت لا تحسبوا أنني من أولاد عامة الأتراك بل أنا من أولاد الأكـابر لكنني غضبت من أهلي فخرجت من عندهم وتركتهم وانظروا إلى هذا الخرج الذهب الذي جئت به تحتـي لا تصدق منه على الفقراء والمساكين طول الطريق فدعوا لها وفرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرد فرحت بهم ثم قالت في نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرداً قالت في نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر لعل ا يجمعني بسيدي في هذا المكان أنه على ما يشاء قدير ثم سارت فسارت العسكر بسيرها حتى دخلوا المدينة وترجـل العسكر بين يديها حتى أدخلوها القصر فنزلت وأخذها الأمراء والأكابر من تحت أبطيها حتى أجلسوها علـى الكرسي وقبلوا الأرض جميعاً بين يديها فلما جلست على الكرسي أمرت بفتح الخزائن ففتحت وأنفقت علـى جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك وأطاعها العباد وسائر أهل البلاد واستمرت على ذلك مدة مـن الزمـان وهي تأمر وتنهي وقد صار لها في قلوب الناس هيبة عظيمة من أجل الكرم والعفة وأبطلت المكوس وأطلقت من في الحبوس ورفعت المظالم فأحبها جميع الناس وكلما تذكرت سيدها تبكي وتدعو ا أن يجمـع بينهـا

وبينه واتفق أنها تذكرته في بعض الليالي وتذكرت أيامها التي مضت لها معه فأفاضت دمع العين وأنشـدت هذين البيتين :

شـوقي إليـك علـى الزمـان جديـد	**والـدمع فـرح مقلتـي ويزيـد**
وإذا بكيـت بكيـت مـن ألـم الجـوي	**أن الفـراق علـى المحـب شـديد**

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها وطلعت القصر ودخلت الحريم وأفردت للجواري والسـراري منازل ورتبت لهن الرواتب والجرايات وزعمت أنها تريد أن تجلس في مكان وحدها عاكفـة علـى العبـادة وصارت تصوم وتصلي حتى قالت الأمراء أن هذا السلطان له ديانة عظيمة ثم أنها لم تدع عندها أحداً مـن الخدم غير طواشين صغيرين لأجل الخدمة وجلست في تخت الملك سنة وهي لم تسمع لسيدها خبراً ولم تقف له على أثرفقلقت من ذلك فلما اشتد قلقها دعت بالوزراء والحجاب وأمرتهم أن يحضروها المهندسين والبنائين وأن يبنوا لها تحت القصر ميداناً طوله فرسخ وعرضه فرسخ ففعلوا ما أمرتهم به في أسـرع وقـت فجـاء الميدان على طبق مرادها فلما تم ذلك الميدان نزلت فيه وضربت لها فيه قبة عظيمة وصفت فيـه كراسـي الأمراء وأمرت أن يمدوا سماطاً من سائر الأطعمة الفاخرة في ذلك الميدان ففعلوا ما أمرتهم به ثـم أمـرت أرباب الدولة أن يأكلوا فأكلوا ثم قالت للأمراء أريد إذا هل الشهر الجديد أن تفعلوا هكذا وتنادوا في المدينـة أن لا يفتح أحد دكانه بل يحضرون جميعاً ويأكلون من سماط الملك وكل من خالف منهم يشنق على باب داره فلما هل الشهر الجديد فعلوا ما أمرتهم به واستمروا على هذه العادة إلى أن هل أول الشهر في السنة الثانيـة فنزلت إلى الميدان ونادى المنادي يا معشر الناس كافة كل من فتح دكانه أو حاصله أو منزله شنق في الحال على باب دكانه بل يجب عليكم أن تحضروا جميعاً لتأكلوا من سماط الملك فلما فرغت المناداة ووضع السماط جاءت الخلق أفواجاً أفواجاً فأمرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا حتى يشبعوا من سـائر الألـوان فجلسـوا يأكلون كما أمرتهم وجلست على كرسي المملكة تنظر إليهم فسار كل من جلس على السماط يقول في نفسـه أن الملك لا ينظر إلا إلى وجعلوا يأكلون وصار الأمراء يقولون للناس كلوا ولا تستحوا فإن الملك يحب ذلك فأكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك وصار بعضهم يقول لبعض عمرنا ما رأينا سلطاناً يحب الفقـراء مثل هذا السلطان ودعوا له بطول البقاء وذهبت إلى قصرها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة زمرد ذهبت إلى قصرها وهي فرحانة بما رتبته وقالـت فـي نفسها أن شاء ا تعالى بسبب ذلك أقع على خبر سيدي على شار ولما هل الشهر الثاني فعلت ذلـك الأمـر على جري العادة ووضعوا السماط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وأمرت الناس أن يجلسـوا ويـأكلوا فبينما هي جالسة على رأس السماط والناس يجلسون عليه جماعة بعد جماعة وواحد بعد واحد إذ وقعت عينها على برسوم النصراني الذي كان اشترى الستر من سيدها فعرفته فصاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا هذا الذي قدامه الصحن الأرز الحلو ولا تدعوه يأكل القمة التي في يده بل أرموها من يده فجاء أربعـة مـن العساكر وسحبوه على وجهه بعد أن رموا اللقمة من يده وأوقفوه قدام زمرد فامتنعت الناس عن الأكل وقـال بعضهم لبعض وا أنه ظالم لأنه لم يأكل من طعام أمثاله فقال واحد أنا قنعت بهذا الكشك الذي قدامي فقـال

الحشاش الحمد الذي منعني أن آكل من الصحن الأرز الحلو شيئاً لأني كنت أنتظر أن يستقر قدامه ويتهنى عليه ثم آكل معه فحصل له ما رأينا فقال الناس لبعضهم أصبروا حتى ننظر ما يجري عليه فلما قدموه بين يدي الملكة زمرد قالت له ويلك يا أزرق العينين ما اسمك وما سبب قدومك إلى بلادنا فأنكر الملعون اسمه وكان متعمما بعمامة بيضاء فقال يا ملك اسمي على وصنعتي حباك وجئت إلى هذه المدينة من أجل التجارة فقالت زمرد ائتوني بتخت رمل وقلم من نحاس فجاءوا بما طلبته في الحال فأخذت التخت الرمل والقلم وضربت تخت رمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قرد ثم بعد ذلك رفعت رأسها وتأملت في برسوم ساعة زمانية وقالت له يا كلب كيف تتكذب على الملوك أما أنت نصراني وأسمك برسوم وقد أتيت إلى حاجة تفتش عليها فاصدقني الخبر وإلا وعزة الربوبية لاضربن عنقك فتلجلج النصراني فقال الأمراء والحاضرون أن هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من أعطاه ثم صاحت على النصراني وقالت له أصدقني الخبر وإلا أهلكتك فقال النصراني العفو يا ملك الزمان أنك صادق في ضرب الرمل فإن إلا بعد نصراني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن النصراني قال العفو يا ملك الزمان أنك صادق في ضرب الرمل فإن إلا بعد نصراني فتعجب الحاضرون من الأمراء وغيرهم من إصابة الملك في ضرب الرمل وقالوا أن هذا الملك منجم ما في الدنيا مثله ثم أن الملكة أمرت بأن يسلخ النصراني ويحشي جلده قبنا ويعلق على باب الميدان وأن يحفروا حفرة في خارج البلد ويحرق فيها لحمه وعظمه وترمي عليه الأوساخ والأقدار فقالوا سمعاً وطاعة وفعلوا جميع ما أمرتهم به فلما نظر الخلق ما حل بالنصراني قالوا جزاؤه ما حل به فما كان أشأمها لقمة عليه فقال واحد منهم على البعيد الطلاق عمري ما بقيت آكل أرز حلواً فقال الحشاش الحمد الذي عافاني مما حل بهذا حيث حفظني من أكل ذلك الأرز ثم خرج الناس جميعهم وقد حرموا الجلوس على الأرز الحلو في موضع ذلك النصر اني ولما كان الشهر الثالث مدوا السماط على جري العادة وملأوه بالأصحن وقعدت الملكة زمرد على الكرسي ووقفت العسكر على جري العادة وهم خائفون من سطوتها ودخلت الناس من أهل المدينة على العادة وداروا حول السماط ونظروا إلى موضع الصحن فقال واحد منهم للآخر يا حج خاف قال له لبيك يا حج خالد قال تجنب الصحن الأرز الحلو وأحذر أن تأكل منه وأن أكلت منه تصبح مشنوقاً ثم أنهم جلسوا حول السماط للأكل فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة إذ حانت منها التفاته إلى رجل داخل يهرول من باب المدينة فتأملته فوجدته جوان الكردي اللص الذي قتل الجندي وسبب مجيئه أنه كان ترك أمه ومضى إلى رفقائه وقال لهم أني كسبت البارحة كسباً طيباً وقتلت جندياً وأخذت فرسه وحصل لي في تلك الليلة خرج ملآن ذهباً وصبية قيمتها أكثر من الذهب الذي في الخرج ووضعت جميع ذلك في الغار عند والدتي ففرحوا بذلك وتوجهوا إلى الغار في آخر النهار ودخل جوان الكردي قدامهم وهم خلفه وأراد أن يأتي لهم بما قال لهم عليه فوجد المكان قفراً فسأل أمه عن حقيقة الأمر فأخبرته بجميع ما جرى فعض على كفيه ندماً وقال وا لا دورن على هذه الفاجرة وآخذها من المكان الذي هي فيه ولو كانت في قشور الفستق وأشفي غليلي منها وخرج يفتش عليها ولم يزل دائراً في البلاد حتى وصل إلى مدينة الملكة

زمرد فلما دخل المدينة لم يجد فيها أحداً فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فأعلمنه أن أول كل شهر يمد السلطان سماطاً وتروح الناس وتأكل منه ودلوه على الميدان الذي يمد فيه السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكانا خالياً يجلس فيه إلا عند الصحن المتقدم ذكره فقعد وصار الصحن قدامه فمد يده إليه فصاحت عليه الناس وقالوا له يا أخانا ما تريد أن تعمل قال أريد أن آكل من هذا الصحن حتى أشبع فقال له واحد أن أكلت تصبح مشنوقاً فقال له أسكت ولا تنطق بهذا الكلام ثم مد يده إلى الصحن وجره قدامه وكان الحشاش المتقدم ذكره جالساً في جنبه فلما رآه جر الصحن قدامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيداً وقال أنا مالي حاجة بهذا الصحن أن جوان الكردي مد يده إلى الصحن وهي في صورة رجل الغراب وغرف بها وأطلعها منه وهي في صورة خف الجمل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جوان الكردي أطلع يده من الصحن وهي في صورة خف الجمل ودور اللقمة في كفه حتى صارت مثل النارنجه الكبيرة ثم رماها في فمه بسرعة فانحدرت في حلقه ولها فرقعه مثل الرعد وبان قعر الصحن من موضعها فقال له من بجانبه الحمد الذي لم يجعلني طعاماً بين يديك لأنك خسفت الصحن بلقمة واحدة فقال الحشاش دعوه يأكل فأني تخيلت فيه صورة المشنوق ثم التفت إليه وقال له علي لا هناك ا فما يده إلى اللقمة الثانية وأراد أن يدورها في يده مثل اللقمة الأولى وإذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا ذلك الرجل بسرعة ولا تدعوه يأكل اللقمة التي في يده فتجارت عليه العساكر وهو مكب على الصحن وقبضوا عليه وأخذوه قدام الملكة زمرد فشمتت الناس فيه وقالوا لبعضهم أنه يستاهل لأننا نصحناه فلم ينتصح وهذا المكان موعود بقتل من جلس فيه وذلك الأرز مشؤوم على كل من يأكل منه ثم أن الملكة زمرد قالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك مدينتنا قال يا مولانا السلطان أسمي عثمان وصنعتي خولي بستان وسبب مجيئي إلى هذه المدينة أنني دائر أفتش على شيء ضاع مني فقالت الملكة علي بتخت الرمل فأحضروه بين يديها فأخذت القلم وضربت تخت رمل ثم تأملت فيه ساعة وبعد ذلك رفعت رأسها وقالت له ويلك يا خبيث كيف تكذب على الملوك هذا الرمل يخبرني أن أسمك جوان الكردي وصنعتك أنك لص تأخذ أموال الناس بالباطل وتقتل النفس التي حرم ا قتلها إلا بالحق ثم صاحت عليه وقالت له يا خنزير أصدقني بخبرك وإلا قطعت رأسك فلما سمع كلامها أصفر لونه واصطكت أسنانه وظن أنه أن نطق بالحق ينجو فقال صدقت أيها الملك ولكنني أتوب على يديك من الآن وأرجع إلى ا تعالى فقالت له الملكة لا يحل لي أن أترك آفة في طريق المسلمين ثم قالت لبعض أتباعها خذوه وأسلخوا جلده وافعلوا به مثل ما فعلتم بنظيره في الشهر الماضي ففعلوا ما أمرتهم به ولما رأى الحشاش العسكر حين قبضوا على ذلك الرجل أدار ظهره إلى الصحن الأرز وقال أن استقبالك بوجهي حرام ولما فرغوا من الأكل تفرقوا وذهبوا إلى أماكنهم وطلعت الملكة قصرها وأذنت للمماليك بالإنصراف ولما هل الشهر الرابع نزلوا إلى الميدان على جري العادة وأحضروا الطعام وجلس الناس ينتظرون الأذن وإذا بالملكة قد أقبلت وجلست على الكرسي وهي تنظر إليهم فوجدت موضع الصحن الأرز خالياً وهو يسع أربعة أنفس فتعجبت من ذلك فبينما هي تجول بنظرها إذ حانت منها التفاتة فنظرت إنساناً داخلاً من باب الميدان يهرول وما زال يهرول

حتى وقف على السماط فلم يجد مكاناً خالياً إلا عند الصحن فجلس فتأملته فوجدته الملعون النصـراني الـذي سمي نفسه رشيد الدين فقالت في نفسها ما أبرك هذا الطعام الذي وقع في حبائله هذا الكافر وكـان لمجيئـه سبب عجيب وهو أنه لما رجع من سفره وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملعون الذي سمي نفسه رشيد الدين لما رجع من سفره أخبره أهـل بيته أن زمردا قد فقد ومعها خرج مال فلما سمع ذلك الخبر شق أثوابه ولطم على وجهه ونتف لحيته وأرسل أخاه برسوماً نفتش عليها في البلاد فلما أبطأ عليه خبره خرج هو بنفسه ليفتش على أخيه وعلى زمـرد فـي البلاد فرمته المقادير إلى مدينة زمرد ودخل تلك المدينة في أول يوم من الشهر فلما مشـي فـي شـوارعها وجدها خالية ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء في الطبقان فسأل بعضهن عن هذا الحال فقلن له أن الملـك يعمل سماطاً لجميع الناس في أول كل شهر وتأكل منه الخلق جميعاً وما يقدر أحد أن يجلس في بيته ولا فـي دكانه ودلوه على الميدان فلما دخل الميدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجـد موضـعاً خاليـاً إلا الموضع الذي فيه الصحن الأرز المعهود فجلس فيه ومد يده ليأكل فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت لهم هاتوا الذي قعد على الصحن الأرز فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه وأوقفوه قدام الملكة زمرد فقالت له ويلك ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى مدينتنا فقال يا ملك الزمان اسمي رستم ولا صنعة لي لأنني فقير درويش فقالت لجماعتها هاتوا لي تخت الرمل والقلم النحاس فأتوها بما طلبته على العادة فأخذت القلم وخطت به تخت رمل ومكثت تتأمل فيه ساعة ثم رفعت رأسها إليه وقالت له يا كلب كيف تكذب علي الملـوك أنـت أسمك رشيد الدين النصراني وصنعتك أنك تنصب الحيل لجواري المسلمين وتأخذهن وأنت مسلم في الظاهر ونصراني في الباطن فانطق بالحق وإن لم تنطق بالحق فأنني أضرب عنقك فتلجلج في كلامه ثم قال صـدقت يا ملك الزمان فأمرت به أن يمد ويضرب على كل رجل مائة سوط وعلى جسده ألف سوط وبعد ذلك يسـلخ ويحشي جلده ساسا ثم تحفر له حفرة في خارج المدينة ويحرق وبعد ذلك يضعون عليه الأوسـاخ والأقـذار ففعلوا ما أمرتهم به ثم أذنت للناس بالأكل فأكلوا ولما فرغ الناس من الأكل وانصرفوا إلى حال سبيلهم طلعت الملكة زمرد إلى قصرها وقالت الحمد الذي أراح قلبي من الذين آذوني ثم أنها شكرت فـاطر السـموات والأرض وأنشدت هذه الأبيات:

تحكمــوا فاســتطالوا فــي تحكمهــم	**وبعــد حــين كــان الحكــم لــم يكــن**
لو انصفوا أنصـفوا لكـن بغـوا فـاتي	**علــيهم الــدهر بالآفــات والمحــن**
فأصــبحوا ولســان الحــال ينشــدهم	**هــذا بــذاك ولا عتــب علــى الــزمن**

ولما فرغت من شعرها خطر ببالها سيدها على شار فبكت بالدموع الغزار وبعد ذلك رجعت إلى عقلها وقالت في نفسها لعل ا الذي مكنني من أعدائي يمن علي برجوع أحبائي فاستغفرت ا عز وجـل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة استغفرت الله عز وجل وقالت لعل الله يجمع شملي بحبيبي على شار قريباً أنه علي ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير ثم حمدت الله ووالت الاستغفار وسلمت لمواقع الأقـدار وأيقنت أنه لابد لكل أول من آخر وأنشدت قول الشاعر:

كـن حلـيم إذا ابتليـت بغـيظ	**وصـبوراً إذا أتتـك مصـيبة**
فالليـالي مـن الزمـان حبـالى	**مـثقلات يلـدن كـل عجيبـة**

وقول الآخر:

أصبر ففي الصبر خير لـو علمـت بـه	**لطبـت نفسـاً ولـم تجـزع مـن الألـم**
واعلم بأنـك لـو لـم تصـطبر كرمـاً	**صبرت رغمـاً علـى مـا خـط بـالقلم**

فلما فرغت من شعرها مكثت بعد ذلك شهراً كاملاً وهي بالنهار تحكم بين الناس وتأمر وتنهي وبالليـل تبكي وتنتحب على فراق سيدها على شار ولما هل الشهر الجديد أمرت بمد السماط في الميدان على جـري العادة وجلست فوق الناس وصاروا ينتظرون الأذن في الأكل وكان موضع الصحن الأرز خالياً وجلست هي على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنظر كل من يدخل وصارت تقول في سرها يا مـن رد يوسف علي يعقوب وكشف البلاء عن أيوب أمنن على برد سيدي على شار بقدرتك وعظمتك أنك على كـل شيء قدير يارب العالمين يا هادي الضالين يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات استجب مني يارب العالمين فلم يتم دعاؤها إلا وشخص داخل من باب الميدان كأن قوامه غصن بان إلا أنه نحيـل البـدن يلـوح عليـه الأصفرار وهو أحسن ما يكون من الشباب كامل العقل والآداب فلما دخل لم يجد موضعاً خالياً إلا الموضـع الذي عند الصحن الأرز فجاس فيه ولما رأته زمرد خفق قلبها فحققت النظر فيه فتبين لها أنه سـيدها علـي شار فأرادت أن تصرخ من الفرح فثبتت نفسها وخشيت من الفضيحة بين الناس ولكـن تقلقلـت أحشـاؤها واضطرب قلبها فكتمت ما بها وكان السبب في مجيء علي شار لما أنه رقد على المصطبة ونزلـت زمـرد وأخذها جوان الكردي استيقظ بعد ذلك فوجد نفسه مكشوف الرأس فعرف أن إنساناً تعدى عليه وأخذ عمامته وهو نائم فقال الكلمة التي لا يخجل قائلها وهي أنا لله وإنا إليه راجعون ثم أنه رجع إلى العجوز التي كانـت أخبرته بمكان زمرد وطرق عليها الباب فخرجت إليه فبكى بين يديها حتى وقع مغشياً عليه فلما أفاق أخبرها بجميع ما حصل له فلامته وعنفته على ما وقع منه وقالت له أن مصيبتك وداهيتك من نفسك ولا زالت تلومه حتى طفح الدم من منخريه ووقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار لما أفاق من غشيته رأى العجوز تبكي من أجلـه وتفـيض دمع العين فتضجر وأنشد هذين البيتين:

مـا أمـر الفـراق للأحبـاب وألـذ	**وألـذ الوصـال للعشـاق**
جمـع الله شـمل كـل محـب	**ورعـاني لأننـي فـي السـياق**

فحزنت عليه العجوز وقالت يا ولدي هذا الذي أنت فيه من الكآبة والحزن لا يرد عليك محبوبتك فقـم وشد حيلك وفتش عليها في البلاد لعلك أن تقع على خبرها ولم تزل تجاده وتقويه حتى نشطته وأدخلته الحمام وسقته الشراب وأطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوي وسـافر ولـم يـزل مسافر إلى أن وصل إلى مدينة زمرد ودخل الميدان وجلس على الطعام ومد يده ليأكل فحزنت عليه النـاس وقالوا له يا شاب لا تأكل من هذا الصحن لأن من أكل منه يحصل له ضرر فقال دعوني آكل منه ويفعلـون بي ما يريدون لعلي أستريح من هذه الحياة المتعبة ثم أكل أول لقمة وأرادت زمرد أن تحضره بـين يـديها فخطر ببالها أنه جائع فقالت في نفسها المناسب أني أدعه يأكل حتى يشبع فصار يأكل والخلق باهتة ينتظرون الذي يجري له فلما أكل وشبع قالت لبعض الطواشية أمضوا إلى ذلك الشاب الذي أكل مـن الأرز وهـاتوه برفق وقولوا له كلم الملك لسؤال لطيف وجواب فقالوا سمعاً وطاعة ثم ذهبوا إليه حتى وقفوا علـى رأسـه وقالوا له يا سيدي تفضل كلم الملك وأنت منشرح الصدر فقال سمعاً وطاعة ثم مضى مع الطواشـية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار قال سمعاً وطاعة ثم ذهب مع الطواشية فقال الخلق لبعضهم لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم يا ترى ما الذي يفعله به الملك فقال بعضهم لا يفعل به إلا الخير لانـه لو كان يريد ضرره ما كان تركه يأكل حتى يشبع فلما وقف قدام زمرد سلم عليها وقبل الأرض بـين يـديها فردت عليه السلام وقابلته بالإكرام وقالت له ما أسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فقال لها يا ملك أسمي على شار وأنا من أولاد التجار وبلادي خراسان وسبب مجيئي إلى هذه المدينة التفتـيش علـى جارية ضاعت مني وكانت عندي أعز من سمعي وبصري فروحي متعلقة من حين فقدتها وهذه قصـتي ثـم بكى حتى غشي عليه فأمرت أن يرشوا على وجهه ماء الورد فرشوا على وجهه ماء الورد حتى أفاق فلمـا أفاق من غشيته قالت على بتخت الرمل والقلم النحاس فجاءوا به فأخذت القلم وضربت تخت رمل وتأملت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت صدقت في كلامك ا يجمعك عليها قريباً فلا تقلق ثم أمرت الحاجـب أن يمضي به إلى الحمام ويلبسه بدلة حسنه من ثياب الملوك ويركبه فرساً من خواص خيل الملك ويمضـي بـه بعد ذلك إلى القصر في آخر النهار فقال الحاجب سمعاً وطاعة ثم أخذه من قدامها وتوجه بـه فقـال النـاس لبعضهم ما بال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة وقال بعضهم أما قلت لكم أنه لا يسيئه فإن شكله حسـن ومن حين صبر عليه لما شبع عرفت ذلك وصار كل واحد منهم يقول مقالة ثم تفرق الناس إلى حال سـبيلهم وما صدقت زمرد أن الليل أقبل حتى تختلي بمحبوب قلبها فلما أتى الليل دخلت محل بيتها وأظهرت أنه غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بأن ينام عندها أحد غير خادمين برسم الخدمة فلما استقرت في ذلـك المحـل أرسلت إلى محبوبها علي شار وقد جلست على السرير والشمع يضيء فوق رأسها وتحت رجليها والتعـاليق الذهب مشرقة في ذلك المحل فلما سمع الناس بإرساله إليه تعجبوا من ذلك وصار كل واحد منهم يظن ظنـاً ويقول مقالة وقال بعضهم أن الملك على كل حال تعلق بهذا الغلام وفي غد يجعله قائد عسكر فلما دخلوا بـه عليها قبل الأرض بين يديها ودعا لها فقالت في نفسها لابد أن أمزح معه ساعة ولا أعلمه بنفسي ثم قالت يـا

علي هل ذهبت لي الحمام قال نعم يا مولاي قالت قم كل من هذا الدجاج واللحم واشرب مـن هـذا السـكر الشراب فانك تعبان وبعد ذلك تعال هنا فقال سمعاً وطاعة ثم فعل ما أمرته به ولما فرغ من الأكل والشـرب قالت له اطلع عندي على السرير وكبسني فشرع يكبس رجليها وسيقانها فوجدها أنعم من الحرير فقالـت لـه اطلع بالتكبيس إلى فوق فقال العفو يا مولاي من عند الركبة اتعدي قالت أتخالفني فتكون ليلة مشؤومة عليـك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرد قالت لسيدها علي شار أتخالفني فتكون ليلة مشؤومة عليك بـل ينبغي لك أن تطاوعني وأنا أعملك معشوقي وأجعلك أميراً من أمرأتي فقال على شار يا ملك الزمان ما الذي أطيعك فيه قالت حل لباسك ونم على وجهك فقال هذا شيء عمري ما فعلته وأن قهرتني علـى ذلـك فـإنني أخاصمك فيه عند الله يوم القيامة فخذ كل شيء أعطيتني أياه ودعني أروح من مدينتك ثم بكى وانتحب فقالت حل لباسك ونم على وجهك وإلا ضربت عنقك ففعل فطلعت على ظهره فوجد شيئاً ناعماً أنعم مـن الحريـر والين من الزبد فقال في نفسه أن هذا الملك خير من جميع النساء ثم أنها صبرت ساعة وهي علـى ظهـره وبعد ذلك انقلبت على الأرض فقال علي شار الحمد لله كان ذكره لم ينتصب فقالت أن من عادة ذكـري لـم ينتصب إلا إذا عركوه بأيديهم فقم أعركه بيدك حتى ينتصب وإلا قتلتك ثم رقدت على ظهرها وأخذت بيـده ووضعتها على فرجها فوجد فرجاً أنعم من الحرير وهو أبيض مربرب كبير يحكي فـي السـخونة حـرارة الحمام أو قلب صب أضناه الغرام فقال علي شار في نفسه أن الملك له كس فهذا من العجب العجاب وأدركته الشهوة فصار ذكره في غاية الانتصاب فلما رأت منه ذلك ضحكت وقهقهت وقالت له يا سيدي قد حصل هذا كله وما تعرفني فقال ومن أنت أيها الملك قال أنا جاريتك زمرد فلما علم ذلك قبلها وعانقها وانقـض عليهـا مثل الأسد على الشاة وتحقق أنها جاريته بلا اشتباه فأغمد قضيبه في جرابها ولم يزل بوابـاً لبابهـا وأمامـاً لمحرابها وهي معه في ركوع وسجود وقيام وقعود إلا أنها صارت تتبع التسبيحات بغنج في ضمنه حركـات حتى سمع الطواشية فجاءوا ونظروا من خلف الأستار فوجدوا الملك راقداً وفوقه علي شـار وهـو يرضـع ويرهز وهي تشخر وتغنج فقالت الطواشية أن هذا الغنج ما هو غنج رجل لعل هذا الملك امرأة ثـم كتمـوا أمرهم ولم يظهروه على أحد فلما أصبحت زمرد أرسلت إلى كامل العسكر وأرباب الدولة وأحضرتهم وقالت لهم أنا أريد أن أسافر إلى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائباً يحكم بينكم حتى أحضر عندكم فأجـابوا زمـرد بالسمع والطاعة ثم شرعت في تجهيز آلة السفر من زاد وأموال وأرزاق وتحفة وجمال وبغال وسافرت مـن المدينة ولم تزل مسافرة إلى أن وصلت إلى بلد علي شار ودخل منزله وأعطى وتصدق ووهب ورزق منهـا الأولاد وعاشا في أحسن المسرات إلى أن أتاهما هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان البـاقي بـلا زوال والحمد لله على كل حال.

(حكاية بدور بنت الجوهري مع جبير بن عمير الشيباني)

(ومما) يحكي أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق ليلة من الليالي وتعذر عليه النوم ولم يزل يتقلـب من جنب إلى جنب لشدة أرقه فلماأعياه ذلك أحضر مسروراً وقال يا مسرور انظر إلى من يسليني على هـذا

الأرق فقال له يا مولاي هل لك أن تدخل البستان الذي في الدار وتتفرج على ما فيه من الأزهار وتنظر إلى الكواكب وحسن ترصيعها والقمر بينها مشرف على الماء قال له يا مسرور أن نفسي لا تهفو إلى شيء من ذلك قال يا مولاي أن في قصرك ثلثمائة سرية لكل سرية مقصورة فأمر كل واحدة منهن أن تختلي بنفسها في مقصورتها وتدور أنت تتفرج عليهن وهن لا يدرين قال يا مسرور القصر قصري والجواري ملكي غير أن نفسي لا تهفوا إلى شيء من ذلك قال يا مولاي مر العلماء والحكماء والشعراء أن يحضروا بين يديك ويفيضوا في المباحث وينشدون الأشعار ويقصون عليك الحكايات والأخبار قال ما تهفو نفسي إلى شيء من ذلك قال يا مولاي مر العلماء والندماء والظرفاء أن يحضروا بين يديك ويتحفوك بغريب النكات قال يا مسروران نفسي ما تهفو إلى شيء من ذلك قال يا مولاي فاضرب عنقي. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور قال للخليفة يا مولاي فاضرب عنقي لعله يزيل أرقك ويذهب القلق عنك فضحك الرشيد من قوله وقال يا مسرور انظر من بالباب من الندماء فخرج مسرور ثم عاد وقال يا مولاي الذي على الباب علي بن منصور الخليع الدمشقي قال علي بن فذهب وأتي به فلما دخل قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فرد عليه السلام وقال يا ابن منصور حدثني بشيء من أخبارك فقال يا أمير المؤمنين هل أحدثك بشيء رأيته عياناً أو شيء سمعت به فقال أمير المؤمنين إن كنت عاينت شيئاً غريباً فحدثنا به فإنه ليس الخبر كالعيان قال يا أمير المؤمنين أجل لي سمعك وقلبك قال يا ابن منصور ها أنا سامع لك بأذني ناظر لك بعيني مصغ لك بقلبي قال يا أمير المؤمنين اعلم أن لي كل سنة رسماً علي محمد بن سليمان الهاشمي سلطان البصرة فمضيت إليه على عادتي فلما وصلت إليه وجدته متهيئاً للركوب إلى الصيد والقنص فسلمت عليه وسلم على وقال لي يا ابن منصور اركب معنا إلى الصيد فقلت له يا مولاي مالي قدرة على الركوب فاجلسني في دار الضيافة وأوصي على الحجاب والنواب ففعلوا ثم توجه إلى الصيد فأكرموني غاية الإكرام وضيفوني أحسن الضيافة فقلت في نفسي يا العجب أن لي مدة أقدم من بغداد إلى البصرة ولم أعرف في البصرة سوى من القصر إلى البستان ومن البستان إلى القصر ومتى يكون لي فرصة أنتهزها في الفرجة على جهات الجرة مثل هذه النوبة فأنا أقوم هذه الساعة وأتمشى وحدي لا تفرج وينهضم عني الأكل فلبست أفخر ثيابي وتمشيت في جانب البصرة ومعلومك ياأمير المؤمنين أن فيها سبعين درباً طول كل درب سبعين فرسخاً بالعراقي فتهت في أزقتها ولحقني العطش فبينما أنا ماش يا أمير المؤمنين وإذا بباب كبير له حلقتان من النحاس الأصفر ومرخي عليه ستور من الديباج الأحمر وفي جانبه مصطبتان وفوقه مكعب لدوالي العنب وقد ظللت على ذلك الباب فوقفت أتفرج على هذا المكان فبينما أنا واقف إذ سمعت صوت أنين ناشيء عن قلب حزين يقلب النغمات وينشد هذه الأبيات:

جسمي غدا منزل الأسقام والمحن	**من أجل ظبي بعيد الدار والوطن**
فيا نسيمي زرود هيجا شجني	**با ربكما عوجا عن سكني**

وعاتباه لعل العتب يعطفه

وحسنا القول إذ يصغى لقولكما ... واستدرجا خبر العشاق بينكما
وأولياني جميلاً من صنيعكما ... وعرضا بي وقولا في حديثكما

ما بال عبد بالهجران تتلفه

فقلت في نفسي إن كان صاحب النغمة مليحاً فقد جمع بين الملاحة والفصاحة وحس الصوت ثم دنوت من الباب وجعلت أرفع الستر قليلاً قليلاً وإذا بجارية بيضاء كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر بحاجبين مقرونين وجفنين ناعسين ونهدين كرمانتين ولها شفتان رقيقتان كأنهما أقحوانتان وفم كأنه خاتم سليمان ونضيد أسنان يلعب بعقل الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر:

يا در ثغر الحبيب من نظمك ... وأودع الراح والأقاح فمك
ومن أعار الصباح مبتسمك ... ومن بقفل العقيق قد ختمك
أصبح من قد رآك من طرب ... يتيه عجباً فكيف من لثمك

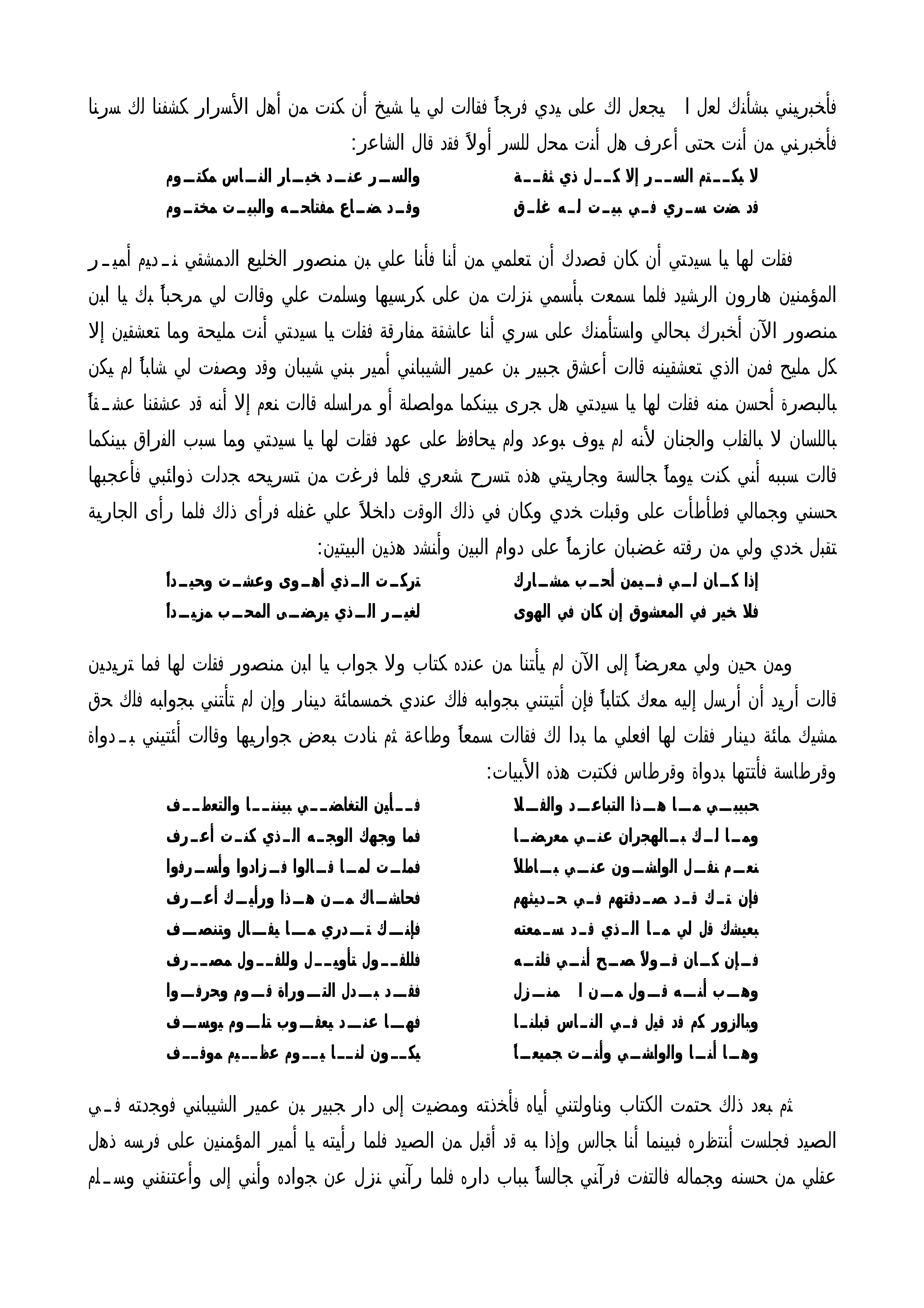
وبالجملة قد حازت أنواع الجمال وصارت فتنة للنساء والرجال لا يشبع من رؤية حسنها الناظر وهي كما قال فيها الشاعر:

أن أقبلت قتلت وإن هي أدبرت ... جعلت جميع الناس من عشاقها
شمسية بدرية لكنها ... ليس الجفا والصد من أخلاقها

فبينما أنا انظر إليها من خلال الستارة وإذا هي التفتت فرأتني واقفاً على الباب فقالت لجاريتها انظري من بالباب فقامت الجارية وأتت إلى وقالت يا شيخ أليس عندك حياء وهل شيب وعيب فقلت لها يا سيدتي أما الشيب فقد عرفناه وأما العيب فما أظن أني أتيت بعيب فقالت سيدتها وأي عيب أكثر من تهجمك على دار غير دارك ونظرك إلى حريم غير حريمك فقلت لها يا سيدتي إلى عذر في ذلك فقالت وما عذرك فقلت لها أني رجل غريب عطشان وقد قتلني العطش فقالت قبلنا عذرك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت قبلنا عذرك ثم نادت بعض جواريها وقالت يا لطف أسقبه شربة بالكوز الذهب فجاءتني بكوز من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر ملآن ماء ممزوج بالمسك الأذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الأخضر فجعلت أشرب وأطيل في شربي وأنا أسارق النظر إليها حتى طال وقوفي ثم رددت الكوز على الجارية ووقفت فقالت يا شيخ أمض إلى حال سبيلك فقلت لها يا سيدتي أنا مشغول الفكر فقالت فيما ذا فقلت في تقلب الزمان وتصرف الحدثان قالت يحق لك لأن الزمان ذو عجائب ولكن ما الذي رأيت من عجائبه حتى تفكر فيه فقلت لها أفكر في صاحب هذه الدار لأنه كان صديقي في حال حياته فقالت لي ما أسمه فقلت محمد بن علي الجوهري وكان ذا مال جزيل فهل خلف أولاداً قالت نعم خلف بنتاً يقال لها بدور وقد ورثت أمواله جميعها فقلت لها كأنك أبنته قالت نعم وضحكت ثم قالت يا شيخ قد أطلت الخطاب فأذهب إلى حال سبيلك فقلت لها لابد من الذهاب ولكني أرى محاسنك متغيرة



فأخبريني بشأنك لعل ا يجعل لك على يدي فرجاً فقالت لي يا شيخ أن كنت من أهل الأسرار كشفنا لك سرنا فأخبرني من أنت حتى أعرف هل أنت محل للسر أولاً فقد قال الشاعر:

لا يكـــتم الســـر إلا كـــل ذي ثقـــة … والســـر عنـــد خيـــار النـــاس مكتـــوم

قد ضمت ســري فــي بيــت لــه غلــق … وقــد ضــاع مفتاحــه والبيــت مختــوم

فقلت لها يا سيدتي أن كان قصدك أن تعلمي من أنا فأنا علي بن منصور الخليع الدمشقي نـديم أميـر المؤمنين هارون الرشيد فلما سمعت بأسمي نزلت من على كرسيها وسلمت علي وقالت لي مرحباً بك يا ابن منصور الآن أخبرك بحالي واستأمنك على سري أنا عاشقة مفارقة فقلت يا سيدتي أنت مليحة وما تعشقين إلا كل مليح فمن الذي تعشقينه قالت أعشق جبير بن عمير الشيباني أمير بني شيبان وقد وصفت لي شاباً لم يكن بالبصرة أحسن منه فقلت لها يا سيدتي هل جرى بينكما مواصلة أو مراسله قالت نعم إلا أنه قد عشقنا عشـقاً باللسان لا بالقلب والجنان لأنه لم يوف بوعد ولم يحافظ على عهد فقلت لها يا سيدتي وما سبب الفراق بينكما قالت سببه أني كنت يوماً جالسة وجاريتي هذه تسرح شعري فلما فرغت من تسريحه جدلت ذوائبي فأعجبها حسني وجمالي فطأطأت على وقبلت خدي وكان في ذلك الوقت داخلاً علي غفله فرأى ذلك فلما رأى الجارية تقبل خدي ولي من رقته غضبان عازماً على دوام البين وأنشد هذين البيتين:

إذا كــان لــي فــيمن أحــب مشــارك … تركــت الــذي أهــوى وعشــت وحيــداً

فلا خير في المعشوق إن كان في الهوى … لغيــر الــذي يرضــى المحــب مزيــداً

ومن حين ولي معرضاً إلى الآن لم يأتنا من عنده كتاب ولا جواب يا ابن منصور فقلت لها فما تريدين قالت أريد أن أرسل إليه معك كتاباً فإن أتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وإن لم تأتني بجوابه فلك حق مشيك مائة دينار فقلت لها افعلي ما بدا لك فقالت سمعاً وطاعة ثم نادت بعض جواريها وقالت أئتيني بـدواة وقرطاسة فأتتها بدواة وقرطاس فكتبت هذه الأبيات:

حبيبــي مــا هــذا التباعــد والقــلا … فــأين التغاضــي بيننــا والتعطــف

ومــا لــك بــالهجران عنــي معرضــا … فما وجهك الوجــه الــذي كنــت أعــرف

نعــم نقــل الواشــون عنــي بــاطلاً … فمـلــت لمــا قــالوا فــزادوا وأســرفوا

فإن تــك قــد صــدقتهم فــي حــديثهم … فحاشــاك مــن هــذا ورأيــك أعــرف

بعيشك قل لي مــا الــذي قــد ســمعته … فإنــك تــدري مــا يقــال وتنصــف

فــإن كــان قــولاً صــح أنــي قلتــه … فللقــول تأويــل وللقــول مصــرف

وهــب أنــه قــول مــن ا منــزل … فقــد بــدل التــوراة قــوم وحرفــوا

وبالزور كم قد قيل فــي النــاس قبلنــا … فهــا عنــد يعقــوب تلــوم يوســف

وهــا أنــا والواشــي وأنــت جميعــاً … يكــون لنــا يــوم عظــيم موقــف

ثم بعد ذلك ختمت الكتاب وناولتني أياه فأخذته ومضيت إلى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدته فـي الصيد فجلست أنتظره فبينما أنا جالس وإذا به قد أقبل من الصيد فلما رأيته يا أمير المؤمنين على فرسه ذهل عقلي من حسنه وجماله فالتفت فرآني جالساً بباب داره فلما رآني نزل عن جواده وأتى إلى وأعتنقني وسـلم

علي فخيل لي أني أعتنقت الدنيا وما فيها ثم دخل بي إلى داره وأجلسني على فراشه وأمـر بتقـديم المائـدة فقدموا مائدة من الخولنج الخراساني وقوائمها من الذهب عليها جميع الأطعمة وأنواع اللحم من مقلي ومشوي وما أشه ذلك فلما جلست على المائدة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي بن منصور قال لما جلست على مائدة جبير بن عمير الشـيباني قال مد يدك إلى طعامنا واجبر خاطرنا بأكل زادنا فقلت له وا ما آكل من طعامك لقمة واحدة حتى تقضـي حاجتي قال فما حاجتك فأحرجت إليه الكتاب فلما قرأه وفهم ما فيه مزقه ورماه في الأرض وقال لي يا ابـن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناه إلا هذه الحاجة التي تتعلق بصاحبة هذا الكتاب فإن كتابها ليس لـه عندنا جواب فقمت من عنده غضبان فتعلق بأذيالي وقال لي يا ابن منصور أنا أخبرك بالذي قالته لك وأن لم أكن حاضراً معكما فقلت له ما الذي قالته لي قال أما قالت لك صاحبة هذا الكتاب أن أتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وإن لم تأتني بجوابه فلك حق مشيك مائة دينار قلت نعم قال أجلس عندي اليوم وكل واشـرب وتلذذ وأطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده وأكلت وشربت وتلذذت وطجربت وسامرته ثم قلت يـا سيدي ما في دارك سماع قال لي أن لنا مدة نشرب من غير سماع ثم نادى بعض جواريه وقال يا شجرة الدر فأجابته جارية من مقصورتها ومعها عود من صنع الهنود ملفوف في كيس من أبريسم ثم جـاءت وجلسـت ووضعته في حجرها وضربت عليه إحدى وعشرين طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأطربت بالنغمـات وأنشدت هذه الأبيات:

من لم يـذق حلـو الهـوى مـع مـره ... لـم يـدر وصـل حبيبـه مـن هجـره
وكذاك من قد حاد عـن سـنن الهـوى ... لـم يـدر سـهل طريقـه مـن وعـره
ما زلت معترضـاً علـى أهـل الهـوى ... حتـــى بليـــت بحلـــوه وبمـــره
وشــربت كـــأس مـــراره متجرعـــاً ... وخضـــعت فيـــه لعبـــده ولحـــره
وكــم ليلــة بــات الحبيــب منــادمي ... ورشــفت حلــو رضــابه مــن ثغــره
ما كـان أقصـر عمـر ليـل وصـالنا ... قـد جـاء وقـت عشـائه مـع فجـره
نــذر الزمــان بــأن يفــرق شــملنا ... والآن قـــد أوفـــى الزمـــان بنـــذره
حكــم الزمــان فــلا مــرد لحكمــه ... مــن ذا يعــارض سـيداً فــي أمــره

فلما فرغت الجارية من شعرها صرخ سيدها صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فقالت الجارية لا آخذك ا أيها الشيخ إن لنا مدة ونحن نشرب بلا سماع مخافة على سيدنا من مثل هذه الصرعة ولكن أذهـب إلـى المقصورة ونم فيها فتوجهت إلى المقصورة التي أشارت إليها ونمت فيها إلى الصباح وإذا أنا بغـلام أتـاني ومعه كيس فيه خمسمائة دينار وقال هذا الذي وعدك به سيدي ولكنك لاتعد إلى هذه الجارية التـي أرسـلتك وكأنك ما سمعت بهذا الخبر ولا سمعنا فقلت له سمعاً وطاعة ثم أخذت الكيس ومضيت إلى حال سبيلي وقلت في نفسي أن الجارية في انتظاري من أمس وا لابد أن أرجع إليها وأخبرها بما جرى بيني وبينه لأننـي إن لم أعد إليها ربما تشتمني وتشتم كل من طلع من بلادي فمضيت إليها فوجدتها واقفة فلما رأتني قالت يا ابـن

منصور أنك ما قضيت لي حاجة فقلت لها من أعلمك بهذا فقالت يا ابن منصور أن معي مكاشفة أخرى وهي أنك لما ناولته الورقة مزقها ورماها وقال لك يا ابن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناه لك لا حاجـة صاحبة هذه الورقة فإنها ليس لها عندي جواب فقمت أنت من عنده مغضباً فتعلق بأذيالك وقال يا ابن منصور اجلس عندي اليوم فإنك ضيفي فكل واشرب والتلذ وأطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلسـت عنـده وأكلـت وشربت وتلذذت وطربت وسامرته وغنت الجارية بالصوت الفلاني والصوت الفلاني فوقع مغشياً عليه فقلت لها يا أمير المؤمنين هل أنت كنت معنا فقالت لي يا إبن منصور أما سمعت قول الشاعر:

قلـوب العاشـقين لهـا عيـون	تـرى مـالا يـراه الناظرونـا

ولكن يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شيء إلا وغيراه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار علـى شـيء إلا وغيراه ثم رفعت طرفها إلى السماء وقالت الهي وسيدي ومولاي كما بليتني بمحبة جبير بن عمير أن تبليـه بمحبتي وأن تنقل المحبة من قلبي إلى قلبه ثم أنها أعطتني مائة دينار حق طريقي فأخـذتها ومضـيت إلـى سلطان البصرة فوجدته قد جاء من الصيد فأخذت رسمي منه ورجعت إلى بغداد فلما أقبلـت السـنة الثانيـة توجهت إلى مدينة البصرة لأطلب رسمي على عادتي ودفع السلطان إلى رسمي ولما أردت الرجـوع إلـى بغداد تفكرت في نفسي أمر الجارية بدور وقلت وا لابد أن أذهب إليها وانظر ما جرى بينها وبين صاحبها فجئت دارها فرأيت على بابها كنساً ورشا وخدماً وحشماً وغلماناً فقلت لعل الجارية طفح الهـم علـى قلبهـا فماتت ونزل في دارها أمير من الأمراء فتركتها ورجعت إلى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدت مصاطبها قد هدمت ولم أجد على بابه غلماناً مثل العادة فقلت في نفسي لعله مات ثم وقفت علـى بـاب داره وجعلـت أفيض العبرات وأندبه بهذه الأبيات:

يـا سـادة رحلـوا والقلـب يتـبعهم	عـودوا تعـدلي أعيـادي بعـودكم
وقفـت فـي داركـم أنعـي مسـاكنكم	والـدمع يـدفق والأجفـان تلـتطم
أسـائل الـدار والأطـلال باكيـة	أيـن الـذي كـان منـه الجـود والـنعم
أقصـد سـبيلك فالأحبـاب قـد رحلـوا	من الربوع وتحـت التـرب قـد ردمـوا
لا أوحـش ا مـن رؤيـا محاسـنهم	طـولاً وعرضـاً ولا غابـت لهـم شـيم

فبينما أنا أندب أهل هذه الدار بهذه الأبيات يا أمير المؤمنين وإذا بعبد أسود قد خرج على مـن الـدار فقال ياشيخ اسكت ثكلتك أمك مالي أراك تندب هذه الدار بهذه الأبيات فقلت له أنني كنت أعهدها لصديق مـن أصدقائي فقال وما أسمه فقلت جبير بن عمير الشيباني قال وأي شيء جرى له الحمد ها هو على حاله من الغنى والسعادة والملك لكن ابتلاه بمحبة جارية يقال لها السيدة بدور وهو في محبتها مغمور من شدة الوجـد والتبريح فهو كالحجر الجلمود الطريح فإن جاع لا يقول لهم أطعموني وأن عطش لا يقول فقلت لابد أن أدخل إليه على كل حال فدخل الدار مستأذناً ثم عاد إلى آذنا فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح لا يفهم بإشـارة

ولا بصريح وكلمته فلم يكلمني فقال لي بعض اتباعه يا سيدي أن كنت تحفظ شيئاً من الشـعر فأنشـده أيـاه وأرفع صوتك به فإنه ينتبه لذاك ويخاطبك فأنشدت هذين البيتين:

أسـلوت حـب بـدور أم تتجاهـد — وسـهرت ليلـك جفونـك ترقـد
أن كـان دمعـك سـائلاً مهمولـة — فـاعلم بأنـك فـي الجنـان مخلـد

فلما سمع هذا الشعر فتح عينيه وقال لي مرحباً يا ابن منصور قد صار الهزل جداً فقلت له يا سـيدي الك بي حاجة قال نعم أريد أن أكتب لها ورقة وأرسلها معك إليها فإن أتيتني بجوابها فلك على ألف دينار وإن لم تأتني بجوابها فلك عندي حق مشيك مائة دينار فقلت له أفعل ما بدا لك وأدرك شهرزاد الصـباح فسـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن منصور قال فقلت له افعل ما بدا لك فنادي بعض جواريه وقـال أئتيني بدواة وقرطاس فأتته بما طلبه فكتب هذه الأبيات:

سـألتكم بـا يـا سـادتي مهـلاً — على فـان الحـب لـم يبـق لـي عقـلاً
تمكـن منـي حـبكم وهـواكم — فألبسـني سـقماً وأورثنـي ذلاً
لقد كنت قبل اليـوم استصـغر الهـوى — وأحسـه يـا سـادتي هينـاً سـهلاً
فلمـا أرانـي الحـب أمـواج بحـره — رجعـت لحكـم ا فهـو مـن يبلـى
فـإن شـئتم أن ترحمـوني بوصـلكم — وإن شـئتم قتلـى فـلا تنسـوا الفضـلا

ثم ختم الكتاب وناولني أياه فأخذته ومضيت به إلى دار بدور وجعلت أرفع الستر قليلاً قليلاً على العادة وإذا أنا بعشر جوار بهذا أبكار كأنهن الأقمار والسيدة بدور جالسة في وسطهن كأنها البدر في وسط النجـوم أو الشمس إذا دخلت على الغيوم وليس بها ألم لا وجع فبينما أنا أنظر إليها وأتعجب من هذا الحال إذ لاحـت منها التفاتة لي فرأتني واقفاً بالباب فقالت لي أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا ابن منصور ادخل فـدخلت وسـلمت عليها وناولتها الورقة فلما قرأتها وفهمت ما فيها ضحكت وقالت يا ابن منصور ما كذب الشاعر حيث قال:

فلاصـبرن علـى هـواك تجلـدا — حتـى يجـيء إلـى منـك رسـول

يا ابن منصور ها أنا أكتب لك جواباً حتى يعطيك الذي وعدك به فقلت لها جـزاك ا خيـراً فنـادت بعض جواريها وقالت ائتيني بدواة وقرطاس فلما أتتها بما طلبت كتبت إليه هذه الأبيات:

مـالي وفيـت بعهـدكم فغـدرتم — ورأيتمـوني منصـفاً فظلمـتم
بـا دبتمـوني بالقطيعـة والجفـا — وغـدرتم والغـدر بـاد مـنكم
مازلـت أحفـظ فـي البريـة عهـدكم — وأصـول عرضـكم وأحلـف عـنكم
حتـى رأيـت بنـاظري مـا سـاءني — وسـمعت أخبـار القبـائح عـنكم
أيهـون قـدري حـين أرفـع قـدركم — وا لـو أكـرمتم لكـرمتم
فـلا صـرفن القلـب عـنكم سـلوة — ولا نفضـن يـدي يأسـاً مـنكم

فقلت لها وا   يا سيدتي أنه ما يقرأ هذه الأبيات إلا وتفارق روحه من جسده فقالت لي يابن منصور قد بلغ بي الوجد إلى هذا الحد حتى قلت ما قلت فقلت لها لو قلت أكثر من ذلك الحق لك ولكن العفو مـن شـيم الكرام فلما سمعت كلامي تغرغرت عيناها بالدموع وكتبت إليه رقعة وا   يا أمير المؤمنين ما في ديوانك من يحسن أن يكتب مثلها وكتبت فيها هذه الأبيات:

إلـى كـم ذا الـدلال وذا التجنـي	**شـفيت وحقـك الحسـاد منـي**
لعلـي قـد أسـأت ولسـت أدري	**فقـل لـي مـا الـذي بلغـت عنـي**
مـرادي لـو وضعـتك يـا حبيبـي	**مكـان النـوم مـن عينـي وجفنـي**
شـربت كـؤس حبـك مترعـات	**فـإن ترنـي سـكرت فـلا تلمنـي**

فلما فرغت من كتابة المكتوب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن يدور لما فرغت من كتابة المكتوب وختمته نـاولتني إياه فقلت لها يا سيدتي أن هذه الرقعة تداوي العليل وتشفى الغليل ثم أخذت المكتوب وخرجت فنادتني بعد ما خرجت من عندها وقالت لي يا ابن منصور قل له أنها في هذه الليلة ضيفتك ففرحت أنا بذلك فرحـاً شـديداً ومضيت بالكتاب إلى جبير بن عمير فلما دخلت عليه وجدت عينه شاخصة إلى الباب ينتظر الجـواب فلمـا ناولته الورقة فتحها وقرأها وفهم معناها فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشياً عليه فلما أفاق قال يا ابن منصور هل كتبت هذه الرقعة بيدها ولمستها بأناملها قلت يا سيدي وهل الناس يكتبون بأرجلهم فو ا   يا أمير المؤمنين ما أستتم كلامي أنا وأياه إلا وقد سمعنا شن خلاخلها في الدهليز وهي داخلة فلما رآها قام على أقدامه كأنه لم يكن به ألم قط وعانقها عناق اللام للألف وزالت عنه علته التي لا تنصرف ثم جلس ولم تجلس هي فقلت لها يا سيدتي لأي شيء لم تجلسي قالت يا ابن منصور لا أجلس إلا بالشرط الذي بيننا فقلت لها وما ذلك الشـرط الذي بينكما قالت أن العشاق لا يطلع أحد على أسرارهم ثم وضعت فمها على أذنه وقالت له كلاماً سراً فقال سمعاً وطاعة ثم نام جبير ووشوش بعض عبيده فغاب العبد ساعة ثم أتى ومعه قاض وشاهد أن فقـام جبيـر وأتى بكيس فيه مائة ألف دينار وقال أيها القاضي أعقد عقدي على هذه الصبية بهذا المبلغ فقال لها القاضـي قولي رضيت بذلك فقالت رضيت بذلك فعقدوا العقد ثم فتحت الكيس وملأت يدها منـه وأعطـت القاضـي والشهود ثم ناولته بقية الكيس فانصرف القاضي والشهود وقعدت أنا وأياها في بسط وانشراح إلى أن مضـى من الليل أكثره فقلت في نفسي أنهما عاشقان ومضت عليهما مدة من الزمان وهما متهاجران فأنا أقوم في هذه الساعة لانام في مكان بعيد عنهما وأتركهما يختليان ببعضهما ثم قمت فتعلقت بأذيالي وقالت ما الذي حـدثتك به نفسك فقلت ما هو كذا وكذا فقالت أجلس فإذا أردنا أنصرافك صرفناك فجلست معهما إلى أن قرب الصبح فقالت يا ابن منصور أمض إلى تلك المقصورة لإننا فرشنا هالك وهي محل نومك فقمت ونمت إلى الصـباح فلما أصبحت جاءني غلام بطشت وأبريق فتوضأت وصليت الصبح ثم جلست فبينما أنا جـالس وإذا بجبيـر ومحبوبته خرجا من حمام في الدار وكل منهما يعصر ذوائبه فصبحت عليهما وهنيتهما بالسلامة وجمع الشمل ثم قلت له الذي أوله شرط آخره رضا فقال لي صدقت وقد وجب لك الأكرام ثم نادى خازنداره وقال له أئتني بثلاثة آلاف دينار فأتاه بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فقال لي تفضل علينا بقبول هذا فقلت له لا أقبلـه حتـى

تحكي لي ما سبب انتقال المحبة منها إليك بعد ذلك الصد العظيم قال سمعاً وطاعة اعلم أن عندنا عيداً يقال له عيد النواريز يخرج الناس فيه وينزلون في الزورق ويتفرجون في البحر فخرجت أتفرج أنا وأصحابي فرأيت زورقاً فيه عشر جوار كأنهن الأقمار والسيدة بدور هذه في وسطهن وعودها معها فضربت عليه إحدى عشر طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذين البيتين:

النار أبرد من نيران أحشائي ... والصخر ألين من قلبي لمولائي

أنيلا عجب من تأليف خلقته ... قاب من الصخر في جسم من الماء

فقلت لها أعيدي البيتين والطريقة فما رضيت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جبير قال فقلت لها أعيدي البيتين فما رضيت فأمرت النوتية أن يرجموها فرجموها بالنارنج حتى خشينا الغرق على الزورق الذي هي فيه ثم مضت إلى حال سبيلها وهذا سبب انتقال المحبة من قلبها إلى قلبي فهنيتهما بجمع الشمل وأخذت الكيس بما فيه وتوجهت إلى بغداد فانشرح صدر الخليفة وزال عنه ما كان يجده من الأرق وضيق الصدر.

حكاية الجواري المختلفة الألوان وما وقع بينهن من المحاورة

(ومما) يحكي أن أمير المؤمنين المأمون جلس يوماً من الأيام في قصره وأحضر رؤساء دولته وأكابر مملكته جميعاً وكذلك أحضر الشعراء والندماء بين يديه وكان من جملة ندمائه نديم يسمى محمد البصري فالتفت إليه المأمون وقال له يا محمد أريد منك في هذه الساعة أن تحدثني بشيء ما سمعته قط قال له يا أمير المؤمنين نريد أن أحدثك بحديث سمعته بأذني أو بأمر عاينته ببصري فقال المأمون حدثني يا محمد بالأغرب منهما فقال اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في الأيام الماضية رجل من أرباب النعم وكان موطنه باليمن ثم أنه ارتحل من اليمن إلى مدينة بغداد هذه فطاب له مسكنها فنقل أهله وماله وعياله إليها وكان له ست جوار كأنهن الأقمار الأولى بيضاء والثانية سمراء. والثالثة سمينة والرابعة هزيلة والخامسة صفراء والسادسة سوداء وكن حسان الوجوه كاملات الأدب وطاب الطعام والمدام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار للجارية البيضاء وقال لها يا وجه الهلال أسمعينا من لذيذ المقال فأخذت العود وأصلحته ورجعت عليه الألحان حتى رقص المكان ثم أطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :

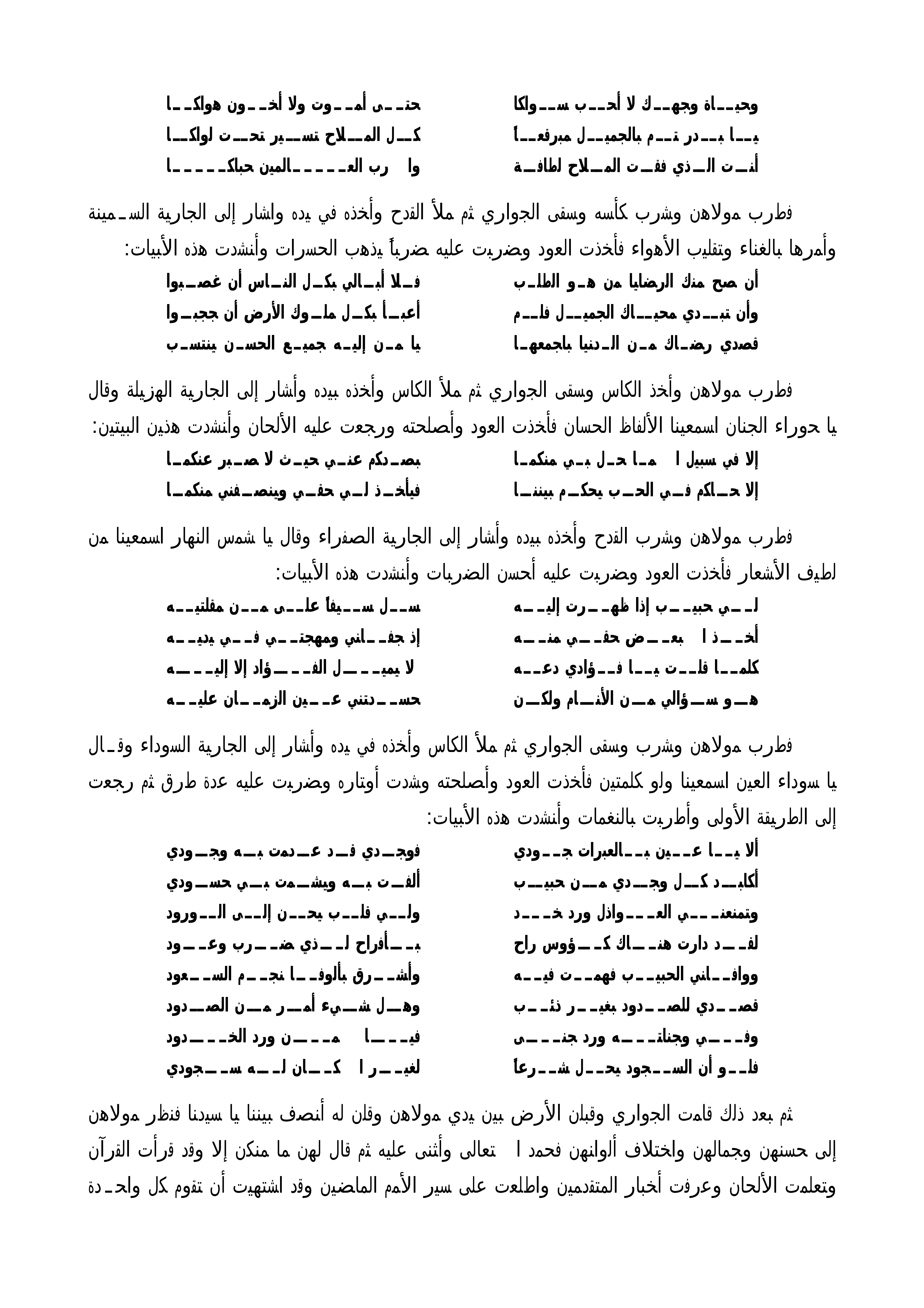
لي حبيب خياله نصب ... وأسمه في جوارحي مكنون

أن تذكرته فكلي قلوب ... أو تأملته فكلي عيون

قال لي عاذلي أتسلو هواه ... قلت ما لا يكون كيف يكون

يا عاذلي أمض عني ودعني ... لا تهون علي ما لا يهون

فطرب مولاهن وشرب قدحه وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السمراء وقال لها يا نور المقباس وطيبة الأنفاس أسمعينا صوتك الحسن الذي من سمعه افتتن فأخذت العود ورجعت عليه الألحان حتى طرب المكان وأخذت القلوب باللفتات وأنشدت هذه الأبيات:



وحيـاة وجهـك لا أحـب سـواكا … حتـى أمـوت ولا أخـون هواكـا
يـا بـدر تـم بالجميـل مبرقعـاً … كـل المـلاح تسـير تحـت لواكـا
أنـت الـذي فقـت المـلاح لطافـة … وا رب العـالمين حباكـا

فطرب مولاهن وشرب كأسه وسقى الجواري ثم ملأ القدح وأخذه في يده واشار إلى الجارية السـمينة وأمرها بالغناء وتقليب الأهواء فأخذت العود وضربت عليه ضرباً يذهب الحسرات وأنشدت هذه الأبيات:

أن صح منك الرضايا من هـو الطلب … فـلا أبـالي بكـل النـاس أن غضـبوا
وأن تبـدي محيـاك الجميـل فلـم … أعبـأ بكـل ملـوك الأرض أن حجبـوا
قصدي رضـاك مـن الـدنيا بأجمعهـا … يا مـن إليـه جميـع الحسـن ينتسـب

فطرب مولاهن وأخذ الكاس وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه بيده وأشار إلى الجارية الهزيلة وقال يا حوراء الجنان اسمعينا الألفاظ الحسان فأخذت العود وأصلحته ورجعت عليه الألحان وأنشدت هذين البيتين:

إلا في سبيل ا مـا حـل بـي منكمـا … بصـدكم عنـي حيـث لا صـبر عنكمـا
إلا حـاكم فـي الحـب يحكـم بيننـا … فيأخـذ لـي حقـي وينصـفني منكمـا

فطرب مولاهن وشرب القدح وأخذه بيده وأشار إلى الجارية الصفراء وقال يا شمس النهار اسمعينا من لطيف الأشعار فأخذت العود وضربت عليه أحسن الضربات وأنشدت هذه الأبيات:

لـي حبيـب إذا ظهـرت إليـه … سـل سـيفاً علـى مـن مقلتيـه
أخـذ ا بعـض حقـي منـه … إذ جفـاني ومهجتـي فـي يديـه
كلمـا قلـت يـا فـؤادي دعـه … لا يميـل الفـؤاد إلا إليـه
هـو سـؤالي مـن الأنـام ولكـن … حسـدتني عـين الزمـان عليـه

فطرب مولاهن وشرب وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السوداء وقـال يا سوداء العين اسمعينا ولو كلمتين فأخذت العود وأصلحته وشدت أوتاره وضربت عليه عدة طرق ثم رجعت إلى الطريقة الأولى وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

ألا يـا عـين بـالعبرات جـودي … فوجـدي قـد عـدمت بـه وجـودي
أكابـد كـل وجـدي مـن حبيـب … ألفـت بـه ويشـمت بـي حسـودي
وتمنعنـي العـواذل ورد خـد … ولـي قلـب يحـن إلـى الـورود
لقـد دارت هنـاك كـؤوس راح … بـأفراح لـذي ضـرب وعـود
ووافـاني الحبيـب فهمـت فيـه … وأشـرق بألوفـا نجـم السـعود
قصـدي للصـدود بغيـر ذنـب … وهـل شـيء أمـر مـن الصـدود
وفـي وجناتـه ورد جنـى … فيـا مـن ورد الخـدود
فلـو أن السـجود يحـل شـرعاً … لغيـر ا كـان لـه سـجودي

ثم بعد ذلك قامت الجواري وقبلن الأرض بين يدي مولاهن وقلن له أنصف بيننا يا سيدنا فنظر مولاهن إلى حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن فحمد ا تعالى وأثنى عليه ثم قال لهن ما منكن إلا وقد قرأت القرآن وتعلمت الألحان وعرفت أخبار المتقدمين واطلعت على سير الأمم الماضين وقد اشتهيت أن تقوم كل واحـدة

منكن وتشير بيدها إلى ضرتها يعني تشير البيضاء إلى السوداء والسمينة إلى الهزيلة والصفراء إلى السوداء وتمدح كل واحدة منكن نفسها وتذم ضرتها ثم تقوم ضرتها وتفعل معها مثلها ولكن يكون ذلـك بـدليل مـن القرآن الشريف وشيء من الأخبار والأشعار لننظر أدبكن وحسن ألفاظكن فقلن سمعاً وطاعة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل اليمني قالت له جواريه سمعاً وطاعة ثم قامت أولاً هن وهـي البيضاء واشارت إلى السوداء وقالت لها ويحك يا سوداء قد ورد أن البياض قال أنا النور اللامع أنـا البـدر الطالع لوني ظاهر وجبيني زاهر وفي حسني قال الشاعر:

بيضــاء مصــقولة الخــدين ناعمــة	**كأنهــا لؤلــؤة فــي الحســن مكنــون**
فقــدها ألــف بزهــو ومبســمها	**مـيم وحاجبهــا مــن فوقــه نــون**
كــأن ألحاظهــا نبــل وحاجبهــا	**قـرس علـى أنـه بـالموت مقـرون**
بالخــد والقــدان تبــدو فوجنتهــا	**ورد وآس وريحـــــان ونســـــرين**
والغصن يعهد فـي البسـتان معرسـه	**وغصـــن قـــدك كـــم فيـــه بســـاتين**

فلوني مثل النهار الهني والزهر الجني والكوكب الدري وقد قال ا تعالى في كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وقال ا تعالى وأما الذين ابيضت وجـوههم ففي رحمة ا هم فيها خالدون فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية وعلى مثلي يحسن الملبوس وإليه تميل النفوس وفي البياض فصائل كثيرة منها أن الثلج ينزل من السماء أبيض وقد وردان أحسن الألوان البيـاض وتفتخر المسلمون بالعمائم البيض ولو ذهبت أذكر ما فيه من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وسوف أبتديء بذمك يا سوداء يا لون المداد وهباب الحداد ومجه الغراب المفرق بين الأحباب وفي المثل يقول القائل كيف يوجد أسود عاقل فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فقد أسرفت ثم أشار إلى السوداء فقامت وأشارت بيدها إلى البيضاء وقالت أما علمت أنه ورد في القرآن المنزل علـى نبـي ا المرسل قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ولولا أن الليل أجل لما أقسم ا به وقدمه على النهـار وقبلته أولوا البصائر والأبصار أما علمت أن السود زينة الشباب فإذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت أوقات الممات ولو لم يكن أجل الأشياء ما جعله ا في حنة القلب والناظر وما أحسن قول الشاعر:

لم أعشـق السـمر إلا مـن حيـازتهم	**لـون الشـباب وحـب القلـب والحـدق**
ولا سلوب بياض البـيض عـن غلـط	**أني مـن الشـيب والأكفـان فـي فـرق**

وقول الآخر :

الســـمر دون البـــيض هـــم	**أولـــى بعشـــقي وأحـــق**
الســـمر فـــي لـــون اللمـــي	**والبـــيض فـــي لـــون البهـــق**

وقول الآخر:

سـوداء بيضـاء الفعـال كأنهـا مثـل العيـون تخـص بالأضـواء
أنـا إن جنيـت بحبهـا لا تعجبـوا أصـل الجنـون يكـون بالسـوداء
فكـأن لـوني فـي الـدياجي غيهـب لـولاه مـا قمـر أتـي بضـياء

وأيضاً فلا يحسن اجتماع الأحباب إلا في الليل فيكفيك هذا الفضل والنيل فما ستر الأحباب عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام ولا خوفهم من الافتضاح مثل بياض الصباح فكم للسواد من مآثر وما أحسن قـول الشاعر:

أزورهـم وسـواد الليـل يشـفع لـي وأنثنـي وبيـاض الصـبح يغـري بـي

وقول الآخر:

وكـم ليلـة بـات الحبيـب مؤانسـتي وقـد سـترتنا مـن دجـاه ذوائـب
فلما بدا نـور الصـباح أخـافني فقلـت لـه أن المجـوس كـواذب

ولو ذهبت أذكر في السواد من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وأما أنت يا بيضاء فلونك لون البرص ووصالك من الغصص وقد ورد أن البرد والزمهرير في جهـنم لعـذاب أهـل النكير ومن فصيلة السواد أن منه المداد الذي يكتب به كلام الله ولولا سواد المسك والعنبر ما كـان الطيـب يحمل للملوك ولا يذكروكم للسواد من مفاخر وما أحسن قول الشاعر:

ألـم تـر أن المسـك يعظـم قـدره وإن بيـاض الجيـر حمـل بـدرهم
وأن بيـاض العـين يقـبح بـالفتى وأن سـواد العـين يرمـي بأسـهم

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى السمينة فقامت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اليمني سيد الجواري أشار إلى الجارية السمينة فقامت وأشارت بيدها إلى الهزيلة وكشفت سيقانها ومعاصمها وكشفت عن بطنها فبانت طياته وظهر تدوير سرتها ثم لبست قميصا رفيعاً فبان منه جميع بدنها وقالت الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي وسمنني فأحسن سـمنتي وشـبهني بالأغصان وزاد في حسني وبهجتي فله الحمد على ما أولاني وشرفني إذ ذكر في كتابه العزيز فقال تعـالى وجاء بعجل سمين وجعلني كالبستان المشتمل على خوخ ورمان وأهل المدن يشتهون الطير السمين فيأكلون منه ولا يحبون طيراً هزيلاً وبنو آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه وكم للسمن من مفاخر وما أحسن قـول الشاعر:

ودع حبيبـك أن الركـب مرتحـل وهـل تطيـق وداعـاً أيهـا الرجـل
كـأن مشـيتها فـي بيـت جارتهـا مشـى السـمينة لاعيـب ولا ملـل

وما رأيت أحداً يقف على الجزار إلا ويطلب منه اللحم السمين وقالت الحكماء اللذة في ثلاثة أشياء أكل اللحم والركوب على اللحم ودخول اللحم في اللحم وأما أنت يا رفيعة فسيقانك كسيقان العصـفور ومحـراك التنور وأنت خشبة المسلوب ولحم المعيوب وليس فيك شيء يسر الخاطر كما قال فيك الشاعر:

أعـوذ بـا مـن أشـياء تحـوجني **إلـى مضـاجعة كالـدلك بالمسـد**
في كـل عضـو لهـا قـرن ينـاطحني **عنـد المنـام فأمسـى وأهـي الجلـد**

فقال سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار ألى الهزيلة فقامت كأنها غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وقالت الحمد الذي خلقني فأحسنني وجعل وصلي غاية المطلوب وشبهتني بالغصن الذي تميل إليه القلوب فإن قمت قمت خفيفة وإن جلست جلست ظريفة فأنا خفيفة الروح عند المـزاح طيبـة النفس من الارتياح وما رأيت أحداً يصف حبيبه فقال حبيبي قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل وأنما حبيبي له قد أهيف وقوام مهفهف فاليسير من الطعام يكفيني والقليل من الماء يرويني لعبي خفيف ومزاحـي ظريف فأنا أنشط من العصفور وأخف حركة من الزرزور وصلى منية الراغب ونزهة الطالب وأنا مليحـة القوام حسنة الابتسام كأني غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وليس لي في الجمال مماثل كما قال في القائل:

شـبهت قـدك بالقضـيب **وجعلـت شـكك مـن نصـيبي**
وغـدوت خلعـك هائمـاً **خوفـاً عليـك مـن الرقيـب**

وفي مثلي تهيم العشاق ويتوله المشتاق وأن جذبني حبيبي أنجذبت إليه وأن استمالتني ملت له لا عليـه وها أنت ياسمينة البدن فإن أكلك أكل الفيل ولا يشبعك كثير ولا قليل وعند الاجتماع لا يستريح معك خليـل ولا يوجد لراحته معك سبيل فكبر بطنك يمنعه من جماعك وعند التمكن من فرجك يمنعه غلـظ أفخـاذك أي شيء في غلظك من الملاحة أو في فظاظتك من اللطف والسماحة ولا يليق باللحم السمين غير الذبح ولـيس فيه شيء من موجبات المدح أن مازحك أحد غضبت وأن لاعبك حزنت فإن غنجت شخرت وإن مشيت لهثت وإن أكلت ما شبعت وأنت أثقل من الجبال وأقبح من الخبال والوبال مالك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل إلا الأكل والنوم وإن بلت شرشرت وإن تغوطت بطبطت كأنك زق منفوخ أو فيل ممسوخ إن دخلـت بيـت الخلاء تريدين من يغسل لك فرجك وينتف من فوقه شعرك وهذا غاية الكسل وعنوان الخبل وبالجملة لـيس فيك شيء من المفاخر وقد قال الشاعر:

ثقيلـة مثـل زق البـول منـتفخ **أو راكبـاً كعواميـد مـن الجبـل**
إذا مشت في بـلاد الغـرب أو خطـرت **سرى إلى الشرق ما تبـدي مـن الهبـل**

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى الصفراء فقامت على قدميها وحمـدت ا تعالى وأثنت عليه وأتت بالصلاة والسلام على خيار خلقه لديه ثم أشارت بيدها إلـى السـمراء وقالـت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية الصفراء قامت على قدميها فحمدت ا تعالى وأثنت عليه ثـم أشارت بيدها إلى السمراء وقالت لها أنا المنعوتة في القرآن ووصف لوني الرحمن وفضله على سائر الألوان بقوله تعالى في كتابه المبين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية لأن لوني لون الدينار ولون النجوم والأقمار ولون التفاح وشكلي شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الألوان

فشكلي غريب ولوني عجيب وأنا ناعمة البدن غالية الثمن وقد حويت كل معنى حسن ولوني فـي الوجـود عزيز مثل الذهب الأبريز وكم من مآثر وفي مثلي وقال الشاعر:

لها اصـفرار كلـون الشـمس مبـتهج	**وكالـدنانير فـي حسـن مـن النظـر**
ما الزعفران تحـاكي بعـض بهجتهـا	**كـلا ومنظرهـا يعلـو عـن القمـر**

وسوف أبتديء بذمك يا سمراء اللون فإنك في لون الجاموس تشمئز عند رؤيتك النفوس أن كان لونـك في شيء فهو مذموم وإن كان في طعام فهو مسموم فلونك لون الذباب وفيه بشاعة الكلاب وهو محيـر بـين الألوان ومن علامات الأحزان وما سمعت قط بذهب أسمر ولا درولا جوهران دخلت الخلاء يتغير لونك وأن خرجت أزددت قبحاً فلا أنت سوداء فتعرفي ولا أنت بيضاء فتوصفي وليس لك شيء من المآثر كما قال فيك الشاعر:

لـون الهبـاب لـون فغبرتهـا	**كـالتراب تـدهس فـي أقـدام قصـاد**
فمـا نظـرت لهـا بـالعين أرمقهـا	**ألا تزايـــد همـــي وأنكـــادي**

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال لها حسم ناعم وشعر فاحم معتدلة القد موردة الخد ذات طرف كحيل وخد أسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل فقالت الحمد الذي خلقني لا سـمينة مذمومـة ولا هزيلـة مهضومة ولا بيضاء كالبرق ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب بل جعل لوني معشـوقاً لأولـي الألباب وسائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان ويفضلون ألوانهم على سائر الألوان فاسمر اللـون حميـد الخصال و درمن قال:

وفي السمر معنـى لـو علمـت بيانـه	**لمـا نظـرت عينـاك بـيض ولا حمـرا**
لباقـــة ألفـــاظ وغـــنج لـــواحظ	**يعلمـــن هـــاروت الكهانـــة والســـحرا**

فشكلي مليح وقدي رجيح ولوني ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غني وصعلوك وأنا لطيفة خفيفة مليحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن وقد كملت في الملاحة والأدب والفصاحة مظاهري ولساني فصيح ومزاجـي خفيف ولعبي ظريف وأما أنت فمثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق فتعساً لك يا قدرة الرواس ويـا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم فضجيعك يضيق الأنفاس مقبور في الأرماس وليس لك في الحسـن مآثر وفي مثلك قال الشاعر:

عليهـا اصـفرار زاد مـن غيـر علـة	**يضيق له صدري وتوجعني رأسـي بلـثم**
إذا لـم تتـب نفسـي فـأني أذلهـا	**محياهـــا فتقلـــع أضراســـي**

فلما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسي ففي هذا القـدر كفاية ثم أن بعد ذلك أصلح بينهن وألبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية فما رأيت يا

أمير المؤمنين في مكان ولا زمان أحسن من هؤلاء الجواري الحسان فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصري أقبل عليه وقال له يا محمد هل تعرف لهؤلاء الجواري وسيدهن محلاً وهل يمكنك أن تشتريهن لنا من سيدهن فقال له محمد يا أمير المؤمنين قد بلغني أن يسيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفارقتهن فقال المأمون خذ معك إلى سيدهن في كل جارية عشرة آلاف دينار فيكون مبلغ ذلك الثمن ستين ألف دينار فاحملها صحبتك وتوجه إلى منزله واشترهن منه فأخذ محمد البصري منه ذلك القدر وتوجه به فلما وصل إلى سيد الجواري أخبره بأن أمير المؤمنين يريد اشتراءهن منه بذلك المبلغ فسمح ببيعهن لأجل خاطر أمير المؤمنين أرسلهن إليه فلما وصلت الجواري إلى أمير المؤمنين هيألهن مجساً لطيفاً وصار يجلس فيه معهن وينادمنه وقد تعجب من حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن وحسن كلامهن وقد استمر على ذلك مدة من الزمان ثم أن سيدهن الأول الذي باعهن لما لم يكن له صبر على فراقهن أرسل كتاباً إلى أمير المؤمنين المأمون يشكوا إليه فيه ما عنده للجواري من الصبابات ومن ضمنه هذه الأبيات:

سلبتني ست ملاح حسان	**فعلى الستة الملاح سلامي**
هن سمعي وناظري وحياتي	**وشرابي ونزهتي وطعامي**
لست أسلو من حسنهن وصالاً	**ذاهب بعدهن طيب منامي**
آه يا طول حسرتي وبكائي	**ليتني ما خلقت بين الأنام**
من عيون قد زانهن جفون	**كقسى رمينني بسهام**

فلما وقع ذلك الكتاب في يد الخليفة المأمون كسا الجواري من الملابس الفاخرة وأعطاهن ستين ألف دينار وأرسلهن إلى سيدهن فوصلن إليه وفرح بهن غاية الفرح أكثر مما أتى إليه من المال وأقام معهن في أطيب عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات.

حكاية وردان الجزار

(ومما) يحكي أنه كان في زمن الحاكم بأمر الله رجل بمصر يسمى وردان وكان جزاراً في اللحم الضاني وكانت امرأة تأتيه كل يوم بدينار يقارب وزنه وزن دينارين ونصف من الدنانير المصرية وتقول له أعطني خروفاً وتحضر معها حمالاً بقفص فيأخذ منها الدينار ويعطيها خروفاً فيحمله الحمال وتأخذه وتروح به إلى مكانها وفي ثاني يوم وقت الضحى تأتي وكان ذلك الجزار يكتسب منها كل يوم ديناراً وأقامت مدة طويلة على ذلك فتفكر وردان الجزار ذات يوم في أمرها وقال في نفسه هذه المرأة كل يوم تشتري مني بدينار ولم تغلط يوماً واحداً وتشتري مني بدراهم فهذا أمر عجيب ثم أن وردان سأل الحمال في غيبة المرأة فقال له أنا في غاية العجب منها فإنها كل يوم تحملني الخروف من عندك وتشتري حوائج الطعام والفاكهة والشمع والنقل بدينار آخر وتأخذ من شخص نصراني مروقتين نبيذاً وتعطيه ديناراً وتحملني الجميع وأسير معها إلى بساتين الوزير ثم تعصب عيني بحيث أني لا أنظر موضعاً من الأرض أحط فيه قدمي وتأخذ بيدي فما أعرف أين تذهب بي ثم تقول حط هنا وعندها قفص آخر فتعطيني الفارغ ثم تمسك يدي وتعود بي إلى الموضع الذي شدت عيني فيه بالعصابة فتحلها وتعطيني عشرة دراهم فقال له الجزار كان الله في عونها ولكن ازداد فكراً في أمرها وكثرت عنده الوساوس وبات في قلق عظيم ثم قال وردان الجزار فلما أصبحت

أتتني على العادة وأعطتني الدينار وأخذت الحروف وحملته للحمال وراحت فاوصيت صبيي علـى الـدكان وتبعتها بحيث لا تراني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وردان الجزار قال فأوصيت صبيي على الدكان وتبعتهـا بحيـث لا تراني ولم أزل أعاينها إلى أن خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها حتى وصلت إلى بساتين الوزير فاختفيت حتى عصبت عيني الحمال وتبعتها من مكان إلى مكان إلى أن أتت الجبل فوصلت إلى مكان فيه حجر كبيـر وحطت القفص عن الحمال فصبرت إلى أن عادت بالجمال ورجعت ونزعت جميع ما كان في القفص وغابت ساعة فاتيت إلى ذلك الحجر فزحزحته ودخلت فوجدت خلفه طابقاً من نحاس مفتوحاً ودرجاً نازلة فنزلت في تلك الدرج قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى دهليز طويل كثير النور فمشيت فيه حتى رأيت هيئتـه بـاب قاعـة فارتكنت في زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت فيها فوجدت صفة صـغيرة بهـا طاقة تشرف على قاعة فنظرت في القاعة وجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه مطايبه وعملت فـي قدر ورمت الباقي قدام دب كبير عظيم الخلقة فأكله عن آخره وهي تطبخ فلما فرغت أكلت كفايتها ووضعت الفاكهة والنقل وحطت النبيذ وصارت تشرب بقدح وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى حصل لها نشوة السكر فنزعت لباسها ونامت فقام الدب وواقعها وهي تعاطيه من أحسن ما يكون لبنى آدم حتى فرغ وجلس ثم وثب إليها وواقعها ولما فرغ جلس واستراح ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرات ثم وقع كل منهمـا مغشـياً عليه وصارا لا يتحركان فقلت في نفسي هذا وقت انتهاز الفرصة فنزلت ومعي سكين تبري العظم قبل اللحم فلما صرت عندهما وجدتهما لا يتحرك فيهما عرق لما صح لهما من المشقة فجعلت السكين في منحر الـدب واتكأت عليه حتى خلصته وانعزلت رأسه عن بدنه فصار له شخير عظيم مثل شخير الرعد فانتبهت المـرأة مرعوبة فلما رأت الدب مذبوحاً وأنا واقف والسكين في يدي زعقت زعقة عظيمة حتى ظننت أن روحها قـد خرجت وقالت لي يا وردان أيكون هذا جزاء الإحسان فقلت لها يا عدوة نفسها هل عدمت الرجال حتى تفعلي الفعل الذميم فاطرقت رأسها إلى الأرض لا ترد جواباً وتأملت الدب وقد نزعت رأسه عن جثته ثم قالت يـا ورد أن أي شيء أحب إليك أن تسمع الذي أقوله لك ويكون سبباً لسلامتك وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة قالت يا وردان أي شيء أحب إليك أن تسمع الذي أقولـه لـك ويكون سبباً لسلامتك وغناك إلى آخر الدهر أو تخالفني ويكون سبباً لهلاكك قلت اختـار أن أسـمع كلامـك فحدثيني بما شئت فقالت أذبحني كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وتوجه إلى حال سبيلك فقلت لها أنا خير من هذا الدب فارجعي إلى ا تعالى وتوبي وأتزوج بك ونعيش باقي عمرنا بهذا الكنز قالت أيـا وردان أن هذا بعيد كيف أعيش بعده وا أن لم تذبحني لا تلفن روحك فلا تراجعني تتلف وهذا ما عندي من الرأي والسلام فقلت أذبحك وتروحين لي لعنة ا ثم جذبتها من شعرها وذبحتهـا وراحـت إلـى لعنـة ا والملائكة والناس أجمعين وبعد ذلك نظرت في المحل فوجدت فيه من الذهب والفصوص واللؤلؤ مالا يقـدر

على جمعه أحد من الملوك فأخذت قفص الحمال وملأته على قدر ما أطيق ثم سترته بقماشي الذي كان علـى وحملته وطلعت من الكنز وسرت ولم أزل سائراً إلى باب مصر وإذا بعشرة من جماعـة الحـاكم بـأمر ا مقبلون والحاكم خلفهم فقال يا وردان قلت لبيك أيها الملك قال هل قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عـن رأسك وطب نفساً فجميع ما معك من المال لك لا ينازعك أحد فحطيت القفص بين يديه فكشـفه ورآه وقـال حدثني بخبرهما وإن كنت أعرفه كأنني حاضر معكم فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت فقال يا وردان قم سر بنا فتوجهت إليه معه فوجدت الطابق مغلقاً فقال ارفعه يا وردان فإن هذا الكنز لا يقدر أحد أن يفتحـه غيرك فإنه مرصود بإسمك وصفتك فقلت وا لا أطيق فتحه فقال تقدم أنت على بركـة ا فتقـدمت إليـه وسميت ا تعالى ومددت يدي إلى الطابق فارتفع كأنه أخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فإنه لا ينزله إلا من هو بأسمك وصورتك وصفاتك من حين وضع وقتل هذا الدب وهذه المرأة علـى يـديك وهـو عندي مؤرخ وكنت أنتظر وقوعه حتى وقع قال وردان فنزلت ونقلت له جميع ما في الكنز ثم دعا بالـدواب وحمله وأعطاني قفصي بما فيه فأخذته وعمدت إلى بيتي وفتحت لي دكاناً في السوق وهذا السوق موجود إلى الآن ويعرف بسوق وردان.

(**حكاية تتضمن داء غلبة الشهوة في النساء ودواءها**)

(ومما) يحكى أيضاً أنه كان لبعض السلاطين ابنة وقد تعلق قلبها بحب عبد أسـود فـافتض بكارتهـا وأولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فكشفت أمرها إلى بعض القهرمانات فأخبرتها أنه لا شيء ينكح أكثر من القرد فاتفق أن قرد آتياً مر تحت طاقتها بقرد كبير فأسفرت عن وجهها ونظرت إلـى القـرد وغمزته بعيونها فقطع القرد وثاقه وسلاسله وطلع لها فخبأته في مكان عندها وصار ليلاً ونهاراً علـى أكـل وشرب جماع ففطن أبوها بذلك وأراد قتلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان لما فطن بامر ابنته وأراد قتلها شعرت بذلك فتزيـت بـزي المماليك وركبت فرساً وأخذت لها بغلاً وحملته من الذهب والمعادن والقماش مالا يوصف وحملت القرد معها وسارت حتى وصلت إلى مصر فنزلت في بعض بيوت الصحراء وصارت كل يوم تشتري لحماً من شـاب جزار ولكن لا تأتيه إلا بعد الظهر وهي مصفرة اللون متغيرة الوجه فقال الشاب في نفسه لابد لهذا المملـوك من سبب عجيب فلما جاءت على العادة وأخذت اللحم تبعها من حيث لا تراه قال ولم أزل خلفها من حيث لا تراني من محل إلى محل حتى وصلت إلى مكانها الذي بالصحراء ودخلت هناك فنظرت إليها مـن بعـض جهاته فرأيتها استقرت بمكانها وأوقدت النار وطبخت اللحم وأكلت كفايتها وقدمت باقية إلى القرد الذي معهـا فأكل كفايته ثم أنها أحضرت خمراً وشربت منه وسقت القرد ثم واقعها القرد نحو عشر مرات حتـى غشـي عليها وبعد ذلك نشر القرد عليها ملاءة من حرير وراح إلى محله فنزلت إلى وسط المكان فأحس بي القـرد وأراد افتراسي فبادرته بسكين كانت معي ففريت بها كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد علـى هذه الحالة فصرخت صرخة عظيمة حتى كادت أن تزهق روحها ثم وقعت مغشياً عليها فلمـا أفاقـت مـن غشيتها قالت لي ما حملك على ذلك ولكن با عليك أن تلحقني به فلا زلت ألاطفها وأضمن لها أني أقوم بما

قام القرد من كثرة النكاح إلى أن سكن روعها وتزوجت بها فعجزت عن ذلك ولم أصبر عليه فشكوت حـالي إلى بعض العجائز وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لي بتدبير هذا الأمر وقالت لي لابد أن تأتيني بقدر وتملأه من الخل البكر وتأتيني بقدر رطل من العود القرح فأتيت لها بما طلبته فوضعته في القدر ووضـعت القدر على النار وغلته غلياناً قوياً ثم أمرتني بنكاح الصبية فنكتها إلى أن غشي عليها فحملتها العجوز وهي لا تشعر وألقت فرجها على فم القدر فصعد دخانه حتى دخل فرجها فنزل منه شيء فتأملته فإذا هـو دود تـان أحادهما سوداء والأخرى صفراء فقالت العجوز الأولى تربت من نكاح العبد والثانية من نكاح القـرد فلمـا أفاقت من غشيتها استمرت معي مدة وهي لا تطلب النكاح وقد صرف ا عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال وقد صرف ا عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك فأخبرتها بالقصة واستمرت معه في أرغد عيش وأحسن لذة واتخذت عندها العجوز مكان والدتها ومـا زالـت هـي وزوجها والعجوز في هناء وسرور إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكوت.

(حكاية الحكماء أصحاب الطاووس والبوق والفرس)

ومما يحكي أنه كان قديم الزمان ملك عظيم ذو خطر جسيم وكان له ثلاث بنات مثل البـدور السـافرة والرياض الزاهرة وولد ذكر كأنه القمر فبينما الملك جالس على كرسي مملكته يوماً من الأيام إذ دخل عليـه ثلاثة من الحكماء مع أحدهم طاووس من ذهب ومع الثاني بوق من نحاس ومع الثالث فرس من عاج وآبنوس فقال لهم الملك ما هذه الأشياء وما منفعتها فقال صاحب الطاووس أن منفعة هذا الطاووس أنه كلمـا مضـت ساعة من ليل أو نهار يصفق بأجنحته ويزعق وقال صاحب البوق أنه إذا وضع هذا البوق على باب المدينـة يكون كالمحافظ عليها فإذا دخل في تلك المدينة عدو يزعق عليه هذا البوق فيعرف ويمسك باليد وقال صاحب الفرس يا مولاي أن منفعة هذا الفرس أنه إذا ركبها إنسان توصله إلى أي بلاد أراد فقال الملك لا أنعم عليـك حتى أجرب منافع هذه الصور ثم أنه جرب الطاووس فوجده كما قال صاحبه وجرب البوق فوجده كما قـال صاحبه فقال الملك للحكيمين تمنياً على فقالا نتمنى عليك أن تزوج كل واحد منا بنتامن بناتك ثم تقدم الحكـيم الثالث صاحب الفرس وقبل الأرض بين يدي الملك وقال له يا ملك الزمان أنعم علـى كمـا أنعمـت علـى أصحابي فقال له الملك حتى أجرب ما أتيت به فعند ذلك تقدم أبن الملك وقال يا والدي أنا أركب هذه الفـرس وأجربها وأختبر منفعتها فقال الملك يا ولدي جربها كما تحب فقام ابن الملك وركب الفرس وحرك رجليه فلم يتحرك من مكانها فقال يا حكيم أين الذي ادعيته من سيرها فعند ذلك جاء الحكيم إلى ابن الملك وأراه لولـب الصعود وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحكيم عرف ابن الملك لولب الصعود وقال له أفـرك هـذا اللولـب ففركه ابن الملك وإذا بالفرس قد تحرك وطار بابن الملك إلى عنان السماء ولم يزل طائراً به حتى غاب عن

الأعين فعند ذلك احتار ابن الملك في أمره وندم على ركوبه الفرس ثم قال أن الحكيم قد عمـل حيلـة علـى هلاكي فلا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم أنه جعل يتأمل في جميع أعضاء الفرس فبينما هـو يتأمـل فيها إذ نظر لشيء مثل رأس الديك على كتف الفرس الأيمن وكذلك الأيسر فقال ابن الملك ما أرى فيه أثـراً غير هذين الزرين ففرك الزر الذي على الكتف الأيمن فازدادت به الفرس طيراناً طالعة إلى الجو فتركه ثـم نظر إلى الكتف الأيسر فرأى ذلك الزر ففركه فتناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ولـم تـزل هابطة به إلى الأرض قليلاً قليلاً وهو محترس على نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما فرك الزر الأيسر تناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ولم تزل هابطة إلى الأرض قليلاً قليلاً وهو محترس على نفسه فلما نظر ابن الملك ذلك وعـرف منافع الفرس امتلأ قلبه فرحاً وسروراً وشكر ا تعالى على ما أنعم به عليه حيث أنقذه من الهلاك ولم يـزل هابطاً طول نهاره لأنه كان حال صعوده بعدت عنه الأرض وجعل يدير وجه الفرس كما يريد وهي هابطـة به وإذا نزل بها وإذا شاء طلع بها فلما تم له من الفرس ما يريد أقبل بها إلى جهة الأرض وصار ينظر إلـى ما فيها من البلاد والمدن التي لا يعرفها لأنه لم يرها طول عمره وكان من جملة ما رآه مدينة مبنية بأحسـن البنيان وهي في وسط أرض خضراء ناضرة ذات أشجار وأنهار فتفكر في نفسه وقال يا ليت شعري ما اسم هذه المدينة وفي أي الأقاليم هي ثم أنه جعل يطوف حول تلك المدينة ويتأملها يميناً وشمالاً وكان النهار قـد ولى ودنت الشمس للمغيب فقال في نفسه أني لا أجد موضعاً للمبيت أحسن من هذه المدينة فأنا أبيت فيها هذه الليلة وعند الصباح أتوجه على أهلي ومحل ملكي واعلم أهلي ووالدي بما جرى لي وأخبره بما نظرت عيناي وصار يفتش على موضع يأمن فيه على نفسه وعلى فرسه ولا يراه أحد فبينما هو كذلك وإذا به قد نظر فـي وسط المدينة قصراً شاهقاً في الهواء وقد أحاط بذلك القصر سور متسع بشرافات عاليات فقال ابن الملك فـي نفسه أن هذا الموضع مليح وجعل يحرك الزر الذي يهبط به الفرس ولم يزل هابطاً به حتى نزل مستوياً على سطح القصر ثم نزل من فوق الفرس وحمد ا تعالى وجعل يدور حول الفرس ويتأملها ويقول وا أن الذي عملك بهذه الصفة لحكيم ماهر فإن مد ا تعالى في أجلي وردني إلى بلادي وأهلي سالماً وجمع بيني وبـين والدي لأحسنن إلى هذا الحكيم كل الإحسان ولا نعمن عليه غاية الإنعام ثم جلس فوق سطح القصر حتى علم أن الناس قد ناموا وكان قد أضربه الجوع والعطش لأنه منذ فارق والده لم يأكل طعاماً فقال في نفسه أن مثل هذا القصر لا يخلوا من الرزق فترك الفرس في مكان ونزل يتمشى لينظر شيء يأكله فوجد سلماً فنزل منـه إلى أسفل فوجد ساحة مفروشة بالرخام فتعجب من ذلك المكان ومن حسن بنيانه لكنه لم يجد في ذلك القصـر حس حسيس ولا أنس أنيس فوقف متحيراً وصار ينظر يميناً وشمالاً وهو لا يعرف أين يتوجه ثم قـال فـي نفسه ليس لي أحسن من أن أرجع إلى المكان الذي فيه فرسي وأبيت عندها فإذا أصبح الصباح ركبتها وسرت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قال في نفسه ليس لي أحسن من البيات عند فرسي فإذا أصبح الصباح ركبتها وسرت فبينما هو واقف يحدث نفسه بهذا الكلام إذ نظر إلى نور مقبل إلى ذلك المحل الذي هو فيه فتأمل ذلك النور فوجده مع جماعة من الجواري وبينهن صبية الفية بهية تحاكي البدر الزاهر كما قال فيها الشاعر:

جاءت بلا موعد في ظلمة الغسق	**كأنها البدر في داج من الأفق**
هيفاء ما في البرايا من يشابهها	**في بهجة الحسن أوفى رونق الخلق**
ناديت لما رأت عيني محاسنها	**سبحان من خلق الإنسان من علق**
أعيذها من عيون الناس كلهم	**بقل أعوذ برب الناس والفلق**

وكانت تلك الصبية بنت ملك هذه المدينة وكان أبوها يحبها حباً شديداً ومن محبته أياها بنى لها هذا القصر فكانت كلما ضاق صدرها تجيء إليه وجواريها تقيم فيه يوماً أو يومين أو أكثر ثم تعود إلى سرايتها فاتفق أنها قد أتت تلك الليلة من أجل الفرجة والانشراح وصارت ماشية بين الجواري ومعها خادم مقلد بسيف فلما دخلوا ذلك القصر فرشوا الفرش وطلقوا مجامر البخور ولعبوا وانشرحوا فبينما هم في لعب وانشراح إذ هجم ابن الملك على ذلك الخادم ولطمه لطمة فبطحه وأخذ السيف من يده وهجم على الجواري اللاتي مع ابنة الملك فشتتهم يميناً وشمالاً فلما نظرت ابنة الملك إلى حسنه وجماله قالت لعلك أنت الذي خطبتني من والدي بالأمس وردك وزعم أنك قبيح المنظر وا لقد كذب أبي كيف قال ذلك الكلام فما أنت إلا مليح وكان ابن ملك الهند قد خطبها من أبيها فرده لأنه كان بشع المنظر فظنت أنه هو الذي خطبها ثم أقبلت عليه وعانقته وقبلته ورقدت هي وإياه فقالت لها الجواري يا سيدتي هذا ما هو الذي خطبك من أبيك لأن ذاك قبيح وهذا مليح وما يصلح الذي خطبك من أبيك ورده أن يكون خادماً لهذا ولكن يا سيدتي أن هذا الفتى له شأن عظيم ثم توجهت الجواري إلى الخادم المبطوح وأيقظته فوثب مرعوباً وفتش على سيفه فلم يجده بيده فقالت له الجواري الذي أخذ سيفك وبطحك جالس مع ابنة الملك وكان ذلك الخادم قد وكله الملك بالمحافظة على ابنته خوفاً عليها من نوائب الزمان وطارق الحدثان فقام ذلك الخادم وتوجه إلى الستر ورفعه فرأى ابنة الملك جالسة مع ابن الملك وهما يتحدثان فلما نظرهما الخادم قال لابن الملك يا سيدي هل أنت أنسي أو جني فقال له ابن الملك ويلك يا أنجس العبيد كيف تجعل أولاد الملوك الأكاسرة من الشياطين الكافرة ثم أنه أخذ السيف بيده وقال له أنا صهر الملك وقد زوجني بابنته وأمرني بالدخول عليها فلما سمع الخادم منه ذلك الكلام قال له يا سيدي إن كنت من الأنس كما زعمت فإنها ما تصلح إلا لك وأنت أحق بها من غيرك ثم أن الخادم توجه إلى الملك وهو صارخ وقد شق ثيابه وحثا التراب على رأسه فلما سمع الملك صياحه قال له ما الذي دهاك فقد أرجفت فؤادي أخبرني بسرعة وأوجز في الكلام فقال له أيها الملك أدرك ابنتك فإنها قد استولى عليها شيطان من الجن في زي الأنس مصور بصورة أولاد الملوك فدونك وإياه فلما سمع الملك منه هذا الكلام هم بقتله وقال له كيف تغافلت عن ابنتي حتى لحقها هذا العارض ثم أن الملك توجه إلى القصر الذي فيه ابنته فلما وصل إليه وجد الجواري قائمات فقال لهن ما الذي جرى لابنتي قلن له أيها الملك بينما نحن جالسات

معها فلم نشعر إلا وقد هجم علينا هذا الغلام الذي كانه بدر التمام ولم نر أحسن منه وجهاً وبيده سيف مسلول فسألناه عن حاله فزعم أنك قد زوجته ابنتك ونحن لا نعلم شيئاً غير هذا ولا نعرف هل هو أنسـي أو جنـي ولكنه عفيف أديب لا يتعاطى القبيح فلما سمع الملك مقالتهن برد ما به ثم أنه رفع الستر قليلاً قلـيلاً ونظـر فرأى ابن الملك جالساً مع ابنته يتحدثان وهو في أحسن التصوير ووجهه كالبدر المنير فلم يقـدر الملـك أن يمسك نفسه من غيرته على ابنته فرفع الستر ودخل وبيده سيف مسلول وهجم عليها كأنه الغول فلما نظـره ابن الملك قال لها أهذا أبوك قالت نعم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما رأى الملك بيده سيف مسلول وقد هجم عليها كأنه الغول قال لها أهذا أبوك قالت نعم فعند ذلك وثب قائماً على قدميه وتناول سيفه بيديه وصاح على الملك صيحة منكـرة فأدهشته وهم أن يحمل عليه بالسيف فعلم الملك أنه أوثب منه فأغمد سيفه ثم وقف حتى انتهى إليه ابن الملك فقابله بملاطفة وقال يا فتى هل أنت أنسي أم جني فقال له ابن الملك لولا أني أرعى ذمامك وحرمـة ابنتـك لسفكت دمك كيف تنسبني إلى الشياطين وأنا من أولاد الملوك الأكاسرة الذين لو شاء وأخذوا ملكك وزلزلوك عن عزل وسلطانك وسلبوا عنك جميع ما في أوطانك فلما سمع الملك كلامه هابه وخاف على نفسه منه وقال له أن كنت من أولاد الملوك كما زعمت فكيف دخلت قصري بغير أذني وهتكت حرمتي ووصلت إلى بنتـي وزعمت أنك بعلها وادعيت أن قد زوجتك بها وأنا قد قتلت الملوك وأبناء الملوك حين خطبوها منـي ومـن ينجيك من سطوتي وأنا إن صحت على عبيدي وغلماني وأمرتهم بقتلك قتلوك في الحال فمن يخلصـك مـن يدي فلما سمع ابن الملك منه ذلك الكلام قال للملك أني لا عجب منك ومن قلة بصيرتك هل تطمع لأبنتك في بعل أحسن مني وهل رأيت أحداً أثبت جناناً وأكثر مكافأة وأعز سلطاناً وجنوداً وأعواناً مني فقال له الملك لا وا ولكن وددت يا فتى أن تكون خاطباً لها على رؤوس الأشهاد حتى أزوجك بها وأما إذا زوجتك بها خفية فإنك تفضحني فيها فقال له ابن الملك لقد أحسنت في قولك ولكن أيها الملك إذا اجتمعـت عبيـدك وخـدمك وجنودك على وقتلوني كما زعمت فإنك تفضح نفسك وتبقى الناس فيك بين مصدق ومكذب ومن الرأي عندي أن ترجع أيها الملك إلى ما أشير به عليك فقال له الملك هات حديثك فقال له ابن الملك الذي أحدثك به أما أن تبارزني أنا وأنت خاصة فمن قتل صاحبه كان أحق وأولى بالملك وأما أن تتركني في هذه الليلـة وإذا كـان الصباح فأخرج إلى عسكرك وجنودك وغلمانك وأخبرني بعدتهم فقال له الملك أن عدتهم أربعون ألف فارس غير العبيد الذين لي وغير أتباعهم وهم مثلهم في العدد فقال ابن الملك إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إي وقل لهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قال له إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إلي وقل لهـم هـذا خطب مني ابنتي على شرط أن يبارزكم جميعاً وادعي أنه يغلبكم ويقهركم وأنكم لا تقدرون عليه ثم أتركنـي معهم أبارزهم فإذا قتلوني فذلك أخفى لسرك وأصون لغرضك وأن غلبتهم وقهرتهم فمثلي يرغب الملك فـي مصاهرته فلما سمع الملك كلامه استحسن رأيه وقبل رأيه مع ما استعظمه من قوله وما هاله من أمـره فـي

عزمه على مبارزة جميع عسكره الذين وصفهم له ثم جلسا يتحدثان وبعد ذلك دعا الملك بالخادم وأمـره أن يخرج من وقته وساعته إلى وزيره ويأمره أن يجمع العساكر ويأمرهم بحمل أسلحتهم وأن يركبـوا خيـولهم فسار الخادم إلى الوزير وأعلمه بما أمره به الملك فعند ذلك طلب الوزير نقباء الجيش وأكابر الدولة وأمرهم أن يركبوا خيولهم ويخرجوا لابسين آلات الحرب هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنـه مازال يتحدث مع الغلام حيث أعجبه حديث وعقله وأدبه فبينما هما يتحدثان وإذا بالصباح قد أصبح فقام الملك وتوجه إلى تخته وأمر جيشه بالركوب وقدم لابن الملك فرساً جيداً من خيار خيله فقال له لا يعجبني شيء من خيلك ولا أركب إلا الفرس التي جئت راكباً عليها فقال له الملك وأين فرسك فقال له هي فوق قصرك فقال له في أي موضع في قصري فقال على سطح القصر فلما سمع كلامه قال له هذا أول ما ظهر من خبالـك يـا ويلك كيف تكون الفرس فوق السطح ولكن في هذا الوقت يظهر صدقك من كذبك ثم أن الملك التفـت إلـى بعض خواصه وقال له أمض إلى قصري وأحضر الذي تجده فوق السطح فصار الناس متعجبين مـن قـول الفتى ويقول بعضهم لبعض كيف ينزل هذا الفرس من سلالم السطح أن هذا شيء ما سمعنا بمثله ثم أن الذي أرسله الملك إلى القصر صعد إلى أعلاه فرأى الفرس قائماً ولم ير أحسن منه فتقدم إليه وتأمله فوجـده مـن الأبنوس والعاج وكان بعض خواص الملك طلع معه أيضاً فلما نظروا على الفرس تضاحكوا وقـالوا وعلـى مثل هذا الفرس يكون ما ذكره الفتى فما ظنه إلا مجنوناً ولكن سوف يظهر لنا أمره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خواص الملك لما نظروا الفرس تضاحكوا وقالوا وعلـى مثـل هـذا الفرس يكون ما ذكره الفتى فما أظنه إلا مجنونا ولكن سوف يظهر لنا أمره وربما يكون له شأن عظـيم ثـم أنهم رفعوا الفرس على أيديهم ولم يزالوا حاملين لها حتى وصلوا إلى قدام الملك وأوقفوها بين يديه فـاجتمع عليها الناس ينظرون إليها ويتعجبون من حسن صنعتها وحسن سرجها ولجامها واستحسـنها الملـك أيضـاً وتعجب منها غاية العجب ثم قال لابن الملك يا فتى أهذه فرسك فقال نعم أيها الملك هذه فرسي وسوف تـرى منها العجب فقال له الملك خذ فرسك وأركبها قال لا أركبها إلا إذا بعد عنها العساكر فأمر الملـك العسـكر الذين حوله أن يبعدوا عنها مقدار رمية السهم فقال له أيها الملك ها أنا رائح أركب فرسي وأحمل على جيشك فأفرقهم يميناً وشمالاً وأصدع قلوبهم فقال له الملك أفعل ما تريد ولا تبق عليهم فإنهم لا يبقون عليـك ثـم أن ابن الملك توجه إلى فرسه وركبها واصطفت له الجيوش وقال بعضهم لبعض إذا وصل الغلام بين الصـفوف نأخذه بأسنة الرماح وشفار الصفاح فقال واحد منهم وا أنها مصيبة كيف نقتل هذا الغلام صـاحب الوجـه المليح والقد الرجيح فقال واحد آخر وا لن تصلوا إليه إلا بعد أمر عظيم وما فعل الفتى هذه الفعال إلا لمـا علم من شجاعة نفسه وبراعته فلما استوى ابن الملك على فرسه فرك لولب الصعود فتطاولت إليه الأبصـار لينظروا ماذا يريدان يفعل فماجت فرسه واضطربت حتى عملت أغرب حركات تعملها الخيل وامتلأ جوفهـا بالهواء ثم ارتفعت وصعدت إلى الجو فلما رآه الملك قد ارتفع وصعد نادي على جيشه وقال ويلكم خذوه قبل أن يفوتكم فعند ذلك قال له وزرائه ونوابه أيها الملك هل أحد يلحق الطير الطائر وما هذا إلا ساحر عظيم قد

نجاك الله منه فأحمد الله تعالى على خلاصك من يده فرجع الملك إلى قصره بعد ما رأى من بن الملك ما رأى ولما وصل إلى قصره ذهب إلى ابنته وأخبرها بما جرى له مع ابن الملك في الميدان فوجدها كثيرة التأسف عليه وعلى فراقها له ثم أنها مرضت مرضاً شديداً ولزمت الوساد فلما رآها أبوها على تلك الحالة ضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها يا ابنتي أحمدي الله تعالى وأشكريه حيث خلصنا من هذا الساحر الماكر وجعل يكرر عليها ما رآه من ابن الملك ويذكر لها صفة صعوده في الهواء وهي لا تصغى إلى شيء من قول أبيها واشتد بكاؤها ونحيبها ثم قالت في نفسها والله لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى يجمع الله بيني وبينه فحصل لأبيها الملك هم عظيم من أجل ذلك وشق عليه حال ابنته وصار حزين القلب عليها وكلما يلاطفها لا تزداد إلا شغفاً به وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك صار حزين القلب على ابنته وكلما يلاطفها لا تزداد إلا شغفاً به هذا ما كان من أمر الملك وابنته (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه لما صعد في الجو اختلى بنفسه وتذكر حسن الجارية وجمالها وكان قد سأل أصحاب الملك عن اسم المدينة واسم الملك واسم بنته وكانت تلك المدينة مدينة صنعاء ثم أنه جد في السير حتى أشرف على مدينة أبيه ودار حول المدنية ثم توجه إلى قصر أبيه ونزل فوق السطح وترك فرسه هناك ونزل إلى والده ودخل عليه فوجده حزيناً كئيباً لأجل فراقه فلما رآه والده قام إليه واعتنقه وضمه إلى صدره وفرح به فرحاً شديداً ثم أنه لما اجتمع بوالده وسأله عن الحكيم الذي عمل الفرس وقال يا والدي ما فعل الدهر به فقال له والده لا بارك الله في الحكيم ولا في الساعة التي رأيته فيها لأنه هو الذي كان سبباً لفراقك منا وهو مسجون يا ولدي من يوم غبت عنا فأمر ابن الملك بالأفراج عنه وأخراجه من السجن وإحضاره بين يديه فلما حضر بين يديه خلع عليه وأحسن إليه غاية الإحسان إلا أنه لم يزوجه إبنته فغضب الحكيم من أجل ذلك غضباً شديداً وندم على ما فعل وعلم أن ابن الملك قد عرف سر الفرس وكيفية سيرها ثم أن الملك قال لابنه الرأي عندي أنك لا تقرب هذا الفرس بعد ذلك ولا تركبها أبداً بعد يومك هذا إنك لا تعرف أحوالها فأنت منها على غرور وكان ابن الملك حدث أباه بما جرى له مع ابنه الملك صاحب تلك المدينة وما جرى له مع أبيها فقال له أبوه لو أراد الملك قتلك لقتلك ولكن في أجلك تأخير ثم أن ابن الملك هاجت بلابله بحب الجارية ابنة الملك صاحب صنعاء فقام إلى الفرس وركبها وفرك لولب الصعود فطارت به في الهواء وعلت به إلى عنان السماء فلما أصبح الصباح افتقده أبوه فلم يجده فطلع إلى أعلى القصر وهو ملهوف فنظر إلى ابنه وهو صاعد في الهواء فتأسف على فراقه وندم كل الندم حيث لم يأخذ الفرس ويخفى أمره ثم قال في نفسه والله أن رجع إلى ولدي ما بقيت أخلي هذا الفرس لأجل أن يطمئن قلبي على ولدي ثم أنه عاد إلى بكائه ونحيبه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عاد إلى بكائه ونحيبه من حزنه على ولده هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر إبنه فإنه لم يزل سائراً في الجو حتى وقف على مدينة صنعاء ونزل في المكان الذي كان فيه أولاً ومشى مستخفياً حتى وصل إلى محل ابنة الملك فلم يجدها لا هي ولا جواريها ولا الخادم الذي

كان محافظاً عليها فعظم ذلك عليه ثم أنه دار يفتش عليها في القصر فوجدها في مجلس آخر غير محلها الذي اجتمع معها فيه وقد لزمت الوساد وحولها الجواري والدايات فدخل عليهن وسلم عليهن فلما سمعت الجارية كلامه قامت إليه واعتنقته وجعلته تقبله بين عينيه وتضمه إلى صدرها فقال لها يا سيدتي أوحشتيني هذه المدة فقالت له أنت الذي أوحشتني ولو طالب غيبتك عني لكنت هلكت بلا شك فقال لها يا سيدتي كيف رأيت حالي مع أبيك وما صنع بي ولولا محبتك يا فتنة العالمين لقتلته وجعلته عبرة للناظرين ولكن أحبه من أجلك فقالت له كيف تغيب عني وهل تطيب حياتي بعدك فقال لها أتطيعيني وتصغي إلي قولي فقالت له قل ما شئت فإنني أجيبك ما تدعوني إليه ولا أخالفك في شيء فقال لها سيري معي إلى بلادي وملكي فقالت له حباً وكرامة فلما سمع ابن الملك كلامها فرح فرحاً شديداً وأخذ بيدها وعاهدها بعهد الله تعالى على ذلك ثم صعد بها إلى أعلى سطح القصر وركب فرسه وأركبها خلفه ثم ضمها إليه وشدها شداً وثيقاً وحرك لولب الصعود الذي في كتف الفرس فصعدت بهما إلى الجو فعند ذلك زعقت الجواري وأعلمن الملك أباها وأمها فصعدا مبادرين إلى سطح القصر والتفت الملك إلى الجو فرأى الفرس الآبنوس وهي طائرة بهما في الهواء فعند ذلك انزعج الملك وزاد انزعاجه وقال يا ابن الملك سألتك بالله أن ترحمني وترحم زوجتي ولا تفرق بيننا وبين بنتنا فلم يجبه ابن الملك ثم أن ابن الملك ظن في نفسه أن الجارية ندمت على فراق أمها وأبيها فقال لها يا فتنة الزمان هل لك أن أردك إلي أمك وأبيك فقالت له يا سيدي والله ما مرادي ذلك أنما مرادي أن أكون معك أينما تكون لأنني مشغولة بمحبتك عن كل شيء حتى أبي وأمي فلما سمع ابن الملك كلامها فرح بذلك فرحاً شديداً وجعل يسير الفرس بهما سيراً لطيفاً لكيلا يزعجها ولم يزل يسير بها حتى نظر إلى مرج أخضر وفيه عين جارية فنزلا هناك وأكلا وشربا ثم أن ابن الملك ركب فرسه وأردفها خلفه وأوثقها بالرباط خوفاً عليها وسار بها ولم يزل في الهواء حتى وصل إلى المدينة أبيه فاشتد فرحه ثم أراد أن يظهر للجارية محل سلطانه وملك أبيه ويعرفها أن ملك أبيه أعظم من ملك أبيها فأنزلها في بعض البساتين التي يتفرج فيها والده وأدخلها في المقصورة المعدة لأبيه وأوقف الفرس الآبنوس على باب تلك المقصورة وأوصى الجارية بالمحافظة على الفرس وقال لها اقعدي ههنا حتى أرسل إليك رسولي فإنني متوجه إلى أبي لأجل أيهيء لك قصراً وأظهر لك ملكي ففرحت الجارية عندما سمعت منه هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية فرحت عندما سمعت من ابن الملك هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد ثم خطر ببالها أنها لا تدخل إلا بالتبجيل والتشريف كما يصلح لأمثالها ثم أن ابن الملك تركها وسار حتى وصل إلى المدينة ودخل على أبيه فلما رآه أبوه فرح بقدومه وتلقاه ورحب به ثم أن ابن الملك قال لوالده اعلم أنني قد أتيت ببنت الملك التي كنت أعلمتك بها وقد تركتها خارج المدينة في بعض البساتين وجئت أعلمك بها لأجل أن تهيء الموكب وتخرج لملاقتها وتظهر لها ملكك وجنودك وأعوانك فقال له الملك حباً وكرامة ثم أمر من وقته وساعته أهل المدينة أن يزينوا المدينة أحسن زينة وركب في أكمل هيبة وأحسن زينة هو وجميع عساكره وأكابر دولته وسائر مملكته وخدمه وأخرج ابن الملك من قصره الحلي والحلل وما

تدخره الملوك وهيأ لها عمارة من الديباج الأخضر والأحمر والأصفر وأجلس على تلك العمـارة الجـواري الهنديات والروميات والحبشيات وأظهر من الذخائر شيئاً عجيباً ثم أن ابن الملك ترك العمارة بمن فيها وسبق إلى البستان ودخل المقصورة التي تركها فيها وفتش عليها فلم يجدها ولم يجد الفرس فعند ذلـك لطـم علـى وجهه ومزق ثيابه وجعل يطوف في البستان وهو مدهوش العقل ثم بعد ذلك رجع إلى عقل وقال فـي نفسـه كيف علمت بسر هذا الفرس وأنا لم أعلمها بشيء من ذلك ولعل الحكيم الفارسي الذي عمل الفرس قد وقـع عليها وأخذها جزاء بما عمله والدي معه ثم ابن الملك طلب حراس البستان وسألهم عمن مر بهم وقال لهـم هل نظر تم أحد أمر بكم ودخل هذا البستان فقالوا ما رأينا أحداً دخل البستان سوى الحكيم الفارسي فإنه دخل ليجمع الحشائش النافعة فلما سمع كلامهم صح عنده أن الذي أخذ الجارية هو ذلك الحكـيم وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع كلامهم صح عنده أن الذي أخذ الجارية هو ذلك الحكيم وكان بالأمر المقدر أن ابن الملك لما ترك الجارية في المقصورة التي في البستان وذهب إلى قصر أبيه لهيء أمره دخل الحكيم الفارسي البستان ليجمع شيئاً من الحشيش النافع فشم رائحة المسك والطيب التي عبق منهـا المكان وكان ذلك الطيب من رائحة ابنة الملك فقصد الحكيم صوت تلك الرائحة حتـى وصـل إلـى تلـك المقصورة فرأى الفرس التي صنعه بيده واقف على باب المقصورة فلما رأى الحكيم الفرس امتلأ قلبه فرحـاً وسروراً لأنه كان كثير التأسف على الفرس حيث خرجت من يده فتقدم إلى الفرس وافتقـد جميـع أجزائهـا فوجدها سالمة ولما أراد أن يركبها ويسير قال في نفسه لابد أن انظر إلى ما جاء به ابن الملك وتركـه مـع الفرس ههنا فدخل المقصورة فوجد الجارية جالسة وهي كالشمس الضاحية في السماء الصافية ثم توجه إلـى المدينة ليجيء لها بموكب ويدخلها المدينة فقالت له من أنت فقالت لها يا سيدتي أنا رسول ابـن الملـك قـد أرسلني إليك وأمرني أن أنقلك إلى بستان آخر قريب من المدينة فلما سمعت الجارية منه ذلك الكلام دخل في عقلها وصدقته وقامت معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحكيم الفارسي لما أخبر الجارية بأحوال ابن الملك صـدقت كلامـه ودخل في عقلها وقامت معه ووضعت يدها في يده ثم قالت له يا والدي ما الذي جئت لي به معك حتى أركبه فقال يا سيدتي الفرس التي جئت عليها تركبينها فقالت له لنا لا أقدر على ركوبها وحدي فتبسم الحكيم عنـدما سمع منها ذلك وعلم أنه قد ظفر بها فقال لها أنا أركب معك بنفسي ثم ركب وأركب الجارية خلفـه وضـمها إليه وشد وثاقها وهي لا تعلم ما يريد بها ثم أنه حرك لولب الصعود فامتلأ جوف الفرس بالهواء وتحركـت وماجت ثم ارتفعت صاعدة إلى الجو ولم تزل سائرة بهما حتى غابت عن المدينة فقالت له الصبية يا هذا ابن الذي قلته عن ابن الملك حيث زعمت أنه أرسلك إلي فقال لها الحكيم قبح ا ابن الملك فإنه خبيث لئيم فقالت له يا ويلك كيف تخالف أمر مولاك فيما أمرك به فقال لها ليس هو مولاي فهل تعرفين من أنا فقالـت لـه لا أعرفك إلا بما عرفتني به عن نفسك فقال لها أنما كان أخباري لك بهذا الخبر حيلة مني عليك وعلـى ابـن

الملك ولقد كنت متأسفاً طول عمري على هذه الفرس التي تحتك فإنها صناعتي وكان استولى عليها والآن قد ضفرت بها وبك أيضاً وقد أحرقت قلبه كما أحرق قلبي ولا يتمكن منها بعد ذلك أبداً فطبي قلباً وقري عينـاً فأنا لك أنفع منه فلما سمعت الجارية كلامه لطمت على وجهها ونادت يا أسفاه لا حصلت حبيبـي ولا بقيـت عند أبي وأمي وبكت بكاء شديداً على ما حل بها ولم يزل الحكيم سائراً بها إلى بلاد الروم حتى نزل بها في مرج أخضر ذي أنهار وأشجار وكان ذ١لك المرج بالقرب من مدينة وفي تلك المدينة ملك عظيم الشأن فاتفق في ذلك اليوم أن ملك تلك المدينة خرج إلى الصيد والنزهة فجاز على ذلك المرج فرأى الحكيم واقفاً والفرس والجارية بجانبه فلم يشعر الحكيم إلا وقد هجم عليه عبيد الملك وأخذوه هو والجارية والفرس وأوقفوا الجميع بين يدي الملك فلما نظر إلى قبح منظره وبشاعته ونظر إلى حسن الجارية وجمالها قال لها يا سيدتي ما نسبة هذا الشيخ منك فبادر الحكيم بالجواب وقال هي زوجتي وابنة عمي فكذبته الجارية عندما سمعت قوله وقالت أيها الملك وا لا أعرفه ولا هو بعلي بل أخذ نيس قهراً بالحيلة فلما سمع الملك مقالها أمر بضربه فضربوه حتى كاد أن يموت ثم أمر الملك أن يحملوه إلى المدينة ويطرحوه في السجن ففعلوا به ذلك ثم أن الملك أخـذ الجارية والفرس منه ولكنه لم يعلم بأمر الفرس ولا بكيفية سرها هذا ما كان من أمر الحكيم والجارية (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه لبس ثياب السفر وأخذ ما يحتاج إليه من المال وسافر وهو فـي أسـوأ حـال وسار مسرعاً يقتص الأثر في طلبهما من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ويسأل عن الفرس الآبنوس وكـل من سمع منه خبر الفرس الآبنوس يتعجب ويستعظم ذلك منه فأقام على هذا الحال مدة من الزمان ومع كثـرة السؤال والتفتيش عليهما لم يقع لهما على خبر ثم أنه سار إلى مدينة أبي الجارية وسأل عنها هناك فلم يسـمع لها بخبر ووجد أباها حزيناً على فقدها فرجع وقصد بلاد الروم وجعل يقتص أثرهما ويسـأل عنهمـا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قصد بلاد الروم وجعل يقتص أثرهما ويسأل عنهما فـاتفق أنه نزل في خان من الخانات فرأى جماعة من التجار جالسين يتحدثون فجلس قريباً منهم فسمع أحدهم يقـول يا اصحابي لقد رأيت عجباً من العجائب فقالوا وما هو قال أني كنت في بعض الجهات في مدينة كذا وذكـر اسم المدينة التي فيها الجارية فسمعت أهلها يتحدثون بحديث غريب وهو أن ملك المدينة خرج يوماً من الأيام إلى الصيد والقنص ومعه جماعة من أصحابه وأكابر دولته فلما طلعوا إلى البرية جازوا على مرج أخضـر فوجدوا هناك رجلاً واقفاً وإلى جانبه أمرأة جالسة ومعه فرس من آبنوس فأما الرجل فإنه قبيح المنظر مهول الصورة جداً وأما المرأة فإنها صبية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال وأما الفرس الآبنوس فإنها من العجائب التي لم ير الراؤون أحسن منها ولا أجمل من صنعتها فقال له الحاضرون فما فعل الملـك بهـم فقال أما الرجل فإنه أخذه الملك وسأله عن الجارية فادعى أنها زوجته وابنة عمه وأما الجارية فإنها كذبته في قوله فأخذها الملك منه وأمر بضربه وطرحه في السجن وأما الفرس الآبنوس فمالي به علم فلما سـمع ابـن الملك هذا الكلام من التاجر دنا منه وصار يسأله برفق وتلطف حتى أخبره باسم المدينة واسـم ملكهـا فلمـا عرف ابن الملك اسم المدينة واسم ملكها بات ليلته مسروراً فلما أصبح الصباح خرج وسافر ولم يزل مسافراً

حتى وصل إلى تلك المدينة فلما أراد أن يدخلها أخذه البوابون وأرادوا حضارة قدام الملك ليسأله عن حاله وعن سبب مجيئه إلى تلك المدينة وعما يحسنه من الصنائع وكانت هذه عادة الملك من سؤال الغرباء عن أحوالهم وصنائعهم وكان وصول ابن الملك إلى تلك المدينة في وقت المساء وهو وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك ولا المشاورة عليه فأخذه البوابون وأتوا به إلى السجن ليضعوه فيه فلما نظر السجانون إلى حسنه وجماله لم يهن عليهم أن يدخلوه السجن بل أجلسوه معهم خارج السجن فلما جاءهم الطعام أكل معهم بحسب الكفاية فلما فرغوا من الأكل جعلوا يتحدثون ثم أقبلوا على ابن الملك وقالوا له من أي البلاد أنت فقال أنا من بلاد فارس بلاد الأكاسرة فلما سمعوا كلامه ضحكوا وقال بعضهم يا كسروى لقد سمعت حديث الناس وأخبارهم وشاهدت أحوالهم فما رأيت ولا سمعت أكذب من هذا الكسروي الذي عندنا في السجن فقال آخر ولا رأيت أقبح من خلقته ولا أبشع من صورته فقال لهم ما الذي بان لكم من كذبه فقالوا يزعم أنه حكيم وكان الملك قد رآه في طريقه وهو ذاهب إلى الصيد ومعه امرأة بديعة الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال ومعه أيضاً فرس من الآبنوس الأسود ما رأينا قط أحسن منها فأما الجارية فهي عند الملك وهو لها محب ولكن تلك المرأة مجنونة ولو كان ذلك الرجل حكيماً كما يزعم لداواها والملك مجتهد في علاجها وغرضه مداواتها مما هي فيه وأما الفرس الآبنوس فإنها في خزانة الملك وأما الرجل القبيح المنظر الذي كان معها فإنه عندنا في السجن فإذا جن عليه الليل يبكي وينتحب أسفاً على نفسه ولا يدعنا ننام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الموكلين بالسجن لما أخبره بخبر الحكيم الفارسي الذي عندهم في السجن وبما هو فيه من البكاء والنحيب خطر بباله أن يدبر تدبيراً ليبلغ به غرضه فلما أراد البوابون النوم أدخلوه السجن وأغلقوا عليه الباب فسمع الحكيم يبكي وينوح على نفسه بالفارسية ويقول في نوحه الويل لي بما جنيت على نفسي وعلى ابن الملك وبما فعلت بالجارية حيث لم أتركها ولم أظفر بمرادي وذلك كله من سوء تدبيري فإني طلبت لنفسي مالا استحقه ومالا يصلح لمثلي ومن طلب مالا يصلح له وقع في مثل ما وقعت فيه فلما سمع ابن الملك كلام الحكيم كلمة بالفارسية وقال له إلى كم هذا البكاء والعويل هل ترى أنه أصابك ما لم يصب غيرك فلما سمع الحكيم كلامه أنس به وشكا إليه حاله وما يجده من المشقة فلما أصبح الصباح أخذ البوابون ابن الملك وأتوا به إلى ملكهم وأعلموه أنه وصل إلى المدينة بالأمس في وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك فسأله الملك وقال له من أي البلاد أنت وما أسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فقال ابن الملك أما اسمي فإنه بالفارسية حرجة وأما بلادي فهي بلاد فارس وأنا من أهل العلم وخصوصاً علم الطب فإني أداوي المرضى والمجانين ولهذا أطواف في الأقاليم والمدن لاستفيد علماً على علمي وإذا رأيت مريضاً فإني أداويه فهذه صنعتي فلما سمع الملك كلامه فرح به فرحاً شديداً وقال له أيها الحكيم الفاضل لقد وصلت إلينا وقت الحاجة إليك ثم أخبره بخبر الجارية وقال له أن داويتها وأبرأتها من جنونها فلك عندي جميع ما تطلبه فلما سمع كلام الملك قال له أعز ا   الملك صف لي كل شيء رأيته من جنونها وأخبرني منذ كم يوم عرض لها هذا الجنون وكيف أخذتها هي والفرس والحكيم فأخبره بالخبر من

أوله إلى آخره ثم قال له أن الحكيم في السجن فقال له أيها الملك السعيد ما فعلت بالفرس التي كانت معهما فقال له باقية عندي إلى الآن محفوظة في بعض المقاصير فقال ابن الملك في نفسه أن من الرأي عندي أن تفقد الفرس وأنظرها قبل كل شيء فإن كانت سالمة لم يحدث فيها أمر فقدتم لي كل ما أريد وأن رأيتها قد بطلت حركاتها تحيلت بحيلة في خلاص مهجتي ثم التفت إلى الملك وقال له أيها الملك ينبغي أن أنظر الفرس المذكورة لعلي أجد شيئاً يعينني على برء الجارية فقال له الملك حباً وكرامة ثم قام الملك وأخذ بيده ودخل معه على الفرس فجعل ابن الملك يطوف حول الفرس ويتفقدها وينظر أحوالها فوجدها سالمة لم يعبها شيء ففرح ابن الملك بذلك فرحاً شديداً وقال أعز ا الملك أني أريد الدخول على الجارية حتى انظر ما يكون منها وأرجو ا أن يكون برؤها على يدي بسبب الفرس أن شاء ا تعالى ثم أمر بالمحافظة على الفرس ومضى به الملك إلى البيت الذي فيه الجارية فلما دخل عليها ابن الملك وجدها تختبط وتنصرع على عادتها ولم يكن بها جنون وأنما تفعل ذلك حتى لا يقرب بها أحد فلما رآها ابن الملك على هذه الحالة قال لها لا بأس عليك يا فتنة العالمين ثم أنه جعل يرفق بها ويلاطفها إلى أن عرفها بنفسه فلما عرفته صاحت صيحة عظيمة حتى غشي عليها من شدة ما حصل لها من الفرح فظن الملك أن هذه الصرعة من فزعها منه ثم أن ابن الملك وضع فمه على أذنها وقال لها يا فتنة العالمين أحقني دمي ودمك واصبري وتجادي فقالت له سمعاً وطاعة ثم أنه خرج من عندها وتوجه إلى الملك فرحاً مسروراً وقال أيها الملك السعيد قد عرفت بسعادتك داءها ودواءها وقد داويتها لك فقم الآن وادخل إليها ولين كلامك لها وترفق بها وعدها بما يسرها فإنه يتم لك كل ما تريد منها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما جعل نفسه حكيماً ودخل على الجارية وأعلمها بنفسه وأخبرها بالتدبير الذي يدبره فقالت له سمعاً وطاعة ثم خرج من عندها وتوجه على الملك وقال له قم ادخل عليها ولين لها الكلام وعدها بما يسرها فإنه يتم لك كل ما تريد منها فقام الملك ودخل عليها فلما رأته قامت إليه وقبلت الأرض بين يديه ورحبت به ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً ثم أمر الجواري والخدم أن يقوموا بخدمتها ويدخلوها الحمام ويجهزوا لها الحلي والحلل فدخلوا إليها وسلموا عليها فردت عليهم السلام بألطف منطق وأحسن كلام ثم ألبسوها حللاً من ملابس الملوك ووضعوا في عنقها عقداً من الجواهر وساروا بها إلى الحمام وخدموها ثم أخرجوها من الحمام كأنها بدر التمام ولما وصلت على الملك سلمت عليه وقبلت الأرض بين يديه فحصل للملك بها سرور عظيم وقال لابن الملك كل ذلك ببركتك زادنا ا من نفحاتك فقال له ابن الملك أن فقام برئها وكمال أمرها أنك تخرج أنت وكل من معك من أعوانك وعسكرك إلى المحل الذي كنت وجدتها فيه وتكون صحبتك الفرس الآبنوس التي كانت معها لأجل أن أعقد عنها العارض هناك وأسجنه وأقتله فلا يعود إليها أبداً فقال له الملك حباً وكرامة ثم أخرج الفرس الآبنوس إلى المرج الذي وجدها فيه هي والجارية والحكيم الفارسي وركب الملك مع جيشه وأخذ الجارية صحبته وهم لا يدرون ما يريد أن يفعل فلما وصلوا إلى ذلك المرج أمر ابن الملك الذي جعل نفسه حكيماً أن توضع الجارية والفرس بعيداً عن الملك والعساكر بمقدار مد البصر وقال للملك دستور عن أذنك أنا أريد أن أطلق البخور واتلوا العزيمة وأسجن

العارض هنا حتى لا يعود إليها أبداً ثم بعد ذلك أركب الفرس الأبنوس وأركب الجارية خلفي فإذا فعلت ذلـك الفرس تضطرب وتمشي حتى تصل إليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما قال لملك الروم حتى تصل إليك فعند ذلك يتم الأمر فافعـل بها بعد ذلك ما تريد فلما سمع الملك كلامه فرح فرحاً شديداً مث أن الملك ركب الفرس ووضع الصبية خلفه وصار الملك وجميع عسكره ينظرون إليه ثم أنه ضمها إليه وشد وثاقها وبعد ذلك فرك ابـن الملـك لوالـب الصعود فصعدت بهما الفرس في الهواء والعساكر تنظر إليه حتى غاب عن أعينهم ومكث الملك نصف يـوم ينتظر عودته إليه فلم يعد فيئس منه وندم ندماً عظيماً وتأسف على فراق الجارية ثم أخذ عسكره وعـاد إلـى مدينته هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه قصد مدينة أبيه فرحاً مسروراً ولـم يـزل سائراً إلى أن نزل على قصره وأنزل الجارية في القصر وأمن عليها ثم ذهب إلى أبيه وأمه فسـلم عليهمـا وأعلمها بقدوم الجارية ففرحاً بذلك فرحاً شديداً هذا ما كان من أمر ابن الملك والفرس والجارية (وأمـا) مـا كان من أمر ملك الروم فإنه لما عاد إلى مدينته احتجب في قصره حزيناً كئيباً فدخل عليه وزراؤه وجعلـوا يسلونه ويقولون له أن الذي أخذ الجارية ساحر والحمد الذي أنجاك من سحره ومكره وما زالوا به حتـى تسلى عنها وأما ابن الملك فإنه عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة وأقاموا في الفرح شـهراً كاملاً ثم دخل على الجارية وفرحا ببعضهما فرحاً شديداً هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر والـده فإنه كسر الفرس الآبنوس وأبطل حركاتها ثم أن ابن الملك كتب كتاباً إلى أبي الجارية وذكر له فيـه حالهـا وأخبره أنه تزوج بها وهي عنده في أحسن حال وأرسله إليه مع رسول وصحبته هدايا وتحفـاً نفيسـة فلمـا وصل الرسول إلى مدينة أبي الجارية وهي صنعاء اليمن أوصل الكتاب والهدايا إلى ذلك الملـك فلمـا قـرأ الكتاب فرح فرحاً شديداً وقبل الهدايا وأكرم الرسول ثم جهز هدية سنية لصهره ابن الملك وأرسلها إليه مـع ذلك الرسول فرجع بها إلى ابن الملك وأعلمه بفرح الملك أبي الجارية حين بلغه خبر ابنته فحصل له سـرور عظيم وصار ابن الملك في كل سنة يكاتب صهره ويهاديه ولم يزالوا كذلك حتى توفي الملـك أبـو الغـلام وتولى هو بعده في المملكة فعدل في الرعية وسار فيهم بسيرة مرضية فدانت لـه الـبلاد وأطاعتـه العبـاد وأستمروا على هذه الحالة في ألذ عيش وأهناه وأرغده وأسراه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعـات ومخرب القصور ومعمر القبور فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكوت.

(حكاية أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام)

(ومما) يحكي أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان ملك عظيم الشأن ذو عز وسلطان وكان له وزير يسمى إبراهيم وكانت له ابنة بديعة في الحسن والجمال فائقة فـي البهجـة والكمـال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك كانت فائقة في البهجة والكمال ذات عقل وافر وأدب باهر إلا أنها تهوى المنادمة والراح والوجوه الملاح ورقائق الأشعار ونوادر الأخبار تدعو العقول إلى الهوى رقة معانيها كما قال فيها بعض واصفيها.

كلبيـت بهـا فتانـة التـرك والعـرب	**يجـادلني فـي الفقـه والنحـو والأدب**
تقـول أنـا المفعـول بـي وخفضـتني	**لمـاذا وهـذا فاعـل فلـم انتصـب**
فقلت لها نفسـي وروحـي لـك الفـدا	**ألـم تعلمـي أن الزمـان قـد أنقلـب**
وإن كنـت يومـاً تنكـرين أنقلابـه	**فها فانظري ما عقدة الرأس فـي الـذنب**

وكان اسمها الورد في الأكمام وسبب تسميتها بذلك فرط رقتها وكمال بهجتهـا وكـان الملـك محبـاً لمنادمتها الكمال أدبها ومن عادة الملك أنه في كل عام يجمع أعيان مملكته ويلعب بالكرة فلما كان ذلك اليـوم الذي يجمع فيه الناس للعب الكرة جلست ابنة الوزير في الشباك لتتفرج فبينما هم في اللعب إذ لاحـت منهـا التفاتة فرأت بين العسكر شاباً لم يكن أحسن منه منظراً ولا أبهى طلعة نير الوجه ضاحك السن طويل البـاع واسع المنكب فكررت فيه النظر مراراً فلم تشبع منه النظر فقالت لدايتها ما اسم هذا الشاب المليـح الشـمائل الذي بين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها هذا الشاب المليح الشمائل الـذي بـين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها أصبري حتى أشير لك عليه ثم أخـذت تفاحـة ورمتها عليه فرفع رأسه فراح ابنة الوزير في الشباك كأنها البدر في الأفلاك فلم يرد إليه طرفـه إلا وهـو بعشقها مشغول الخاطر فأنشد قول الشاعر:

أرمـــاني القـــواس أم جفنـــاك	**فتكـــا بقلـــب الصـــب حـــين رآك**
وأتـــاني الســـهم المفـــوق برهـــة	**مـــن جحفـــل أم جـــاء مـــن شـــباك**

فلما فرغ اللعب قالت لدايتها ما اسم هذا الشاب الذي وريته لك قالت اسمه أنس الوجود فهزت رأسـها ونامت في مرتبتها وقدحت فكرتها ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

ما خـاب مـن سـماك أنـس الوجـود	**يـا جامعـاً مـا بـين أنـس وجـود**
يـا طلعـة البـدر الـذي وجهـه	**قـد نـور الكـون وعـم الوجـود**
مـا أنـت إلا مفـرد فـي الـورى	**سـلطان ذي حسـن وعنـده شـهود**
حاجبـك النـون التـي حـررت	**ومقلتـاك الصـاد صـنع الـودود**
وقـدك الغصـن الرطيـب الـذي	**إذا دعـى فـي كـل شـيء يجـود**
قـد فقـت فرسـان الـورى سـطوة	**ولـم تـزل بفـرط حسـنك تسـود**

فلما فرغت من شعرها كتبته في قرطاس ولفته في خرقة من الحرير مطرزة بالذهب ووضعته تحـت المخدرة وكانت واحدة من داياتها تنظر إليها فجاءتها وصارت تمارسها حتى نامت وسرقت الورقة من تحت المخدة وقرأتها فعرفت إنها حصل لها وجد بأنس الوجود وبعد أن قرأت الورقة وضعتها فـي مكانهـا فلمـا استفاقت سيدتها الورد في الأكمام من نومها قالت لها يا سيدتي أني لك من الناصحات وعليك من الشـفيقات

اعلمي أن الهوى شديد وكتمانه يذيب الحديد ويورث الأمراض والأسقام وما على من يبوح بالهوى ملام فقالت لها الورد في الأكمام يا دايتي وما دواء الغرام قالت دواءه الوصال قالت وكيف يوجد الوصال قالت يا سيدتي يوجد بالمراسلة ولين الكلام وإكثار التحية والسلام فهذا يجمع بين الأحباب وبه تسهل الأمور الصعاب وإن كان لك أمر يا مولاتي فأنا أولى بكتم سرك وقضاء حاجتك وحمل رسالتك فلما سمعت منها الورد في الأكمام ذلك الكلام طار عقلها من الفرح لكن أمسكت نفسها عن الكلام حتى تنظر عاقبة أمرها وقالت في نفسها أن هذا الأمر ما عرفه أحد مني فلا أبوح به لهذه المرأة إلا بعد أن أختبرها فقالت المرأة يا سيدتي أني رأيت في منامي كأن رجلاً جاءني وقال لي أن سيدتك وأنس الوجود متحابان فمارسي أمرهما واحملي رسائلهما وأقض حوائجهما واكتمي أمرهما وأسرارهما يحصل لك خير كثير وها أنا قد قصصت ما رأيت عليك والأمر إليك فقالت الورد في الأكمام لدايتها لما أخبرتها بالمنام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الورد في الأكمام قالت لدايتها لما أخبرتها بالمنام الذي رأته هل تكتمين الأسرار يا دايتي فقالت كيف لا أكتم الأسرار وأنا من خلاصة الأحرار فأخرجت لها الورقة التي كتبت فيها الشعر وقالت لها اذهبي برسالتي هذه إلى أنس الوجود وائتيني بجوابه فأخذتها وتوجهت بها إلى أنس الوجود فلما دخلت عليه قبلت يديه وحيته بألف سلام ثم أعطته القرطاس فقرأه وفهم معناه ثم كتب في ظهره هذه الأبيات:

أعلل قلبي في الغرام واكتتم ... ولكن حالي عن هواي يترجم
وأن فاض دمعي قلت جرح بمقلتي ... لئلا يرى حالي العذول فيفهم
وكنت خلياً لست أعرف ما الهوى ... فأصبحت صباً والفؤاد متيم
رفعت إليكم قصتي اشتكي به ... غرامي ووجدي كي ترقوا وترحموا
وسطرتها من دمع عيني لعلها ... بما حل بي منكم إليكم تترجم
رعى ا وجهاً بالجمال مبرقعاً ... له البدر عبد والكواكب تخدم
على حسن ذات ما رأيت مثيلها ... ومن ميلها الأغصان عطفاً تتعلم
وأسألكم من غير حمل مشقة ... زيارتنا أن الوصال معظم
وهبت لكم روحي عسى تقبلونها ... فلي الوصل خلد والصدود جهنم

ثم طوى الكتاب وقبله وأعطاه لها وقال لها يا داية استعطفي خاطر سيدتك فقالت له سمعاً وطاعة ثم أخذت منه المكتوب ورجعت إلى سيدتها وأعطتها القرطاس فقبلته ورفعته فوق رأسها ثم فتحته وقرأته وفهمت معناه وكتبت في أسفله هذه الأبيات:

يا من تولع قلبه بجمالنا ... أصبر لعلك في الهوى تحظى بنا
لما علمنا أن حبك صادق ... وأصاب قلبك ما أصاب فؤادنا
زدناك فوق الوصل وصلاً مثله ... لكن منع الوصل من حجابنا
وإذا تجلى الليل من فرط الهوى ... تتوقد النيران في أحشائنا

رجعت مضاجعنا الجنوب وربما ... **قد برح التبريح في أجسامنا**
الفرض في شرع الهوى كتم الهوى ... **لا ترفعوا المسبول من أستارنا**
وقد انحشى مني الحشا بهوى الرشا ... **يا ليته ما غاب عن أوطاننا**

فلما فرغت من شعرها طوت القرطاس وأعطته للداية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الورد في الأكمام طوت القرطاس وأعطته للداية فأخذته وخرجت من عند الورد في الأكمام بنت الوزير فصادفها الحاجب وقال لها أين تذهبين فقالت إلى الحمام وقد انزعجت منه فوقعت منها الورقة حين خرجت من الباب وقت انزعاجها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الورقة فإن بعض الخدم رآها مرمية في الطريق فأخذها ثم أن الوزير خرج من باب الحريم وجلس على سريره فقصد الخادم الذي التقط الورقة فبينما الوزير جالس على سريره وإذا بذلك الخادم تقدم إليه وفي يده الورقة وقال له يا مولاي أني وجدت هذه الورقة مرمية في الدار فأخذتها فتناولها الوزير من يده وهي مطوية ففتحها فرأى مكتوباً فيها الأشعار التي تقدم ذكرها فقرأها وفهم معناها ثم تأمل كتابتها فرآها بخط ابنته فدخل على أمها وهو يبكي بكاء شديداً حتى ابتلت لحيته فقالت له زوجته ما أبكاك يا مولاي فقال لها خذي هذه الورقة وانظري ما فيها فأخذت الورقة وقرأتها فوجدتها مشتملة على مراسلة من بنتها الورد في الأكمام إلى أنس الوجود فجاءها البكاء لكنها غلبت على نفسها وكفكفت دموعها وقالت للوزير يا مولاي أن البكاء لا فائدة فيه وأنما الرأي الصواب أن تتبصر في أمريكون فيه صون عرضك وكتمان أمر بنتك وصارت تسليه وتخفف عنه الأحزان فقال لها أني خائف على ابنتي من العشق أما تعلمين أن السلطان يحب أنس الوجود محبة عظيمة ولخوفي من هذا الأمر سببان الأول من جهتي وهو أنها ابنتي والثاني من جهة السلطان وهو أن أنس الوجود محظي عند السلطان وربما يحدث من هذا أمرب عظيم فما رأيك في ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما أخبر زوجته بخبر بنته وقال لها فما رأيك في ذلك قالت له أصبر علي حتى أصلي صلاة الاستخارة ثم أنها صلت ركعتين سنة الاستخارة فلما فرغت من صلاتها قالت لزوجها أن في وسط بحر الكنوز جبلاً يسمى جبل الثكلى وسبب تسميته بذلك سيأتي وذلك الجبل لا يقدر على الوصول إليه أحد إلا بالمشقة فاجعل لها موضعاً هناك فاتفق الوزير مع زوجته على أنه يبني فيه قصراً منيعاً ويجعلها فيه ويضع عندها مؤونتها عاماً بعد عاماً ويجعل عندها من يؤنسها ويخدمها ثم جمع النجارين والبنائين والمهندسين وأرسلهم إلى ذلك الجبل فأحس قلبها بالفراق فلما خرجت ورأت هيئة الأسفار بكت بكاء شديداً وكتبت على الباب تعرف أنس الوجود بما جرى لها من الوجد الذي تقشعر منه الجلمود ويذيب الجلمود ويجري العبرات والذي كتبته هذه الأبيات:

يا دار أن مر الحبيب ضحي مسلماً بإشارات يحيينا

أهديه منا سلاماً زاكياً عطراً لأنه ليس يدري أين أمسينا

ولست أدري إلى أين الرحيل بنا لما مضوا بي سريعاً مستخفينا

في جنح ليل وطير الأيك قد عكفت على الغصون تباكينا وتنعينا

وقال عنها لسان الحال واحرباه من التفرق ما بين المحبينا

لما رأيت كؤوس البعد قد ملئت والدهر من صرفها بالقهر يسقينا

مزجتها بجميل الصبر معتذراً وعنكم الآن ليس الصبر يسلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون البراري والقفار والسهول والأوعار حتى وصلوا إلى بحر الكنوز ونصبوا الخيام على شاطيء البحر ومدوا لها مركباً عظيماً وأنزلوها فيها هي وعائلتها وقد أمرهم أنهم إذا وصلوا إلى الجبل وأدخلوها في القصر هي وعائلتها يرجعون بالمركب وبعد أن يطلعوا من المركب يكسرونها فذهبوا وفعلوا جميع ما أمرهم به ثم رجعوا وهم يبكون على ما جرى هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإنه قام من نومه وصلى الصبح ثم ركب وتوجه إلى خدمة السلطان فمر في طريقه على باب الوزير على جري العادة لعله يرى أحداً من اتباع الوزير الذين كان يراهم ونظر إلى الباب فرأى الشعر المتقدم ذكره مكتوباً عليه فلما رآه غاب عن وجوده واشتعلت النار في أحشائه ورجع إلى داره ولم يقر له قرار ولم يزل في قلق ووجد إلى أن دخل فكتم أمره وتنكر وخرج في جوف الليل هائماً على غير طريق وهو لا يدري أين يسير فسار الليل كله وثاني يوم إلى أن اشتد حر الشمس وتلهبت الجبال واشتد عليه العطش فنظر إلى شجرة فوجد بجانبها جدول ماء يجري فقصد تلك الشجرة وجلس في ظلها على شاطيء ذلك الجدول وأراد أن يشرب فلم يجد للماء طعم في فمه وقد تغير لونه واصفر وجهه وتورمت قدماه من المشي والمشقة فبكي بكاء شديداً وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

سكر العاشق في حب الحبيب كلما زاد غراماً ولهيب

هائم في الحب صب تائه ما له مأوى ولا زاد يطيب

كيف يهنا العيش للصب الذي فارق الأحباب ذا شيء عجيب

ذبت لما أن نكا وجدي بهم وجرى دمعي على خدي صبيب

هل أراهم أو أرى من ربعهم أحداً يبري به القلب الكئيب

فلما فرغ من شعره بكى حتى بل الثرى ثم قام من وقته وساعته وسار من ذلك المكان فبينما هو سائر في البراري والقفار إذ خرج عليه سبع رقبته مختنقة بشعره ورأسه قدر القبة وفمه أوسع من الباب وأنيابه مثل أنياب الفيل فلما رآه أنس الوجود أيقن بالموت واستقبل القبلة وتشهد واستعد بالمديح فشرع يقول له يا أسد الغابة يا ليث الفضاء يا ضرغام يا أبا الفتيان يا سلطان الوحوش أنني عاشق مشتاق وقد أتلفني العشق والفراق وحين فارقت الأحباب غبت عن الصواب فاسمع كلامي وارحم لوعتي وغرامي فلما سمع الأسد مقالته تأخر عنه وجلس مقفياً على ذنبه ورفع رأسه إليه وصار يلعب له ذنبه ويديه فلما رأى أنس الوجود هذه الحركات أنشد هذه الأبيات:

أســد البيــداء هــل تقتلنــي	**قبــل مــا ألقــى الــذي تيمنــي**
لســت صــيد الأولبــي ســمن	**فقــد مــن أهــواه قــد أســقمني**
وفــراق المحــب أضــنى مهجتــي	**فمثــالي صــورة فــي كفــن**
يــا أبــا الحــرث يــا ليــث الــوغى	**لا تشــمت عــاذلي فــي شــجني**
أنــا صــب مــدمعي غرقتــي	**وفــراق الحــب قــد أقلقنــي**
واشــتغالي فــي دجــى الليــل بهــا	**عــن وجــودي فــي الهــوى غيبتــي**

فلما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود لما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه بلطف وعيناه مغرغرتان بالدموع ولما وصل إليه لحسه بلسانه ومشى قدامه وأشار إليه أن اتبعني فتبعه ولم يزل سائراً وهو خلفه ساعة من الزمان حتى طلع به فوق جبل ثم نزل به من فوق ذلك الجبل فرأى أثر المشي في البراري فعرف أن ذلك أثر مشي القوم بالورد في الأكمام فتبع الأثر ومشى فيه فلما رآه الأسد تبع الأثر وعرف أنه أثر مشي بمحبوبته رجع الأسد إلى حال سبيله وأما أنس الوجود فإنه لم يزل ماشياً في الأثر أياماً وليالي حتى أقبل على بحر عجاج متلاطم بالأمواج ووصل الأثر إلى شاطيء البحر وانقطع فعلم أنهم ركبوا البحر وساروا فيه وانقطع رجاؤه منهم والتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً في البرية فخشي على نفسه من الوحوش فصعد على جبل عال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى إليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد على جبل عال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى غليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد على جبل عال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى إليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

كيــف الســبيل إلــى أن أبلــغ الأربــا	**وأتــرك الهــم والتكــدر والتعبــا**
وكــل هــول مــن الأهــوال شــيبني	**قلباً ورأســاً مشــيباً فــي زمــان صــبا**
ولم أجــد لــي معينــاً فــي الغــرام ولا	**خــلا يخفــف عنــي الوجــد والنصــبا**
وكم أكابــد فــي الأشــواق مــن ولــه	**كــأن دهــري علــى الآن قــد قلبــا**
وارحمتــاه لصــب عاشــق قلــق	**كــأس التفــرق والهجــران قــد شــربا**
فالنار في القلب والأحشاء قــد محيــت	**والعقل مــن لوعــة التفريــق قــد ســلبا**
ما كــان أعظــم يــوم جئــت منــزلهم	**وقــد رأيــت علــى الأبــواب مــا كتبــا**
بكيت حتى ســقيت الأرض مــن حــرق	**لكــن كتمــت علــى الــدانين والغربــا**
يا عابــداً قــد تغاضــى فــي مغارتــه	**كــأن ذاك طعــم العشــق وانســلبا**
وبعــد هــذا وهــذا كلــه فــإذا	**بلغــت قصــدي فــلا همــا ولا تعبــا**

فلما فرغ من شعره وإذا بباب المغارة قد انفتح وسمع قائلاً يقول وارحمتاه فدخل البـاب وسـلم علـى العابد فرد عليه السلام وقال له ما اسمك قال اسمي أنس الوجود فقال له ما سبب مجيئك إلي هذا المكان فقص عليه قصته من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما جرى له فبكى العابد وقال له يا أنس الوجود أن لي في هذا المكان عشرين عاماً ما رأيت فيه أحداً إلا بالأمس فإنني سمعت بكاء وغواشا فنظرت إلى جهة الصوت فرأيت ناساً كثيرين وخياماً منصوبة على شاطيء البحر وأقاموا مركباً ونزل فيها قوم منهم وساروا بها في البحر ثم رجع بالمركب بعض من نزل فيها وكسروها وتوجهوا إلى حال سبيلهم وأظن أن الذين ساروا علـى ظهـر البحر ولم يرجعوا هم الذين أنت في طلبهم يا أنس الوجود وحينئذ همك عظيم وأنت معذور ولكـن لا يوجـد محب إلا وقد قاسى الحسرات ثم أنشد العابد هذه الأبيات:

أنس الوجـود خلـى البـال تحسـبني   **والشـوق والوجـد يطـويني وينشـرني**
أني عرفت الهوى والعشق من صـغري   **من حـين كنـت صـبياً راضـع اللـبن**
مارسـته زمنـاً حتـى عرفـت بـه   **إن كنـت تسـأل عنـي فهـو يعرفنـي**
شربت كأس الجوى من لوعـة وضـنى   **فصـرت محـوا بـه مـن رقـة البـدن**
قد كنـت ذا قـوة لكـن وهـي جلـدي   **وجيش صـبري بأسـياف اللحـاظ فنـي**
لا ترتجي في الهوى وصلا بغيـر جفـا   **فالضـد بالضـد مقـرون مـدى الـزمن**
قضى الغـرام علـى العشـاق أجمعهـم   **أن السـلو حـرام بدعـة الفـتن**

فلما فرغ العابد من أنشاد شعره قام إلى أنس الوجود وعانقه. وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العابد لما فرغ من إنشاد شعره قام إلى أنس الوجود عانقه وتباكيا حتى دوت الجبال من بكائهما ولم يزالا يبكيان حتى وقعا مغشياً عليهما ثم أفاقا وتعاهدا على أنهما أخوان في عهد ا تعالى ثم قال العابد لأنس الوجود أنا في هذه الليلة أصلي واستخير ا لك على شيء تعمله فقال له أنـس الوجود سمعاً وطاعة هذا ما كان من أمر أنس الوجود (وأما) ما كان من أمر الورد في الأكمام فإنهـا لمـا وصلوا بها إلى الجبل وأدخلوها القصر ورأته ورأت ترتيبه بكت وقالت وا أنك مكان مليح غير أنك ناقص وجود الحبيب فيك ورأت في تلك الجزيرة أطياراً فأمرت بعض اتباعها أن ينصب لها فخا و يصطاد به منها وكل ما اصطاده يضعه في أقفاص من داخل القصر ففعل ما أمرته به ثم أنها قعـدت فـي شـباك القصـر وتذكرت ما جرى لها وزاد بها الغرام والوجد والهيام فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

يـا لمـن اشـتكى الغـرام الـذي بـي   **وشـجوني وفرقتـي عـن حبيبـي**
ولهيبـاً بـين الضـلوع ولكـن   **لسـت أبديـه خيفـة مـن رقيـب**
ثـم أصـبحت رق عـود خـلال   **مـن بعـاد وحرقـة ونحيـب**
أيـن عـين الحبيـب حتـى تراني   **كيـف أصـبحت مثـل حـال السـلاب**
قـد تعـدوا علـى إذ حجبـوني   **فـي مكـان لـم يسـتطعه حبيبـي**
أسـأل الشـمس حمـل الـف سـلام   **عنـد وقـت الشـروق ثـم الغـروب**

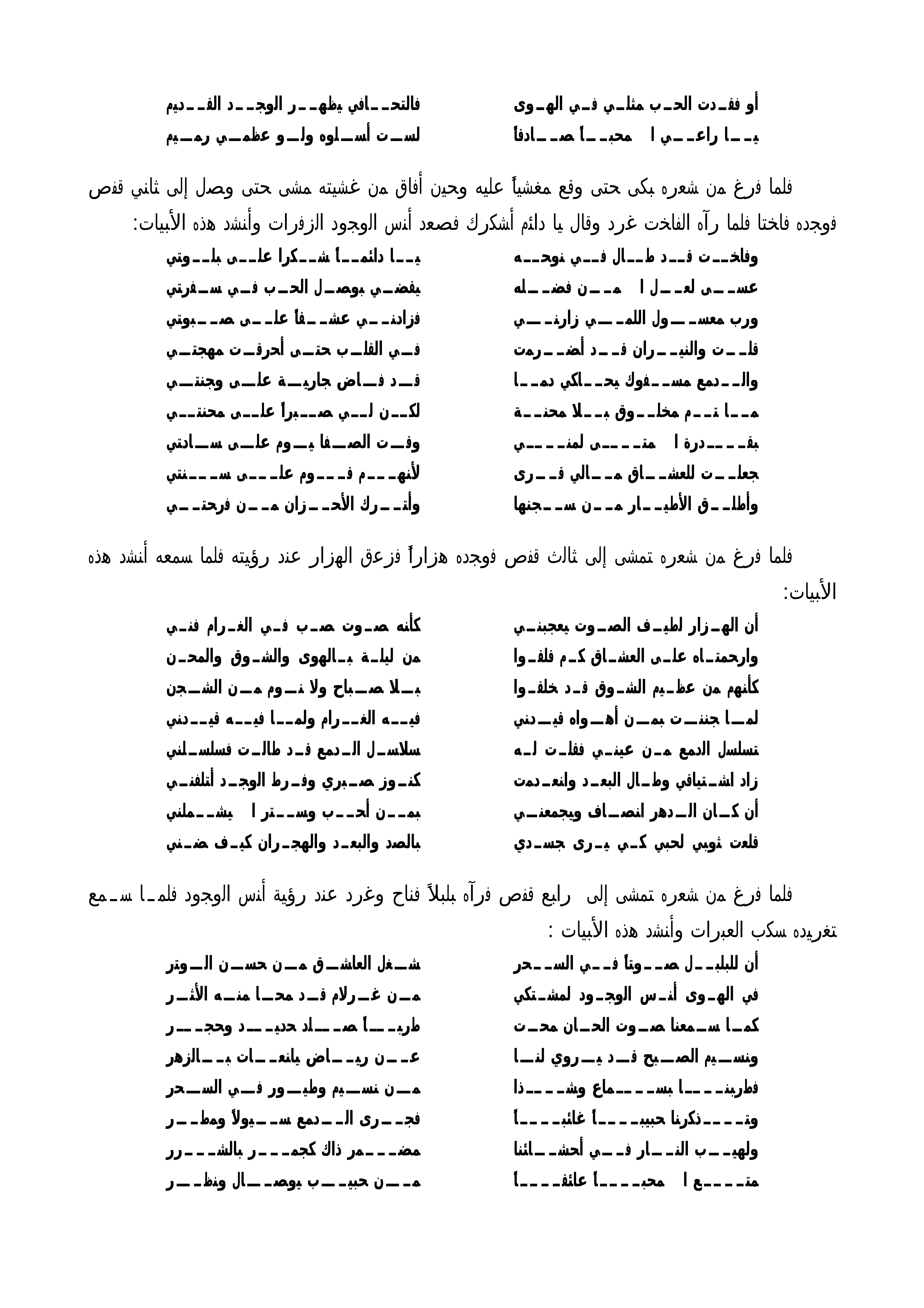
لحبيــب قــد أخجــل البــدر حســنا | هــذ تبــدى وفــاق قــد القضــيب
أن حكــى الــورد خــده قلــت فيــه | لست تحكي أن لــم تكـن مـن نصـيبي
أن فــي ثغــره لسلســال ريــق | يجلـب البـرد عنـد حـر اللهيـب
كيـف أسـلوه وهـو قلبـي وروحـي | مسقمي ممرضـي حبيبـي طبيبـي

هذا ما كان من أمر الورد في الأكمام (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإن العابد قال له أنزل إلـى الوادي وأئتني من النخيل بليف فنزل وجاء له بليف فأخذه العابد وفتله وجعله شنفاً مثل أشناف التبن وقال لـه يا أنس الوجود أن في جوف الوادي قرعا يطلع وينشف على أصوله فأنزل إليه واملأ هذا الشنف منه وأربطه وأرمه في البحر وأركب عليه وأتوجه به إلى وسط البحر لعلك تبلغ قصدك فإن من لم يخاطر بنفسه لم يبلـغ المقصود فقال سمعاً وطاعة ثم ودعه وانصرف من عنده إلى ما أمره به بعد أن دعا له العابد ولم يزل أنـس الوجود سائراً إلى جوف الوادي وفعل كما قال له العابد ولما وصل بالشنف لي وسط البحر هبت عليه ريـح فزقه بالشنف حتى غاب عن عين العابد ولم يزل سابحاً في لجة البحر ترفعه موجة وتحطه أخرى وهو يرى ما في البحر من العجائب والأهوال إلى أن رمته المقادير على جبل الثكلى بعد ثلاثة أيام فنزل إلى البر مثـل الفرخ الدايخ لهفان من الجوع والعطش فوجد في ذلك المكان أنهاراً جارية وأطياراً مغردة علـى الأغصـان وأشجاراً مثمرة صنواناً وغير صنوان فأكل من الأثمار وشرب من الأنهار وقام يمشي فرأى بياضاً على بعد فمشى جهته حتى وصل إليه فوجده قصراً منيعاً حصيناً فأتي إلى باب القصر فوجده مقفولاً فجلس عنده ثلاثة أيام فبينما هو جالس وإذا بباب القصر قد فتح وخرج منه شخص من الخدم فرأى أنس الوجود قاعداً فقال لـه من أين أتيت ومن أوصلك إلى هنا فقال من أصبهان وكنت مسافراً في البحر بتجارة فانكسرت المركب التي كنت فيها فرمتني الأمواج على ظهر هذه الجزيرة فبكى الخادم وعانقه وقال حياك ا يا وجـه الأحبـاب أن أصبهان بلادي ولي فيها بنت عم كنت أحبها وأنا صغير وكنت مولعاً بها فغزي بلادنا قوم أقوى منا وأخذوني في جملة الغنائم وكنت صغيراً فقطعوا أحليلي ثم باعوني خادماً وها أنا في تلـك الحالـة وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم الذي خرج من قصر الورد في الأكمام حـدث أنـس الوجـود بجميع ما حصل له وقال له أن القوم الذين أخذوني قطعوا أحليلي وباعوني خادماً وها أنا في تلك الحالة وبعد ما سلم عليه وحياة أدخله ساحة القصر فلما دخل رأي بحيرة عظيمة وحولها أشجار وأغصان وفيها أطيار في أقفاص من فضة وأبوابها من الذهب وتلك الأقفاص معلقة على الأغصان والأطيار فيها تناغي وتسبح الملـك الديان فلما وصل إلى أولها تأمله فإذا هو قمري فلما رآه الطير مد صوته وقال يا كريم فغشـي علـى أنـس الوجود فلما أفاق من غشيته صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

أيهــا القمــري هــل بمثلــي تهــيم | فاســأل المــولى وغــرد يــا كــريم
يــا تــرى نوحــك هــذا طــرب | أو غــرام منــك فــي القلــب مقــيم
أن تــنح وجــدا الأحبــاب مضــوا | أو تخلفــت بهــم مضــني ســقيم



أو فقدت الحب مثلي في الهوى — فالتحافي يظهر الوجد القديم

يا راعي ا محباً صادقاً — لست أسلوه ولو عظمي رميم

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشياً عليه وحين أفاق من غشيته مشى حتى وصل إلى ثاني قفص فوجده فاختا فلما رآه الفاخت غرد وقال يا دائم أشكرك فصعد أنس الوجود الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

وفاخت قد طال في نوحه — يا دائماً شكرا على بلوتي

عسى لعل ا من فضله — يقضي بوصل الحب في سفرتي

ورب معسول اللمى زارني — فزادني عشقاً على صبوتي

قلت والنيران قد أضرمت — في القلب حتى أحرقت مهجتي

والدمع مسفوك يحاكي دما — قد فاض جارية على وجنتي

ما ثم مخلوق بلا محنة — لكن لي صبراً على محنتي

بقدرة ا متى لمني — وقت الصفا يوم على سادتي

جعلت للعشاق مالي قرى — لأنهم قوم على سنتي

وأطلق الأطيار من سجنها — وأترك الأحزان من فرحتي

فلما فرغ من شعره تمشى إلى ثالث قفص فوجده هزاراً فزعق الهزار عند رؤيته فلما سمعه أنشد هذه الأبيات:

أن الهزار لطيف الصوت يعجبني — كأنه صوت صب في الغرام فني

وارحمتاه على العشاق كم قلقوا — من ليلة بالهوى والشوق والمحن

كأنهم من عظيم الشوق قد خلقوا — بلا صباح ولا نوم من الشجن

لما جننت بمن أهواه قيدني — فيه الغرام ولما فيه قيدني

تسلسل الدمع من عيني فقلت له — سلاسل الدمع قد طالت فسلسلني

زاد اشتياقي وطال البعد وانعدمت — كنوز صبري وفرط الوجد أتلفني

أن كان الدهر انصاف ويجمعني — بمن أحب وستر ا يشملني

قلعت ثوبي لحبي كي يرى جسدي — بالصد والبعد والهجران كيف ضني

فلما فرغ من شعره تمشى إلى رابع قفص فرآه بلبلاً فناح وغرد عند رؤية أنس الوجود فلما سمع تغريده سكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

أن للبلبل صوتاً في السحر — شغل العاشق من حسن الوتر

في الهوى أنس الوجود لمشتكي — من غرلام قد محا منه الأثر

كما سمعنا صوت الحان محت — طرباً صاد حديد وحجر

ونسيم الصبح قد يروي لنا — عن رياض يانعات بالزهر

فطربنا بسماع وشذا — من نسيم وطيور في السحر

وتذكرنا حبيباً غائباً — فجرى الدمع سيولاً ومطر

ولهيب النار في أحشائنا — مضمر ذاك كجمر بالشرر

متع ا محباً عائقاً — من حبيب بوصال ونظر

أن للعشـــاق عـــذراً واضــــحاً لـــيس يـــدري العـــذر إلا ذو النظـــر

فلما فرغ من شعره مشى قليلاً فرأى قفصاً حسناً لم يكن هناك أحسن منه فلما قرب منه وجـده حمـام الأيك وهو اليمام المشهور من بين الطيور بنوح الغرام وفي عنقه عقد من جوهر بديع النظام وتأمله فوجـده ذاهلاً باطلاً باهتاً في قفصه فلما رآه بهذا الحال أفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

يـــا حمـــام الأيـــك أقريـــك الســـلام يـــا أخـــا العشـــاق مـــن أهـــل الغـــرام

إننـــي أهـــوى غـــزالاً أهيفـــاً لحظـــه أقطـــع مـــن حـــد الحســـام

فـــي الهـــوى أحـــرق قلبـــي والحشـــى وعـــلا جســـمي نحـــول وســـقام

ولذيـــذ الـــزاد قـــد أحرمتـــه مثـــل مـــا أحرمـــت مـــن طيـــب المنـــام

واصـــطباري وســـلوي رحـــلا والهـــوى بالوجـــد عنـــدي قـــد أقـــام

كيف يهنـــا العـــيش لـــي مـــن بعـــدهم وهمـــوا روحـــي وقصـــدي والمـــرام

فلما فرغ أنس الوجود من شعره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود لما فرغ من شعره التفت إلى صاحبه الأصبهاني وقال له ما هذا القصر ومن هو من بناه قال له بناه وزير الملك الفلاني لابنته خوفاً عليهـا مـن عـوارض الزمـان وطوارق الحدثان وأسكنها فيه هي واتباعها ولا تفتحه إلا في كل سنة مرة لما تأتي إليهم مؤنتهم فقـال فـي نفسه قد حصل المقصود ولكن المدة طويلة هذا ما كان من أمر أنس الوجود وأما ما كان من أمر الورد فـي الأكمام فإنها لم يهنأ لها شراب ولا طعام ولا قعود ولا منام فقامت وقد زاد بها الغرام والوجد والهيام ودارت في أركان القصر فلم تجد لها مصرفاً فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

حبســـوني عـــن حبيبـــي قســـوة وأذاقـــوني بســـجني لـــوعتي

أحرقـــوا قلبـــي بنيـــران الهـــوى حيـــث ردوا عـــن حبيبـــي نظرتـــي

حبســـوني فـــي قصـــور شـــيدت فـــي جبـــال خلقـــت فـــي لجـــة

أن يكونـــوا قـــد أرادوا ســـلوتي لـــم تـــزد فـــي الحـــب إلا محنتـــي

كيـــف أســـلو والـــذي بـــي كلـــه أصـــله فـــي وجـــه حبـــي نظرتـــي

فنهـــاري كلـــه فـــي أســـف أقطـــع الليـــل بهـــم فـــي فكرتـــي

وأنيســـي ذكـــرهم فـــي وحـــدتي حـــين ألقـــي مـــن لقـــاهم وحشـــتي

يـــا تـــرى هـــل بعـــد هـــذا كلـــه يســـمح الـــدهر بلقيـــا منيتـــي

فلما فرغت من شعرها طلعت إلى سطح القصر وأخذت أثواباً بعلبكية وربطت نفسها فيها وتدلت حتى وصلت على الأرض وقد كانت لابسة أفخر ما عندها من اللباس وفي عنقها عقد من الجواهر وسـارت فـي تلك البراري والقفار حتى وصلت إلى شاطيء البحر فرأت صياداً في مركب دائر في البحر يصطاد فرمـاه الريح على تلك الجزيرة فالتفت فرأى الورد في الأكمام في تلك الجزيرة فلما رآها فزع منها وخرج بالمركب هارباً فنادته وأكثرت إليه الإشارات وأنشدت هذه الأبيات:

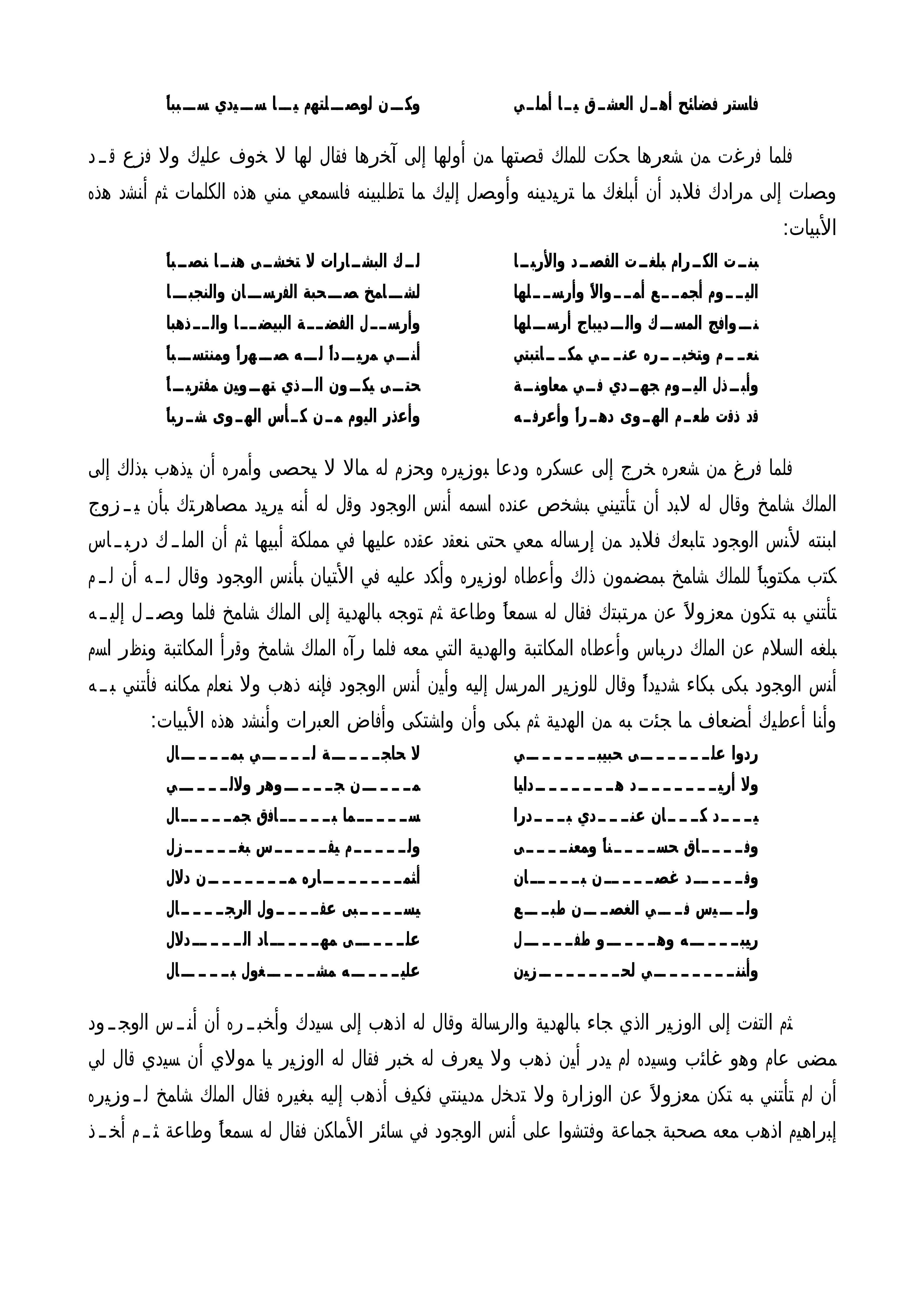
يا أيها الصياد لا تخشى الكدر ... أنني إنسية مثل البشر
أريد منك أن تجيب دعوتي ... وتسمعن قولي بإسناد بالخبر
فارحم وقاك ا حر صبوتي ... أن أبصرت عيناك محبوباً نفر
فأنني أهوى مليحاً وجهه ... فاق وجه الشمس نور القمر
والظبي لما أن رأى الحاظه ... قد قال أني عبده ثم اعتذر
قد كتب الحسن على وجنته ... سطراً بديعاً في المعاني مختصر
فمن رأى نور الهوى قد اهتدى ... أما الذي ضل تعدي وكفر
"إن شاء تعديني به يا حبذا ... فكل ما القاه أجراً وأجر
ومن يوافيت وما أشبهها ... ولؤلؤ رطب وأنواع الدرر
عسى حبيبي أن يوفى بالمني ... فإن قلبي ذاب شوقاً وانفطر

فلما سمع الصياد كلامها أرسى مركبه على البر وقال لها أنزلي في المركب حتى أعدى بك إلى أي موضع تريدين فنزلت في المركب وعوم بها فلما فارق البر بقليل هبت على المركب ريح من خلفها فسارت المركب بسرعة حتى غاب البر عن أعينهما وصار الصياد لا يعرف أين يذهب ومكث اشتداد الريح مدة ثلاثة أيام ثم سكن الريح بأذن ا تعالى ولم تزل المركب تسير بهما حتى وصلت إلى مدينة على شاطيء البحر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المركب لما وصلت بالصياد والورد في الأكمام إلى مدينة على شاطيء البحر أراد الصياد أن يرسى مركبه على تلك المدينة وكان فيها ملك عظيم السطوة يقال له درباس وكان في ذلك الوقت جالساً هو وابنه في قصر مملكته وصار ينظران من شباك القصر فالتفتا إلى جهة البحر فرأيا تلك المركب فتأملاها فوجدا فيها صبية كأنها البدر في أفق السماء وفي أذنيها حلق من البلخش الغالي وفي عنقها عقد من الجوهر النفيس فعرف الملك أنها من بنات الأكابر والملوك فنزل الملك من قصره وخرج من باب القيطون فرأي المركب قد رست على الشاطيء وكانت البنت نائمة والصياد مشغولاً بربط المركب فأيقظها الملك من منامها فاستيقظت وهي تبكي فقال لها الملك من أين أنت وابنة من أنت وما سبب مجيئك هنا فقالت له الورد في الأكمام أنا ابنة إبراهيم وزير الملك شامخ وسبب مجيء هنا أمر عجيب وشأن غريب وحكت له جميع قصتها من أولها إلى آخرها ولم تخف عنه شيئاً ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

قد قرح الدمع جفني فاقتضى عجباً ... من التكدر لما فاض وانسكبا
من أجل خل سوى في مهجتي أبدا ... ولم أنل في الهوى من وصله أربا
له محيا جميل باهرنضر ... وفي الملاحة فاق الترك والعربا
والشمس والبدر قد مالا لطلعته ... كالصب والتزما في حبه الأدبا
وطرفه بعجيب السحر مكتحل ... يريك قوساً لرمي السهم منتصبا
يا من له حالتي أوضحت معتذراً ... ارحم محباً به صرف الهوى لعبا
أن الهوى قد رماني في وسط ساحتكم ... ضعيف عزم ومنكم ارتجى حسباً
أن الكرام إذا ما حل ساحتهم ... مستحسب فحماهم يرفع الحسبا



فاستر فضائح أهل العشق يا أملي ... وكن لوصلتهم يا سيدي سببا

فلما فرغت من شعرها حكت للملك قصتها من أولها إلى آخرها فقال لها لا خوف عليك ولا فزع قد وصلت إلى مرادك فلابد أن أبلغك ما تريدينه وأوصل إليك ما تطلبينه فاسمعي مني هذه الكلمات ثم أنشد هذه الأبيات:

بنت الكرام بلغت القصد والأربا ... لك البشارات لا تخشى هنا نصبا
اليوم أجمع أموالاً وأرسلها ... لشامخ صحبة الفرسان والنجبا
نوافج المسك والديباج أرسلها ... وأرسل الفضة البيضا والذهبا
نعم وتخبره عني مكاتبتي ... أني مريداً له صهراً ومنتسباً
وأبذل اليوم جهدي في معاونة ... حتى يكون الذي تهوين مقترباً
قد ذقت طعم الهوى دهراً وأعرفه ... وأعذر اليوم من كأس الهوى شربا

فلما فرغ من شعره خرج إلى عسكره ودعا بوزيره وحزم له مالا لا يحصى وأمره أن يذهب بذلك إلى الملك شامخ وقال له لابد أن تأتيني بشخص عنده اسمه أنس الوجود وقل له أنه يريد مصاهرتك بأن يزوج ابنته لأنس الوجود تابعك فلابد من إرساله معي حتى نعقد عقده عليها في مملكة أبيها ثم أن الملك درباس كتب مكتوباً للملك شامخ بمضمون ذلك وأعطاه لوزيره وأكد عليه في الأتيان بأنس الوجود وقال له أن لم تأتني به تكون معزولاً عن مرتبتك فقال له سمعاً وطاعة ثم توجه بالهدية إلى الملك شامخ فلما وصل إليه بلغه السلام عن الملك درباس وأعطاه المكاتبة والهدية التي معه فلما رآه الملك شامخ وقرأ المكاتبة ونظر اسم أنس الوجود بكى بكاء شديداً وقال للوزير المرسل إليه وأين أنس الوجود فإنه ذهب ولا نعلم مكانه فأتني به وأنا أعطيك أضعاف ما جئت به من الهدية ثم بكى وأن واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ردوا علي حبيبي ... لا حاجة لي بمال
ولا أريد هدايا ... من جوهر ولآلي
قد كان عندي بدرا ... سما بأفق جمال
وفاق حسناً ومعنى ... ولم يقس بغزال
وقد غصن بان ... أثماره من دلال
وليس في الغصن طبع ... يسبى عقول الرجال
ربيته وهو طفل ... على مهاد الدلال
وأنني لحزين ... عليه مشغول بال

ثم التفت إلى الوزير الذي جاء بالهدية والرسالة وقال له اذهب إلى سيدك وأخبره أن أنس الوجود مضى عام وهو غائب وسيده لم يدر أين ذهب ولا يعرف له خبر فقال له الوزير يا مولاي أن سيدي قال لي أن لم تأتني به تكن معزولاً عن الوزارة ولا تدخل مدينتي فكيف أذهب إليه بغيره فقال الملك شامخ لوزيره إبراهيم اذهب معه صحبة جماعة وفتشوا على أنس الوجود في سائر الأماكن فقال له سمعاً وطاعة ثم أخذ

جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا في طلب أنس الوجود وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابراهيم وزير الملك شامخ أخذ جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا في طلب أنس الوجود فكانوا كلما مروا بعرب أو قوم يسألونهم عن أنس الوجود فيقولون لهم هل مر بكم شخص اسمه كذا وصفته كذا وكذا فيقولون لا نعلمه ومازالوا يسألون في المدائن والقرآ ويفتشون في السهول والأوعار والبراري والقفار حتى وصلوا إلى شاطيء البحر وطلعوا في مركبا ونزلوا فيها وساروا بها حتى أقبلوا على جبل الثكلي فقال وزير الملك درباس لوزير الملك شامخ لأي شيء سمي هذا الجبل بذلك الاسم فقال له لأنه نزلت به جنية في قديم الزمان وكانت تلك الجنية من جن الصين وقد أحبت أنساناً ووقع له معها غرام وخافت على نفسها من أهلها فلما زاد بها الغرام فتشت في الأرض على مكان تخفيه فيه عن أهلها فوجدت هذا الجبل منقطعاً عن الأنس والجن بحيث لا يهتدي إلى طريقه أحد من الأنس والجن فأختطفت محبوبها ووضعته فيه وصارت تذهب إلى أهلها وتأتيه في خفية ولم تزل على ذلك زمناً طويلاً حتى ولدت منه في ذلك الجبل أطفالاً متعددة وكان كل من يمر على هذا الجبل من التجار والمسافرين في البحر يسمع بكاء الأطفال كبكاء المرأة التي ثكلت أولادها أي فقدتهم فيقول هل هنا ثكلى فتعجب وزير الملك درباس من هذا الكلام ثم أنهم ساروا حتى وصلوا إلى القصر وطرقوا الباب فانفتح الباب وخرج لهم خادم فعرف ابراهيم وزير الملك شامخ فقبل يده ثم دخل القصر فوجد في فسحته رجلاً فقيراً بين الخدامين وهو أنس الوجود فقال لهم من أين هذا فقالوا له أنه رجل تاجر غرق ماله ونجا بنفسه وهو مجذوب فتركه ثم مشى إلى داخل القصر فلم يجد لأبنته أثراً فسأل الجواري التي هناك فقلن له ما عرفنا كيف راحت ولا أقامت معنا سوى مدة يسيرة فسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

أيها الدار التي أطيارها ... قد تغنت وازدهت أعتابها
فأتاها الصب ينعي شوقه ورآها ... ورآها فتحت أبوابها
ليت شعري أين ضاعت مهجتي ... عند دار قد نأت أربيبها
كان فيها كل شيء فاخر ... واستطالات واعتلت حجابها
وكسوها حلل من سندس ... يا ترى أين غدت أصحابها

فلما فرغ من شعره بكى وأن واشتكى وقال لا حيلة في قضاء ا ولا مفر مما قدره وقضاه ثم طلع إلى سطح القصر فوجد الثياب البعلبكية مربوطة في شراريف القصر واصلة إلى الأرض فعرف أنها نزلت من ذلك المكان وراحت كالهائم الولهان والتفت فرأى هناك طيرين غراباً وبومه فتشاءم من ذلك وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

أتيت إلى دار الأحبة راجياً ... بآثارهم أطفاء وجدي ولوعتي
فلم أجد الأحباب فيهاولم أجد وقال لسان ... بها غير مشؤمي غراب وبومة
الحال قد كنت ظالماً ... وفرقت بين المغرمين الأحبة
فذق طعم ما ذاقوه من ألم الجوي ... وعش كمداً ما بين دمع وحرقة

ثم نزل من فوق القصر وهو يبكي وقد أمر الخدام أن يخرجوا إلى الجبل ويفتشوا على سيدتهم ففعلـوا ذلك فلم يجدوها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فأنه لما تحقق أن الورد في الأكمام قد ذهبت صاح صيحة عظيمة ووقع مغشياً عليه واستمر في غشيته فظنوا أنه أخذته جذبـة مـن الـرحمن واستغرق في جمال هيبة الديان ولما يئسوا من وجود أنس الوجود واشتغل قلب الوزير ابـراهيم بفقـد بنتـه الورد في الأكمام أراد وزير الملك درباس أن يتوجه إلى بلاده وأن لم يفز من سفره بمـراده فأخـذ يودعـه الوزير ابراهيم والد الورد في الأكمام فقال له وزير الملك درباس إنني أريد أن آخذ هذا الفقير معي عسى ا تعالى أن يعطف على الملك ببركته لأنه مجذوب ثم بعد ذلك أرسله إلى بلاد أصبهان لأنها قريبة من بلادنـا فقال له افعل ما تريد ثم انصرف كل منهما متوجهاً إلى بلاده وقد أخذ وزير الملك درباس أنس الوجود معـه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وزير الملك درباس أخذ أنس الوجود وهو مغشى عليه وسـار ثلاثـة أيام وهو في غشيته محمول على البغال ولا يدري هل هو محمول أو لا فلما أفاق من غشيته قـال فـي أي مكان أنا فقالوا له أنت صحبة وزير الملك درباس ثم ذهبوا إلى الوزير وأخبروه أنه قد أفاق فأرسل إليه مـاء الورد والسكر فسقوه وأنعشوه ولم يزالوا مسافرين حتى قربوا من مدينة الملك درباس فأرسـل الملـك إلـى الوزير يقول له أن لم يكن أنس الوجود لا يعلم أين يذهبون به ولا يعلم أن الوزير مرسل في طلبه والوزير لا يعلم أن هذا هو أنس الوجود فلما رأى الوزير أن أنس الوجود قد استفاق قال له أن الملك أرسلني في حاجـة وهي لم تقض ولما علم بقدومي أرسل إلى مكتوباً يقول لي فيه إن لم تكن الحاجة قد قضيت فلا تدخل مدينتي فقال له وما حاجة الملك فحكى له جميع الحكاية فقال له أنس الوجود لا تخف واذهب إلى الملك وخذني معك وأنا أضمن مجيء أنس الوجود ففرح الوزير بذلك وقال له أحق ما تقول فقال نعم فركب وأخذه معه وسار به إلى الملك فلما وصلا إلى الملك قال له أين أنس الوجود فقال له أنس الوجود أيها الملك أنا أعرف مكان أنس الوجود فقربه إليه وقال له في أي مكان هو قال في مكان قريب جداً ولكن أخبرني ماذا تريد منه وأنا أحضره بين يديك فقال له حباً وكرامة ولكن هذا الأمر يحتاج إلى خلوة ثم أمر الناس بالانصراف ودخل معـه خلـوة وأخبره الملك بالقصة من أولها إلى آخرها فقال له أنس الوجود ائتني بثياب فاخرة والبسني إياها وأنا آتيـك بأنس الوجود سريعاً فأتاه ببدلة فاخرة فلبسها وقال أنا أنس الوجود وكمد الحسود ثم رمي القلوب باللحظـات وأنشد هذه الأبيات:

يؤانســني ذكــر الحبيــب بخلــوتي	**ويطــرد عنــي فــي التباعــد وحشــتي**
ومــالي غيــر الــدمع عــين وأنمــا	**إذا فاض من عيني يخفف زفرتي وأمــري**
وشــوقي شــديد لــيس يوجــد مثلــه	**عجيــب فــي الهــوى والمحبــة**
فأقطع ليلــى ســاهر الجفــن لــم أنــم	**وفي العشــق أســعى بــين نــار وجنــة**
وقد كــان لــي صــبر جميــل عدمتــه	**ومــا منحتــي فــي الحــب إلا بمحنتــي**
وقــد رق جســمي مــن ألــيم بعــادهم	**وغيــرت الأشــواق وصــفي وصــورتي**

وأجفـــان عينـــي بالـــدموع تقرحـــت — ولـــم أســـتطع أنـــي أرجـــع دمعتـــي
وقـــد قـــل حيلـــي والفـــؤاد عدمتـــه — وكـــم ذا ألاقـــي لوعـــة بعـــد لوعـــة
وقلبـــي ورأســـي بالمشـــيب تشـــابها — على سادة فـــي الحســـن أحســـن ســـادة
علـــى زعمهـــم كـــان التفـــرق بيننـــا — ومـــا قصـــدهم إلا لقـــائي ووصـــلتي
فيا هل تـــرى بعـــد التقـــاطع والنـــوى — يمتعنـــي دهـــري بوصـــل أحبتـــي
ويطوي كتاب البعـــد مـــن بعـــد نشـــره — وتمحـــي براحـــات الوصـــال مشـــقتي
ويبقـــى حبيبـــي فـــي الـــديار منـــادمي — وتبـــدل أحزانـــي بصـــفو ســـريرتي

فلما فرغ من شعره قال له الملك وا أنكما لمحبان صادقان وفي سماء الحسن كوكبان نيران وأمركما عجيب وشأنكما غريب ثم حكى له حكاية الورد في الأكمام إلى آخرها فقال له وأين هي يا ملك الزمان قـال هي عندي الآن ثم أحضر الملك القاضي والشهود وعقد عقدها عليه وأكرمه وأحسن إليه ثـم أرسـل الملـك درباس إلى الملك شامخ وأخبره بجميع ما اتفق له من أمر أنس الوجود والوردد في الأكمام ففرح الملك شامخ بذلك غاية الفرح وأرسل إليه مكتوباً مضمونه حيث حصل عقد العقد عندك ينبغي أن يكون الفرح والـدخول عندي ثم جهز الجمال والخيل والرجال وأرسل في طلبهما فلما وصلت الرسالة إلى الملك درباس أمدهما بمال عظيم وأرسلهما مع جملة عسكره فساروا بهما حتى دخلوا مدينتهما وكان يوماً مشهوداً لم يـر أعظـم منـه وجمع الملك شامخ سائر المطربات من آلات المغاني وعمل الولائم ومكثوا على ذلك سبعة أيام وفي كل يوم يخلع الملك شامخ على الناس الخلع السنية ويحسن إليهم ثم أن أنس الوجود دخل على الـورد فـي الأكمـام فعانقها وجلسا يبكيان من فرط الفرح والمسرات فأنشد هذه الأبيات:

جـــاء الســـرور أزال الهـــم والحزنـــا — ثـــم اجتمعنـــا وأكمـــدنا حواســـدنا
ونســـمة الوصـــل قـــد هبـــت معطـــرة — فأحيـــت القلـــب والأحشـــاء والبـــدنا
وبهجـــة الأنـــس قـــد لاحـــت مخلقـــة — وفـــي الخـــوافتي قـــد دقـــت بشـــائرنا
لا تحسبوا أننا باكون من حزن — لكـــن مـــن فـــرح فاضـــت مـــدامعنا
فكـــم رأينـــا مـــن الأهـــوال وانصـــرفت — وقد صـــبرنا علـــى مـــا هـــيج الشـــجنا
فساعة مـــن وصـــال قـــد نســـيت بهـــا — مـــا كـــان مـــن شـــدة الأهـــوال شـــيبنا

فلما فرغ من شعره تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشياً عليهما. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود والورد في الأكمام لما اجتمعا تعانقاً ولم يزالا متعـانقين حتى وقعا مغشياً عليهما من لذة الاجتماع فلما أفاقا من غشيتهما أنشد أنس الوجود هذه الأبيات:

مـــــا أحلاهـــــا لـــــيلات الوفـــــا — حيـــث أمنـــي لـــي حبيبـــي منصـــفاً
وتـــــوالى الوصـــــل فيمـــــا بيننـــــا — وانفصـــال الهجـــر عنـــا قـــد وفـــى
وإلينـــــا الـــــدهر يســـــعى مقـــــبلاً — بعـــــد مـــــا مـــــال وعنـــــا أنحرفـــــا

نصب السعد لنا أعلامه ... وشربنا منه كأساً قد صفا
واجتمعنا وتشاكينا الأسى ... وليالات تقضت بالجفا
ونسينا ما مضى يا سادتي ... وعفا الرحمن عما سلفا
ما ألذ العيش ما أطيبه ... لم يزدني الوصل إلا شغفا

فلما فرغ من شعره تعانقا واضطجعا في خلوتهما ولم يزالا في منادمة وأشعار ولطف حكايات وأخبار حتى غرقا في بحر الغرام ومضت عليهما سبعة أيام وهما لا يدريان ليلاً من نهار لفرط ما هما فيه من لذة وسرور وصفو وحبور فكأن السبعة أيام يوم واحد ليس له ثاني وما عرفاً يوم الأسبوع إلا بمجيء آلات المغاني فأكثرت الورد في الأكمام التعجبات وأنشدت هذه الأبيات:

على غيظ الحواسد والرقيب ... بلغنا ما نريد من الحبيب
وأسعفنا التوصل باعتناق ... على الديباج والفز القشيب
وفرش من أديم قد حشونا ... بريش الطير من شكل غريب
وعن شرب المدام قد أغتلينا ... بريق الحب جل عن الضريب
ومن طيب الوصال فليس ندري ... بأوقات البعيد من القريب
ليالي سبعة مرت علينا ... ولم نشعر بها كم من عجيب
فهنوني بأسبوع وقولوا ... أدام ا وصاك بأحبيب

فلما فرغت من شعرها قبلها أنس الوجود ما ينوف عن المئات ثم أنشد هذه الأبيات:

أتى يوم السرور مع التهاني ... وجاء الحب من صد وفاني
فآنسني بطيب الوصل منه ... ونادمني بالطاف المعاني
وأسقاني شراب الأنس حتى ... ذهلت عن الوجود بما سقاني
طربنا وانشرحنا واضطجعنا ... وصرنا في شراب مع أغاني
ومن فرط السرور فليس ندري ... من الأيام أولها وثاني
هنيئاً للمحب بطيب وصل ... ووافاة السرور كما وفاني
ولا يدري لمر الصد طعماً ... وربي قد حباه كما حباني

فلما فرغ من شعره قاما وخرجا من مكانهما وأنعما على الناس بالمال والخلع وأعطيا ووهبا إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يحول ولا يزول وإليه كل الأمور تؤول.

(ومما) يحكي أن الخليفة هارون الرشيد كان يحب السيدة زبيدة محبة عظيمة وبنى لها مكاناً للتنزه وعمل فيه بحيرة من الماء وعمل لها سياجاً من الأشجار وأرسل إليها الماء من كل جانب فالتفت عليها الأشجار حتى لو دخل أحد يغتسل في تلك البحيرة لم يره أحد من كثرة أوراق الشجر فاتفق أن السيدة زبيدة دخلت ذلك المكان يوماً وأتت إلى البحيرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما دخلت ذلك المكان يوماً وأتت إلى البحيرة وتفرجت على حسنها فأعجبها رونقها والتفاف الأشجار عليها وكان ذلك في يوم شديد الحر فقلعت أثوابها ونزلت في

البحيرة ووقفت وكانت البحيرة لا تستر من يقف فيها فجعلت تملأ الماء بأبريق من لجين وتصب الماء علـى بدنها فعلم الخليفة بذلك فنزل من قصره يتجسس عليها من خلف أوراق الأشجار فرآها عريانه وقد بان منهـا ما كان مستوراً فلما أحست بأمير المؤمنين خلف أوراق الأشجار وعرفت أنه رآهـا عريانـة التفتـت إليـه ونظرته فاستحشت منه ووضعت يديها على فرجها ففاض من بين يديها لفرط كبره وغلظه فولّى من سـاعته وهو يتعجب من ذلك وينشد هذا البيت:

نظرت عيني لحيني وزكا وجدي لبيني

فقال أبو نواس سمعاً وطاعة وارتجل في أقرب اللحظات وأنشد هذه الأبيات:

نظـــرت عينـــي لحينـــي	**وزكـــا وجـــدي لبينـــي**
مـــن غـــزال قـــد ســـباني	**تحـــت ظـــل الـــدرتين**
ســـكب المـــاء عليـــه	**بأبـــــــاريق اللجــــــين**
نظرتنــــــي ســــــترته	**فـــاض مـــن بـــين اليـــدين**
ليتنــــي كنــــت عليــــه	**ســـــــاعة أو ســـــــاعتين**

فتبسم أمير المؤمنين من كلامه وأحسن إليه وانصرف من عنده مسروراً.

(ومما يحكي) أن الملك العادل كسرى أنو شروان ركب يوماً إلى الصيد فأنفرد عن عسكره خلف ظبي فبينما هو ساع خلف الظبي إذ رأى ضيعة قريبة منه وكان قد عطش عطشاً شديداً فتوجه إلى تلك الضيعة وقد دار بباب قوم في طريقه فطلب ماء ليشرب فخرجت له صبية فأبصرته ثم عادت إلى البيت وعصرت له عوداً واحداً من قصب السكر ومزجت ما عصرته منه بالماء ووضعته في قدح ووضعت عليه شيئاً مـن الطيـب يشبه التراب ثم سلمته إلى أنو شروان فنظر في القدح فرأى فيه شيئاً يشبه التراب فجعل يشرب منـه قلـيلاً حتى انتهى إلى آخره ثم قال للصبية أيتها الصبية نعم الماء ما أحلاه لولا ذلك القذي الذي فيه فإنه كدره فقالت الصبية أيها الضيف أنا عمداً القيت فيه ذلك القذى الذي كدره فقال الملك لوم فعلت ذلك فقالت لأنـي رأيتـك شديد العطش وخفت أن تشربه نهلة واحدة فضرك فلو لم يكن فيه قذى لكنت شربته بسرعة نهلة واحدة وكان يضرك شربه على هذه الطريقة فتعجب الملك العادل أنو شروان من كلامها وذكاء عقلها وعلم أن ما قالتـه ناشيء عن ذكاء وفطنة وجودة عقل فقال لها من عود عصرت ذلك الماء فقالت من عود واحد فتعجب أنـو شروان وطلب ضريبة الخراج الذي يحصل من تلك القرية فرأى خراجها قليلاً فاضمر في نفسه أنه إذا عـاد إلى تخته يزيد في خراج تلك القرية وقال قرية يكون في عود واحد منها هذا الماء كيف يكون خراجها هـذا القدر القليل ثم انصرف عن تلك القرية إلى الصيد وفي آخر النهار رجع إليها واجتاز على ذلك الباب منفرداً وطلب الماء ليشرب فخرجت تلك الصبية بعينها فرأته فعرفته ثم عادت لتخرج لـه المـاء فأبطـأت عليـه فاستعجلها أنو شروان وقال لأي شيء أبطأت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أنو شروان لما استعجل الصبية قال لها لأي شيء أبطأت فقالت له لأنه لم يخرج من عود واحد قدر حاجتك فعصرت ثلاثة أعوام ولم يخرج منها مثل ما كان يخرج من عود واحد فقال الملك أنو شروان ما سبب ذلك فقالت سببه أن نية السلطان قد تغيرت فقال لها من أين جاءك قالت سمعنا من العقلاء أنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركتهم وقلت خيراتهم فضحك أنو شروان وأزال من نفسه ما كان أضمر لهم عليه وتزوج بتلك الصبية حالا حيث أعجبه فرط ذكائها وفطنتها وحسن كلامها.

(ومما يحكي) أنه كان بمدينة بخارى رجل سقا يحمل بالماء إلى دار رجل صائغ ومضى له على تلك الحالة والصيانة فجاء السقا على عادته يوماً وصب الماء في الحباب وكانت قائمة في وسط الدار فدنا منها السقا وأخذ بيدها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت له أني أريد أن تعرفني أي شيء صنعت هذا اليوم في السوق ما يغضب ا تعالى فقال الرجل ما صنعت شيئاً يغضب ا تعالى فقالت المرأة بلى وا أنك فعلت شيئاً يغضب ا تعالى وأن لم تحدثني بما صنعت وتصدقني في حديثك لا أقعد في بيتك ولا تراني ولا أراك فقال أخبرك بما فعلته في يومي هذا على وجه الصدق اتفق لي أنني جالس في الدكان على عادتي إذ جاءت امرأة إلى دكاني وأمرتني أن أصوغ لها سواراً وانصرفت فصغت لها سواراً من ذهب ورفعته فلما حضرت أتيتها به فأخرجت يدها ووضعت السوار في ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها الذي يسبى الناظر وتذكرت قول الشاعر:

وسواعد تزهو بحسن أساور	**كالنار تضرم فوق ماء جار**
فكأنما والتبر محتاط بها	**ماء تمنطق معجباً بالنار**

فأخذت يدها وعصرتها ولويتها فقالت له المرأة ا أكبر لم فعلت هذا الجرم أن ذلك الرجل السقا الذي كان يدخل بيتنا منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة أخذ اليوم يدي وعصرها ولواها فقال الرجل نسأل ا الأمان أيتها المرأة أني تائب مما كان مني فاستغفري ا لي فقالت المرأة غفر ا لي ولك ورزقنا حسن العاقبة فلما كان الغد جاء الرجل السقا والقى نفسه بين يدي المرأة وتمرغ على التراب واعتذر إليها وقال يا سيدتي اجعليني في حل مما أغراني به الشيطان حيث أضلني وأغواني فقالت له المرأة امض إلى حال سبيلك فإن ذلك الخطأ لم يكن منك وأنما كان سببه من زوجي حيث فعل ما فعل في الدكان فاقتص ا منه في الدنيا وقيل أن الرجل الصائغ لما أخبرته زوجته بما فعل السقا معها قال دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا فصار هذا الكلام مثلاً سائراً بين الناس فينبغي للمرأة أن تكون مع زوجها ظاهراً وباطناً وتقنع منه بالقليل إن لم يقدر على الكثير وتقتدي بعائشة الصديقة وفاطمة الزهراء رضي ا تعالى عنهما لتكون مع حواشي السلف.

(ومما يحكي) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان امرأة صالحة في بني إسرائيل وكانت تلك المرأة دينة عابدة تخرج كل يوم إلى المصلى وكان بجانب تلك المصلى بستان فإذا خرجت إلى المصلى تدخل ذلك البستان وتتوضأ منه وكان في البستان شيخان يحرسانه فتعلق الشيخان بتلك المرأة وراوداها عن نفسها فأبت فقالا لها أن لم تمكنينا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا فقالت لهما الجارية ا يكفيني شركما ففتحا

باب البستان وصاحا فأقبل عليهما الناس من كل مكان وقالوا ما خبركما فقالا أنا وجدنا هذه الجارية مع شاب يفجر بها وانفلت الشاب من أيدينا وكان الناس في ذلك الوقت ينادون بفضيحة الزاني ثلاثة أيام ثم يرجمونـه فنادوا عليها ثلاثة أيام من أجل الفضيحة وكان الشيخان في كل يوم يدانون منها ويضعان أيديهما على رأسها ويقولان لها الحمد الذي أنزل بك نقمته فلما أرادوا رجمها اتبعهم دانيال وهو ابن اثنتي عشرة سنة وهـذه أول معجزة له على نبينا وعليه الصلاة والسلام ولم يزل تابعاً لهم حتى لحقهم وقال لا تعجلوا عليها بـالرجم حتى أقضي بينهم فوضعوا له كرسياً ثم جلس وفرق بين الشيخين وهو أول من فـرق بـين الشـهود فقـال لأحدهما ما رأيت فذكر له ما جرى فقال له حصل ذلك في أي مكان في البستان فقال في الجانـب الشـرقي تحت شجرة كمثرى ثم الثاني عما رأى فأخبره بما جرى فقال له في أي مكان في البستان فقال في الجانـب الغربي تحت شجرة تفاح هذا والجارية واقفة رافعة رأسها ويديها إلى السماء وهي تدعو ا بالخلاص فأنزل ا تعالى صاعقة من العذاب فأحرقت الشيخين وأظهر ا تعالى براءة الجاريـة وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصاعقة نزلت على الشيخين فأحرقتهما وأظهر ا بـراءة الجاريـة وهذا أول ما جرى من المعجزات لنبي ا دانيال عليه السلام.

(ومما يحكى) أن أمير المؤمنين هارون الرشيد خرج يوماً من الأيام هو وأبو أسحق النـديم وجعفـر البرمكي وأبو نواس وساروا في الصحراء فرأوا شيخاً متكئاً على حمار له فقال هارون الرشيد لجعفر أسـأل هذا الشيخ من أين هو فقال له جعفر من أين جئت فقال من البصرة فقال له جعفر وإلى أين سيرك قال إلـى بغداد قال وما تصنع فيها قال التمس دواء لعيني فقال هارون الرشيد يا جعفر مازحه فقال إذا مازحته أسـمع منه ما أكره فقال بحقي عليك أن تمازحه فقال جعفر للشيخ إن وصفت لك دواء ينفعك ما الذي تكـافئني بـه فقال له ا تعالى يكافئك عني ما هو خير لك من مكافئتي فقال أنصت إلي حتى أصف لك هذا الدواء الذي لا أصفه لأحد غيرك فقال له وما هو قال جعفر خذ لك ثلاث أوراق من هبوب الريح وثلاث أوراق من شـعاع الشمس وثلاث أوراق من زهر القمر وثلاث أوراق من نور السراج وأجمع الجميع وضعها في الريح ثلاثـة أشهر ثم بعد ذلك ضعها في هون بلا قعر ودقها ثلاثة أشهر فإذا دفقتها تضعها في جفنك مشقوقة وضع الجفنة في الريح ثلاثة أشهر ثم استعمل من هذا الدواء في كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم واستمر على ذلـك ثلاثـة أشهر فإنك تعافي إن شاء ا تعالى فلما سمع الشيخ كلام جعفر انسطح على حماره وضرط ضرطة منكـوة وقال خذ هذه الضرطة مكفأة لك على وصفك هذا الدواء فإذا استعملته ورزقني ا العافية أعطيتـه جاريـة تخدمك في حياتك خدمة يقطع ا بها أجلك فإذا مت وعجل ا بروحك إلى النار وسخمت وجهك بخراها من حزنها عليك وتندب وتلاطم وتنوح وتقول في نياحها يا ساقع الذقن ما أسقع ذقنك فضحك هارون حتى استلقى على قفاه وأمر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم.

(وحكى) الشريف حسين بن ريان أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان جالساً فـي بعـض الأيـام للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا وعنده أكابر أصحابه من أهل الرأي والإصابة فبينما هو جالس إذ أقبل

عليه شاب من أحسن الشباب نظيف الثياب وقد تعلق به شابان من أحسن الشباب وقد جذبه الشابان من طوقه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فنظر أمير المؤمنين إليهما وإليه فأمرهما بالكف عنه وأدناه منه وقال للشابان ما قصتكما معه فقالا يا أمير المؤمنين نحن أخوان شقيقان وباتباع الحق حقيقان كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم في القبائل منزه عن الرذائل معروف بالفضائل ربانا صغاراً وأولانا كباراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشابين قالا لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن أبانا كان معظماً في القبائل منزه عن الرذائل معروفاً بالفضائل ربانا صغاراً وأولانا كبارا جم المناقب والمفاخر حقيقاً بقول الشاعر:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم	**كلا لعمري ولكن منه شيبان**
فكم أب قد علا بابن ذرى شرف	**كما علت برسول الله عدنان**

فخرج يوماً إلى حديقة له ليتنزه في أشجارها ويقتطف يانع أثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الرشاد ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما أمرك الله فنظر عمر إلى الشاب نظرة مرهبة وقال له قد سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول أنت في الجواب وكان ذلك الغلام ثابت الجنان جريء اللسان قد خلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع فتبسم وتكلم بأفصح لسان وحيا أمير المؤمنين بكلمات حسان ثم قال والله يا أمير المؤمنين لقد وعيت ما أدعوا وصدقا فيما قالاه حيث أخبرا بما جرى وكان أمر الله قدرا مقدوراً ولكن سأذكر قصتي بين يديك والأمر فيها إليك اعلم يا أمير المؤمنين أني من صميم العرب العرباء الذين هم أشرف من تحت الجرباء نشأت في منازل البادية فأصابت قومي سود السنين العادية فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد وسلكت بعض طرائقها إلى المسير بين حدائقها بنياق كريمة لدى عزيزات على بينهن فحل كريم الأصل كثير النسل مليح الشكل به يكثر منهن النتاج ويمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج فندت بعض النياق إلى حديقة أبيهم وقد ظهر من الحائط أشجارها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة وإذا بشيخ من الحائط قد ظهر وزفير غيظه يرمي الشرر وفي يده اليمنى حجر وهو يتهادى كالليث إذا حضر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله لأنه أصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط بجانبي آنست أن قلبي قد توقدت فيه جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه وضربته به فكان سبباً لحينه ولقي سوء مقلبه والمرء مقتول بما قتل به وعند إصابته الحجر صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فأسرعت بالسير من مكاني فأسرع هذان الشابان وأمسكاني وإليك أحضراني وبين يديك أوقفاني فقال عمر الله تعالى عنه قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعاً وطاعة لما حكم به الإمام ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ولكن لي أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وسلم أمره إلى وأشهد الله علي وقال هذا لأخيك عندك فأحفظه جهدك فأخذت ذلك المال منه ودفنته ولا أحد يعلم به إلا أنا فإن حكمت الآن بقتلي ذهب المال وكنت أنت السبب في ذهابه وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وإن أنت انظرتني ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافياً بالذمام ولي من

يضمنني على هذا الكلام فأطرق أمير المؤمنين رأسه ثم نظر إلى من حضر وقال من يقوم بضمانه والعود إلى مكانه فنظر الغلام إلى وجوه من في المجلس وأشار إلى أبي ذردون الحاضرين وقال هذا يكفلني ويضمنني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما أشار إلي أبي ذر وقال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر رضي الله تعالى عنه يا أبا ذر أسمعت هذا الكلام وتضمن لي حضور هذا الغلام قال نعم يا أمير المؤمنين أضمنه إلى ثلاثة أيام فرضي بذلك وأذن للغلام في الانصراف فلما انقضت مدة الإمهال وكاد وقتها أن يزول أوزال ولم يحضر الشاب إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وأبو ذر قد حضروا الخصمان ينتظران فقالا ابن الغريم يا أبا ذر كيف رجوع من فر ولكن نحن لا نبرح من مكاننا حتى تأتينا به للأخذ بثأرنا فقال أبو ذرك وحق الملك العلام أن انقضت الثلاثة أيام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وسلمت نفسي للإمام فقال عمر رضي الله عنه والله إن تأخر الغلام لأقضين في أبي ذر ما اقتضته شريعة الإسلام فهمات عبرات الحاضرين وارتفعت زفرات الناظرين وعظم الضجيج فعرض أكابر الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية فأبيا ولم يقبلا شيئاً إلا الأخذ بالثار فبينما الناس يموجون ويضجون تأسفاً على أبي ذر إذا قبل الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلم عليه بأحسن سلام ووجهه مشرق يتهلل وبالعرق يتكال وقال له قد أسلمت الصبي إلى أخواله وعرفتهم بجميع أحواله وأطلعتهم على مكان ما له ثم اقتحمت هاجرة الحر ووفيت فاه الحر فتعجب الناس من صدقه ووفائه وأقدامه على الموت واجترائه فقال له بعضهم ما أكرمك من غلام وأوفاك بالعهد والزمام فقال الغلام أما تحققتم أن الموت إذا حضر لا ينجو منه أحد وأنما وفيت كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبو ذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أي قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن لما أعرض عمن حضر وقصدني وقال هذا يضمنني ويكلفني لم أستحسن رده وأبت المروءة أن تخيب قصده إذ ليس في إجابة القصد من باس كيلا يقال ذهب الفضل من الناس فعند ذلك قال الشابان يا أمير المؤمنين قد وهبنا لهذا الشاب دم أبينا حيث بدل الوحشة بالأيناس كيلا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الإمام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه بالذمام واستكبر مروءة أبي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف وأثنى عليهما ثناء الشاكر وتمثل بقول الشاعر:

من صنع الخير بين الورى يجز به	لا يذهب الخير بين الله والناس

ثم عرض عليهما أن يصرف اليهما دية أبيهما من بيت المال فقالا أنما عفونا عنه ابتغاء وجه الله الكريم المتعال ومن نيته كذا لا يتبع إحسانه مناولاً أذي.

(ومما يحكي) أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان له ولد قد بلغ من العمر ستة عشر عاماً وكان معرضاً عن الدنيا وسالكاً طريقه الزهاد والعباد فكان يخرج إلى المقابر ويقول قد كنتم تملكون الدنيا فما ذلكم بمنجيكم وقد صرتم إلى قبوركم فيا ليت شعري ما قلتم وما قيل لكم ويبكي بكاء الخائف الوجل وينشد قول القائل:

فاتفق أن أباه مر عليه في بعض الأيام هو في موكبه وحوله وزرائه وكبراء دولته وأهل مملكته فرأوا ولد أمير المؤمنين وعلى جسده جبة من صوف وعلى رأسه مئزر من صوف فقال بعضهم لبعض لقد فضـح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لرجع عما هو فيه فسمع أمير المؤمنين كلامهم فكلمه في ذلـك وقال له لقد فضحتني بما أنت عليه فنظر إليه ولم يجبه ثم نظر إلى طائر على شرفة من شرفات القصر فقال له أيها الطائر بحق الذي خلقك أن تسقط على يدي فانقض الطائر على يد الغلام ثم قال له ارجع إلى موضعك فرجع إلى موضعه ثم قال له اسقط على يد أمير المؤمنين فأبى أن يسقط على يده فقال الغـلام لأبيـه أميـر المؤمنين أنت الذي فضحتني بين الأولياء بحبك الدنيا وقد عزمت على مفارقتك مفارقة لا أعود إليك بعدها إلا في الآخرة ثم أنحدر إلى البصرة فكان يعمل مع الفعلة في الطين وكان لا يعمل في كل يوم إلا بدرهم ودانق فيتقوت بالدانق ويتصدق بالدرهم قال أبو عامر البصري وكان قد وقع في داري حائط فخرجت إلى موقـف الفعلة لأنظر رجلاً يعمل لي فيه فوقعت عيني على شاب مليح ذي وجه صبيح فجئت إليه وسلمت عليه وقلت له يا حبيبي أتريد الخدمة فقال نعم فقلت قم معي إلى بناء حائط فقال لي بشروط اشترطها عليك قلت يا حبيبي ما هي قال الأجرة درهم ودانق وإذا أذن المؤذن تتركني حتى أصلي مع الجماعة قلت نعم ثم أخذته وذهبـت به إلي المنزل فخدم خدمة لم أرى مثلها وذكرت له الغداء فقال لا فعلمت أنه صائم فلما سمع الأذان فقال لـي قد علمت الشرط فقلت نعم فحل حزامه وتفرغ للوضوء وتوضأ وضوء لم أر أحسن منه ثم خرج إلى الصلاة فصلى مع الجماعة ثم رجع إلى خدمته فلما أذن العصر توضأ وذهب إلى الصلاة ثم عاد إلى الخدمة فقلت له ياحبيبي قد انتهى وقت الخدمة فإن خدمة الفعلة إلى العصر فقال سبحان ا أنما خدمتي إلى الليل ولـم يـزل يخدم إلى الليل فأعطيته درهمين فلما رآهما قال ما هذا قلت وا أن هذا بعض أجرتك لاجتهادك في خـدمتي فرمي بهما إلي وقال لا أريد زيادة على ما كان بيني وبينك فرغبته فلم أقدر عليه فأعطيتـه درهمـاً ودانقـاً وسار فلما أصبح الصباح بكرت إلى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لي أنه لا يأتي ههنا إلا في يوم السبت فقط فلما كان يوم السبت الثاني ذهبت إلى ذلك المكان فوجدته فقلت له باسم ا تفضل إلى الخدمة فقال لـي على الشروط التي تعملها قلت نعم فذهبت به إلى داري ووقفت انظره وهو لا يراني فأخذ كفـا مـن الطـين ووضعه على الحائط فإذا الحجارة يتركب بعضها على بعض فقلت هكذا أولياء ا فخدم يومه ذلك وزاد فيـه على ما تقدم فلما كان الليل دفعت له أجرته فأخذها وصار فلما جاء يوم السبت الثالث أتيت إلى الموقف فلـم أجده فسألت عنه فقيل لي هو مريض وراقد في خيمة فلانة وكانت تلك المرأة عجوز مشهورة بالصلاح ولها خيمة من قصب في الجبانة فسرت إلى الخيمة ودخلتها فإذا هو مضطجع على الأرض وليست تحته شيء وقد وضع رأسه على لبنة ووجهه يتهلل نوراً فسلمت عليه فرد على السلام فجلست عند رأسه أبكي على صـغر سنه وغربته وتوفيقه لطاعة ربه ثم قلت له ألك حاجة قال نعم قلت وما هي قال إذا كان الغد تجيء إلي فـي وقت الضحى فتجدني ميتاً فتغسلني وتحفر قبري ولا تعلم بذلك أحداً وتكفنني في هذه الجبة التي على بعد أن تفتقها وتفتش جيبها وتخرج ما فيه وتحفظه عندك فإذا صليت على وواريتني في التراب فاذهب إلـى بغـداد

وارتقب الخليفة هارون الرشيد حتى يخرج وادفع له ما يجده في جيبي وأقرئه مني السلام ثم تشـهد وأثنـى علي ربه بأبلغ الكلمات وأنشد هذه الأبيات:

بلـغ أمانـة مـن وافـت منيتـه إلـى الرشـيد فـإن الأجـر فـي ذاكـا
وقـل غريـب لـه شـوق لـرؤيتكم علـى تمـادي الهـوى والبعـد لباكـا
مـا صـده عنـك لابغـض ولا ملـل لأن قربتـه مـن لـثم يمناكـا
وإنمـا أبعدتـه عنـك يـا أبتـي نفـس لهـا عفـة عـن نيـل دنياكـا

ثم أن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار والصلاة والسلام على سيد الأبـرار وتلاوة بعض الآيات ثم أنشد هذه الأبيات:

يـا والـدي لا تغتـر بتـنعم فـالعمر ينفـذ والنعـيم يـزول
وإذا علمـت بحـال قـوم سـاءهم فـاعلم بأنـك عـنهم مسـؤول
وإذا حملـت إلـى القبـور جنـازة فـاعلم بأنـك بعـدها محمـول

قال أبو عامر البصري فلما فرغ الغلام من وصيته وأنشاده ذهبت عنه وتوجهت إلى بيتي فلما أصـبح الصباح ذهبت إليه من الغد وقت الضحى فوجدته قد مات رحمة ا عليه فغسلته وفتقت جبته فوجـدت فـي جيبه يا قوته تساوى ألافاً من الدنانير فقلت في نفسي وا أن هذا الفتى لقد زهد في الدنيا غاية الزهد ثم بعـد أن دفنته توجهت إلى بغداد ووصلت إلى دار الخلافة وصرت أترقب خروج الرشيد إلى أن خرج فتعرضـت له في بعض الطرق ودفعت إليه الياقوتة فلما رآها عرفها فخر مغشياً عليه فقبض على الخدمة فلما أفاق قـال للخدمة أفرجوا عنه وأرسلوه برفق إلى القصر ففعلوا ما أمرهم به فلما دخل قصره طلبني وأدخلنـي محلـه وقال لي ما فعل صاحب هذه الياقوتة فقلت قدمات ووصفت له حاله فجعل يبكي ويقول انتفع الولـد وخـاب الوالد ثم نادى يا فلانة فخرجت امرأة فلما رأتني أرادت أن ترجع فقال لها تعالى وما عليـك منـه فـدخلت وسلمت فرمي إليها الياقوتة فلما رأتها صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشياً عليها فلما أفاقت من غشـيتها قالت يا أمير المؤمنين ما فعل ا بولدي فقال لي أخبرها بشأنه وأخذته العبرة فأخبرتها بشأنه فجعلت تبكـي وتقول بصوت ضعيف ما أشوقني إلا لقائك يا قرة عيني ليتني كنت أسقيك إذا لم تجد ليتني كنت أؤانسـك إذا لم تجد مؤانساً ثم سكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

أبكـي غريبـاً أتـاه المـوت منفـرداً لـم يلـق الفالـه يشـكوا الـذي وجـدا
من بعـد عـز وشـمل كـان مجتمعـاً أضـحي فريـداً وحيـداً لا يـرى أحـداً
يبـين للنـاس مـا الأيـام تضـمره لـم يتـرك المـوت منـا واحـداً أبـداً
يـا غائبـاً دق ضـى ربـي بغربتـه وصـار منـي القـرب مبتعـداً
أن أيأس الموت من لقيـاك يـا ولـدي فأننـا نلتقـي يـوم الحسـاب غـداً

فقلت يا أمير المؤمنين أهو ولدك قال نعم وقد كان قبل ولايتي هذا الأمـر يـزور العلمـاء ويجـالس الصالحين فلما وليت هذا الأمر نفر مني وباعد نفسيه عني فقلت لأمه أن هذا الولد منقطـع إلـى ا تعـالى وربما تصيبه الشدائد ويكابد الامتحان فادفعي إليه هذه الياقوتة ليجدها وقت الاحتيـاج إليهـا فـدفعتها إليـه وعزمت إليه أن يمسكها فامتثل أمرها وأخذها منها ثم ترك لنا دنيانا وغاب عنا ولم يزل غائباً عنا حتى لقـي ا عز وجل تقيا نقياً ثم قال قم فأرني قبره فخرجت معه وجعلت أسير إلى أن أريته أياه فجعل يبكي وينتحب حتى وقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته استغفر ا وقال أنا وإنا إليه راجعون ودعا له بخير ثم سـألني الصحبة فقلت له يا أمير المؤمنين إن لي في ولدك أعظم العظمات ثم أنشدت هذه الأبيات:

أنـا الغريـب فـلا آوي إلـى أحـد ... **أنـا الغريـب وأن أمسـيت فـي بلـدي**

أنـا الغريـب فـلا أهـل ولا ولـد ... **ولـيس لـي أحـد يـأوي إلـى أحـد**

إلـى المسـاجد آوي بـل وأعمرهـا ... **فمـا يفارقهـا قلبـي مـدى الأبـد**

فالحمـد رب العـالمين علـى ... **أفضـاله ببقـاء الـروح فـي الجسـد**

(ومما يحكي) عن بعض الفضلاء أنه قال مررت بفقيه في كتاب وهو يقريء الصبيان فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فاقبلت عليه فقام لي وأجلسني معه فمارسته في القراءات والنحو والشعر واللغة فإذا هـو كامل في كل ما يراد منه فقلت له قوى ا عزمك فأنك عارف بكل ما يراد منك ثم عاشرته مدة وكـل يـوم يظهر فيه حسن فقلت في نفسي أن هذا شيء عجيب من فقيه يعلم الصبيان مع أن العقلاء اتفقوا على نقـص عقل معلم الصبيان ثم فارقته وكنت كل أيام قلائل أتفقده وأزوره فأتيت إليه في بعض الأيام على عادتي مـن زيارته فوجدت الكتاب مغلقاً فسألت جيرانه فقالوا أنه مات عنده ميت فقلت في نفسي وجب علينا أن نعزيـه فجئت إلى بابه وطرقته فخرجت لي جارية وقالت ما تريد فقلت أريد مولاك فقالت أن مولاي قاعداً في العزاء وحده فقلت لها قولي له أن صديقك فلاناً يطلب أن يعزيك فراحت وأخبرته فقال لها دعيه يدخل فأذنت لي في الدخول فدخلت إليه بالصبر ثم قلت له من الذي مات لك فقال أعز الناس على واحبهم إلي فقلت لعله والـدك فقال لا قلت والدتك قال لا قلت أخوك قال لا قلت أحد من أقاربك قال لا قلت فما نسبته إليك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا أول المباحث في قلة عقله ثم قلت له قد يوجد غيرها مما هو أحسن منها فقال أنا ما رأيتها من لا تراها فقال اعلم أني كنت جالساً في الطاقة وإذا برجل عابر طريق يغني هذا البيت:

يـا أم عمـرو وجـزاك ا مكرمـة ... **ردي علـى فـؤادي أينمـا كانـا**

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفقيه قال لما غنى الرجل المار في الطريق بالشعر الذي سمعته منـه قلت في نفسي لولا أن أم عمر وهذه ما في الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فتعلقت بحبها فلما كـان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذا البيت:

إذا ذهـب الحمـار بـام عمـرو ... **فـلا رجعـت ولا رجـع الحمـار**

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها ومضى لي ثلاثة أيام وأنا في العزاء فتركته وانصرفت بعدما تحققت قلة عقله (ومما يحكي) من قلة عقل معلم الصبيان أنه كان رجل فقيه في مكتب فدخل عليه رجل ظريف وجلس عنده ومارسه فرآه فقيهاً نحويا لغويا شاعراً أديباً فهيما لطيفاً فتعجب من ذلك وقال أن الذين يعلمون الصبيان في المكاتب ليس لهم عقل كامل فلما هم بالإنصراف من عند الفقيه قال له أنت ضيفي في هذه الليلة فأجابه إلى الضيافة وتوجه صحبته إلى منزله فأكرمه وأتى له بالطعام فأكلا وشربا ثم جلسا بعد ذلك يتحدثان إلى ثلث الليل وبعد ذلك جهز له الفراش وطلع إلى حريمه فاضطجع الضيف وأراد النوم وإذا بصراخ كثير ثار في حريمه فسأل ما الخبر فقالوا له أن الشيخ حصل له أمر عظيم وهو في آخر رمق فقال اطلعوني له فطلعوه له ودخل عليه فرآه مغشياً عليه ودمه سائل فرش الماء على وجهه فلما أفاق قال له ما هذا الحال أنت طلعت من عندي في غاية ما يكون من الحظ وأنت صحيح البدن فما أصابك فقال له يا أخي بعد ما طلعت من عندك جلست أتذكر في مصنوعات ا تعالى وقلت في نفسي كل شيء خلقه ا للإنسان فيه نفع لأن ا سبحانه وتعالى خلق اليدين للبطش والرجلين للمشي والعينين للنظر والأذنين للسماع والذكر للجماع وهلم جرا إلا هاتين البيضتين ليس لهما نفع فأخذت موس كان عندي وقطعتهما فحل لي هذا الأمر فنزل من عنده وقال صدق من قال إن كل فقيه يعلم الصبيان ليس له عقل كامل ولو كان يعرف جميع العلوم (وحكى) أيضاً أن بعض المجاورين كان لا يعرف الخط ولا القراءة وأنما يحتال على الناس بحيل يأكل منها الخبز فخطر بباله يوماً من الأيام أنه يفتح له مكتباً ويقريء فيه الصبيان فجمع ألواحاً وأوراقاً مكتوبة وعلقها في مكان وكبر عمامته وجلس على باب المكتب فصار الناس يمرون عليه وينظرون إلى عمامته وإلى الألواح والأوراق فيظنون أنه فقيه جيد فيأتون إليه بأولادهم فصار يقول لهذا أكتب ولهذا أقرأ فصار الأولاد يعلم بعضهم بعضاً فبينما هو ذات يوم جالس على باب المكتب على عادته وإذا بامرأة مقبلة من بعيد وبيدها مكتوب فقال في باله لابد أن هذه المرأة تقصدني لأقرأ لها المكتوب الذي معها فكيف يكون حالي معها وأنا لا أعرف قراءة الخط وهم بالنزول ليهرب منها فلحقته قبل أن ينزل وقالت له ألى أين فقال لها أريد أن أصلي الظهر وأعود فقالت له الظهر بعيد فأقرأ لي هذا الكتاب فأخذه منها وجعل أعلاه أسفله وصار ينظر إليه ويهز عمامته تارة ويرقص حواجبه تارة أخرى ويظهر غيظاً وكان زوج المرأة غائباً والكتاب مرسل إليها من عنده فلما رأت الفقيه على تلك الحالة قالت في نفسها لاشك أن زوجي مات وهذا الفقيه يستحي أن يقول لي أنه مات فقالت له يا سيدي إن كان مات فقل لي فهز رأسه وسكت فقالت له المرأة هل أشق ثيابي فقال لها شقي فقالت له هل الطم على وجهي فقال لها الطمي فأخذت الكتاب من يده وعادت إلى منزلها وصارت تبكي هي وأولادها فسمع بعض جيرانها البكاء فسألوا عن حالها فقيل لهم أنه جاءها كتاب بموت زوجها فقال رجل أن هذا كلام كذب لأن زوجها أرسل لي مكتوباً بالأمس يخبرني فيه أنه طيب بخير وعافية وأنه بعد عشرة أيام يكون عندها فقام من ساعته وجاء إلى المرأة وقال لها أين الكتاب الذي جاء فجاءت به إليه وأخذه منها وقرأه وإذا فيه أما بعد فأني طيب بخير وعافية وبعد عشرة أيام أكون عندكم وقد أرسلت إليكم ملحفة ومكمرة فأخذت الكتاب وعادت به إلى الفقيه وقالت له ما حملك على الذي فعلته معي وأخبرته بما قاله جارها من سلامة

زوجها وأنه أرسل إليها ملحفة ومكمرة فقال لها لقد صدقت ولكن يا حرمة أعذريني فأني كنت في تلك الساعة مغتاظاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة لما قالت للفقيه ما حملك على الذي فعلته معي فقال لها أني كنت في تلك الساعة مغتاظاً مشغول الخاطر ورأيت المكمرة ملفوفة في الملحفة فظننت أنه مات وكفنوه وكانت المرأة لا تعرف الحيلة فقالت له أنت معذور وأخذت الكتاب منه وأنصرفت (ومحكى) أن ملكاً من الملوك خرج مستخفياً ليطلع على أحوال رعيته فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفرداً وقد عطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت إليه امرة جميلة بكوز ماء فناولته أياه فشرب فلما نظر إليها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فدخلت به بيتها وأجلسته وأخرجت له كتاباً وقالت أنظر في هذا الكتاب إلى أن أصلح أمري وأرجع إليك فجلس يطالع في الكتاب وإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعده ا لا هله من العذاب فاقشعر جلده وتاب الى ا وصاح بالمرأة وأعطاها الكتاب وذهب وكان زوج المرأة غائباً فلما حضر أخبرته بالخبر فتحير وقال في نفسه أخاف أن يكون وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فأعلمت المرأة أقاربها بما حصل لها مع زوجها فعرفوه إلى الملك فلما مثل بين يديه قال أقارب المرأة أعز ا الملك أن هذا الرجل استأجر منا أرضاً للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يتركها حتى نؤجرها لمن يزرعها ولا هو يزرعها وقد حصل الضرر للأرض فنخاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت فقال الملك ما الذي يمنعك من زرع أرضك فقال أعز ا الملك أنه قد بلغني أن الأسد قد دخل الأرض فهبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمي أنه لا طاقة لي بالأسد وأخاف منه ففهم الملك القصة وقال له يا هذا إن أرضك لم يطأها الأسد وأرضك طيبة الزرع فازرعها بارك ا لك فيها فإن الأسد لا يعدو عليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهم (ومما) يحكي أن أسحق بن إبراهيم الموصلي قال أتفق أنني ضجرت من ملازمة دار الخليفة والخدمة بها فركبت وخرجت ببكرة النهار وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج وقلت لغلماني إذا جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أنني بكرت في بعض مهماتي وأنك لا تعرفون أين ذهبت ثم مضيت وحدي وطفت في المدينة وقد حمى النهار فوقفت في شارع يعرف بالحرم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق بن إبراهيم الموصلي قال لما حمى النهار وقفت في شارع يعرف بالحرم لاستظل من حر الشمس وكان للدار جناح رحب بارز على الطريق فلما لبث حتى جاء خادم أسود يقود حماراً فرأيت عليه جارية راكبة وتحتها منديل مكلل بالجواهر وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية بعده ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً فاتراً وشمائل ظريفة فسألت عنها بعض المارين فقال لي إنها مغنية وقد تعلق بحبها قلبي عند نظري إليها وما قدرت أن أستقر على ظهر دابتي ثم إنها دخلت الدار التي كنت واقفاً على بابها فجعلت أتفكر في حيلة أتوصل بها إليها فبينما أنا واقف إذ أقبل رجلان شابان جميلان فاستأذنا فأذن لهما صاحب الدار فنزلا ونزلت معهما ودخلت صحبتهما فظنا أن صاحب الدار دعاني فجلسنا ساعة فأتي

بالطعام فأكلنا ثم وضع الشراب بين أيدينا ثم خرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا وقمـت لأقضـي حاجة فسأل صاحب المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريـف فـأجملوا عشرته ثم جئت فجلست في مكاني فغنت الجارية بلحن لطيف وأنشدت هذين البيتين:

قـل للغزالــة وهــي غيــر غزالــة   **والجــؤذر المكحــول غيــر الجــؤذر**

لمـذكر الخلــوات غيــر مؤنـث   **ومؤنـث الخطــوات غيــر مـذكر**

فأدته أداء حسناً وشرب القوم وأعجبهم ذلك ثم غنت طرقاً شتى بألحان غريبة وغنت من جملتها طريقة هي لي وأنشدت تقول:

الطلـــــول الـــــدوارس   **فأرقتهـــــــا الأوانــــــــس**

أوحشـــــت بعــــد أنســــها   **فهـــــي قفـــــراء طـــامس**

فكان أمرها أصلح فيها من الأولى ثم غنت طرقاً شتى بألحان غريبة من القديم والحديث وغنـت فـي أثنائها طريقة هي لي وأنشدت تقول:

قــل لمـــن صــد عاتبــاً   **ونـــــأي عنــــك جانبــــاً**

قــد بلغـــت الـــذي بلغـت   **وإن كنــــــــت لاعبــــــاً**

فاستعدته منها لأ صححه فأقبل على أحد الرجلين وقال ما رأينا طفيليا أصفق وجهاً منك أمـا ترضـي بالتطفل حتى اقترحت وقد صح فيك المثل طفيلي ومقترح فأطرقت حياء ولم أجبه فجعل صاحبه يكفه عنـي فلا ينكف ثم قاموا إلى الصلاة فتأخرت قليلاً وأخذت العود وشددت طرفيه وأصلحته أصلاحاً محكماً وعـدت إلى موضعي فصليت معهم ولما فرغنا من الصلاة رجع ذلك الرجل إلى اللوم علي والتعنيف ولج في عربدته وأنا صامت فأخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حاله وقالت من جبس عودي فقالوا ما جسه أحد منا قالـت بلى وا لقد جسه حاذق متقدم في الصناعة لأنه أحكم أوتاره وأصلحه إصلاح حاذق في صنعته فقلت لها أنا الذي أصلحته فقالت با عليك أن تأخذه وتضرب عليه فأخذته وضربت عليه طريقة عجيبة صعبة تكـاد أن تميت الأحياء وتحيي الأموات وأنشدت عليه هذه الأبيات:

وكـــان لـــي قلـــب أعـــيش بـــه   **فـــاكتوى بالنــــار واحترقــــا**

أنـــا لـــم أرزق محبتهــــا   **وأنمـــا للعبــــد مـــا رزقـــا**

أن يكـــن مـــا ذقـــت طعـــم هـــوى   **ذاقــــه لاشـــك مـــن عشـــقا**

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق بن إبراهيم الموصلي قال لما فرغت من شعري لم يبق أحد من الجماعة ووثب من موضعه وجلسوا بين يدي وقالوا با عليك يا سيدنا أن تغنى لنا صوتاً آخر فقلـت حبـاً وكرامة ثم أحكمت الضربات وغنيت بهذه الأبيات:

إلا مــن لقـــب ذوائـــب بنوائـــب ... أناحت بـه الأحـزان مـن كـل جانـب
حـرام علـى رامـي فـؤادي بسـهمه ... دم صـــبه بـــين الحشـــا والترائـــب
تبـــين بـــين ألبـــين أن اقترابـــه ... على البين من ضمن الظنـون الكـواذب
أراق مــا لــولا الهــوى مــا أراقــه ... فهـــل لـــدمي مـــن ثـــائر ومطالـــب

فلما فرغ من شعره لم يبق أحد منهم إلا وقام على قدميه ثم رمي بنفسه على الأرض من شدة ما أصابه من الطرب قال فرميت العود من يدي فقالوا با عليك أن لا تفعل بنا هذا وزدنا صوتاً آخر زادك ا تعالى من نعمته فقلت لهم يا قوم أزيدكم صوتاً آخر وآخر وآخر وأعرفكم من أنا أنا أسحق بن إبراهيم الموصـلي وا إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني وأنتم قد اسمعتموني غليظ ما أكرهه في هذا اليـوم فـو ا لانطقـت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا العربيد من بينكم فقال له صاحبه من هذا حذرتك وخفت عليك ثـم أخذوا بيده وأخرجوه فأخذت العود وغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي ثم أسررت إلى صاحب الدار أن الجارية قد وقعت محبتها في قلبي ولا صبر لي عنها فقال الرجل هل اك بشرط فقلت وما هو قال أن تقيم عندي شهراً فأقمت عنده شهر ولا يعرف أحد أين أنا والخليفة يفتش علي في كل موضع ولا يعرف لـي خبراً فلما أنقضى الشهر سلم لي الجارية وما يتعلق بها من الأمتعة النفيسة وأعطاني خادماً آخر فجئت بـذلك إلى منزلي كأني قد حزت الدنيا بأسرها من شدة فرحي بالجارية ثم ركبت إلى المـأمون مـن وقتـي فلمـا حضرت بين يديه قالي ويحك يا إسحق وأين كنت فأخبرته بخبري فقال على بذلك الرجل في هـذه السـاعة فدللتهم على داره فأرسل إليه الخليفة فلما حضر سأله عن القصة فأخبره بها فقال له أنت رجـل ذو مـروءة والرأي أن تعان على مروءتك فأمر له بمائة ألف درهم وقال لي يا أسحق أحضر الجارية فأحضرتها وغنت له وأطربته فحصل له منها سرور عظيم فقال قد جعلت عليها نوبة في كل يوم خميس فتحضر وتغنـى مـن وراء الستارة ثم أمر لها بخمسين ألف درهم فو ا لقد ربحت في تلك الركبة.

(ومما يحكي) أن القاسم بن عدي حكى عن رجل من بني تميم أنه قال خرجت في طلب ضالة فوردت على مياه بني طي فرأيت فريقين أحدهما قريب من الآخر وإذا في أحد الفريقين كلام مثل كلام أهل الطريـق الآخر فتأملت فرأيت في أحد الفريقين شاباً قد أنهكه المرض وهو مثل الشن البالي فبينما أنا أتأمله وإذا هـو ينشد هذه الأبيات:

ألا للمليحــــة مــــا تعــــود ... أبخــــل بالمليحــــة أم صـــــدود
مرضـــت فعـــادني أهلـــي جميعـــاً ... فمالـــك لا تـــرى فـــيمن يعـــود
فلـو كنـت المريضـة جئـت أسـعى ... إليـــك ولـــم ينهنـــي الوعيـــد
عـــدمتك مـــنهم فبقيـــت وحـــدي ... وفقـــد الألـــف يـــا ســـكني شـــديد

فسمعت كلامه جارية من الفريق الآخر فبادرت نحوه وتبعها أهلها وجعلت تضاربهم فأحس بها الشاب فوثب نحوها فبادر إليه أهل فريقه وتعلقوا به فجعل يجذب نفسه وهي تجذب نفسها من فريقها حتى تخلصـا وقصد كل واحد منهما صاحبه حتى التقيا بين الفريقين وتعانقا ثم خر إلى الأرض ميتـين. وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه (مما يحكي) أن أبا بكر محمد الأنباري قال خرجت من الأنبـار فـي بعض الأسفار إلى عمورية من بلاد الروم فنزلت في أثناء الطريق بدير الأنوار في قرية من قرى عموريـة فخرج إلى صاحب الدير الرئيس على الرهبان وكان اسمه عبد المسيح فادخلني الدير فوجدت فيـه أربعـون راهباً فأكرموني في تلك الليلة بضيافة حسنة ثم رحلت عنهم في الغد وقد رأيت من كثرة أجتهادهم وعبـادتهم ما لم أره من غيرهم فقضيت إربي من عمورية ثم رجعت إلى الأنبا فلما كان في العام المقبل حججـت إلـى مكة فبينما أنا أطوف حول البيت إذا رأيت عبد المسيح الراهب يطوف أيضاً ومعه خمسة أنفار من أصـحابه الرهبان فلما تحققت معرفته تقدمت إليه وقلت له هل أنت عبد المسيح الراهب قال بل أنا عبـد ا الراغـب فجعلت أقبل شيبته وابكي ثم أخذت بيده وملت إلى جانب الحرم وقلت له أخبرني عن سبب إسلامك فقال إنـه من أعجب العجائب وذلك أن جماعة من زهاد المسلمين مروا بالقرية التي فيها ديرنا فأرسلوا شاباً يشـتري لهم طعاماً فرأي في السوق جارية نصرانية تبيع الخبز وهي من أحسن النساء صورة فلما نظر إليها افتتن بها وسقط على وجهه مغشياً عليه فلما أفاق رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما اصابه وقال أمضوا إلى شأنكم فلست بذاهب معكم فعذلوه ووعظوه فلم يلتفت إليهم فانصرفوا عنه ودخل القرية وجلس عند باب حانوت تلك المرأة فسألته عن حاجته فأخبرها أنه عاشق لها فأعرضت عنه فمكث في موضعه ثلاثة أيام لم يطعم طعامـاً بـل صار شاخصاً إلى وجهها فلما رأته لا ينصرف عنها ذهبت إلى أهلها وأخبرتهم بخبره فسلطوا عليه الصبيان فرموه بالحجارة حتى رضوا أضلاعه وشجوا رأسه وهو مع ذلك لا ينصرف فعزم أهل القرية علـى قتلـه فجاءني رجل منهم وأخبرني بحاله فخرجت إليه فرأيته طريحاً فمسحت الدم عن وجهه وحملته إلـى الـدير وداويت جراحاته واقام عندي أربعة عشر يوماً فلما قدر علي المشي خرج من الدير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الراهب عبد ا قال فحملته إلى الدير وداويت جراحاته وأقام عندي أربعة عشر يوماً فلما قدر على المشي خرج من الدير إلى باب حانوت الجارية وجلـس ينظـر إليهـا فلمـا أبصرته قامت إليه وقالت له وا لقد رحمتك فهل لك أن تدخل في ديني وأنا أتزوجك فقال معاذ ا أن أنسلخ من دين التوحيد وأدخل في دين الشرك فقالت قم وادخل معي داري وأقض مني إربك وانصرف راشداً فقـال لا ما كنت لأذهب عبادة أثنى عشر سنة بشهوة لحظة واحدة فقالت انصرف عني حينئذ قال لا يطاوعني قلبي فأعرضت عنه بوجهها ثم فطن به الصبيان فأقبلوا عليه يرمونه بالحجارة فسقط على وجهه وهـو يقـول إن وليي ا الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فخرجت من الدير وطردت عنه الصبيان ورفعت رأسه عن الأرض فسمعته يقول اللهم اجمع بيني وبينها في الجنة فحملته إلى الدير فمات قبل أن أصل به إليه فخرجـت به عن القرية وحفرت له قبراً ودفنته فلما دخل الليل وذهب نصفه صرخت تلك المرأة وهـي فـي فراشـها صرخة فاجتمع إليها أهل القرية وسألوها عن قصتها فقالت بينما أنا نائمة إذ دخل علي هذا الرجـل المسـلم فأخذ بيدي وانطلق بي إلى الجنة فلما صار بي إلى بابها منعني خازنها من دخولها وقال إنها محرمـة علـى

الكافرين فأسلمت على يديه ودخلت معه فرأيت فيها من القصور والأشجار ما لم يمكن أن أصفه لكم ثم أنـه أخذني إلى قصر من الجوهر وقال لي إن هذا القصر لي ولك وأنا لا أدخله إلا بك وبعد خمس ليال تكـونين عندي فيه إن شاء ا تعالى ثم مد يده إلى شجرة على باب ذلك القصر فقطف منها تفاحتين وأعطانيهما وقال كلي هذه وأخفي الأخرى حتى يراها الرهبان فأكلت واحدة فما رأيت أطيب منها وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لما قطف التفاحتين أعطانيهما وقال كلي هذه وأخفـي الأخرى حتى يراها الرهبان فأكلت واحدة فما رأيت أطيب منها ثم أخذ بيدي وخرج بي حتى أوصـلني إلـى داري فلما استيقظت من منامي وجدت طعم التفاح في فمي والتفاحة الثانية عندي ثم أخرجت التفاحة فأشرقت في ظلام الليل كأنها كوكب دري فجاءوا بالمرأة إلى الدير ومعها التفاحة فقصت علينا الرؤيا وأخرجـت لنـا التفاحة فلم نر شيئاً مثلها في سائر فواكه الدنيا فأخذت سكيناً وشققتها على عدد أصحابي فما رأينا الـذ مـن طعمها ولا أطيب من ريحها فقلنا لعل هذا شيطان تمثل إليها ليغويها عن دينها فأخذها أهلها وانصرفوا ثم أنها امتنعت عن الأكل والشرب فلما كانت الليلة الخامسة قامت من فراشها وخرجت من بيتها وتوجهت إلى قبـر ذلك المسلم وألقت نفسها عليه وماتت ولم يعلم بها أهلها فلما كان وقت الصباح أقبل علـى القريـة شـيخان مسلمان عليهما ثياب من الشعر ومعهما أمرأتان كذلك فقالا يا أهل القرية أن تعالى عندكم ولية من أوليائه قد ماتت مسلمة ونحن نتولاها دونكم فطلب أهل القرية تلك المرأة فوجدوها على القبـر ميتـة فقـالوا هـذه صاحبتنا قد ماتت على ديننا ونحن نتولاها وقال الشيخان إنها ماتت مسلمة ونحن نتولاهـا وأشـتد الخصـام والنزاع بينهما فقال أحد الشيخين أن علامة إسلامها أن يجتمع رهبان الدير الأربعون ويجذبوها عن القبر فإن قدروا على حملها من الأرض فهي نصرانية وإن لم يقدروا على ذلك يتقدم واحد منها ويجذبها فـإن جـاءت معه فهي مسلمة فرضي أهل القرية بذلك واجتمع الأربعون راهباً وقوي بعضهم بعضاً وأتوها ليحملوها فلـم يقدروا على ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الراهب عبد ا قال وأتوها ليحملوها فلم يقدروا على ذلك فربطنـا في وسطها حبلاً عظيماً وجذبناها فانقطع الحبل ولم تتحرك من موضعها فلما عجزنا عن حملها بكل حيلة قلنا لأحد الشيخين تقدم أنت واحملها فتقدم إليها أحدهما ولفها في ردائه وقال بسم ا الرحمن الرحيم وعلى ملـة رسول ا ﷺ ثم حملها في حضنه وانصرف بها المسلمون إلى غار هناك فوضعوها فيه وجـاءت المرأتـان فغسلتاها وكفنتاها ثم حملها الشيخان وصليا عليها ودفناها إلى جانب قبره وانصرفا ونحن نشاهد هذا كله فلما خلا بعضنا ببعض قلنا أن الحق أحق أن يتبع وقد وضح الحق لنا بالمشاهدة والعيان ولا برهان لنا على صحة الإسلام أوضح لنا مما رأيناه بأعيننا ثم أسلمت وأسلم رهبان الدير جميعهم وكذلك أهل القرية ثم إنا بعثنا إلى أهل الجزيرة نستدعي فقيهاً يعلمنا شرائع الإسلام وأحكام الدين فجاءنا رجل فقيه صالح فعلمنا العبادة وأحكام الإسلام ونحن اليوم على خير كثير و الحمد والمنه'.

(ومما) يحكي أن بعض الفضلاء قال ما رأيت في النساء أذكى خاطراً وأحسن فطنة وأعـوز علمـاً وأجود قريحة وأظرف أخلاقاً من امرأة واعظة من أهل بغداد يقال لها سيدة المشايخ اتفق أنها جـاءت إلـى مدينة حماة سنة أحدى وستين وخمسمائة فكانت تعظ الناس على الكرسي وعظاً شافياً وكان يتردد على منزلها جماعة من المتفقهين وذوي المعارف والآداب يطارحونها مسائل الفقه ويناظرونها في الخلاف فمضيت إليها ومعي رفيق من أهل الأدب فلما جلسنا عندها وضعت بين أيدينا طبقاً من الفاكهة وجلست هي خلـف سـتر وكان لها أخاً حسن الصورة قائماً على رؤوسنا في الخدمة فلما أكلنا شرعنا في مطارحة الفقه فسألتها مسـألة فقهية مشتملة على خلاف بين الأئمة فشرعت تتكلم في جوابها وأنا أصغي إليها وجعل رفيقي ينظر إلى وجه أخيها ويتأمل في محاسنه ولا يصغي إليها وهي تلحظه من وراء الستر فلما فرغت من كلامها التفتـت إليـه وقالت أظنك ممن يفضل الرجال على النساء قال أجل قالت ولم ذلك قال لأن ا فضل الذكر علـى الأنثـى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ أجابها بقوله لأن ا فضل الذكر على الأنثـى وأنـا أحـب الفاضل وأكره المفضول فضحكت ثم قالت أتنصفني في المناظرة أن ناظرتك في هذا المبحث قال نعم قالـت فما الدليل على تفضيل الذكر على الأنثى قال المنقول والمعقول أما المنقول فالكتاب والسنة أما الكتاب فقولـه تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل ا بعضهم على بعض وقوله تعالى فإن لم يكونا رجلين فرجـل وامرأتان وقوله تعالى في الميراث وإن كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين فا سبحانه وتعالى فضل الذكر على الأنثى في هذه المواضع وأخبر أن الأنثى على النصف من الذكر لأنه أفضل منهـا وأمـا السنة فما روى عن النبي ﷺ أنه جعل دية المرأة على النصف من دية الرجل وأما المعقول فإن الذكر فاعـل والأنثى مفعول بها والفاعل أفضل من المفعول بها فقالت له أحسنت يا سيدي لكنك وا أظهرت حجتي عليك من لسانك ونطقت ببرهان هو عليك لا لك وذلك أن ا سبحانه وتعالى أنما فضل الذكر على الأنثى بمجـرد وصف الذكورية وهذا النزاع فيه بيني وبينك وقد يستوي في هذا الوصف الطفل والغلام والشـاب والكهـل والشيخ لا فرق بينهم في ذلك وإذا كانت الفضيلة إنما حصلت له بوصف الذكورية فينبغي أن يميـل طبعـك وترتاح نفسك إلى الشيخ كما ترتاح إلى الغلام إذ لا فرق بينهما في الذكورية وأنما وقع الخلاف بيني وبينـك في الصفات المقصودة من حسن العشرة والاستمتاع وأنت لم تأت ببرهان على فضل الغلام على الأنثى فـي ذلك فقال لها يا سيدتي أما علمت ما اختص به الغلام من اعتدال القد وتوريد الخد وملاحة الابتسام وعذوبـة الكلام فالغلمان بهذا الاعتبار أفضل من النساء والدليل على ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لا تدعو النظر إلى الأمرد فإن فيهم لمحة من الحور العين وتفضيل الغلام على الجارية لا يخفى على أحد من النـاس ومـا أحسن قول أبي نواس:

أقـل مـا فيـه مـن فضـائله أمنـك مـن طمثـه ومـن حبلـه

وقول الشاعر:

قـال الإمـام أبـو نـواس وهـو فـي شـرع الخلاعـة والمجـون يقلـد

يـا أمـة تهـوى العـذار تمتعـوا ... مـن لـذة فـي الخد ليسـت توجـد

ولأن الجارية إذ بالغ الواصف في وصفها وأراد تزويجها بذكر محاسن أوصافها شبهها بالغلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ قال ولأن الجارية إذا بالغ الواصف في وصفها وأراد تزويجها بذكر محاسن أوصافها شبهها بالغلام لما له من المآثر كما قال الشاعر:

غلاميـة الأرداف تهتـز فـي الصبا ... كما اهتـز فـي ريـح الشمال قضيب

فلولا أن الغلام أفضل وأحسن لما شبهت به الجارية واعلمي صانك ا تعالى أن الغلام سهل القياد موافق على المراد حسن العشرة والأخلاق مائل عن الخلاف للوفاق ولا سيما أن تنمنم عذارة وأخضر شاربه وجرت حمرة الشبيبة في وجنته حتى صار كالبدر التمام وما أحسن قول أبي تمام:

قال الوشاة بـدا فـي الخـد عارضـه ... فقلـت لا تكثـروا مـا ذاك عائبـه

لمـا اسـتقل بـارداف تجاذبـه ... وأخضـر فـوق جمـان الـدر شـاربه

وأقسـم الـورد إيمانـاً مغلظـة ... أن لا يفـارق خديـه عجائبـه

كلمتـه بجفـون غيـر ناطقـة ... فكـان مـن رده مـا قـال حاجبـه

الحسن منـك علـى مـا كنـت تعهـده ... والشـعر أحـرزه ممـن يطالبـه

أحلـى وأحسـن مـا كانـت شـمائله ... إذا لاح عارضـه وأخضـر شـاربه

وصار مـن كـان يلحـى فـي محبتـه ... أن يحـك عنـي وعنـه قـال صاحبه

فهذه فضيلة في الغلمان لم تعطها النساء وكفى بذلك للغلمان عليهن فخرا ومزية فقالت له عافاك ا تعالى أنك قد شرطت على نفسك المناظرة وقد تكلمت وما قصرت واستدللت بهذه الأدلة على ما ذكرت ولكن الآن قد حصحص الحق فلا تعدل عن سبيله وأن لم تقنع بإجمال الدليل فأنا آتيك بتفصيله بما عليك أين الغلام من الفتاة من يقيس السخلة على المهاة أنما الفتاة رخيمة الكلام حسنة القوام فهي كقضيب الريحان بثغر كالقحوان وشعر كالأرسوان وخد كشقائق النعمان ووجه كتفاح وشفة كالراح وثدي كالرمان ومعاطف كالأغصان وهي ذات قد معتدل وجسم متجدل وخد كحد السيف اللائح وجبين واضح وحاجبين مقرونين وعينين كحلاوين أن نطقت فاللؤلؤ الرطب يتناثر من فيها وتجذب القلوب برقة معانيها وإن تبسمت ظننت البدر يتلألأ من بين شفتيها وأن رنت فالسيوف تسل من مقلتيها إليها تنتهي المحاسن وعليها مدار الظاعن والقاطن ولها شفتان حمر وأن ألين من الزبد وأحلى مذاقاً من الشهد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة الواعظة لما وصفت الفتاة قالت ولها شفتان حمراوان ألين من الزبد وأحلى مذاقاً من الشهد ثم قالت بعد ذلك ولها صدر كجادة الفجاج فيه ثديان كأنهما حقان من عاج وبطن لطيف الكشح كالزهر الغض وعكن قد انعطفت وانطوى بعضها على بعض وفخذان ملتفان كأنهما من الدر

عمودان وأرداف تموج كأنها بحر من بلّور أو جبال من نور ولها قدمان لطيفان وكفان كأنهما سبائك العقبان فيا مسكين أين الأنس من الجان ومن قال الدنيا عبارة عن النساء كان صادقا وأما ما ذكـرت مـن الحـديث الشريف فهو حجة عليك لا لك لأن النبي ﷺ قال لا تدعو النظر إلى المرد فإن فيهم لمحة من الحـور العـين فشبه المرد بالحور العين ولا شك أن المشبه به أفضل من المشبه فلولا أن النساء أفضل وأحسن لما شبه بهن غيرهن وأما قولك أن الجارية تشبه بالغلام فليس الأمر كذلك بل الغلام يشبه بالجارية حتى قالوا أنها تصـلح للأمرين جميعاً عدولاً منهم عن سلوك طريق الحق عند الناس كما قال كبيرهم أبو نواس.

ممشـــوقة القصـــر غلاميـــة	**تصـــلح للـــوطى والزانـــي**

وأما ما ذكرته من حسن نبات العذار وخضار الشارب وأن الغلام يزداد به حسناً وجمالاً فو الله لقـد عدلت عن الطريق وقلت غير التحقيق لأن العذار يبدل حسنات الجمال بالسيئات ثم أنشدت هذه الأبيات:

بـدا الشـعر فـي وجهـه فـأنتقم	**لعاشـقه منـه لمـا ظلـم**
ولـم أر فـي وجهـه كالـدخا	**ن إلا وسـائر ألفه كـالحمم**
إذا أسـود فاضـل قرطاسـه	**فمـا ظـنكم بمكـان القلـم**
فـإن فضـلوه علـى غيـره	**فمـا ذاك إلا لجهـل الحكـم**

فلما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة الواعظة لما فرغت من شعرها قالـت للرجـل سـبحان الله العظيم كيف يخفى عليك أن كمال اللذة في النساء وأن النعيم المقيم لا يكون إلا بهن وذلـك أن الله سـبحانه وتعالى وعد الأنبياء والأولياء في الجنة بالحور العين وجعلهن جزاء لأعمالهم الصالحة ولو علم الله تعالى أن في غيرهن لذة الاستمتاع لجزاهم به ووعدهم أياه وقال ﷺ حبب إلي من دنياكم ثلاث :النساء والطيب وقـرة عيني في الصلاة وأنما جعل الله الولدان خدماً للأنبياء والأولياء في الجنة لأن الجنة دار نعيم وتلذذ ولا يكمل ذلك إلا بخدمة الولدان وأما استعمالهم لغير الخدمة فهو من الخبال والوبال وأنا أستغفر الله العظيم لي ولكـم ولسائر المسلمين أنه هو الغفور الرحيم ثم سكتت فلم تجبنا عن شيء بعد ذلك فخرجنا من عندها مسـرورين بما استفدناه من مناظرتها متأسفين على مفارقتها.

(ومما) يحكي أن أبا سويد قال أتفق أنني أنا وجماعة من أصحابي دخلنا بسـتاناً يومـاً مـن الأيـام لنشتري شيئاً من الفاكهة فرأينا في جانب ذلك البستان عجوزاً صبيحة الوجه غير أن شعر رأسها أبيض وهي تسرحه بمشط من العاج فوقفنا عندها فلم تحفل منا ولم تغط رأسها فقلت لها يا عجوز لو صبغت شعرك أسود لكنت أحسن من صبية فما منعك من ذلك فرفعت رأسها إلي وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا سويد قال لما قلت للعجوز ذلك الكلام رفعت رأسها إلي وحملقت العينين وأنشدت هذين البيتين:

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم	**صبغي ودامت صبغة الأيام**
أيام الرفل لي ثياب شبيتي	**وأناك من خلفي ومن قدامي**

فقلت لها لله درك من عجوز ما أصدقك في اللهج بالحرام وأكذبك في دعوى التوبة من الآثام (ومما) يحكي أن علي بن محمد بن عبد الله بن طاهر استعرض جارية اسمها مؤنس للشراء وكانت فاضلة أديبة شاعرة فقال لها ما أسمك يا جارية قالت أعز الله الأمير أسمي مؤنس وكان قد عرف اسمها قبل ذلك فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إليها وأنشد هذا البيت:

ماذا تقولين فيمن شفه سقم	**من أجل حبك حتى صار حيرانا**

فقالت أعز الله الأمير وأنشدت هذا البيت:

إذا رأينا محباً قد أضربه	**داء الصبابة أوليناه أحسانا**

فأعجبته فاشتراها بسبعين ألف درهم وأولدها عبد الله بن محمد صاحب المآثر (وقال أبو العينا) كان عندنا في الدرب امرأتان أحداهما تعشق رجلاً والأخرى تعشق أمرد فاجتمعتا ليلة على سطح أحداهما وهو قريب من داري وهما لا يعلمان بي فقالت صاحبة الأمرد للأخرى يا أختي كيف تصبرين على خشونة اللحية حين تقع على سدرك وقت لثمك وتقع شواربه على شفتيك وخديك فقالت لها يا رعناء وهل يزين الشجر إلا ورقة والخيار إلا زغبة وهل رأيت في الدنيا أقبح من أقرع منتوف أما علمت أن اللحية للرجل مثل الذوائب للمرأة وما الفرق بين الذوائب واللحية أما علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق في السماء ملكاً يقول سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب فلولا أن اللحى كالذوائب في الجمال لما قرن بينهما يا رعناء مالي وافرش نفسي تحت الغلام الذي يعالجني أنزاله ويسابقني انحلاله واترك الرجل الذي إذا شم ضم وإذا أدخل أمهل وإذا فرغ رجع وإذا رهز اجاد وكلما خاص عاد فاتعظت صاحبة الغلام بمقالتها وقالت سلوت صاحبي ورب الكعبة.

(**حكاية تودد الجارية**)

(ومما) يحكي أنه كان ببغداد رجل ذو مقدار وكان موسر بالمال والعقار وهو من التجار الكبار وقد سهل الله عليه دنياه ولم يبلغه من الذرية ما يتمناه ومضت عليه مدة من الزمان ولم يرزق بأناث ولا ذكور فكبر سنه ورق عظمه وانحنى ظهره وكثر وهنه وهمه فخاف ذهاب ماله ونسبه إذا لم يكن له ولد يرثه ويذكر به فتضرع إلى الله تعالى وصام النهار وقام الليل ونذر النذور لله تعالى الحي القيوم وزار الصالحين وأكثر التضرع إلى الله تعالى فاستجاب الله له وقبل دعاءه ورحم تضرعه وشكواه فما كان إلا قليل من الأيام حتى جامع أحدى نساءه فحملت منه في ليلتها ووقتها وساعتها وأتمت أشهرها ووضعت حملها وجاءت بذكر كأنه فلقة قمر فأوفى بالنذر وشكر الله عز وجل وصدق وكسا الأرامل والأيتام وليلة سابع الولادة سماه بأبي

الحسن فرضعته المراضع وحضنته الحواضن وحملته المماليك والخدم إلى أن كبر ونشأ وترعـرع وانتشـى وتعلم القرآن العظيم وفرائض الإسلام وأمور الدين القويم والخط والشعر والحساب والرمي بالنشـاب فكـان فريد دهره وأحسن أهل زمانه وعصره ذا وجه مليح ولسان فصيح يتهادى تمايلاً واعتدالاً ويترامـى تـدللاً واختيالاً بخد أحمر وجبين أزهر وعذار أخضر كما قال فيه بعض واصفيه.

بـــدا ربيـــع العـــذار للحـــدق والـــورد بعـــد الربيـــع كيـــف بقـــى
أمـــا تـــرى النبـــت فـــوق عارضـــه بنفســـجاً طالعـــاً مـــن الـــورق

فأقام أبيه برهة من الزمن في أحسن حال وأبوه به فرح مسرور إلى أن بلغ مبالغ الرجال فأجلسه أبوه بين يديه يوماً من الأيام وقال له ياولدي أنه قد قرب الأجل وحانت وفاتي ولم يبق غير لقاء ا عز وجل وقد خلفت لك ما يكفيك إلى ولد الولد من المال المتين والضياع والأملاك والبساتين فاتق ا تعالى يا ولدي فيمـا خلفته لك ولا تتبع إلا من رفدك فلم يكن إلا قليل حتى مرض الرجل ومات فجهزه ولده أحسن تجهيز ودفنـه ورجع إلى منزله وقعد للعزاء أياماً وليالي وإذا بأصحابه قد دخلوا عليه وقالوا له من خلف مثلك ما مات وكل ما فات فقد فات وما يصلح العزاء إلا للبنات والنساء المخدرات ولم يزالوا به حتى دخل الحمام ودخلوا عليه وفكوا حزنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ابن الخواجا لما دخل عليه أصحابه الحمام وفكوا حزنـه نسي وصية أبيه وذهل لكثرة المال وظن أن الدهر يبقى معه على حال وأن المال ليس له زوال فأكل وشرب ولذ وطرب وخلع ووهب وجاد بالذهب ولازم أكل الدجاج وفض ختام الزجاج وقهقهـة القنـاني واسـتماع الأغاني ولم يزل على هذا الحال إلى أن نفد المال وقعد الحال وذهب ما كان لديه وسقط في يديه ولم يبق لـه بعد أن أتلف ما أتلف غير وصيفة خلفها له والده من جملة ما خلف وكانت الوصيفة هذه ليس لها نظير فـي الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال وهي ذات فنون وآداب وفضائل تستطاب قـد فاقـت أهـل عصرها وأوانها وصارت أشهر من علم في افتنانها وزادت على الملاح بالعلم والعمل والتثني والميـل مـع كونها خماسية القد مقارنة للسعد بجبينين كأنهما هلال شعبان وحاجبين أزجين وعيون كعيون غزلان وأنـف كحد الحسام وخد كأنه شقائق النعمان وفم كخاتم سليما وأسنان كأنها عقود الجمان وسرة تسع أوقية دهن بـأن وخصر انحل من جسم من أضناه الهوى وأسقمه الكتمان وردف أثقل من الكثبان وبالجملة فهي فـي الحسـن والجمال جديرة بقول من قال:

أن أقبلـــت فتنـــت بحســـن قوامهـــا أو أدبـــرت قتلـــت بصـــد فراقهـــا
شمســـــية بدريـــــة غصـــــنية لـــيس الجفـــا والبعـــد مـــن أخلاقهـــا
جنـــات عـــدن تحـــت جيـــب قميصـــها والبـــدر فـــي فلـــك علـــى أطواقهـــا

تسلب من يراها بحسن جمالها وبريق ابتسامها وترميه من عيونها بنبل سهامها وهي مع هـذا كلـه فصيحة الكلام حسنة النظام فلما نفد جميع ما له وتبين سوء حاله ولم يبق معه غير هذه الجارية أقام ثلاثة أيام

وهو لم يذق طعم طعام ولم يسترح في منام فقالت له الجارية يا سيدي احملني إلى أمير المـؤمنين هـارون الرشيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لسيدها يا سيدي احملني إلى هارون الرشيد الخـامس من بني العباس واطلب ثمني منه عشرة آلاف دينار فإن استغلاني فقل له يا أمير المؤمنين وصفتي أكثر من ذلك فاختبرها يعظم قدرها في عيني لأن هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح إلا لمثلك ثم قالت له أياك أن تبيعني بدون ما قلت لك من الثمن فإنه قليل في مثلي وكان سيد الجارية لا يعلم قدرها ولا يعرف أنها لـيس لها نظير في زمانها ثم أنه حملها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت فقال لها الخليفة ما أسمك قالت أسمي تودد قال يا تودد ما تحسنين من العلوم قالت يا سيد أني أعرف النحو والشـعر والفقـه والتفسير واللغة وأعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة وأساطير الأولين وأعرف القرآن العظيم وقد قرأته بالسبع والعشر وبالأربع عشرة وأعرف عدد سوره وآياته وأحزابه وأنصافه وأرباعه وأثمانه وأعشاره وسجداته وعدد أحرفه وأعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ والمدنيـة والمكيـة وأسـباب التنزيل وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية المسند منه والمرسل ونظرت في علوم الرياضـة والهندسـة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعاني والبيان وحفظت كثيراً من العلم وتعلقت بالشعر وضـربت العـود وعرفت مواضع النغم فيه ومواقع حركات أوتاره وسكناتها فإن غنيت ورقصت فتنت وأن تزينـت وتطيبـت قتلت وبالجملة فأني وصلت إلى شيء لم يعرفه إلا الراسخون في العلم فلما سمع الخليفـة هـارون الرشـيد كلامها على صغر سنها تعجب من فصاحة لسانها والتفت إلى مولاها وقال أني أحضر من يناظرها في جميع ما ادعته فإن أجابت دفعت لك ثمنها وزيادة وإن لم تجب فأنت أولى بها فقال مولاها يا أمير المـؤمنين حبـاً وكرامه فكتب أمير المؤمنين إلى عامل البصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيار النظام وكان أعظم أهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وأمره أن يحضر القراء والعلمـاء والأطبـاء والمنجمـين والحكمـاء والمهندسين والفلاسفة وكان إبراهيم أعلم من الجميع فما كان إلا قليل حتى حضـروا دار الخلافـة وهـم لا يعلمون الخبر فدعاهم أمير المؤمنين إلى عامل البصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيار النظام وكان أعظـم أهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وأمره أن يحضر القراء والعلمـاء والأطبـاء والمنجمـين والحكماء والمهندسين والفلاسفة وكان إبراهيم أعلم من الجميع فما كان إلا قليل حتى حضـروا دار الخلافـة وهم لا يعلمون الخبر فدعاهم أمير المؤمنين إلى مجلسه وأمرهم بالجلوس فجلسوا ثم أمر أن تحضر الجارية تودد فحضرت وأظهرت نفسها وهي كأنه كوكب دري فوضع لها كرسي من ذهب فسلمت ونطقت بفصـاحة لسان وقالت يا أمير المؤمنين مر من حضر من العلماء والقراء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسـين والفلاسفة أن يناظروني فقال لهم أمير المؤمنين أريد منكم أن تناظروا هذه الجاريـة فـي أمـر دينهـا وأن تدحضوا حجتها في كل ما أدعته فقالوا السمع والطاعة ولك يا أمير المؤمنين فعند ذلك أطرقـت الجاريـة برأسها إلى الأرض وقالت أيكم الفقيه العالم المقري المحدث فقال أحدهم أنا ذلك الرجل الذي طلبت قالت لـه أسأل عما شئت قال لها أنت قرأت كتاب ا العزيز وعرفت ناسخه ومنسوخه وتدبرت آياته وحروفه قالـت

نعم فقال لها أسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة فأخبريني أيتها الجارية عن ذاك ومن ربك ومن نبيك ومن أمامك وما قبلتك وما أخوانك وما طريقتك وما منهاجك قالت ا ربي ومحمد ﷺ نبي والقـرآن أمـامي والكعبة قبلتي والمؤمنون أخواني والخير طريقتي والسنة منهاجي فتعجب الخليفة من قولهـا ومـن فصـاحة لسانها على صغر سنها ثم قال لها أيتها الجارية أخبريني بما عرفت ا تعالى قالت بالعقل قال ومـا العقـل قالت العقل عقلان عقل موهوب وعقل مكسوب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت العقل عقلان موهوب ومكسوب فالعقل الموهوب هـو الذي خلقه ا عز وجل يهدي به من يشاء من عباده والعقل المكسوب هو الذي يكسبه المرء بتأدبه وحسـن معرفته فقال لها أحسنت ثم قال أين يكون العقل قالت يقذفه ا في القلب فيصعد شعاعه فـي الـدماغ حتـى يستقر قال لها أحسنت ثم قال أخبريني بم عرفت النبي ﷺ قالت بقراءة كتاب ا تعالى وبالآيـات والـدلالات والبراهين والمعجزات قال أحسنت فأخبريني عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة قالت أما الفرائض الواجبة فخمس شهادة أن لا اله إلا ا وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت ا الحرام من استطاع إليه سبيلاً وأما السنن القائمة فهي أربع الليل والنهـار والشـمس والقمر وهن يدنين العمر والأمل وليس يعلم ابن آدم أنهن يهدمن الأجل قال أحسنت فـأخبريني مـا شـعائر الإيمان قالت شعائر الإيمان الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد واجتناب الحرام قال أحسنت فـأخبريني بأي شيء تقومين إلى الصلاة قالت بنية العبودية مقرة بالربوبية قال فأخبريني كم فرض ا عليك قبل قيامك على الصلاة قالت الطهارة وستر العورة واجتناب الثياب المتنجسة والوقوف على مكان طاهر والتوجه للقبلة والقيام والنية وتكبيرة الإحرام قال أحسنت فأخبريني بم تخرجين من بيتك إلى الصلاة قالت بنية العبادة قـال فبأي نية تدخلين المسجد قالت بنية الخدمة قال فيما ذا تستقبلين القبلة قالت بثلاث فرائض وسنة قالت أحسنت فأخبريني ما بمبدأ الصلاة وما تحليلها وما تحريمها قالت مبدأ الصلاة الطهور وتحريمـاً تكبيـرة الإحـرام وتحليلها السلام من الصلاة قال فماذا يجب على من تركها قالت روي في الصحيح من ترك الصلاة عامـداً متعمداً من غير عذر فلا حظ له في الإسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما ذكرت الحديث الشريف قال لها الفقيه أحسنت فأخبريني عن الصلاة ما هي قالت الصلاة صلة بين العبد وربه وفيها عشر خصال تنور القلب وتضيء الوجه وترضي الرحمن وتغضب الشيطان وتدفع البلاء وتكفي شر الأعداء وتكثر الرحمة وتدفع النقمة وتقرب العبد من مولاه وتنهي عن الفحشاء والمنكر وهي من الواجبات المفروضات المكتوبات وهي عمـاد الـدين قـال أحسـنت فأخبريني ما مفتاح الصلاة قالت الوضوء قال فما مفتاح الوضوء قالت التسمية قال فما مفتاح التسمية قالـت اليقين قال فما مفتاح اليقين قالت التوكل قال فما مفتاح التوكل قالت الرجاء قال فما مفتاح الرجاء قالت الطاعة قال فما مفتاح الطاعة قالت الاعتراف تعالى بالوحدانية والإقرار له بالربوبية قال أحسنت فأخبرينين عـن فروض الوضوء قالت ستة أشياء على مذهب الإمام الشافعي محمد بن أدريس رضي ا تعالى عنه النية عند

غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيـب وسـنته عشرة أشياء التسمية وغسل الكفين قبل أدخالهما الأناء والمضمضة والاستنشاق ومسح بعض الرأس ومسـح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وتخليل اللحية الكثة وتخليل أصابع اليدين والرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والطهارة ثلاثاً ثلاثاً والموالاة فإذا فرغ من الوضوء قال أشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شـريك لـه وأشهد أن محمداً عبداً ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال من قالها عقب كل وضوء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء قال أحسنت فإذا أراد الإنسان الوضوء ماذا يكـون عنده من الملائكة والشياطين قالت إذا تهيأ الإنسان للوضوء أتت الملائكة عن يمينه والشياطين عن شماله فإذا ذكر ا تعالى في ابتداء الوضوء فرت منه الشياطين واستولت عليه الملائكة بخيمة من نور لها أربعة أطناب من كل طنب ملك يسبح ا تعالى ويستغفر له ما دام في أنطات أو ذكر فإن لم يذكر ا عز وجل عند ابتداء الوضوء ولم ينصت استولت عليه الشياطين وانصرفت عنه الملائكة ووسوس له الشيطان حتى يدخل عليـه الشك والنقص في وضوئه فقد قال عليه الصلاة والسلام الوضوء الصالح يطرد الشيطان ويؤمن مـن جـور السلطان وقال أيضاً من نزلت عليه بلية وهو على غير وضوء فلا يلومن إلا نفسه قال أحسنت فأخبريني عما يفعل الشخص إذا استيقظ من منامه قالت إذا استيقظ الشخص من منامه فليغسل يديه ثلاثاً قبل ادخالهما الأناء قال أحسنت فأخبريني عن فروض الغسل وعن سننه قالت فروض الغسل النية وتعميم البدن بالماء أي إيصال الماء إلى جميع الشعر والبشرة وأما سننه فالوضوء قبله والتدليك وتخليل الشعر وتأخير غسل الـرجلين فـي قول إلى آخر الغسل قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أخبرت الفقيه عن فروض الغسل وسننه قـال أحسـنت فأخبريني عن أسباب التيمم وفروضه وسننه قالت أما أسبابه فسبعه فقد الماء والخوف والحاجة إليه وأضلاله في رحله والمرض والجبيرة والجراح وأما فروضه فأربعة النية والتراب وضربة للوجه وضربة لليدين وأما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى قال أحسنت فأخبريني عن شروط الصلاة وعن أركانها وعن سننها قالت أما شروطها فخمسة أشياء طهارة الأعضاء وستر العورة ودخول الوقت يقيناً أو ظناً واسـتقبال القبلـة والوقوف على مكان طاهر وأما أركانها فالنية وتكبيرة الإحرام والقيام مع القدرة وقراءة الفاتحـة وبسـم ا الرحمن الرحيم آية منها على مذهب الإمام الشافعي والركوع والطمأنينة فيـه والاعتـدال والطمأنينـة فيـه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والتشهد الأخير والجلوس له والصلاة علـى النبي ﷺ فيه والتسليمة الأولى ونية الخروج من الصلاة في قول وأما سننها فالأذان والإقامة ورفع اليدين عند الإحرام ودعاء الافتتاح والتعوذ والتأمين وقراءة السورة بعد الفاتحة والتكبيرات عند الانتقالات وقول سمع ا لمن حمده ربنا لك الحمد والجهر في موضعه والأسرار في موضعه والتشهد الأولى والجلوس له والصـلاة على النبي ﷺ فيه والصلاة على الآل في التشهد الأخير والتسليمة الثانية قال أحسنت فأخبريني فيما ذا تجب الزكاة قالت تجب في الذهب والفضة والأبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والدخن والذرة والفول والحمص

والأرز والزبيب والتمر قال أحسنت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الذهب قالت لا زكاة فيما دون عشرين مثقالاً فإذا بلغت العشرين ففيها نصف مثقال وما زاد فبحسابه قال فأخبريني في كم تجب الزكاة في الـ ورق قالت ليس فيما دون مائتي درهم زكاة فإذا بلغت المائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه قـال أحسـنت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الأبل قالت في كل خمس شاة إلى خمس وعشرين ففيها بنت مخـاض قـال أحسنت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الشاة قالت إذا بلغت أربعين ففيها شاة قال أحسنت فـأخبريني عـن الصوم وفروضه قالت أما فروض الصوم فالنية والإمساك عن الأكل والشرب والجماع وتعمد القـيء وهـو واجب على كل مكلف خال عن الحيض والنفاس ويجب على رؤية الهلال أو بأخبار عدل يقع في قلب المخبر صدقه ومن واجباته تثبيت النية وأما سننه فتعجيل الفطر وتأخير السحور وترك الكلام إلا في الخير والـذكر وتلاوة القرآن قال أحسنت فأخبريني عن شيء لا يفسد الصوم قالت الأذهان والاكتحـال وغبـار الطريـق وابتلاع الريق وخروج المني بالاحتلام والنظر لامرأة أجنبية والفصادة والحجامة هذا كله لا يفسد الصوم قال أحسنت فأخبريني عن صلاة العيدين قالت ركعتان وهماسة من غير آذان وإقامة ولكن يقول الصلاة جامعـة ويكبر في الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام وفي الثانية خمساً سوى تكبيرة القيام على مذهب الإمام الشافعي رحمه ا تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أخبرت الفقيه عن صلاة العيـدين قـال لهـا أحسـنت فأخبريني عن صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر قالت ركعتان بغير أذان ولا إقامة يأتي في ركعة بقيامين وركوعين وسجودين ويجلس وينشد ويسلم ثم يخطب ويستغفر ا تعالى مكان التكبير في خطبتـي العيـدين ويحول رداءه بأن يجعل أعلاه أسفله ويدعوا ويتضرع قال أحسنت فأخبريني عن صلاة الوتر قالت الوتر أقله ركعة واحدة وأكثره أحدى عشرة قال أحسنت فأخبريني عن صلاة الضحى قالت صلاة الضحى أقلها ركعتان وأكثرها اثنتي عشرة ركعة قال أحسنت فأخبريني عن الاعتكاف قالت هو سنة قال فما شروطه قالـت النيـة وأن لا تخرج من المسجد إلا لحاجة ولا يباشر النساء وأن يصوم ويترك الكلام قال أحسنت فأخبريني بمـاذا يجب الحج قالت بالبلوغ والعقل والإسلام والاستطاعة وهو واجب في العمر مرة واحدة قبل الموت قال فمـا فروض الحج قالت الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي والحلق والتقصير قال فما فروض العمرة قالت الإحرام بها وطوافها وسعيها قال فما فروض الإحرام قالت التجرد من المخيط واجتناب الطيب وترك حلـق الرأس وتقليم الأظافر وقتل الصيد والنكاح قال فما سنن الحج قالت التلبية وطواف القدوم والـوداع ولمبيـت بالمزدلفة وبمنى ورمي الجمار قال أحسنت فما الجهاد وما أركانه قالت أما أركانه فخـروج الكفـار علينـا ووجود الإمام والعدة والثبات عند لقاء العدو وأما سننه فهو التحريض على القتال لقوله تعالى يا أيهـا النبـي حرض المؤمنين على القتال قال أحسنت فأخبريني عن فروض البيع وسننه قالت أما فروض البيع فالأيجـاب والقبول وأوان يكون المبيع مملوكاً منتفعاً به مقدوراً على تسليمه وترك الربا وأما سننه فالأقالة والخيار قبـل التفرق لقوله ﷺ البيعان بالخيار ما لم يتفرقا قال أحسنت فأخبريني عن شيء لا يجوز بيع بعضه ببعض قالت حفظت في ذلك حديثاً صحيحاً عن نافع عن رسول ا ﷺ أنه نهى عن بيع التمر بالرطب والتـين باليـابس

والقديد باللحم والزبد بالسمن وكل ما كان من صنف واحد مأكول فلا يجوز بيع بعضه ببعض فلما سمع الفقيه كلامها وعرف أنها زكية فطنة حاذقة عالمة بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك قال في نفسه لابـد مـن أن أتحيل عليها حتى أغلبها في مجلس أمير المؤمنين فقال لها يا جارية ما معنى الوضوء في اللغة قالت الوضوء في اللغة النظافة والخلوص من الأدناس قال فما معنى الصلاة في اللغة قالت الدعاء بخير قـال فمـا معنـى الغسل في اللغة وقالت التطهير قال فما معنى الصوم في اللغة قالت الإمساك قال فما معنى الزكاة لغة قالـت الزيادة قال فما معنى الحج في اللغة قالت القصد قال فما معنى الجهاد في اللغة قالت الدفاع فانقطعـت حجـة الفقيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفقيه لما انقطعت حجته قام على قدميه وقال أشـهد ا يـا أميـر المؤمنين بأن الجارية اعلم مني في الفقه فقالت له الجارية أسألك عن شيء فأتني بجوابـه سـريعاً إن كنـت عارفاً قال اسألي قالت في سهام الدين قال هي عشرة الأولى الشهادة وهي الملة الثاني الصلاة وهي الفطـرة الثالث الزكاة وهي الطهارة الرابع الصوم وهي الجنة الخامس الحج وهي الشريعة السـادس الجهـاد وهـي الكفاية السابع والثامن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما الغيرة التاسع الجماعة وهي الألفـة العاشـر طلب العلم وهي الطريق الجيدة قالت أحسنت وقد بقيت عليك مسألة فما أصول الإسلام قال هي أربعة صحة العقد وصدق القصد وحفظ الحد والوفاء بالعهد قالت بقي مسألة أخرى فإن أجبت وإلا أخذت ثيابك قال قـولي يا جارية قالت فما فروع الإسلام فسكت ساعة ولم يجب بشيء فقالت أنزع ثيابك وأنا أفسرها لك قال أميـر المؤمنين فسريها وأنا أنزع لك ما عليه من الثياب قالت هي أثنى وعشرون فرعاً التمسك بكتـاب ا تعـالى والاقتداء برسوله ﷺ وكف الأذى وأكل الحلال واجتناب الحرام ورد المظالم إلى أهلها والتوبة والفقه في الدين وحب الجليل واتباع التنزيل وتصديق المرسلين وخوف التبديل والتأهب للرحيل وقوة اليقين والعفو عند القدرة والقوة عند الضعف والصبر عند المصيبة ومعرفة ا تعالى ومعرفة ما جاء به نبيه ﷺ ومخالفة اللعين أبليس ومجاهدة النفس ومخالفتها والإخلاص فلما سمع أمير المؤمنين ذلك منها أمـر أن تنـزع ثيـاب الفقيـه وطيلسانه فنزعهما ذلك الفقيه وخرج مقهوراً منها خجلاً من بين يدي أمير المؤمنين ثم قام لها رجـل آخـر وقال يا جارية اسمعي مني مسائل قليلة قالت له قل قال فما شرط صحة المسلم قالت القدر المعلوم والجـنس المعلوم والأجل المعلوم قال أحسنت فما فروض الأكل وسننه قالت فروض الأكل الاعتراف بـأن ا تعـالى رزقه وأطعمه وسقاه والشكر تعالى على ذلك قال فما الشكر قالت صرف العبد لجميع ما أنعم ا به عليه فيما خلق لأجله قال فما سنن الأكل قالت التسمية وغسل اليدين والجلوس على الورك الأيسر والأكل بـثلاث أصابع والأكل مماليك قال أحسنت فأخبريني ما آداب الأكل قالت أن نصغر اللقمة وتقل النظر إلـى جليسـك قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سئلت عن آداب الأكل وذكرت الجواب قال لهـا الفقيـه السائل أحسنت فأخبريني عن عقائد القلب واضدادها قالت هن ثلاث وأضدادها ثلاث الأولى اعتقاد الإيمـان

وضدها مجانبة الكفر والثانية اعتقاد السنة وضدها مجانبة البدعة والثالثة اعتقاد الطاعـة وضـدها مجانبـة المعصية قال أحسنت فأخبريني عن شروط الوضوء قالت الإسلام والتميز وطهور الماء وعدم المانع الحسـن وعدم المانع الشرعي قال أحسنت فأخبريني عن الإيمان قالت الإيمان ينقسم إلى تسعة أقسام إيمان بـالمعبودة وإيمان بالعبودية وإيمان بالخصوصية وإيمان بالقبضتين وإيمان بالناسخ وإيمان بالمنسوخ وأن نـؤمن بـا وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره قال أحسنت فأخبريني عن ثلاث تمنع ثلاثاً قالت نعم روى عن سفيان الثوري أنه قال ثلاث تذهب ثلاثاً الاستخفاف بالصـالحين يـذهب الآخـرة والاستخفاف بالملوك يذهب الروح والاستخفاف بالنفقة يذهب المال قد أحسنت فأخبرينين عن مفاتيح السموات وكم لها من باب قالت قال ا تعالى وفتحت السماء فكانت أبواباً وقال عليه الصلاة والسلام وليس يعلم عـدة أبواب السماء إلا الذي خلق السماء وما من أحد من بني آدم إلا وله باباً في السماء باب ينزل منه رزقه وباب يصعد منه عمله ولا يغلق باب رزقه حتى ينقطع أجله ولا يغلق باب عمله حتى تصعد روحه قـال أحسـنت فأخبريني عن شيء وعن نصف الشيء وعن لا شيء قالت الشيء هو المؤمن ونصف الشيء هـو المنـافق وأن لا شيء هو الكافر قال أحسنت فأخبريني عن القلوب قالت قلب سليم وقلب سقيم وقلب منيب وقلب نذير وقلب منير فالقلب السليم هو قلب الخليل والقلب السقيم هو قلب الكافر والقلب المنيب هو قلب المتقين الخائفين والقلب النذير هو قلب سيدنا محمد ﷺ والقلب المنير هو قلب من يتبعه وقلوب العلماء ثلاثة قلب متعلق بالدنيا وقلب متعلق بالآخرة وقلب متعلق بمولاه وقيل أن القلوب ثلاثة قلب معلق وهو قلب الكافر وقلب معدوم وهو قلب المنافق وقلب ثابت وهو قلب المؤمن وقيل هي ثلاثة قلب مشروح بالنور والإيمان وقلب مجـروح مـن خوف الهجران وقلب خائف من الخذلان قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سألها الفقيه الثاني وأجابته وقال لها أحسنت قالت يا أمير المؤمنين أنه قد سألني حتى عيني وأنا أسأله مسألتين فإن أتى بجوابهما فذاك وإلا أخـذت ثيابـه وانصـرف بسلام فقال لها الفقيه سليني عما شئت قالت فما تقول في الإيمان قال الإيمان أقرار باللسان وتصديق بالقلـب وعمل بالجوارح وقال عليه الصلاة والسلام لا يكمل المرء في الإيمان حتى يكمل فيه خمس خصال التوكـل على ا والتفويض إلى ا والتسليم لأمر ا والرضا بقضاء ا وإن تكون أموره فإنـه مـن أحـب ا وأعطي ومنع فقد استكمل الإيمان قالت فأخبرني عن فرض الفرض وعن فرض في ابتداء كل فـرض وعن فرض يحتاج إليه كل فرض وعن فرض يستغرق كل فرض وعن سنة داخلة في الفرض وعن سنة يتم بها الفرض فسكت ولم يجب بشيء فأمرها أمير المؤمنين بأن تفسرها وأمره بأن ينزع ثيابه ويعطيهـا أياهـا فعند ذلك قالت يا فقيه أما فرض الفرض فمعرفة ا تعالى وأما الفرض الذي في ابتداء فهي شهادة أتن لا إله إلا ا وأن محمداً رسول ا وأما الفرض الذي يحتاج إليه كل فرض فهو الوضوء وأما الفرض المسـتغرق كل فرض فهو الغسل من الجنابة وأما السنة الداخلة في الفرض فهي تخليل الأصابع وتخليل اللحيـة الكثيفـة وأما السنة التي يتم بها الفرض فهو الاختتان فعند ذلك تبين عجز الفقيه وقام على قدميه وقال أشـهد ا يـا أمير المؤمنين أن هذه الجارية اعلم مني بالفقه وغيره ثم نزع ثيابه وانصرف مقهوراً (وأما) حكايتهـا مـع

المقري فإنها التفتت إلى من بقي من العلماء الحاضرين وقالت أيكم الأستاذ المقريء العالم بـالقرآن السـبع والنحو واللغة فقام إليها المقريء وجلس بين يديها وقال لها هل قرأت كتاب ا تعالى وأحكمت معرفة آياتـه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكية ومدنية وفهمت تفسيره وعرفتيه على الروايات والأصـول فـي القرآن قالت نعم قال أخبريني عن عدد سور القرآن وكم فيه من عشر وكم فيه من آية وكم فيه مـن حـرف وكم فيه من سجدة وكم فيه من نبي مذكور وكم فيه من سورة مدنية وكم فيه من سورة مكية وكم فيه من طير قالت يا سيدي أما سور القرآن فمائة وأربع عشرة سورة المكي منها سبعون سورة والمدني أربع وأربعـون سورة وأما أعشاره فستمائة عشر واحد وعشرون عشراً وأما الآيات فستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية وأما كلماته فتسعة وسبعون ألف كلمة وأما حروفه فثلثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وستمائة وسبعون حرفاً وللقاريء بكل حرف عشر حسنات وأما السجدات فأربع عشر سجدة وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سألها المقريء عن القرآن أجابته وقالت له وأما الأنبياء الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن فخمسة وعشرون نبياً وهم آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وأسحق ويعقـوب ويوسف واليسع ويونس ولوط وصالح وهو ذو شعيب وداود وسليمان وذو الكفل وأدريس واليـاس ويحيـى وزكريا وأيوب وموسى وهارون وعيسى ومحمد صلوات ا وسلامه عليهم أجمعين وأما الطير فهن تسع قال ما أسمهن قالت البعوض والنحل والذباب والنمل والهدهد والغراب والجراد والأبابيل وطيـر عيسـى عليـه السلام وهو الخفاش قال أحسنت فأخبريني أي سورة البقرة قال فأي آية أعظم قالـت آيـة الكرسـي وهـي خمسون كلمة من كل كلمة خمسون بركة قال فأي آية فيها تسع آيات قالت قولـه تعـالى ﴿ أن فـي خلـق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ إلى آخر الآية قـال أحسنت فأخبريني أي آية أعدل قالت قوله تعالى أن ا يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عـن الفحشاء والمنكر والبغي قال فأي آية أطمع قالت قوله تعالى أيطمع كل أمريء منهم أن يدخل جنة نعيم قـال فأي آية أرجى قالت قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا أن ا يغفـر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم قال أحسنت فأخبريني بأي قراءة تقرئين قالت بقراءة أهل الجنـة وهـي قراءة نافع قال فأي آية كذب فيها الأنبياء قالت قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب وهم أخوة يوسـف قال فأخبريني أي آية صدق فيها الكفار قالت قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شـيء وقالـت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فهم صدقوا جميعاً قال آية قالها ا لنفسه قالـت قولـه تعالى وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون قال فأي آية فيها قول الملائكة قالت قوله تعـالى ونحـن نسـبح بحمدك ونقدس لك قال فأخبريني عن أعوذ با من الشيطان الرجيم وما جاء فيها قالت لتعوذ واجب أمر ا به عند القراءة والدليل عليه قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ با من الشيطان الرجيم قال فأخبريني مـا لفظ الاستعاذة وما الخلاف فيها قالت منهم من يستعيذ بقوله أعوذ با السميع العليم مـن الشـيطان الـرجيم ومنهم من يقول أعوذ با القوي والأحسن ما نطق به القرآن العظيم ووردت به السنة وكان ﷺ إذا اسـتفتح

القرآن كان أعوذ با من الشيطان الرجيم وروي عن نافع عن أبيه قال كان رسول ا ﷺ إذا قام يصلي في الليل قال ا أكبر كبيراً والحمد كثيراً وسبحان ا بكرة وأصيلاً ثم يقول أعوذ با من الشيطان الـرجيم ومن همزات الشياطين ونزعاتهم وروي عن ابن عباس رضي ا عنهما أنه قال قال أول ما نـزل جبريـل على النبي ﷺ علمه الاستعاذة وقال له قل يا محمد أعوذ با السميع العليم ثم قل بسم ا الرحمن الرحيم ثـم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق فلما سمع المقريء كلامها تعجب مـن لفظهـا وفصـاحتها وعلمها وفضلها ثم قال لها يا جارية ما تقولين في قوله تعالى بسم ا الرحمن الرحيم هل هي آية من آيـات القرآن قالت نعم آية من القرآن في النمل وآية بين كل سورتين والاختلاف في ذلك بين العلماء كثيـر قـال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أجابت المقريء وقالت أن بسم ا الرحمن الرحيم فيهـا اختلاف كثير بين العلماء قال أحسنت فأخبريني لم لا تكتب بسم ا الرحمن الرحيم في أول سورة براءة قالت لما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بينه ﷺ وبين المشركين وجه لهم النبي ﷺ علي ابن أبي طالـب كرم ا وجهه في يوم موسم بسورة براءة فقرأها عليهم ولم يقرأ بسم ا الرحمن الرحيم قال فأخبريني عـن فضل بسم ا الرحمن الرحيم وبركتها قالت روي عن النبي ﷺ أنه قال ما قرأت بسم ا الرحمن الرحيم على شيء إلا كان فيه البركة وعنه ﷺ حلف رب العز بعزته لا تسمى بسم ا الرحمن الرحيم على مـريض إلا عوفي من مرضه وقيل لما خلق ا العرش اضطرب اضطراباً عظيماً فكتب عليه بسم ا الرحمن الـرحيم فسكن اضطرابه ولما نزلت بسم ا الرحمن الرحيم على رسول ا ﷺ قال أمنت من ثلاثـة مـن الخسـف والمسخ والغرق وفضلها عظيم وبركتها كثيرة يطول شرحها وقد روي عن رسول ا ﷺ أنه قال يؤتي برجل يوم القيامة فيحاسب فلا يلقى له حسنة فيؤمر به إلى النار فيقول الهي ما انصفتني فيقول ا عز وجـل ولـم ذلك فيقول يارب لأنك سميت نفسك الرحمن الرحيم وتريد أن تعذبني بالنار فقال ا جل جلالة أنـا سـميت نفسي الرحمن الرحيم أمضوا بعبدي لي الجنة برحمتي وأنا أرحم الراحمين قال أحسنت فأخبريني عـن أول بدء بسم ا الرحمن الرحيم قالت لما أنزل ا تعالى القرآن كتبوا بإسمك اللهم فلما أنزل ا تعالى قل أعدوا ا أو أدعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى كتبوا بسم ا الرحمن الرحيم فما نزل والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم كتبوا بسم ا الرحمن الرحيم فلما سمع المقريء كلامها أطرق وقال في نفسـه أن هذا العجب عجيب وكيف تكلمت هذه الجارية في أول بدء بسم ا الرحمن الرحيم وا لابد من أن أتحيل عليها لعلي أغلبها ثم قال لها يا جارية هل أنزل ا القرآن جملة واحدة أو أنزله متفرقاً قالت نزل به جبريـل الأمين عليه السلام من عند رب العالمين على نبيه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين بالأمر والنهي والوعـد والوعيد والأخبار والأمثال في عشرين سنة آيات متفرقات على حسب الوقائع قال أحسنت فأخبريني عن أول سورة نزلت على رسول ا ﷺ قالت في قول ابن عباس سورة العلق وفي قول ابن جابر بن عبد ا سـورة المدثر ثم أنزلت السور والآيات بعد ذلك قال فأخبريني عن آخر آية نزلت قالت آخر آية نزلت عليه هي أيـة الربا وقيل إذا جاء نصر ا والفتح. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أجابت المقريء عن آخر آية نزلت في القرآن قال لهـا أحسنت فأخبريني عن عدة الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول ا ﷺ قالت هم أربعة أبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعثمان بن عفان رضي ا عـنهم أجمعـين قالـت أحسـنت فأخبريني عن القراء الذين تؤخذ عنهم القرآت قالت هم أربعة عبد ا بن مسعود وأبي كعب ومعاذ بن جبـل وسالم ابن عبد ا قال فما تقولين في قوله تعالى وما ذبح على النصب قالت هي الأصنام التي تنصب وتعبـد من دون ا والعياذ با تعالى قال فما تقولين في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك قالـت تعلم حقيقتي وما عندي ولا أعلم ما عندك والدليل على هذا قوله تعالى أنك أنت علام الغيوب وقيل تعلم عيني ولا أعلم عينك قال فما تقولين في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحـل ا لكـم قالـت حدثني الشيخ رحمه ا تعالى عن الضحاك أنه قال هم قوم من المسلمين قالوا نقطع مذاكيرنا ونلبس المسوح فنزلت هذه الآية وقال قتادة أنها نزلت في جماعة من أصحاب رسول ا ﷺ وهم علي بن أبي طالب وعثمان ابن مصعب وغيرهما وقالوا نخصى أنفسنا ونلبس الشعر ونترهب فنزلت هذه الآية قال فما تقولين في قولـه تعالى وأتخذ ا ابراهيم خليلاً قالت الخليل المحتاج الفقير وفي قوله أخر هو المحب المنقطع إلى ا تعـالى الذي ليس لانقطاعه اختلال فلما رآها المقريء تمر في كلامها مر السحاب ولم تتوقف في الجواب قام علـى قدميه وقال أشهد ا يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية اعلم مني بالقرآت وغيرها فعند ذلك قالت الجارية أنـا أسألك مسألة واحدة فإن أتيت بجوابها فذاك وإلا نزعت ثيابك قال أمير المؤمنين سليه فقالت ما تقول في أيـة فيها ثلاثة وعشرون كافا وآية فيها ستة عشر ميما وآية فيها مائة وأربعون عيناً وحزب ليس فيه جلالة فعجز المقريء عن الجواب فقالت أنزع ثيابك فنزع ثيابه ثم قالت يا أمير المؤمنين أن الآية التي فيها سـتة عشـر ميماً في سورة هود وهي قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك الآية وأن الآية التـي فيهـا ثلاثة وعشرون كافاً في سورة البقرة وهي أية الدين وأن الآية التي فيها مائة وأربعـون عينـاً فـي سـورة الأعراف وهي قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا لكل رجل عينان وأن الحزب الذي لـيس فيه جلاله هو سورة اقتربت الساعة وانشق القمر والرحمن والواقعة فعند ذلك نزع المقريء ثيابه التي عليـه وانصرف خجلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما غلبت المقريء ونزع ثيابه وأنصرف خجلاً تقدم إليهـا الطبيب الماهر وقال فرغنا من علم الأديان فتيقظي لعلم الأبدان وأخبريني عن الإنسان وكيف خلقه وكم فـي جسده من عرق وكم من عظم وكم من فقارة وأين أول العروق ولم سمي آدم آدم قالت سمي آدم لأدمتـه أي سمرة لونه وقيل لأنه خلق من أديم الأرض أي ظاهر وجهها صدره من تربة الكعبة ورأسه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وخلق ا له سبعة أبواب في رأسه وهي العينان والأذنان والمنخران والفم وجعـل له منفذين قبله ودبره فجعل العينين حاسة النظر والأذنين حاسة السمع والمنخرين حاسة الشم والفـم حاسـة الذوق وجعل اللسان ينطق بما في ضمير الإنسان وخلق آدم مركباً من أربعة عناصر وهي المـاء والتـراب

والنار والهواء فكانت الصفراء طبع النار وهي حارة يابسة والسوداء طبع التراب وهو بارد يـابس والـبلغم طبع الماء وهو بارد رطب والدم طبع الهواء وهو حار رطب وخلق في الإنسان ثلثمائة وستين عرقاً ومائتين وأربعون عظماً وثلاثة أرواح حيواني ونفساني وطبيعي وجعل لكل منها حكماً وخلق ا له قلباً وطحالاً ورئة وستة أمعاء وكبداً وكليتين واليتين ومخاو عظماً وجلداً وخمس حواس سامعة وباصرة وشامة وذائقة ولامسة وجعل القلب في الجانب الأيسر من الصدر وجعل المعدة أمام القلب وجعل الرئة مروحة للقلب وجعل الكبـد في الجانب الأيمن محاذية للقلب وخلق ما دون ذلك من الحجاب والأمعاء وركب ترائـب الصـدر وشـبكها بالأضلاع قال أحسنت فاخبريني كم في رأس ابن آدم من بطن قالت ثلاثة بطون وهي تشتمل علـى خمـس قوي تسمى الحواس الباطنية وهي الحس المشترك والخيال والمتصرفة والواهمة والحافظـة قـال أحسـنت فأخبريني عن هيكل العظام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قال لها الطبيب أخبريني عن هيكل العظام قالـت هـو مؤلف من مائتين وأربعون عظماً وينقسم إلى ثلاثة أقسام رأس وجذع وأطراف أما الرأس فتنقسم إلى جمجمة ووجه فالجمجمة مركبة من ثمانية عظام ويضاف إليها عظيمات السمع الأربع والوجه ينقسم إلى فك علـوي وفك سفلي فالعلوي يشتمل على أحد عشر عظماً والسفلي عظم واحد ويضاف إليه الأسـنان وهـي اثنتـان وثلاثون سناً وكذا العظم اللامي وأما الجذع فينقسم إلى سلسلة فقارية وصدر وحوش لسلسلة مركبة من أربعة وعشرون عظماً تسمى الفقار والصدر مركب من القفص والإضلاع التي هي أربع وعشرون ضلعاً في كـل جانب اثنتا عشرة والحوض مركب من العظمين الحرقفيين والعجز والعصعص وأما الأطراف فتنقسـم إلـى طرفين علويين وطرفيين سفليين فالعلويان ينقسم كل منهما أولاً إلى منكب مركب من الكتف والترقوة وثانيـاً إلى عضد وهو عظم واحد وثالثاً إلى ساعد مركب من عظمين هما الكعبرة والزند ورابعاً إلى كف ينقسم إلى رسغ ومشط وأصابع فالرسغ مركب من ثمانية عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل على أربعـة عظـام والمشط يشتمل على خمسة عظام والأصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاثة عظام تسمى السـلاميات إلا الإبهام فإنها مركبة من أثنين فقط والطرفان السفليان ينقسم كل منهما أولاً إلى فخذ هو عظم واحد وثانيـاً إلى ساق مركب من ثلاثة عظام القصبة والشظية والرصفة وثالثاً إلى قدم ينقسم كالكف إلى رسـغ ومشـط وأصابع فالرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفين الأول فيه عظمان والثاني فيه خمسة والمشط مركب من خمسة عظام والأصابع عدتها خمس كل منهما مركبة من ثلاث سلاميات إلا الإبهام فمن سـلاميين فقـط قال أحسنت فأخبريني عن أصل العروق قالت أصل العروق الوتين ومنه تشعت العروق وهي كثيرة لا يعلـم عددها إلا الذي خلقها وقيل أنها ثلثمائة وستون عرقاً كما سبق وقد جعل ا اللسان ترجماناً والعينين سراجين والمنخرين منشقين واليدين جناحين ثم أن الكبد فيه الرحمة والطحال فيه الضحك والكليتين فيهما المكر والرئة مروحة والمعدة خزانة والقلب عماد الجسد فإذا صلح القلب صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كلـه قـال أخبريني عن الدلالات والعلامات الظاهرة التي يستدل بها على المرض في الأعضاء الظاهرة والباطنة قالت نعم إذا كان الطبيب ذا فهم نظر في أحوال البدن واستدل بجبس اليدين على الصـلابة والحـرارة واليبوسـة

والبرودة والرطوبة وقد توجد في المحسوس دلالات على الأمراض الباطنة كصفرة العينين فإنها تدل علـى اليرقان وتحقف الظهر فإنه يدل على داء الرئة قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عـن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وصفت للطبيب العلامات الظاهرة قال لها أحسنت فمـا العلامات الباطنة قالت إن الوقوف على الأمراض بالعلامات الباطنة يؤخذ من ستة قوانين الأول من الأفعـال والثاني مما يستغفر من البدن والثالث من الوجع والرابع من الموضع والخامس من الـورم والسـادس مـن الأعراض قال أخبريني بم يصل الأذى إلى الرأس قالت بإدخال الطعام على الطعام قبل هضم الأول والشـبع على الشبع فهو الذي أفنى الأمم فمن أراد البقاء فليباكر بالغداء ولا يتمس بالعشاء وليقال من مجامعة النسـاء وليخفف الرداء وأن لا يكثر القصد ولا الحجامة وأن يجعل بطنه ثلاث أثلاث ثلث للطعام وثلث للماء وثلـث للتنفس لأن مصران بني آدم ثمانية عشر شبراً يجب أن يجعل ستة للطعام وستة للشراب وستة للتـنفس وإذا مشي برفق كان أوفق له وأجمل لبدنه وأكمل لقوله تعالى (ولا تمش في الأرض مرحاً) قال أحسنت فأخبريني ما علامة الصفراء وماذا يخاف منها قالت تعرف بصفرة اللون ومرارة الفـم والجفـاف وضـعف الشـهوة وسرعة النبض ويخاف صاحبها من الحمى المحرقة والبرسام والجمرة واليرقان والـورم وقـروح الأمعـاء وكثرة العطش فهذه علامات الصفراء قال أحسنت فأخبريني عن علامات السوداء وماذا يخاف على صاحبها إذا غلبت على البدن قالت أنها تتولد منها الشهوة الكاذبة وكثرة الوسوسة والهم والغم فينبغي حينئذ أن تستفرغ وألا تولد منها الماليخوليا والجذام والسرطان وأوجاع الطحال وقروح الأمعاء قال أحسنت أخبريني إلى كـم جزء ينقسم الطب قالت ينقسم إلى جزأين أحدهما علم تدبير الأبدان المريضة والآخر كيفية ردها إلـى حـال صحتها قال فأخبريني أي وقت يكون شرب الأدوية أنفع فيه منه في غيره قالت إذ جرى المـاء فـي العـود وانعقد الحب في العنقود وطلع سعد السعود فقد دخل وقت نفع شرب الدواء وطرد الداء قال فـأخبريني عـن وقت إذا شرب فيه الإنسان من أناء جديد يكون شرابه أهنأ وأمرأ منه في غيره وتسعد له رائحة طيبة ذكيـة قالت إذا صبر بعد أكل الطعام ساعة فقد قال الشاعر:

لا تشـــربن مـــن بعـــد أكلـــك	**فتســوق جســمك لــلأذى بزمــام**
واصـــبر قلـــيلاً بعـــد أكلـــك ســـاعة	**فعســـاك تظفـــر يـــا أخـــي بمـــرام**

قال فأخبريني عن طعام لا تتسبب عنه أسقام قالت هو الذي لا يطعم إلا بعـد الجـوع وإذا طعـم لا تمتليء منه الضلوع لقول جالينوس الحكيم من أراد أدخال الطعام فليبطيء ثم لا يخطيء ولنختم بقوله عليـه الصلاة والسلام المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة يعني التخمـة وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت للحكيم المعدة بيت الـداء والحميـة رأس الـدواء الحديث قال لها فما تقولين في الحمام قالت لا يدخله شبعان وقد قال النبي ﷺ نعم البيت الحمام ينظف الجسـد

ويذكر النار قال فأي الحمامات أحسن قالت ما عذب ماؤه واتسع فضاؤه وطاب هواؤه بحيث تكـون أهويتـه أربعة خريفي وصيفي وشتوي وربيعي قال فأخبريني أي الطعام أفضل قالت ما صنعت النساء وقل فيه العناء وأكلته بالهناء وأفضل الطعام الثريد لقوله عليه الصلاة والسلام فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة علـى سائر النساء قال فأي الأدم أفضل قالت اللحم لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل الأدم اللحم لأنـه لـذة الـدنيا والآخرة قال فأخبريني فأي اللحم أفضل قالت الضأن ويجتنب القديد لأنه لا فائدة فيه قـال فـأخبريني عـن الفاكهة قالت كلها في إقبالها وأتركها إذا انقضى زمانها قال فما تقولين في شرب الماء قالت لا تشربه شـرباً ولا تعبه عباً فإنه يؤديك صداعه ويشوش عليك من الأذى أنواعه ولا تشربه عقب خروجك من الحمـام ولا عقب الجماع ولا عقب الطعام إلا بعد مضي خمس عشر درجة للشاب وللشيخ بعد أربعين درجة ولا عقـب يقظتك من المنام قال أحسنت فأخبريني عن شرب الخمر قالت أفلا يكفيك زاجراً ما جاء في كتاب ا تعـالى حيث قال (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحـون) وقـال تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهمـا) وقـد قـال الشاعر:

يـا شـارب الخمـر أمـا تسـتحي	تشـــرب شـــيئاً حـــرم ا
فحلـــه عنـــك ولا تأتـــه	ففيـــه حقـــاً عنـــف ا

وقال آخر في هذا المعنى:

شـربت الأثـم حتـى زال عقلـي	فبـئس الشـرب حيـث العقـل زالا

وأما المنافع التي فيها فإنها تفتت حصى الكلى وتقوي الأمعاء وتنفي الهم وتحـرك الكـرم وتحفـظ الصحة وتعين على الهضم وتصح البدن وتخرج الأمراض من المفاصل وتنقي الجسم من الأخـلاط الفاسـدة وتولد الطرب والفرح وتقوي الغريزة وتشد المثانة وتقوي الكبد وتفتح السدد وتحمر الوجه وتنقي الفضـلات من الرأس والدماغ وتبطيء بالمشيب ولولا ا عز وجل حرمها لم يكن على وجه الأرض ما يقـوم مقامهـا وأما الميسر فهو القمار قال فأي شيء من الخمر أحسن قالت ما كان بعد ثمانين يوماً أو أكثر وقد اعتصر من عنب أبيض ولم يشبه ماء ولا شيء على وجه الأرض مثلها قال فما تقولين في الحجامة قالت ذلك لمن كـان ممتلئاً من الدم وليس فيه نقصان في دمه فمن أراد الحجامة فليحتجم في نقصان الهلال في يوم هو بلا غـيم ولا ريح ولا مطر ويكون في السابع عشر من الشهر وأن وافق يوم الثلاثاء كان أبلغ في النفع ولا شيء أنفع من الحجامة للدماغ والعينين وتصفية الذهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وصفت منافع الحجامة قال لها الحكـيم أخبرينـي عـن أحسن الحجامة قالت أحسنها على الريق فإنها تزيد في العقل وفي الحفظ المروي عنه عليه الصلاة والسـلام أنه كان ما اشتكى إليه أحد وجعاً في رأسه أو رجليه إلا قال له احتجم وإذا احتجم لا يأكل على الريق مالحـا فانه يورث الجرب ولا يأكل على أثره حامضاً قال فأي وقت تكره فيه الحجامة قالت يوم السبت والأربعـاء

ومن احتجم فيهما فلا يلومن إلا نفسه ولا يحتجم في شدة الحر ولا في شدة البرد وخيار أيامه أيام الربيع قال أخبريني عن الجامعة فلما سمعت ذلك أطرقت وطأطأت رأسها واستحيت أجلالاً لأمير المؤمنين ثم قالت وا يا أمير المؤمنين ما عجزت بل خجلت وأن جوابه على طرف لساني قال لها يا جارية تكلمي قالـت لـه أن النكاح فيه فضائل مزيدة وأمور حميدة منها أنه يخفف البدن الممتليء بالسوداء ويسكن حرارة العشق ويجلب المحبة ويبسط القلب ويقطع الوحشة والإكثار منه في أيام الصيف والخريف أشد ضرراً منه في أيام الشـتاء والربيع قال فأخبريني عن منافعه قالت أنه يزيل الهم والوسواس ويسكن العشق والغضب وينفع القروح هـذا إذا كان الغالب على الطبع والبرودة واليبوسية وإلا فالإكثار منه يضعف النظر ويتولد منـه وجـع السـاقين والرأس والظهر وإياك إياك من مجامعة العجوز فإنها من القواتل قال الإمام على كرم ا وجهه أربع يقـتلن ويهرمن البدن دخول الحمام على الشبع وأكل المالح والجامعة على الامتلاء ومجامعة المريضة فإنها تضعف قوتك وتسقم بدنك والعجوز سم قاتل قال بعضهم إياك أن تتزوج عجوزاً ولو كانت أكثر من قارون كنوز أقال فما أطيب الجماع قالت إذا كانت المرأة صغيرة السن مليحة القد حسنة الخد كريمة الجد بارزة النهد فهي تزيد قوة في صحة بدنك وتكون كما قال فيها بعض واصفيها:

مهمـا لحظـت علمـت مـاذا تبتغـي	**وحيـــا بـــدون إشـــارة وبيـــان**
وإذا نظـــرت إلـــى بـــديع جمالهـــا	**أغنـــت محاســـنها عـــن البســـتان**

قال فأخبريني عن أي وقت يطيب فيه الجماع قالت إذا كان ليلاً فبعد هضم الطعام وإذا كـان نهـاراً فبعد الغداء قال فأخبريني عن أفضل الفواكه قالت الرمان والأترج قال فأخبريني عن أفضـل البقـول قالـت الهندبان قال فما أفضل الرياحين قالت الورد والبنفسج قال فأخبريني عن قرار مني الرجل قالت أن في الرجل عرقاً يسقى سائر العروق فيجتمع الماء من ثلثمائة وستين عرقاً ثم يدخل في البيضة اليسـرى دمـاً أحمـر فينطبخ من حرارة مزاج بني آدم ماء غليظاً أبيض رائحته مثل رائحة الطلع قال أحسنت فأخبريني عن طير يمني ويحيض قالت هو الخفاض أي الوطواط قال فأخبريني عن شيء إذا حبس عاش وإذا شم الهواء مـات قالت هو السمك قال فأخبريني عن شجاع يبيض قالت الثعبان فعجز الطبيب من كثرة سؤاله وسـكت فقالـت الجارية يا أمير المؤمنين أنه سألني حتى عيي وأنا أسأله مسألة واحدة فإن لم يجب أخذت ثيابه حـلالاً لـي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت لأمير المؤمنين أنه سألني حتى عيسى وأنا أسـأله مسألة واحدة فإن لم يجب أخذت ثيابه حلالاً لي قال لها الخليفة سلبه فقالت له ما تقول في شيء يشبه الأرض استدارة ويواري عن العيون فقاره قليل القيمة والقدر ضيق الصدر والنحر مقيد وهو غير آبق موثـق وهـو غير سارق مطعون لا في القتال مجروح لا في النضال يأكل الدهر مره ويشرب الماء مـن كثـرة وتـارة يضرب من غير جناية ويستخدم لا من كفاية مجموع بعد تفرقه متواضع لا من تملقه حامل لا لولد في بطنه مائل لا يسند إلى ركنه يتسخ فيتطهر ويصلي فيتغير بجامع بلا ذكر ويصارع بلا حذر يريح ويستريح ويعـد فلا يصيح أكرم من النديم وأبعد من الحميم يفارق زوجته ليلاً ويعانقها نهاراً مسكنه الأطراف فـي مسـاكن

الأشراف سكت الطبيب ولم يجب بشيء وتحير في أمره وتغير لونه وأطرق برأسه ساعة ولم يتكلم فقالت أيها الطبيب تكلم وإلا فانزع ثيابك فقام وقال يا أمير المؤمنين أشهد على أن هذه الجارية أعلم مني بالطب وغيره ولا لي طاقة ونزع ما عليه من الثياب وخرج هارباً فعند ذلك قال لها أمير المؤمنين فسرى لنا ما قلتيه فقالت يا أمير المؤمنين هذا الزرار والعروة (وأما) ما كان من أمرها مع المنجم فإنها قالت من كان منكم منجماً فليقم فنهض إليها المنجم وجلس بين يديها فلما رأته ضحكت وقالت أنت المنجم الحاسب الكاتب قال نعم قالت اسأل عما شئت وبا التوفيق قال أخبريني عن الشمس وطلوعها وأفولها قالت أعلم أن الشمس تطلع من عيون وتأفل في عيون فعيون الطلوع أجزاء المشارق وعيون الأفول أجزاء المغارب وكلتاهما مائة وثمانون جزءاً قال ا تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فالقمر سلطان الليل والشمس سلطان النهار وهما مستبقان متداركان قال ا تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون قال فأخبريني إذا جاء الليل كيف يكون النهار وإذا جاء النهار كيف يكون الليل قالت يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قال فأخبريني عن منازل القمر قالت منازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرف والعواء والسماك والغفر والزباني والأكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والرشاء وهي مرتبة على حروف بجد وهوز إلى آخرها وفيها سر غامض لا يعلمه إلا ا سبحانه وتعالى والراسخون في العلم وأما قسمتها على البروج الأثنى عشر فهي أن تعطي كل برج منزلتين وثلث منزلة فتجعل السرطين والبطين وثلث الثريا للحمل وثلثي الثريا مع الدبران وثلثي الهقة للثور وثلث المقعة مع الهقعة والذراع للجوزاء والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان وثلثيها مع الزبرة وثلثي الصرفة للأسد وثلثها مع العواء والسماك للسنبلة والغفر والزباني وثلث الأكليل للميزان وثلثي الأكليل مع القلب وثلثي الشولة للعقرب وثلثها مع النعائم والبلدة للقوس وسعد الذبائح وسعد بلع وثلث المقدم مع المؤخر والرساء للحوت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما عدت المنازل وقسمتها على البروج قال لها المنجم أحسنت فأخبريني عن الكواكب السيارة وعن طبائعها وعن مكثها في البروج والسعد منها والنحس وأين بيوتها وشرفها وسقوطها قالت المجلس ضيق ولكن سأخبرك أما الكواكب فسبعة وهي الشمس والقمر وعطارد ولزهرة والمريخ والمشتري وزحل فالشمس حارة يابسة نحيسة بالمقارنة سعيدة بالنظرة تمكث في كل برج ثلاثين يوماً والقمر بارد رطب سعيد يمكث في كل برج يومين وثلث يوم وعطارد ممتزج سعد مع السعود نحس مع النحوس يمكث في كل برج سبعة عشر يوماً ونصف يوم والزهرة معتدلة سعيدة تمكث في كل برج من البروج خمسة وعشرين يوماً والمريخ نحس يمكث في كل برج عشرة أشهر والمشتري سعد يمكس في كل برج سنة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(تم المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث من ألف ليلة وليلة وأوله ليلة ٤٤٤)